فهرست الجزء الثانى من السيرة النبوية

صحيفه

صحيفه

بعث

صحيفه

صحيفه

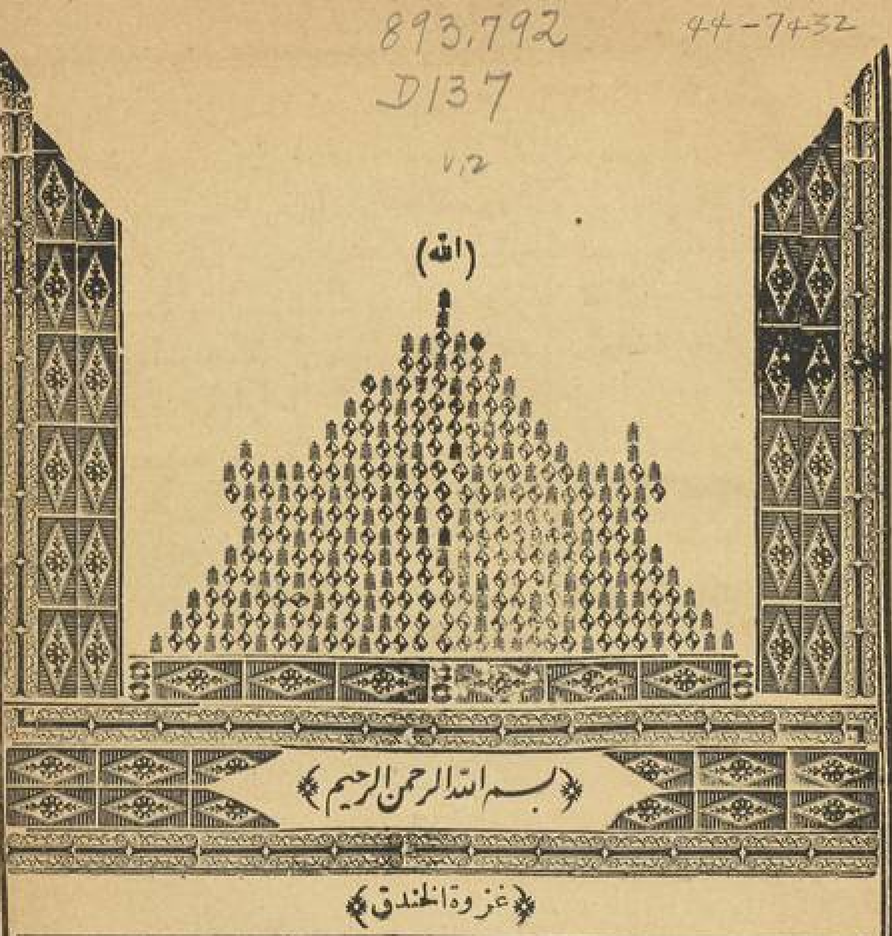
ومن

صحيفه

صحيفه

﴿تم فهرست الجزء الثانى من السيرة النبوية﴾

الجزء الثاني من السيرة النبويه والآثار المحمديه
لمؤلفها الامام الفاضل والجهبذ الكامل
مفتي السادة الشافعية بمكة المشرفه
السيد أحمد زيني المشهور
بدحلان نفع الله به
المسلمين
آمين



غزوة الخندق

وتسمى غزوة الاحزاب قال موسى بن عقبة كانت سنة أربع وقال ابن اسحاق سنة خمس فى شوال وبذلك جزم أهل المغازى ومال البخارى الى قول موسى بن عقبة وسبب هذه الغزوة انه لما وقع اجلاء بنى النضير سار نفر من اليهود منهم سلام بن مشكم وابن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وغيرهم وخرجوا من خيبر حتى قدموا مكة على قريش فقالوا لهم انا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله قال ابن اسحاق فقالت لهم قريش انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فأنزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فسرت قريش بقول اليهود لهم ذلك وبشهادتهم لهم فنشطوا لما دعوهم اليه فاجتمعوا لذلك واستعدوا وتواعدوا على وقت يخرجون فيه ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس بن عيلان فدعوهم الى حربه صلى الله عليه وسلم وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم وأخبروهم

ان قريشا تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم وخرجت قريش في أربعة آلاف وعقدوا اللواء في
دار الندوة وحمله عثمان بن أبي طلحة وقائد القوم أبو سفيان بن حرب وقد أسلم بعد ذلك رضي الله
عنه وقادوا معهم ثلثمائة فرس وألفا وخمسمائة بعير ولاقتهم بنو سليم بمر الظهران في سبعمائة
يقودهم سفيان ابن عبد شمس حليف حرب بن أمية وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طليحة بن
خويلد الاسدي وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن
الفزاري وقد أسلم بعد ذلك ثم ارتد ثم أسلم في زمن الصديق رضي الله عنه وخرج الحارث بن
عوف المري في بني مرة وقد أسلم بعد تبوك رضي الله عنه وكان قومه الذين خرجوا معه أربعمائة
وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه
وخرج غيرهم من قبائل العرب وكان عدة أولئك الاحزاب عشرة آلاف كما قال ابن اسحاق
وكان المسلمون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وكان مع المسلمين ست وثلاثون فرسا ولما سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وما أجمعوا عليه من الامر الذي زعموه وهو استئصال المسلمين
اتخذ الخندق ولم يكن ذلك من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذي أشار به سلمان
الفارسي رضي الله عنه فقال يارسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين وأمر صلى الله عليه وسلم
أصحابه بالجد ووعدهم النصر ان هم صبروا واتقوا وأمرهم بالطاعة وكان الخندق في شامي
المدينة من طرف الحرة الشرقية الى طرف الحرة الغربية عند جبل سلع وخط صلى الله عليه وسلم
لكل عشرة من الناس عشرة أذرع يعملون فيها وكان سلمان رضي الله عنه يعمل عمل عشرة
فتنافس فيه المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت وتأخر عن العمل أناس من المنافقين ومن
خرج منهم صار يعمل عملا ضعيفا ويتعذرون بالضعف وفي البخاري عن سهل بن سعد
الساعدي رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق ونحن ننقل التراب
على أكتادنا فقال صلى الله عليه وسلم

اللهم لا عيش الا عيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجره

وهو من كلام ابن رواحة رضي الله عنه وأصله * لاهم ان العيش عيش الآخره * فنطق به النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الخ لانه يعسر عليه النطق بالشعر وان كان من قول غيره
وفي البخاري أيضا عن أنس رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا
المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى صلى
الله عليه وسلم ما بهم من النصب * قال اللهم ان العيش عيش الآخره * فاغفر للانصار
والمهاجره * وأراد صلى الله عليه وسلم تسلية أصحابه وتهوين الأمر عليهم فان العيش الدائم
المعتبر عيش الآخرة لا عيش الدنيا لكدورته وكونه مع المنغصات التي لا تتناهى ثم هو فان

وان طال قل متاع الدنيا قليل وقال المهاجرون والانصار مجيبين للنبي صلى الله عليه وسلم

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يجيبهم بقوله اللهم ان العيش الخ ويحتمل انه كان يجيبهم ويجيبونه فلا تنافي وفي انشاد الشعر تنشيط على العمل وبذلك جرت عادتهم في الحرب وأكثر ما يستعملونه الرجز وفي البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال لما كان يوم الاحزاب وخندق صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى الغبار جلدة بطنه الشريفة صلى الله عليه وسلم وكان كثير الشعر وكان يرتجز وهو ينقل التراب بقول ابن رواحة رضي الله عنه

والله لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * فأنزلن سكينة علينا

وثبت الاقدام ان لاقينا * ان الألى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع صوته بقوله أبينا أبينا وأخرج البيهقي عن سلمان رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم حين ضرب في الخندق قال

باسم الاله وبه بدينا * ولو عبدنا غيره شقينا * فحبذا ربا وحب دينا

وهو من كلام بعض أصحابه يتمثل به أو من كلامه بناء على ان الرجز ليس بشعر أو ان الشعر شرطه أن يكون مقصودا كونه شعرا موزونا أما اذا خرج موزونا بلا قصد فلا يسمى شعرا وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم منها ما في صحيح البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت أي ظهرت لنا كدية شديدة بضم الكاف مصغرا وهي القطعة الصلبة من الارض لا يعمل فيها المعول فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هذه كدية عرضت في الخندق فقال رشوها بالماء فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فسمى ثلاثا ثم ضرب فعاد المضروب كثيبا أهيل أي رملا يسيل وفي رواية دعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية قال من حضرها فوالذي بعثه بالحق لقد انهالت حتى عادت مثل الكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة وفي رواية للبراء بن عازب رضي الله عنهما عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول من سلمان رضي الله عنه فقال باسم الله ثم ضرب بها فنثر ثلثها وخرج نور أضاء ما بين لابتي المدينة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر قصورها الحمر الساعة من مكاني ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لابتيها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لأبصر قصر المدائن الابيض الآن أي مدائن كسرى وفي رواية والله انى لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب من مكاني هذا وأخبرني جبريل ان أمتي ظاهرة عليها فأبشروا بالنصر فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال باسم الله فقطع بقية الحجر وخرج

نور

نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لابتي المدينة حتى كأنه مصباح في جوف ليل مظلم فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله اني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة وقد حكى الله عن المنافقين انهم حين سمعوا ذلك قالوا ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا * قال ابن اسحاق وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة رضي الله عنه انه كان حين فتحت هذه الامصار في زمان عمر وعثمان رضي الله عنهما افتحوا ما بدا لكم والذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك * ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ما ثبت في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه من تكثير الطعام القليل فانه رضي الله عنه كان عنده صاع من شعير وشويهة فأحب أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه عليه فلما أخبره دعا أهل الخندق وكفاهم ذلك الطعام كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مبحث المعجزات وجاءت ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بحفنة من تمر لأبيها وخالها ابن رواحة رضي الله عنهما ليتغديا به فقال لها صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته في كفيه فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لانسان اصرخ في أهل الخندق أن هلم الى الغداء فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل التمر يزيد حتى صدروا عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب وأقاموا في حفر الخندق ستة أيام وقيل عشرين يوما وقيل أربعة وعشرين وقيل شهرا ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفره أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول بين الجرف والغابة هم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ونزل عيينة بن حصن مع غطفان ومن تبعهم من أهل نجد الى جنب أحد وكلهم عشرة آلاف كما تقدم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف فجعلوا ظهورهم الى سلع وهو جبل معروف بالمدينة فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة رضي الله عنه ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم في تلك المدة يبعث سلمة بن أسلم رضي الله عنه في مائتي رجل وزيد بن حارثة رضي الله عنه في ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير خوفا على الذراري من بني قريظة وخرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان قد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده فأغلق كعب دونه باب حصنه وأبى أن يفتح له فقال له حيي ويحك يا كعب افتح لي أكلمك فقال له اذهب عني انك امرؤ مشؤم واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه فاني لم أر منه الا وفاء وصدقا فنسبه حيي الى البخل وقال له والله ما أغلقت دوني الا تخوفا على جشيشتك ان آكل معك منها والجشيشة بالجيم والشين البر يطحن غليظا ويقال الدشيش بالدال ولم يزل به حتى فتح له فقال ويلك يا كعب أن توافقني جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع السيول ومن دون منزل قريش غطفان وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل

محمدا ومن معه فقال كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد أهراق ماءه يرعد ويبرق
ليس فيه شيء ويحك يا حيي دعني وما أنا عليه فاني لم أر من محمد الا صدقا ووفاء ولم يزل به يفتله في
الذروة والغارب حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأعطاه حيي عهدا على انه ان رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا ان أدخل معك في
حصنك يصيبني ما أصابك ثم أرسل حيي بن أخطب الى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل والى
غطفان أن يأتيه منهم ألف ليغيروا على المدينة وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعظم البلاء وصار الخوف على النساء والذراري أشد من الخوف على أهل الخندق ولما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني قريظة نقضوا العهد قال من يأتي بني قريظة فيأتيني
بخبرهم قال الزبير رضي الله عنه فقلت أنا يا رسول الله فانطلقت اليهم فلما رجعت اليه جمع لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبويه في الفداء أي قال فداك أبي وأمي وفي رواية أنه صلى الله
عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم
ليعرفوا الخبر فقال انطلقوا لتنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا الي
لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس أي تكلموا الي بكلام فيه اشارة وتلويح ولا تأتوا بكلام
صريح انلا يفهمه كل الناس خوفا على الناس أن يقع لهم تثبيط وأصل اللحن العدول بالكلام
عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه وان كانوا على الوفاء فيما بيننا
فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم حتى ان بعضهم كلم
بني قريظة في شأن عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا من رسول الله وتبرؤا من
عقده وعهده وقال بعضهم لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ثم أقبل السعدان ومن معهما على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحنوا له كما أمرهم وقالوا عضل والقارة كغدرهما بأصحاب
الرجيع أي غدروا كغدرهما بأصحاب الرجيع فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا
يا معشر المسلمين ولا منافاة بين ارسال هؤلاء وارسال الزبير رضي الله عنه لاحتمال انهم أرسلوا
دفعة أو بعد ارساله وخص هؤلاء القوم بالارسال لانهم حلفاؤهم فيحتمل أن يرجعوا الى
العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم فغلبت عليهم الشقوة فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف
وأتاهم عدوهم من فوقهم أي من أعلى الوادي من قبل المشرق فانه نزل به غطفان ومن أسفل
منهم أي من أسفل الوادي من قبل المغرب فانه نزل به قريش قال ابن عباس رضي الله عنهما اذ
جاؤكم من فوقكم عيينة بن حصن ومن معه ومن أسفل منكم أبو سفيان بن حرب ومن
معه واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا أي الظنون المختلفة
بالنصر واليأس وظهر النفاق من بعض المنافقين كما قال تعالى واذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ذلك معتب بن قشير وكان منافقا قال
كان محمد يرى أن نأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب الى الغائط

وقيل ان قائل ذلك عبد الله بن أبي بن سلول وقال رجال من المنافقين يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا الى منازلكم بالمدينة فقالوا يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو أى غير حصينة فأذن لنا نرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة قال تعالى وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ثم أقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى يريد قتل النبى صلى الله عليه وسلم فى زعمه على فرس له ليدوس الخندق فوقع فى الخندق فاندقت عنقه فقتله الله وقيل رماه المسلمون بالحجارة ثم نزل اليه على رضى الله عنه فقتله وعظم ذلك على المشركين فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيكم الدية أى وأذنوا لنا فى دفنه وفى رواية انهم أعطوا فى جسده عشرة آلاف على أن يدفع اليهم ليدفنوه فرد اليهم النبى صلى الله عليه وسلم انه خبيث لونه كافر محارب بالله ورسوله وخبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب لنا فى ديته وأقام عليه الصلاة والسلام على الخندق وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل يطمعون فى الغارة ووقع بينهم مراماة بالنبل ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان وأصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة بن وهب يوما ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يقربون منهم ويقدمون رجالهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر المسلمين ويثبتهم ويقول لهم أبشروا بعون الله ونصره انى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق وآخذ المفتاح وليهلكن كسرى وقيصر ولتنفقن أموالهما فى سبيل الله يقول ذلك حين يرى ما بالمسلمين من الكرب ثم انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يعطى عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا فمنعه السعدان رضى الله عنهما وقالا كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة الا بقرى أو بيع أفحين أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله فقال صلى الله عليه وسلم أنتما وذاك وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الى عيينة بن حصن الفزارى والى الحارث ابن عوف المزنى فى أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه فجاآ مستخفين من أبى سفيان والتقيا مع النبى صلى الله عليه وسلم فوافقاه على ذلك بعد أن طلبا النصف فأبى عليهما الا الثلث فرضيا بذلك وأراد أن يكتب بذلك صحيفة وأحضر الدواة ليكتب عثمان رضى الله عنه فقيل أمره النبى صلى الله عليه وسلم فكتب ثم استشار سعدا وقيل قبل أن يكتب بعث صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما واستشارهما فى ذلك فقالا يا رسول الله أمر تحبه فنصنعه أم شئ أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شئ تصنعه لنا وفى رواية فان كان أمرا من السماء فامض له وان كان أمرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمعا

وطاعة وان كان انما هو الرأى مالهم عندنا الا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو أمرنى الله ماشاورتكما والله ما أصنع ذلك الا انى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة
وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر شوكتهم الى أمرّ ما فقال له سعد بن معاذ يارسول
الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم يعنى غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لانعبد الله ولا
نعرفه لايطمعون أن يأكلوا منا تمرة الا قرى أو بيعا وان كانوا ليأكلون العلهز فى الجاهلية
من الجهد فحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا وفى رواية
نعطى الدنية مالنا بهذا من حاجة والله لانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك فأخذ سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة
وهذا يوافق القول بأنها كتبت وقيل انه منع من كتابتها وجاء فى رواية أنه صلى الله عليه وسلم
قال له شق الكتاب فشقه سعد وقال لعيينة والحارث ارجعوا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته
وروى البزار والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى الحارث يعنى بن عوف الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد ناصفنا تمر المدينة والا ملأتها عليك خيلا ورجالا فقال حتى
أستأمر السعود سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود
وقيل ان ذكر سعد بن الربيع وهم لانه استشهد يوم أحد فكلمهم النبى صلى الله عليه وسلم
فقالوا لا والله ما أعطينا الدنية فى أنفسنا فى الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالاسلام فأخبر
الحارث فقال غدرت يامحمد ثم ان جماعة من قريش اقتحموا الخندق من ناحية ضيقة وهم
على خيولهم وكان منهم عمرو بن عبد ود العامرى وهو ابن تسعين سنة وكان من الشجعان
المشهورين ومنهم عكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب
أخو عمر رضى الله عنه وقد أسلم ضرار وعكرمة رضى الله عنهما وأما هبيرة فمات على
كفره فلما صاروا بالسبخة بين الخندق وسلع طلب عمرو بن عبد ود المبارزة وقال من يبارز
فقام على رضى الله عنه وقال أناله يانبى الله فقال صلى الله عليه وسلم اجلس انه عمرو ثم
كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم
يدخلها أفلا تبرزون لى رجلا فقام على رضى الله عنه فقال أنا يارسول الله فقال
اجلس انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه سيفه
ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه عليه اللهم هذا أخى وابن
عمى فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته الى السماء
وقال الهى أخذت عبيدة منى يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا على أخى وابن عمى فلا تذرنى فردا
وأنت خير الوارثين فمشى اليه على رضى الله عنه فقال ياعمرو انك كنت عاهدت الله لا يدعوك
رجل من قريش الى احدى خلتين أى خصلتين الا قبلتها قال له أجل أى نعم قال على رضى الله عنه
فانى أدعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لى بذلك قال له

على فانى أدعوك الى البراز وفى رواية انك كنت تقول لا يدعونى أحد الى واحدة من ثلاث
الا قبلتها قال أجل قال على فانى أدعوك أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتسلم لرب
العالمين فقال يا ابن أخى أخر عنى هذه قال وأخرى ترجع ببلادك فان يك صادقا كنت أسعد
الناس به وان يك كاذبا كان الذى تريد قال هذا مما لا يتحدث به نساء قريش أبدا كيف وقد
قدرت على استيفاء ما نذرت أى لانه نذر لما أفلت هاربا يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهن
حتى يقتل محمدا قال فالثالثة قال وما هى قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت
أظن أن أحدا من العرب يروعنى بها وفى رواية يروم بنى هذه ثم قال له عمرو من أنت لان عليا
رضى الله عنه كان مقنعا بالحديد فما عرفه عمرو فأجابه وقال على قال ابن عبد مناف فقال أنا على
ابن أبى طالب فقال غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أشد منك فانى أكره أن أهريق دمك
وان أباك كان صديقا لى وفى لفظ كنت نديما له فقال له على رضى الله عنه أنا والله ما أكره أن
أهريق دمك وفى رواية قال عمرو يا ابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك فقال على لكنى والله
أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك أى أخذته الحمية وفى رواية فغضب فقال له على كيف
أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معى فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه
وضرب وجهه كيلا يفر وأقبل على على رضى الله عنه ودنا أحدهما من الآخر وثارت بينهما
غبرة فاستقبله على رضى الله عنه بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب
رأسه فشجه فضربه على على حبل عاتقه وهو موضع الرداء من العنق وقيل طعنه فى ترقوته حتى
أخرجها من مراقه فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف
ان عليا رضى الله عنه قد قتل عمرا ثم أقبل على رضى الله عنه نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو
متهلل فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها
فقال انه حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت قال الحاكم سمعت الاصم قال سمعت
العطاردى قال سمعت الحافظ يحيى بن آدم يقول ما شبهت قتل على عمرا الا بقوله تعالى
فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وفى تفسير الفخر الرازى انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى
رضى الله عنه بعد قتله عمرو بن عبدود كيف وجدت نفسك معه قال وجدت أن لو كان أهل
أهل المدينة فى جانب وأنا فى جانب لقدرت عليهم * وذكر ابن اسحاق ان المشركين بعثوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من اقتحم الخندق من المشركين
بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير بن العوام رضى الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه
نصفين ووصلت الضربة الى كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله
ما هو السيف ولكنها الساعد وقيل ان الذى قتل نوفلا على رضى الله عنه وفى رواية ان رجلا
من المشركين قال يوم الخندق من يبارز فقال صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية

واحدى يارسول الله فقال قم ياز بير فقام فقتله ثم جاء بسلبه الى النبى صلى الله عليه وسلم فنفله اياه وفى رواية ان نوفلا لما تورط فى الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يامعشر العرب فنزل اليه على رضى الله عنه فقتله ويمكن أن عليا والزبير رضى الله عنهما اشتركا فى قتله ورجعت الخيول منهزمة وأتى عكرمة برمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فعيره حسان رضى الله عنه بأبيات فلما رجعوا الى أبى سفيان قال هذا يوم لم يكن لنا فيه شئ ارجعوا وجاء فى رواية ان الزبير رضى الله عنه حمل على هبيرة بن وهب وهو زوج أم هانئ أخت على رضى الله عنهما فضرب ثفر فرسه فقطعه وسقط درع كان محقبها الفرس أى يجعلها على مؤخر ظهرها فأخذها الزبير رضى الله عنه وفى رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهبيرة بن وهب على على رضى الله عنه فأقبل على رضى الله عنه عليهما فأما ضرار فولى هاربا ولم يثبت وأما هبيرة فثبت أولا ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها وفى رواية ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصار يشتد فى أثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال ياعمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويدلى عندك غير مجزى بها فاحفظها ووقع له مع عمر رضى الله عنه نظير ذلك فى أحد فانه التقى معه فضرب عمر بالقناة ثم رفعها عنه وقال ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب ثم من الله على ضرار بالاسلام فاسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وكان شعار المسلمين يوم الخندق حم لا ينصرون واهل المراد خصوص الانصار فلا يخالف رواية ان شعار المسلمين ياخيل الله ورمى سعد بن معاذ رضى الله عنه بسهم قطع أكحله وهو عرق فى الذراع تتشعب منه عروق البدن ويقال لهذا العرق عرق الحياة وكان الذى رمى سعدا هو ابن العرقة العامرى والعرقة بفتح العين وكسر الراء وهى أمه واسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم وتكنى أم فاطمة سميت العرقة لطيب ريحها وهى جدة خديجة رضى الله عنها أم أبيها وابن العرقة هذا اسمه حبان بن عبد مناف بن منقذ بن هصيص بن عامر بن لؤى وقيل العرقة انا هى أم عبد مناف أبى حبان ولما رمى سعدا قال خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد رضى الله عنه عرق الله وجهك فى النار وقيل ان الذى قال ذلك هو النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد رضى الله عنه اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم يعنى قريشا فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى وفى رواية حتى تشفينى من بنى قريظة وفى لفظ اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها فانه لا قوم أحب الى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وقد استجاب الله له فلم يقم لقريش حرب بعدها وما مات حتى حكم فى بنى قريظة كما يأتى وقيل ان الذى أصاب سعدا أبو أسامة الجشمى حليف بنى مخزوم وقيل خفاجة بن عاصم بن حبان والله أعلم واستمرت المقاتلة فى يوم من أيام الخندق من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله عليه وسلم ولا أحد

من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصار المسلمون يقولون ماصلينا فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أنا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته فأمر بلالا فأذن وأقام للظهر فصلى ثم أقام لكل صلاة وصلى هو وأصحابه وجاء فى رواية جابر رضى الله عنه انه أذن وأقام لكل صلاة وجمع النووى بأنهما قضيتان جرتا فى أيام الخندق فانها كانت خمسة عشر يوما وفى رواية ان التى فاتت صلاة العصر ويحمل ذلك على انه وقع فى بعض تلك الايام وجاء فى بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله أجوافهم وفى لفظ بطونهم وقبورهم نارا ثم ان طائفة من الانصار خرجوا ليدفنوا ميتا بالمدينة منهم فصادفوا عشرين بعيرا محملة شعيرا وتمرا وتبنا حمل ذلك حيى بن أخطب مددا وتقوية لقريش فأخذها الانصار وأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا المشؤم ثم ان خالد بن الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة المسلمين أى غفلتهم فصادف أسيد بن حضير رضى الله عنه على الخندق فى مائتين من المسلمين فناوشوهم أى تقاربوا منهم ساعة وكان فى أولئك المشركين وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه فزرق وحشى الطفيل بن النعمان رضى الله عنه فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون فى الاغارة وأقام المسلمون فى شدة من الخوف وفى الصحيحين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم وقام صلى الله عليه وسلم فى الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف أى السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف فى سبيل الله ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله ياصريخ المكروبين يامجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى مانزل بى وبأصحابى وقال له المسلمون هل من شئ نقوله فقد بلغت الروح الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فأتاه جبريل فبشره ان الله يرسل عليهم ريحا وجنودا وأعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه وصار يرفع يديه ويقول شكرا شكرا وجاء ان دعاءه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذى هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور فى وجهه أى ومن ثم كان جابر يدعو فى مهماته فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت ويتحرى ذلك اليوم وأما الاحاديث التى جاءت بذم يوم الاربعاء فمحمولة على آخر اربعاء فى الشهر فان فى ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذى أصيب فيه أيوب عليه السلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثلمة فى الخندق والثلمة الخلل فى الحائط فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثلمة فاذا أخذه البرد جاءنى فأدفئه فى حضنى فاذا دفئ خرج الى تلك الثلمة ويقول ما أخشى أن يؤتى المسلمون الا منها فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضنى صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة

فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد بن أبي وقاص أتيت أحرسك يارسول الله فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ونام صلى الله عليه وسلم حتى غط ثم قام في قبته يصلي لانه كان صلى الله عليه وسلم اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى يا عباد بن بشر قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم أنا في نفر حول قبتك يارسول الله وكان عباد الزم الناس لقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطيف بالخندق وأعلمه بأن خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم لا يغلبهم غيرك واذا أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا * ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعي رضي الله عنه أسلم وكتم اسلامه وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فرني بما شئت وفي رواية ان نعيما لما سارت الاحزاب سار مع قومه غطفان وهو على دينهم فقذف الله في قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلي فلما رآه جلس ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء بك يا نعيم قال جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق فأسلم ثم قال يارسول الله ان قومي لم يعلموا باسلامي فرني بما شئت فقال له صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال وبضم الخاء أيضا مع سكون الدال وضمها أي ينقضي أمرها بالمخادعة ففيه التحذير من مكر الكافرين وانه لا ينبغي التهاون بهم والندب الى خداع الكفار وان من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الامر عليه وفي الحديث أيضا الاشارة الى استعمال الرأي في الحرب بل الاحتياج اليه آكد من الشجاعة فلذا اقتصر الحرب على الخدعة في قوله فان الحرب خدعة فهو كقوله الحج عرفة ثم قال نعيم يارسول الله اني أقول أي ما يقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع فقال قل ما بدا لك فأنت في حل فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما قال فلما رأوني رحبوا بي وعرضوا على الطعام والشراب فقلت اني لم آت لشئ من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لاشير عليكم برأيي يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم اكتموا عني قالوا نفعل قال لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع ولبني النضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم وبها نساؤكم وأموالكم وأبناؤكم لا تقدرون على أن ترحلوا منه الى غيره وأن قريشا وغطفان جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم أي عاونتموهم عليهم وبلادهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أي فرصة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلادكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم سبعين رجلا يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه أي يقاتلوه فقالوا لقد أشرت بالرأي والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا نحن

فاعلون قال ولكن اكتموا على قالوا نفعل ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان ومن معه من أشراف قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد وانه قد بلغنى أمر قد رأيت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون أن معشر يهود بنى قريظة تندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد من نقض عهده وقد أرسلوا اليه وأنا عندهم انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك انا نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم أى سبعين رجلا فنعطيك اياهم فتضرب أعناقهم وترد جناحنا الذى كسرت الى ديارنا يعنون بنى النضير ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فأرسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على أسراركم ولكن اكتموا عنى ولا تذكروا هذا الامر ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس لى ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا على قالوا نعم ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى نناجز أى نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فقالوا لهم ان اليوم أى الذى يلى هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى فى السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيمان وفى رواية ان بنى قريظة أرسلت لقريش قبل مجىء رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ما هذا التوانى والرأى أن تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنكم لا تخرجوا حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتموهم فلم ترد لهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبى سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لو طلبوا منى عناقا ما دفعته اليهم فاختلفت كلمتهم وجاء حيى بن أخطب لبنى قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا لا نقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح أى ريح الصبا فى ليال شديدة البرد فأكفأت قدورهم وطرحت آنيتهم وقلعت بيوتهم وقطعت أطنابها وسارت الريح تلقى الرجال على أمتعتهم وفى رواية دفنت الرجال والحمات نيرانهم وأرسل الله عليهم ملائكة زلزلتهم قال الله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت فى روعهم الرعب قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفى لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم واشتدت عليهم فى ليلة باردة مع أصوات مثل الصواعق ولم تجاوز عسكر المشركين أى لم تجاوز شدة ذلك عسكر المشركين وكانت تلك الليلة شديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص أصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة أى من العدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها

السرقة فأذن لنا نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم قيل ولم يبق معه تلك الليلة الا ثلثمائة وكان رجوع المنافقين فرارا كما قال الله تعالى يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا وأما المؤمنون الصادقون فمن رجع منهم انما رجع لالم البرد والجوع الشديدين أو الخوف الحقيقي على بيوتهم أو لفهمهم عدم التغليظ في ذهاب من يذهب فيكشفوا حال بيوتهم ثم رجعوا ثم قال صلى الله عليه وسلم من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير أنا يا رسول الله قال ذلك ثلاثا والزبير رضي الله عنه يجيبه بما ذكر فقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري أي ناصر وان حواري الزبير وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له أيضا عند ارساله لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد أم لا كما تقدم وسيأتي قوله له ذلك أيضا في خيبر وجاء في حديث آخر حواري من الرجال الزبير ومن النساء عائشة رضي الله عنهما وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال أي رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع وأسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة وفي لفظ يكون معي يوم القيامة وفي لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الجوع والبرد فدعا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وأرسله كما يأتي ولم يرسل الزبير رضي الله عنه مع سؤاله ذلك ثلاثا لان له حدة وشدة لا يملك معها نفسه أن يحدث بالقوم شيأ مما نهى عنه حذيفة فيما يأتي فاختار ارسال حذيفة لذلك هذا هو التحقيق عند أئمة السير وهو ان المرسل انما هو حذيفة رضي الله عنه وذهب بعضهم الى الارسال الى الزبير رضي الله عنه وهو اشتباه وانما ارسال الزبير رضي الله عنه في كشف خبر بني قريظة لما نقضوا العهد كما تقدم قال حذيفة رضي الله عنه لما دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجد بدا من القيام حيث نوه باسمي فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم فقلت والذي بعثك بالحق ان قدرت أي ما قدرت على ما بي من الجوع والخوف والبرد فقال اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا قال حذيفة رضي الله عنه فلم يكن لي بد من الذهاب فقمت مستبشرا بدعائه فما شق علي شيء مما كان وقال يا حذيفة اذهب فادخل في القوم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر قوله ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ولم يجبه أحد قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله حذيفة بن اليمان قال حذيفة رضي الله عنه فمر علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علي الا مرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي وأنا جاث على ركبتي فقال من هذا فقلت حذيفة فقال صلى الله عليه وسلم حذيفة قال حذيفة فتقاصرت بي الارض قلت بلى يا رسول الله قال قم فقمت فقال انه كان في القوم خبر فأتني بخبرهم فقلت والذي بعثك بالحق ما قمت الا حياء منك من البرد قال لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الي فقلت والله ما بي أن أقتل ولكن أخشى أن أوسر فقال انك لن تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال حذيفة فمشيت كأني في حمام وفي رواية اذهب

الله عني القر أي البرد والفزع أي الخوف وفي رواية فوالله ما خلق الله تعالى في جوفي قرا
ولا فزعا الا خرج وما وجدت منه شيئا وخرجت كأنما أمشي في حمام فلما وليت دعاني فقال لي
لا تحدث شيئا وفي رواية لا ترم بسهم ولا بحجر ولا تضربن بسيف حتى تأتيني فخرجت اليهم والريح
وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فدخلت في غمارهم فسمعت
أبا سفيان يقول يا معشر قريش ليعرف كل امرئ جليسه واحذروا الجواسيس والعيون
فأخذت بيد جالس لي على يميني وقلت من أنت قال معاوية بن أبي سفيان وقبضت بيدي على من
على يساري وقلت من أنت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية أن يفطن بي فقال أبو سفيان
يا معشر قريش والله انكم لستم بدار مقام وقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة
وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله
فما حل عقاله الا وهو قائم أي فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاث قوائم ثم حل
عقاله فقال له عكرمة بن أبي جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا
أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وجعل يقوده ويقول ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم
قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه يا أبا عبد الله تقيم في جريدة من الخيل بازاء محمد وأصحابه فانا
لا نأمن من أن نطلب فقال عمرو أنا أقيم وقال لخالد بن الوليد ما ترى أبا سليمان فقال انا أيضا
أقيم فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس وسار جميع العسكر قال حذيفة رضي الله عنه ولولا عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الي حين بعثني أن لا أحدث شيئا لقتلته يعني أبا سفيان بسهم
وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم وفي رواية عن حذيفة رضي
الله عنه فدخلت العسكر فاذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح
تغلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة لا تجاوز عسكرهم فلما انتصفت الطريق اذا أنا بنحو
عشرين فارسا معتمين فخرج الي منهم فارسان وقالا أخبر صاحبك ان الله كفاه القوم قال حذيفة
رضي الله عنه ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلي فأخبرته الخبر فحمد الله
تعالى وأثنى عليه وفي رواية فضحك حتى بدت ثناياه في سواد الليل وعاودني البرد وجعلت
أقرقف فأومأ الي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل علي من فضل شملته
فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح أي طلوع الفجر فلما أصبحت أي دخل وقت صلاة الصبح قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان أي يا كثير النوم وانما جاءه البرد بعد رجوعه لان
النبي صلى الله عليه وسلم انما قال له لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الي وقد رجع
وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه لما دخلت بينهم نظرت في ضوء نار توقد واذا رجل أدهم
ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته وحوله عصبة قد تفرق عنه الاحزاب وهو يقول
الرحيل الرحيل ولم أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش لأضعه
في كبد القوس لأرميه في ضوء النار فذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيئا حتى تأتيني

فأمسكت ورددت سهمي فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان انه قد دخل فيهم من غيرهم فقال ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فضربت بيدي على يد الذي عن يميني فقلت من أنت قال معاوية بن أبي سفيان ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي فقلت من أنت قال عمرو ابن العاص فعلت ذلك خشية أن يفطن بي فبدرتهم بالمسألة ثم تلبثت فيهم هنيهة فأتيت قريشا أي بقية قريش وبني كنانة وقيسا وقلت ما أمرني به صلى الله عليه وسلم أي فانه صلى الله عليه وسلم قال له ادخل حتى تدخل بين ظهراني القوم فأت قريشا فقل يا معشر قريش انما يريد الناس اذا كان غدا أن يقال أين قريش أين قادة الناس أين رؤس الناس فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ائت بني كنانة فقل اذا كان غدا فيقال أين الرماة فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ائت قيسا فقل يا معشر قيس انما يريد الناس اذا كان غدا أن يقال أين احلاس الخيل أين الفرسان فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ذكر بقية ارتحالهم كما تقدم وفي البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم أي حتى لا يثبتوا للقتال عند اللقاء بل تطيش عقولهم وترعد أقدامهم وقد استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فارسل عليهم ريحا وجنودا فهزمهم الله حتى قال طليحة بن خويلد الاسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها الآية وكذا قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وتقدم أن بعض الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح فهزمهم بالريح وكفى الله المؤمنين القتال فانصرف الكفار خائبين خائفين حتى ان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد أقاما في مائتي فارس في ساقة عسكر المشركين مخافة الطلب وفي حديث جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أتى مسجد الاحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء بين الظهر والعصر فوضع رداءه فقام فرفع يديه يدعو عليهم فرأينا البشر في وجهه ومما دعا به صلى الله عليه وسلم كما تقدم قوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وبأصحابي فأتاه جبريل فبشره بأن الله تعالى يرسل عليهم ريحا وجنودا فأخبر أصحابه بذلك لزوال خوفهم ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وأطفأت النيران وألقت عليهم الابنية وأكفأت القدور على أفواهها وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا في جوانب معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هاربين في ليلتهم

وتركوا ما استثقلوا من متاعهم فغنمه المسلمون وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الاربعاء لسبع بقين من ذى القعدة وكان قد أقام بالخندق محاصرا خمسة عشر يوما وقيل أربعة وعشرين يوما وقيل شهرا وقال صلى الله عليه وسلم بعد انصراف الاحزاب لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفى رواية الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم وقد كان كما أخبر صلى الله عليه وسلم ففى ذلك علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفى السيرة الحلبية ان أبا سفيان قبل أن يرتحلوا كتب كتابا وأرسله للنبى صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فانى أحلف باللات والعزى واساف ونائلة وهبل لقد سرت اليك فى جمع وأنا أريد أن لا أعود أبدا حتى أستأصلكم فرأيتك قد كرهت واعتصمت بالخندق وفى رواية قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا الافرارا من سيوفنا ولقائنا ولك منى يوم كيوم أحد فارسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابه فيه أما بعد أى بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب فقد أتانى كتابك وقديما غرك بالله الغرور أما ماذكرت انك سرت الينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله تعالى بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى واساف ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك ياسفيه بنى غالب انتهى وقد حقق الله قوله صلى الله عليه وسلم وكسر اللات والعزى وغيرهما من الاصنام وأعز الله الاسلام فاخباره بذلك قبل وقوعه علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ابن اسحاق انه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير سعد بن معاذ رضى الله عنه وسيأتى بيان وفاته وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل والثلاثة من الاوس ومن الخزرج الطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد وزاد الحافظ الدمياطى قيس بن زيد بن عامر وعبد الله بن أبى خالد وذكر الحافظ ابن حجر فى الكنى أبا سنان بن صيفى بن صخر وقال شهد بدرا واستشهد فى الخندق وقتل من المشركين ثلاثة منبه بن عبيد العبدرى أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله المخزومى وعمرو بن عبد ود وفى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وهذا من السجع المحمود وهو ما جاء بانسجام واتفاق بلا قصد والمذموم ما يأتى بتكلف واستكراه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة بنى قريظة﴾

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الخندق دخل المدينة فى اليوم الذى انصرف فيه لسبع بقين من ذى القعدة هو وأصحابه ووضعوا السلاح وكان قد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضى الله عنها وقيل بيت زينب

بنت جحش رضي الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل وقد غسل شق رأسه
الشريف وفي رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغسل يرجل رأسه قد رجل أحد
شقيه وفي رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتاه جبريل عليه السلام معتجرا
بعمامة سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج رخاها بين كتفيه وفي رواية عليه لامته ولا
معارضة لانه يجوز أن الاعتجار بالعمامة على تلك اللامة وهو على بغلة شهباء عليها قطيفة
وهي كساء له وبر من ديباج أحمر فقال أوقد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل
ما وضعت الملائكة السلاح وفي رواية قال يا رسول الله غفر الله لك أوقد وضعتم السلاح
وما رجعنا الآن الا من طلب القوم يعني الاحزاب وقد بلغنا الاسد يعني حمراء الاسد ان الله
يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أصحابي جهدا فلو أنظرتهم أياما فقال جبريل انهض
اليهم أي بني قريظة فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا ولا دخلن عليهم في حصونهم ثم
لأضعضعنها فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم وهم
طائفة من الانصار وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال كأني أنظر الى الغبار ساطعا
في زقاق بني غنم لموكب جبريل حين سار الى بني قريظة وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لما
رجع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بينما هو عندي اذ دق الباب وفي رواية نادى
مناد فارتاع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت
في أثره فاذا رجل على دابة والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت
فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذي كنت تكلمه قال ورأيتيه قلت نعم قال بمن شبهتيه قالت
بدحية الكلبي قال ذاك جبريل أمرني أن أمضي الى بني قريظة وهذا يؤيد أنه صلى الله
عليه وسلم كان عند منصرفه من الخندق في بيت عائشة رضي الله عنها وجاء في رواية عنها
فكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه جبريل وهو أي جبريل ينفض
رأسه من الغبار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا وهو بلال رضي الله عنه أن ينادي
في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وفي رواية لا يصلين الظهر
وجمع بينهما بأن من الناس من صلى الظهر ومنهم من لم يصلها فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا
الظهر الا في بني قريظة وللذين صلوها لا تصلوا العصر الا في بني قريظة وبعث مناديا يقول
يا خيل الله اركبي أي يا فرسان خيل الله ثم سار اليهم وبعث عليا رضي الله عنه على المقدمة ودفع
اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل عند مرجعهم من الخندق واستعمل على المدينة ابن
أم مكتوم رضي الله عنه ولبس صلى الله عليه وسلم السلاح والدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناته
بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيف بالضم وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريا ويمكن
انه ركب في بعض الطريق حماره وفي بعضه فرسه وسار والناس حوله قد لبسوا السلاح

وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا ومر بنفر من الانصار وقد لبسوا
السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبي مر على بغلة بيضاء وفي رواية على فرس
أبيض عليه اللامة وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الآن
فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل بعث الى بني قريظة
ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما دنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الحصن
أي ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة
قبيحة في حقه صلى الله عليه وسلم فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى علي
رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا أمر أبا قتادة الانصاري ان يلزم اللواء ورجع
اليه صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك سمعت
منهم لي أذى قال نعم قال لو رأوني لم يقولوا شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم
قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا
وفي رواية نادى بأعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم وقال أجيبوا يا اخوة القردة
والخنازير وعبدة الطاغوت وهو ما عبد من دون الله هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتموني
فجعلوا يحلفون ما فعلنا ويقولون يا أبا القاسم ما كنت جهولا وفي رواية ما كنت فاحشا وقال
لهم أسيد بن حضير يا أعداء الله لا نبرح عن حصنكم حتى تموتوا جوعا انما أنتم بمنزلة ثعلب
في جحر فقالوا يا ابن الحضير نحن مواليك دون الخزرج وخاروا أي خافوا فقال لا عهد بيني وبينكم وانما
قال لهم يا أخوة القردة والخنازير لان اليهود مسخ شبابهم قردة وشيوخهم خنازير عند
اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم ما لم يكن لهم منه بد عن المسير
لبني قريظة ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة العصر الى ان جاؤا بعد صلاة العشاء الآخرة امتثالا
لقوله صلى الله عليه وسلم فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء
الآخرة وبعضهم قال نصلي ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أن ندع الصلاة ونخرجها
عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوا في أماكنهم قيل وجماعة صلوا على ظهور دوابهم
ثم ساروا فما عابهم الله في كتابه ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كلا من الفريقين
مأجور بقصده لانهم مجتهدون ولم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الامر
وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقيل
شهرا وكان طعام الصحابة رضي الله عنهم التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر واشتد الحصار على بني قريظة وقذف الله
الرعب في قلوبهم وكان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب
بما عاهده عليه كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى
يناجزهم أي يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني

عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله
لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم
ونسائكم وما منعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يك من بنى اسرائيل ولقد كنت
كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم الا من هذا الجالس يعنى حيى بن أخطب
أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبى فاتبعوه وكونوا له
أنصارا وتكونون آمنتم بالكتابين الاول والآخر يعنى التوراة والقرآن أى وكانت يهود
بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان
مهاجره المدينة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت يهود قريظة وبنى النضير وفدك
وخيبر يجدون صفة النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما قال لهم
كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم على هذه فهلم
فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى
يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا أى ولدا نخشى عليه وان نظهر
فلعمرى لنجدن النساء والابناء قالوا انقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم
على هذه فان الليلة ليلة السبت وأن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب
من محمد وأصحابه غرة أى غفلة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا
وأصابه ما لم يخف عليك من المسخ وقال لهم عمرو بن سعدى ان خالفتم محمدا فيما عاهدتموه عليه ولم
أشركم فى غدركم فان أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوه الجزية فوالله ما أدرى
أيقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج فى رقابنا يأخذونه وان القتل خير من ذلك قال فانى
برئ منكم وخرج فى تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فقال
محمد بن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمنى اقالة عثرات الكرام وخلى
سبيله وبعد ذلك لم يدر أين هو ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال ذاك رجل نجاه
الله بوفائه وفى لفظ انه قال لهم قبل أن يقدم النبى صلى الله عليه وسلم لحصارهم يا بنى قريظة لقد
رأيت عبرا رأيت دار اخواننا يعنى بنى النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والرأى
الفاضل والعقل قد تركوا أموالهم يملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط
هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع ببنى قينقاع نقضهم العهد فى الذل والسبى وكانوا أهل
عدة وسلاح ونخوة فلم يخرج منهم أحد رأسه حتى سباهم صلى الله عليه وسلم فكلم فيهم
فتركهم على اجلائهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم
لتعلمون انه نبى وقد بشرنا به علماؤنا ثم لا زال يخوفهم بالحرب والسباء والجلاء ثم أقبل على كعب
ابن أسد وقال والتوراة التى نزلت على موسى يوم طور سيناء انه العز والشرف فى الدنيا فبينما هم
على ذلك لم يرعهم الا مقدمة جيش النبى صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم فقال هذا الذى قلت

لكم أى و بعد الحصار أرسلوا شاس بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على
ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الابل الا الحلقة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يحقن دماءهم و يسلم لهم نساءهم والذرية فأرسلوا اليه ثانيا بأنهم لا حاجة لهم بشئ من
الاموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد شاس اليهم بذلك ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن ابعث الينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر الانصارى رضى الله عنه لنستشيره
فى أمرنا أى لانه كان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت فى بنى قريظة وكانوا محالفين
للاوس وهو منهم فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وأسرع اليه
النساء والصبيان يبكون فى وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت ما لهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة
أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه أى انه الذبح أى وفى لفظ ما ترى ان
محمدا قد أبى أن ننزل الا على حكمه قال فانزلوا وأومأ بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال
أبو لبابة فوالله ما زالت قدماى من مكانهم حتى عرفت انى خنت الله و رسوله أى لان فى ذلك
تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم ومن ثم أنزل الله فى ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا
الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده
أجر عظيم وقيل الذى نزل فى ذلك قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والحق ان كلا من الآيتين نزل فيه
الاولى فى اللوم عليه والثانية فى توبته وفى رواية عن أبى لبابة رضى الله عنه لما أرسلت بنو
قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسلنى اليهم دعانى فقال اذهب الى حلفائك فانهم
أرسلوا اليك من بين الاوس فذهبت اليهم فقام كعب بن أسد فقال يا أبا بشر قد عرفت ما بيننا
وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه فلو زال عنا لحقنا
بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا ما ترى فانا قد اخترناك على غيرك
أننزل على حكم محمد قال أبو لبابة نعم فانزلوا وأومأ الى حلقه بالذبح قال أبو لبابة فندمت
واسترجعت فقال لى كعب ما لك يا أبا لبابة فقلت قد خنت الله و رسوله ثم نزلت من عندهم
وان عينى لتسيل من الدموع ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وارتبط فى المسجد بعمود من عمده وهى التى كانت عند باب أم سلمة رضى الله عنها زوج
النبى صلى الله عليه وسلم وكان أكثر تنفل النبى صلى الله عليه وسلم عندها وتعرف بأسطوانة
أبى لبابة واسطوانة التوبة وكان الوقت شديد الحر وكان ارتباطه بسلسلة ثقيلة وقال والله
لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ بنى
قريظة أبدا ولا يرى فى بلد خان الله و رسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره
وكان قد استبطأه قال أما لو جاءنى لاستغفرت له وأما اذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه حتى

يتوب الله عليه ومن قال انه انما فعل ذلك حين تخلف عن غزوة تبوك فقد أغرب ثم مكث أبو
لبابة رضي الله عنه مربوطا ست ليال لا يذوق طعاما ولا شرابا وتأتيه امرأته في كل وقت صلاة
فتحله للصلاة ثم يعود فتربطه بالجذع وقيل مكث مربوطا بضع عشرة ليلة يطلقونه للصلاة ثم
يأمرهم باعادة الربط حتى خر مغشيا عليه ثم أنزل الله توبته على النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم
ان الله غفور رحيم وكان نزول توبته ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة رضي الله عنها
قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فرحا بالتوبة لانه
بالمؤمنين رؤف رحيم قالت فقلت يارسول الله مم تضحك أضحك الله سنك قال تيب على أبي لبابة
قالت قلت أفلا أبشره يارسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب
عليهن الحجاب فقالت ياأبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار الناس اليه ليطلقوه وقيل قالوا له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
الذي يحلني فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج لصلاة الصبح فحله فقال يارسول الله
ان من تمام توبتي ان أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وان أنخلع من مالي فقال له صلى الله
عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وجاء في بعض الروايات عن أبي لبابة رضي الله عنه عند
ذكره هذه القصة حين ربط نفسه قال فكنت في أمر عظيم في حر شديد عدة ليال لا آكل فيهن
شيئا ولا أشرب وقلت لا ازال هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله علي وذكرت رؤيا رأيتها
ونحن محاصرون بني قريظة فاني رأيت كاني في حمأة أي طين أسود آسنة أي متغيرة فلم أخرج
منها حتى كدت أموت من ريحها ثم رأيت نهرا جاريا أراني اغتسلت فيه حتى استنقيت وأراني
أجد ريحا طيبة فاستعبرتها أبا بكر رضي الله عنه فقال لتدخلن في أمر تغتم له ثم يفرج الله عنك
فكنت أذكر قوله وأنا مرتبط فأرجو أن ينزل الله توبتي فلم أزل كذلك حتى كنت ما اسمع
الصوت من الجهد ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الي حتى أنزل الله توبتي * ثم ان بني
قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا
ستمائة وقيل سبعمائة وخمسين مقاتلا وهو الذي تقدم عن حيي بن أخطب وقيل كانوا بين
الثمانمائة والسبعمائة وقيل كانوا أربعمائة ويجوز ان يكون ما زاد على ذلك أتباعا لا يعدون فلا
تخالف وأخرج النساء والذراري من الحصون وجعلوا ناحية وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبد
الله بن سلام فتواثبت الاوس فقالوا يارسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي اخواننا
بالامس ما قد فعلت يعنون بني قينقاع لانهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن
أبي بن سلول وقد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن
سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم فظنت الاوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب
لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع للخزرج فلما كلمته الاوس أبي ان يفعل ببني قريظة ما فعل

ببني

بنى قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يامعشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال ذلك
الى سعد بن معاذ وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابى فاختاروا
سعد بن معاذ وهو سيد الاوس حينئذ وقيل ان بنى قريظة هم الذين قالوا ننزل على حكم سعد بن
معاذ رضى الله عنه فرضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام حدثنى من أثق به
ان عليا رضى الله عنه صاح على بنى قريظة وهم محاصرون يا كتيبة الايمان ثم تقدم هو والزبير
وقال والله لاذوقن ماذاق حمزة أولا قتحمن حصنهم فخافوا وقالوا ننزل على حكم سعد قال الحافظ
ابن حجر كانهم أذعنوا أولا للنزول على حكم المصطفى صلى الله عليه وسلم فلما سأله الانصار فيهم
رد الحكم الى سعد وروى الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها فلما اشتد بهم البلاء قيل لهم انزلوا
على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استشاروا أبا لبابة قالوا ننزل على حكم سعد فحصل
فى سبب رد الحكم الى سعد أمران احدهما سؤال الاوس والآخر اشارة أبى لبابة وكانوا حلفاء
سعد وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه يومئذ فى المسجد النبوى فى خيمة رفيدة رضى الله عنها وقد
كان صلى الله عليه وسلم قال لقوم سعد بن معاذ رضى الله عنه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه
فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب ورفيدة هذه امرأة من أسلم كانت لها خيمة فى المسجد
تداوى فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فأتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا به
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون له يا أبا عمرو احسن فى مواليك فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فاحسن فيهم فقد رأيت ابن أبى ما صنع
فى حلفائه وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فقال
بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله
جلوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم وفى رواية الى خيركم فقاموا اليه
فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وفى رواية
فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله ان تحكم
فيهم فقال سعد أى التفت الى الناحية التى ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك
عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم بما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا مثل ذلك وأشار
الى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجلالا له ثم قال سعد لبنى قريظة أترضون بحكمى قالوا نعم فأخذ عليهم عهد الله
وميثاقه ان الحكم ما حكم به سعد قال سعد فانى أحكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال
وتسبى الذرارى والنساء وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار اخواننا يعنون
المهاجرين انا معهم فقال انى أحببت أن يستغنوا عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسعد لقد حكمت بحكم الملك بكسر اللام وفى رواية لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع

سموات قد طرقني بذلك الملك سحرا والمراد ان شأن هذا الحكم العلو والرفعة ثم أمر ان يجمع
مافى حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها ألف وخمسمائة سيف وثلاثمائة
درع وألفا رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد أثاث كثير وآنية كثيرة وجمال نواضح
أى يسقى عليها الماء وماشية وشياه كثيرة وخمس ذلك مع النخل والسبى ثم قسم الباقى على الغانمين
وفى رواية ثم أمر بالباقى فبيع ثم قسمه بين المسلمين وكانت أسهم القسمة ثلاثة آلاف واثنين
وسبعين سهما لان المسلمين ثلاثة آلاف والخيل ست وثلاثون وللفرس سهمين ولصاحبه سهما
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاسارى أن يكونوا فى دار أسامة بن زيد والنساء
والذرية فى دار بنت الحارث النجارية ثم غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم خرج الى سوق
المدينة فخندق فيها خنادق أى حفر فيها حفائر وفى رواية شق أخدودا وجلس صلى الله عليه
وسلم ومعه أصحابه ثم أمر بقتل كل من نبت شعر عانته فبعث اليهم فجاؤا أرسالا تضرب
أعناقهم ويلقون فى تلك الخنادق وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسيد يا كعب ماترى يصنع
بنا قال أنتم فى كل موطن لا تعقلون لا ترون انه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد
دعوتكم الى غير هذا فأبيتم على قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم التراب فى تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت
جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملئت المدينة بالنوح والعويل وكان من جملة
من أتى به معهم عدو الله حيى بن أخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ألم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى أبى الله الا تمكينك منى والله مالمت
نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل وفى رواية قال بلى والله لقد قلقلت كل مقلقل
ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب
وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه ولما أتى بكعب بن أسيد سيد
بنى قريظة قال له صلى الله عليه وسلم يا كعب قال نعم يا أبا القاسم قال ما انتفعتم بنصح بن خراش
لكم وكان مصدقا بى أما أمركم باتباعى وانكم ان رأيتمونى تقرؤنى منه السلام قال بلى والتوراة
يا أبا القاسم لولا أن تعيرنى يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فأمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم فتضرب عنقه ففعل به ذلك وكان المتولى لقتلهم على بن أبى طالب
والزبير بن العوام رضى الله عنهما وقيل ان بعضا منهم تولى قتله الاوس لما جاء أن سعد بن
عبادة والحباب بن المنذر رضى الله عنهما قالا يا رسول الله ان الاوس قد كرهت قتل بنى قريظة
لمكان حلفهم فقال سعد بن معاذ رضى الله عنه ما كرهه من الاوس أحد فيه خير فمن كرهه
فلا أرضاه الله وقام اسيد بن حضير رضى الله عنه فقال يا رسول الله لا تبق دارا من الاوس
الا فرقتهم فيها منهم فمن سخط فلا يرغم الله الا أنفه فابعث الى دارى أول دورهم ففرق صلى الله
عليه وسلم منهم فيها فقتلوهم قال بعضهم ان الطائفة الذين كرهوا ذلك بعض من الاوس فقتلوا

من بعث به الى دورهم اتباعا لرضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وازالة لما حاك فى صدورهم
وما عدا ذلك تعالى قتله على والزبير رضى الله عنهما فلا تنافى و بقى صلى الله عليه وسلم عند
الاخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب فرد عليهم التراب وكان الذين أرسلوا الى الاوس حملوا
بعد القتل الى الاخدود وكانوا كلهم ما بين الستمائة والسبعمائة كما تقدم ولم يقتل من النساء
الا واحدة خرجت من بين النساء يقال لها بنانة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن
سويد رضى الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لانه أحب أن لا تبقى بعده فيتزوجها غيره وقد أسهم
النبى صلى الله عليه وسلم لخلاد بن سويد هذا وقال ان له أجر شهيدين وأسهم لسنان بن محصن وقد
مات فى زمن الحصار وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة
قالت والله انها لعندى تحدث وتضحك ظهرا و بطنا أى وكانت جارية حلوة و رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقتل رجالها أى لانها دخلت على عائشة رضى الله عنها و بنو قريظة يقتلون اذ
هتف هاتف باسمها أين بنانة فقالت ها أنا والله قالت عائشة رضى الله عنها فقلت لها مالك
و يلك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته وفى لفظ قالت قتلنى زوجى فقالت لها عائشة
رضى الله عنها كيف قتلك زوجك قالت أمرنى أن ألقى رحى على أصحاب محمد الذين كانوا
تحت الحصن مستظلين فى فيئه فادركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وأنا أقتل به وفى
رواية قالت كنت زوجة رجل من بنى قريظة و كان بينى و بينه كأشد ما يتحاب الزوجان فلما
اشتد الحصار قالت لزوجى ياحسرتا على أيام الوصال كادت أن تنقضى وتتبدل بليالى الفراق
وما أصنع بالحياة بعدك فقال زوجى ان كنت صادقة فى دعوى المحبة تعالى فان جماعة من
المسلمين جالسون فى ظل حصن الزبير بن بطا وهو بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة فألقى عليهم
حجر الرحى لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت عائشة
رضى الله عنها فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة رضى الله عنها تقول ما رأيت أعجب
من طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل وكان فى بنى قريظة الزبير بن بطا وكان
شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت بن قيس فى الجاهلية يوم بعاث وهى الحرب التى كانت بين
الأوس والخزرج قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج
وذلك ان الزبير بن بطا أخذ ثابت بن قيس فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت للزبير يوم قتل
بنى قريظة فقال له يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى فقال وهل يجهل مثلى مثلك قال انى أردت أن
أجزيك بيدك عندى قال ان الكريم يجزى الكريم وأحوج ما كنت اليه الآن ثم أتى ثابت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه كان للزبير على منة وقد أحببت أن
أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد وهب لى دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال ثابت
فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى امرأته وولده فقال هم لك

جنته فقلت أهلك وولدك لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله ماله قال هو لك فأتيته فقلت له قد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك فقال أى ثابت أما أنت فقد كافأتني وقد قضيت الذى عليك مافعل بالذى كأن وجهه مرآة تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسد سيد بنى قريظة قلت قتل قال فما فعل بسيد الحاضر والبادى من يحملهم فى الجدب ويطعمهم فى المحل حيى بن أخطب فقلت قد قتل قال فما فعل بمقدمنا بكسر الدال المشددة اذا شددنا وحامينا اذا فررنا عزال بتشديد الزاى ابن سموأل بفتح السين وكسرها أملك قتل قال مافعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قلت قتلوا قال فانى أسألك يا ثابت بيدك عندى الا ألحقتني بالقوم فوالله مافى العيش بعد هؤلاء من خير أرجع الى دار قد كانوا حلولا فيها فأخلد فيها بعدهم لا حاجة لى بذلك فما أنا بصابر افراغة دلو ناضح حتى ألقى الاحبة أى مقدار الزمن الذى يفرغ فيه ماء الدلو قال ثابت فقلت له ما كنت لأقتلك فقال لا أبالى من قتلنى فقتله الزبير بن العوام رضى الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضى الله عنه قوله ألقى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لثابت بن قيس لك أهله وماله ان أسلم أولم يسلم ثم ان القتل كان لمن أنبت ومن لم ينبت يكون فى السبى قال عطية القرظى كنت غلاما فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى عن القتل وكان رفاعة القرظى قد أنبت فأرادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم أى خالات جده عبد المطلب لانها من بنى النجار فقالت يا رسول الله بأبى أنت وأمى هب لى رفاعة فوهبه لها فأسلم رضى الله عنه واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة من نساء بنى قريظة ريحانة بنت شمعون بن زيد القرظى فتزوجها بعد ان أسلمت وحاضت حيضة وكانت جميلة وسيمة وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا أى نصف أوقية وأعرس بها فى المحرم سنة ست وقيل كان يطؤها بملك اليمين وقد أشار سبحانه وتعالى الى قصة بنى قريظة بعد ذكره قصة الاحزاب بقوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك والى نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعدوا الى النبى حدودا * كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم اننا لكم أولياء
ويوم الاحزاب اذ زاغت الابصار فيه وضلت الآراء
وتعاطوا فى أحمد منكر القو * ل ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو * ء سفاها والملة العوجاء

فانظروا

فانظروا كيف كان عاقبة القوم * وما ساق للبذي البذاء
وجد السب فيه سما ولم يد * ر اذ السم في مواضع باء
كان من فيه قتله بيديه * فهو من سوء فعله الزباء
أوهو النحل قرصها يجلب الحتف اليها وماله انكاء

ولما انقضى شأن بني قريظة قال صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم وأقر الله عين سعد بن معاذ بقتل بني قريظة فانه سأل الله لما أصيب بالسهم في الخندق وقال اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وقيل ان دعاءه بذلك كان في الليلة التي في صبيحتها نزلوا على حكمه ويجوز أن يكون دعا بتلك الدعوة مرتين وفي لفظ فدعا الله أن لا يميته حتى يشفي صدره من بني قريظة فاستجاب الله دعوته وكان جرحه قارب البرء فدعا الله وقال اللهم انك تعلم انه ليس احد أحب الي أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه من وطنه اللهم اني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فان كان قد بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها أي الجراحة واجعل موتي فيها فانفجرت تلك الجراحة من ليلته تلك فلم يرعهم أي أهل المسجد الا الدم يسيل اليهم من خيمة لرجل من بني غفار وهو زوج رفيدة الاسلمية فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الدم الذي يأتينا من قبلكم فاذا سعد يسيل جرحه دما فهلك منها وجاء في رواية ان عنزا مرت به وهو مضطجع فأصابت الجرح بظلفها فانفجرت جراحته وسال الدم حتى مات ولم يحضر النبي صلى الله عليه وسلم موته بل جاءه جبريل عليه السلام فقال يا محمد من هذا العبد الصالح وفي رواية من هذا الميت الذي فتحت أبواب السماء لصعود روحه واهتز العرش لقدومها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد مات وجاء انه شهد جنازته سبعون ألفا من الملائكة ما وطئوا الارض الا يومهم ذلك * واختلف العلماء في اهتزاز العرش ما المراد منه فقيل ان اهتزازه تحركه فرحا بقدوم روح سعد وقيل جعل الله حركته علامة للملائكة على موته وقيل المراد الاستبشار والقبول فانه يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتز له ومنه اهتزت الارض بالنبات اذا اخضرت وحسنت ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم فانهم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه لها واقباله عليها وقيل هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم الى أعظم الاشياء فيقولون أظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيامة فهذه منقبة عظيمة لسعد رضي الله عنه تفيد كرامته على ربه حيث تحرك العرش أسفا عليه لمحافظته على الحق ولذا قال كثير من المحققين انه كان في الانصار كالصديق رضي الله عنه في المهاجرين ولما حملت جنازته رضي الله عنه قال بعض المنافقين ما أخف جنازته وكان رجلا بادنا وكأن المنافقين قالوا ذلك استهزاء به وان خفته لخفة ميزانه بزعمهم الفاسد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردا عليهم ان

الملائكة كانت تحمله ولما احتمل على نعشه بكت أمه وقالت

ويل أم سعد سعدا * صرامة وحدا * وسوددا ومجدا
وفارسا معدا * سد به مسدا

فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضي الله عنه وفي رواية قال لها الا تريدي على هذا وكان فيما علمته والله حازما في أمر الله قويا بأمره كل النوائح تكذب الا أم سعد وروى أنه قال لها ليرقأ دمعك ويذهب حزنك فان ابنك يضحك الله له وذلك كناية عن اقبال الله عليه بالروح والريحان والمغفرة والرضوان * وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بين العمودين ومشى امام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه ونظرت اليه في اللحد وقالت احتسبتك عند الله عز وجل وعزاها صلى الله عليه وسلم وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف ودعا له وأم سعد بن معاذ رضي الله عنها هي كبشة بنت رافع بن عبيد الانصارية الخدرية وهي أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الانصار وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه وسلم لهم أتعجبون من لين هذه الحلة والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين وهذا الحديث فيه اشارة الى عظم منزلة سعد عند الله تعالى في الجنة وان أدنى ثيابه خير من هذه الحلة لان المناديل أدنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره أفضل منه بالاولى وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق محمد بن المنكدر قال قبض انسان قبضة من تراب قبر سعد فذهب بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هي مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله مرتين تعجبا من كون تراب قبره صار مسكا ثم قال الحمد لله شكرا له على تفريجه عن سعد لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وعن جابر رضي الله عنه قال لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يارسول الله مم سبحت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا وجاء انه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن زيد الانصاري بسبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها سلاحا وخيلا وفي رواية بعث بها سعد بن عبادة رضي الله عنه الى الشام وشترى بها سلاحا وخيلا كثيرا ثم قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية القرطاء وحديث ثمامة﴾

وكانت هذه السرية لعشر خلون من المحرم سنة ست من الهجرة والقرطاء بضم القاف

وسكون الراء وبالطاء المهملة والمد وهم من بطن من بنى بكر وكانوا ينزلون بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء ثم تاء تأنيث وهى قرية لبنى كلاب على طريق البصرة الى مكة وهى الى مكة أقرب وبها جبل يسمى البكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فى ثلاثين راكبا ابلا وخيلا وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأن يشن الغارة عليهم أى يفرق الخيل المغيرة على العدو ففعل ما أمر به فلما أغار عليهم هرب سائرهم أى باقيهم بعد من قتل وكان المقتول منهم عشرة وقيل نحو العشرين واستاق مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم وغاب تسع عشرة ليلة وأسر ثمامة بن أثال بضم الهمزة وفتح الثاء مخففة الحنفى روى ابن اسحاق عن أبى هريرة رضى الله عنه ان خيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت رجلا ولا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن أثال الحنفى فربطوه بسارية من سوارى المسجد بأمره صلى الله عليه وسلم لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها فيرق قلبه فخرج اليه صلى الله عليه وسلم فقال ماذا عندك يا ثمامة قال عندى خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة قال عندى ما قلت لك فقال أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال والله يا محمد ما كان على وجه الارض وجه أبغض الى من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد الى وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى صلى الله عليه وسلم أى بخير الدنيا والآخرة أو بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة يلبى ونفى الشريك عن الله قال له قائل صبوت أى خرجت عن دينك قال لا ولكن أسلمت لله رب العالمين مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى صلى الله عليه وسلم وروى أنهم قدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله ولذا قيل فيه

ومنا الذى لبى بمكة معلنا ❊ برغم أبى سفيان فى الاشهر الحرم

ثم خرج الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا الى مكة شيئا فكتبوا اليه صلى الله عليه وسلم انك تأمر بصلة الرحم وانك قد قطعت أرحامنا فكتب صلى الله عليه وسلم الى ثمامة أن يخلى بينهم وبين الحمل وروى البيهقى فى الدلائل ان ثمامة بن أثال الحنفى لما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم وهو أسير خلى سبيله فأسلم ولحق بمكة ثم رجع فحال بين أهل مكة والميرة من اليمامة حتى أكلت

قريش العلهز أى الوبر والدم فجاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى قال فقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع وفى رواية أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز فكتب اليه أن يخلى بينهم وبين الحمل فانظر الى هذا الحلم العظيم والرحمة الشاملة والرأفة العميمة مع مواجهته بهذا الخطاب الخشن مع شدة حاجته اليه ومحاربته له قريبا فى وقعة الاحزاب ومع ذلك لم يمتنع من قضاء حاجته تصديقا لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم بل جاء فى بعض الروايات أنه دعا الله لهم بالمطر فسقاهم الله وفى قصة ثمامة رضى الله عنه فوائد منها جواز ربط الكافر فى المسجد والمن على الاسير الكافر والاغتسال عند الاسلام وان الاحسان يزيل البغض ويثبت الحب وان الكافر اذا أراد عمل خير ثم أسلم يشرع له أن يستمر فى ذلك الخير وملاطفة من يرجى اسلامه من الاسرى اذا كان فى ذلك مصلحة للاسلام ولاسيما من يتبعه على الاسلام العدد الكثير من قومه وفيه بعث السرايا الى بلاد الكفار وأسر من وجد منهم والتخيير بعد ذلك فى قتله وابقائه وفيه تعظيم أمر العفو عن المسىء لانه أقسم أن بغضه انقلب حبا فى ساعة واحدة لما أسداه اليه صلى الله عليه وسلم من العفو والمن من غير مقابل وجاء فى بعض الروايات انه بعد ان أسلم جاؤه بالطعام فلم ينل منه الا قليلا وبالقيمة فلم يصب من حلابها الا يسيرا فعجب المسلمون فقال صلى الله عليه وسلم مم تعجبون أمن رجل أكل أول النهار فى معى كافر وأكل آخر النهار فى معى مسلم ان الكافر يأكل فى سبعة أمعاء وان المسلم يأكل فى معى واحد ثم صار ثمامة رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقا كثيرا من قومه ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة ولا خرج عن الطاعة قط رضى الله عنه بل جاء أنه قام مقاما حميدا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم قال لهم فأين هذا من هذيان مسيلمة فأطاعه ثلاثة آلاف وانحازوا الى المسلمين رضى الله عنه ونفع به

﴿غزوة بنى لحيان﴾

بكسر اللام وفتحها نسبة الى لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وكانت فى غرة شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة وقيل سنة خمس وقيل أربع وسببها انه صلى الله عليه وسلم وجد أى حزن على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديدا والمراد بأصحابه ما يشمل المقتولين ببئر معونة وهم القراء السبعون وان كانوا فى سرية وحدهم فأظهر صلى الله عليه وسلم انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة وعسكر فى مائتى رجل ومعهم عشرون فرسا واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وسلك على غراب وهو جبل بناحية المدينة ثم على طريقه الى الشام ثم عدل ذات اليسار حتى استقام به الطريق على الحجفة من طريق مكة ثم أسرع السير حتى انتهى الى بطن غراب واديه وبين عسفان خمسة أميال وهى منازل بنى لحيان حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا فترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان

فهربوا

فهربوا فى رؤس الجبال خوفا من المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم فلم يقدر على أحد منهم فأقام يوما أو يومين يبعث السرايا فى كل ناحية من نواحيهم ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم فأتوا كراع الغميم وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال يضاف كراع اليه وكراع جبل اسود بطرف الحرة يمتد اليه ثم رجع صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه ولم يلقوا كيدا * قال ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم لما ما حصل من غرتهم ما أراد قال صلى الله عليه وسلم لو أنا نزلنا بعسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم أرسل أبا بكر رضى الله عنه مع عشر فوارس وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو يقول آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنظر فى الاهل والمال اللهم بلغنا بلاغا صالحا ينظر الى خير مغفرتك ورضوانك وفى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم اذا أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة فى هذه الغزوة أربع عشرة ليلة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة الغابة﴾

وتعرف بذى قرد بفتح القاف والراء آخره دال مهملة وهو ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان وكانت فى ربيع الاول سنة ست وقيل فى جمادى الاولى وقيل فى شعبان وفى البخارى انها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وبعد الحديبية بعشرين يوما وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بكسر اللام وقد تفتح وهى ذات اللبن القريبة العهد بالولادة وكانت ترعى بالغابة تارة وهو موضع الشجر الذى لا مالك له بل هو لاحتطاب الناس ومنافعهم وبذى قرد تارة اخرى لتقارب الموضعين وكان أبو ذر وابنه وامرأته رضى الله عنهم فيها فأغار عليها عيينة بن حصن الفزارى ليلة الاربعاء فى أربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر رضى الله عنه واسمه ذر وكان يرعى الابل وأسروا المرأة واسمها ليلى ١ فى رواية ان أبا ذر رضى الله عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم لاتقاحه فقال صلى الله عليه وسلم انى أخاف عليك ونحن لا نأمن عيينة بن حصن فألح عليه فقال صلى الله عليه وسلم لكأنى بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك قال أبو ذر رضى الله عنه بعد ذلك عجبا لى يقول لى ذلك وأنا ألح عليه فكان والله ما قال فلما كان الليل أحدق بنا عيينة مع أصحابه فأشرف لهم ابنى فقتلوه وأسروا امرأتى ثم انها نجت منهم بعد تمام الغزوة ورجوع النبى صلى الله عليه وسلم لانهم أوثقوها وكانوا يريحون نعمهم بين يدى بيوتهم فانطلقت وركبت ناقة للنبى صلى الله عليه وسلم ليلا على حين غفلتهم وفى رواية انهم أوثقوا المرأة فانفلتت ليلا من الوثاق فأتت الابل فكانت

اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء فلم ترغ فقعدت فى عجزها ثم زجرتها فانطلقت وعلموا بها
فطلبوها فأعجزتهم ونذرت ان نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم اخبرته
بذلك وقالت يارسول الله انى نذرت لله تعالى ان أنحرها ان نجانى الله عليها فقال بئسما جزيتها ان
حملك الله عليها ونجاك ان تنحريها انه لا نذر لاحد فى معصية ولا لاحد فيما لا يملك انما هى ناقة من
ابلى ارجعى الى أهلك على بركة الله وحاصل قصة هذه الغزوة انهم لما أغاروا على اللقاح فى يومهم
ذلك جاء الصريخ فنادى الفزع الفزع ونودى ياخيل الله اركبى وركب صلى الله عليه وسلم فى
خمسمائة وقيل سبعمائة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وخلف سعد بن عبادة
رضى الله تعالى عنه فى ثلثمائة يحرسون المدينة وعقد لواء للمقداد رضى الله عنه فى رمحه وقال
امض حتى تلحقك الخيول وأنا على أثرك فأدرك أخريات العدو وفى البخارى ومسلم عن سلمة
ابن الاكوع رضى الله عنه قال خرجت قبل ان يؤذن بالاولى وكانت لقاح رسول الله صلى الله
عليه وسلم ترعى بذى قرد فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح رسول الله صلى
الله عليه وسلم قلت من أخذها قال غطفان وفزارة فصرخت ثلاث صرخات ياصباحاه ياصباحاه
فاسمعت ما بين لابتى المدينة وفى رواية للطبرانى وابن اسحاق فأشرفت من سلع ثم صحت
ياصباحاه فانتهى صياحى الى النبى صلى الله عليه وسلم فنودى فى الناس الفزع الفزع فترامت
الخيول اليه فكان أول من انتهى اليه فارسا المقداد ثم عبادة بن بشر وسعد بن زيد الانصارى
وأسيد بن حضير وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة وأبو قتادة وأبو عياش وفى رواية ان النبى
صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن زيد وقال اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس وقيل
أمر المقداد فسار وتقدمهم أبو قتادة فأدرك فى طريقه مسعدة بن حكمة الفزارى فقتله
وسجاه ببرده فلما وصل المسلمون اليه وهو مسجى استرجعوا أى قالوا انا لله وانا اليه راجعون ظنا
منهم ان المسجى هو أبو قتادة وأنه قتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس بابى قتادة ولكنه
قتيله وضع عليه برده لتعرفوه فخلوا عن قتيله وسلبه وقيل ان قتيل أبى قتادة هذا هو حبيب
ابن عيينة الفزارى ويحتمل أن له اسمين فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه
ولقى عكاشة بن محصن رضى الله عنه فى طريقه أبان بن عمرو وابنه عمرا على بعير واحد فانتظمهما
بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذ بعض اللقاح وقتل من المسلمين محرز بن نضلة من بنى أسد بن
خزيمة ممن شهد بدرا رضى الله عنه قال ابن اسحاق كان أول فارس لحق بالقوم فقال قفوا
يامعشر بنى اللكيعة فحمل عليه رجل منهم فقتله وتحول على فرسه فلحقه أبو قتادة فقتله وتحول
على الفرس وأدرك سلمة بن الاكوع رضى الله عنه القوم قال ابن اسحاق ان سلمة رضى الله عنه
صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد فى آثار القوم فكان مثل السبع وكان يسبق الخيل فى جريه فلم
يزل يشتد حتى لحق بالقوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل وفى البخارى عنه رضى الله عنه

ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت
راميا وأقول خذها وأنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع وأرتجز حتى استنقذت اللقاح وثلاثين
بردة وفي صحيح مسلم فأقبلت أرميهم بالنبل وأرتجز فمازلت أرميهم وأعقرهم فاذا رجع الي
فارس منهم أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فعقرته فاذا تضايق الجبل ودخلوا في مضايقه
علوت الجبل فرميتهم بالحجارة فمازلت كذلك حتى ما خلق الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم من
بعير الا خلفته وراء ظهري ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا
يستخفون بها فأتوا مضيقا فأتاهم عيينة مددا لهم فجلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن فقال
من هذا قالوا لقينا من هذا البرح بفتح الباء وسكون الراء يعني الشدة والاذى ما فارقنا السحر حتى
الآن وأخذ كل شئ في أيدينا وجعله وراء ظهره فقال عيينة لولا أنه يرى وراءه طلبا لكم لترككم
ليقم اليه أربعة منكم قال سلمة فصعدوا الي الجبل فقلت لهم أتعرفونني فقالوا ومن أنت قلت
ابن الاكوع والذي أكرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا
أطلبه فيفوتني فقال رجل منهم أظن فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله اليوم يوم الرضع بضم الراء وشد المعجمة جمع راضع والمراد يوم هلاك اللئام
من قولهم لئيم راضع أي رضع اللؤم وقيل معناه اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب
بها ويعرف غيره وقيل معنى هذا اليوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من أرضعته فلا يجد من
يرضعه ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء فنزلوا بذي قرد وأقام يوما وليلة
قال سلمة لما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ان القوم يعني غطفان وفزارة
عطاش لا يقدرون على الحرب فلو بعثتني في مائة لاستنقذت ما في أيديهم من السرح وأخذت
بأعناق القوم أي أسرتهم وقتلتهم وفي رواية لمسلم وأتاني عمي عامر بماء ولبن فتوضأت وشربت
ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي أجليتهم عنه فاذا هو قد أخذ كل شئ
استنقذته منهم ونحر له بلال رضي الله عنه ناقة وشوى له من كبدها وسنامها فقلت يا رسول الله
خلني أنتخب من القوم مائة رجل فاتبعهم فلا يبقى منهم مخبر فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت
نواجذه وقال أتراك كنت فاعلا قلت نعم والذي أكرمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن الاكوع ملكت فأسجح أي قدرت عليهم فأحسن وارفق والسجاحة بالكسر السهولة أي
لا تأخذ بالشدة بل ارفق وأحسن العفو فقد حصلت النكاية في العدو فهزموا وقتل رؤساؤهم
وسلبت منهم الرماح والبرود ولله الحمد على نصر الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم انهم الآن
ليقرون في قومهم يعني انهم وصلوا الى غطفان وهم يضيفونهم ويساعدونهم فلا فائدة في البعث
في أثرهم لانهم لحقوا بأصحابهم وزاد مسلم فجاء رجل من غطفان فقال مروا على فلان الغطفاني
فنحر لهم جزورا فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وقالوا أتاكم القوم وخرجوا
هرابا وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بذلك فكان كما قال وقال سلمة رضي الله عنه

فلما أصبحنا قال صلى الله عليه وسلم خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا اليوم سلمة فأعطاني سهم الراجل والفارس جميعا وفي رواية وذهب الصريخ الى بني عمرو بن عوف من الانصار فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستنقذوا عشر لقاح وأفلت القوم بما بقي وهي عشر من اللقاح وهذه الرواية مخالفة لقول سلمة في الصحيح أنه استنقذ جميع اللقاح وأجاب بعضهم بأن سلمة قال ذلك بحسب ظنه وهو في الواقع نصف اللقاح واستبعد بعضهم ثم كون اللقاح عشرين لا ينافي مجرده ان معها زيادة عليها المار وى أن منها جملا كان لأبي جهل ومعها الناقة التي رجعت عليها امرأة أبي ذر رضي الله عنهما وكان عودها بعد عود النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كما تقدم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف وأقام به يوما وليلة يتجسس الخبر ورجع وقد غاب خمس ليال وأردف اسامة رضي الله عنه خلفه في رجوعه وقسم في كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وبعث اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه باحمال تمر وبعشر جزائر فيحتمل أن الجزائر المنحورة هي بعينه أو مما أخذوه من القوم قال الحافظ ابن حجر وفي القصة من الفوائد جواز العدو الشديد في الغزو والانذار بالصياح العالي وتعريف الشجاع بنفسه ليرعب خصمه واستعمال الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لا سيما عند الصنع الجميل ليزيد منه ومحله حيث يؤمن الافتتان والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية الغمر﴾

وتعرف بسرية عكاشة بن محصن الاسدي رضي الله عنه الى غمر مرزوق بفتح الغين المعجمة وسكون الميم بعدها راء وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد بفتح الفاء وسكون الياء آخره دال قال في القاموس قلعة بطريق مكة وكانت في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة فخرج عكاشة رضي الله عنه في أربعين رجلا عقب أمره صلى الله عليه وسلم له بالخروج دون تراخ فنذر به القوم فهربوا فنزلوا أعلى بلادهم فوجد دارهم خلوفا أي خالية عن سكانها الهاربين فبعث المسلمون طليعة فرأوا أثر النعم قريبا فقصدوها فأصابوا رجلا منهم فأمنوه فدلهم على نعم لبني عم لهم فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير وأطلقوا الرجل وقدموا بالابل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا

﴿سرية محمد بن مسلمة الانصاري﴾

الى ذي القصة بفتح القاف والصاد المشددة موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا من طريق الربذة وكانت في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بني ثعلبة فورد عليهم ليلا بمن معه وقد كمن لهم المشركون لشعورهم بمجيئهم اليهم فتركوا محمد بن مسلمة حتى نام هو وأصحابه ثم أحدقوا بهم فاشعر المسلمون الا بالنبل قد خالطهم فوثب محمد بن مسلمة ومعه قوس

فصاح في أصحابه السلاح فوثبوا فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم انحاز أصحاب محمد اليه وقد قتلوا من القوم رجلا ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحا يضرب كعبه فلا يتحرك فجردوهم من ثيابهم وانطلقوا فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة وأصحابه فرآهم صرعى فاسترجع فتحرك له محمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة جريحا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الامة أحد العشرة المبشرين رضى الله عنهم في ربيع الآخر في أربعين رجلا الى مصارعهم فأغاروا عليهم فلم يجدوا أحدا ووجد نعما وشاء فساقه ورجع وصرح بهذا ان سبب بعث أبي عبيدة رضى الله عنه طلب ثار المقتولين وقيل ان سببه أن بني ثعلبة وانمار اجمعوا على أن يغيروا على سرح المدينة وهي ترعى بهيفاء وهو موضع على سبعة أميال من المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة في أربعين حين صلوا المغرب فمشوا اليلهم حتى وافوا ذا القصة مع الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا في الجبال وأصابوا رجلا واحدا فأسلم فتركوه وأخذ نعما من نعمهم فاستاقه وشيئا من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقي عليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه

الى بني سليم بالجموح ناحية ببطن نخل على أربعة أميال من المدينة وكانت في شهر ربيع الاخر سنة ست فأصابوا امرأة من مزينة اسمها حليمة فأسروها فدلتهم على منازل بني سليم فأصابوا نعما وشاء ووجدوا جماعة منهم فأسروهم فكان فيهم زوج حليمة المزنية فلما رجع زيد بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها والظاهر انها أسلمت وتوقف بعضهم في ثبوت ذلك وقال لا أعلم لها اسلاما ولا صحبة ولا ترجمة وليس في الصحابيات حليمة الا المرضعة رضى الله عنها ولم يذكروا عدة الابل والغنم والاسرى والله أعلم

ثم سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه

أيضا الى العيص قالت عائشة رضى الله عنها ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضى الله عنه في سرية الا أمره عليهم ولو بقي لاستخلفه أخرجه ابن أبي شيبة وفي البخاري عن سلمة ابن الاكوع رضى الله عنه قال غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ومع زيد بن حارثة رضى الله عنه سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والعيص موضع على أربع ليال من المدينة وكانت غزوة زيد هذه في جمادى الاولى سنة ست من الهجرة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه ان عيرا لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيدا ومعه سبعون راكبا وقيل مائة وسبعون ليتعرض لها فأدركها وأخذها وما فيها وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية بن خلف وأسر منهم ناسا منهم أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف واسمه لقيط أو الزبير أو هشيم أو مهشم أو ياسر وأمه هالة بنت خويلد

أخت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة وهو زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فلما قدم المدينة أسيرا أجارته زوجته السيدة زينب رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان استجار بها ونادت فى الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وفى رواية حين كبر وكبر الناس معه نادت أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال أيها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم ثم قال والذى نفس محمد بيده ما علمت بشئ من هذا حتى سمعت ما سمعتم المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت ثم دخل صلى الله عليه وسلم منزله فدخلت عليه زينب فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه فقبل وقال لها أكرمى مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له وفى رواية ان زينب رضى الله عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان أبا العاص ان قرب فابن عم وان بعد فأبو ولدى وانى قد أجرته فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله عنهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فئ الله الذى أفاء عليكم فأنتم أحق به فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه حتى ان الرجل ليأتى بالدلو والرجل بالاداوة حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا ثم ذهب الى مكة فأدى الى كل ذى مال ماله ثم قال هل بقى لاحد منكم عندى مال لم يأخذه قالوا لا قال هل أوفيت ذمتى قالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فانى أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى من الاسلام عنده الا تخوفا أن تظنوا انى انما أردت ان آكل أموالكم فلما ردها الله عليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج فقدم المدينة وأخرج الحاكم بسند صحيح ان زينب رضى الله عنها هاجرت وأبو العاص على دينه فخرج الى الشام فى تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج اليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه فبلغ ذلك زينب فقالت يا رسول الله أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا قال نعم قالت فاشهد أنى قد أجرت أبا العاص فلما رأى ذلك الصحابة رضى الله عنهم خرجوا اليه بغير سلاح فقالوا له انك فى شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك ان تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة فقال بئس ما أمرتمونى به أن افتتح دينى بغدرة فمضى الى مكة فسلمهم أموالهم وأسلم عندهم ثم هاجر وقيل ان أسره هذا كان بعد الحديبية على يد أبى بصير ومن معه من المسلمين لما أقاموا بالساحل يقطعون الطريق على تجار قريش مدة الهدنة وتقدم ان زينب كانت هاجرت قبله وتركته على شركه ثم بعد ان أسلم وهاجر ردها صلى الله عليه وسلم اليه بالنكاح الاول وقيل بنكاح جديد وهذا هو الذى عليه العمل لان الاسلام فرق بينهما قال الله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقيل ان هذه الآية متأخرة عن هذه الواقعة فلم يكن اختلاف الدينين مقتضيا للتحريم الا بعد نزولها وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم أثنى على أبى العاص فى مصاهرته خيرا وقال حدثنى فصدقنى ووعدنى

وفي الحوانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب من أبي العاص رضي الله عنهما مات رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق رضي الله عنه وأما زينب رضي الله عنها فتوفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهي أكبر بناته رضي الله عنهن والله أعلم

ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا

الى الطرف بفتح الطاء وكسر الراء و بالفاء كسكتف وهو ماء أي ماء عين على ستة وثلاثين ميلا من المدينة بطريق العراق وكانت في جمادى الآخرة سنة ست فخرج الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فأصاب نعما وشاء وهربت الاعراب لانهم خافوا ان يكون صلى الله عليه وسلم سار اليهم بنفسه وان هؤلاء مقدمة له وصبح زيد بالنعم المدينة وغاب أربع ليال عن المدينة

ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا

الى حسمى بكسر الحاء المهملة وكسر السين المهملة مقصورا وهي اسم أرض بنزلها جذام وراء وادي القرى وذلك من جهة الشام وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وقيل سنة سبع فتكون بعد الحديبية لانها بعد رجوع دحية من عند قيصر و بعث دحية الى قيصر كان آخر سنة ست بعد الحديبية وسبب هذه السرية انه أقبل دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه من عند قيصر لما أرسله صلى الله عليه وسلم اليه بكتابه يدعوه الى الاسلام وقد أعطاه قيصر جائزة وكساه لانه قارب ان يسلم ولم يسلم خوفا على ملكه فلقيه الهنيد بن عارض في ناس من جذام بضم الجيم و بالذال المعجمة وهي قبيلة من معد بجبال حسمى فقطعوا عليه الطريق وأصابوا كل شئ كان معه ولم يتركوا عليه الاسمل ثوب وهو الخلق البالي من الثياب فسمع بذلك نفر من بني الضبيب رهط رفاعة بن زيد الجذامي ممن كان أسلم فاستنقذوا لدحية متاعه وفي رواية فنفروا الى الهنيد ومن معه حتى لقوهم فاقتتلوا معهم واستنقذوا ما كان في أيديهم و ردوه على دحية فقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة رضي الله عنه في خمسمائة رجل و رد معه دحية فكان زيد يسير بالليل و يكمن بالنهار ومعه دليل من بني عذرة فأقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فأغاروا عليهم فقتلوا فيهم فأوجعوا أي أكثروا فيهم القتل وقتلوا الهنيد وابنه وأخذوا ماشيتهم ونعمهم فأخذوا من الابل ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومن السبي مائة من النساء والصبيان فرحل رفاعة بن زيد الجذامي في نفر من قومه فدفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذي كان كتبه له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم وفيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى رفاعة بن زيد اني بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فمن أقبل ففي حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم على قومه أسلموا فلم يلبث ان جاء دحية من عند قيصر الى آخر القصة المتقدمة فلما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد بن حارثة رضي

الله عنه ركب نفر منهم حسان بن ملة وأبو زيد بن عمرو فلما وقفوا على زيد بن حارثة رضي الله عنه قال حسان انا قوم مسلمون فقال اقرأ أم الكتاب فقرأها فقال زيد نادوا في الجيش ان الله قد حرم علينا ثغرة القوم التي جاؤا منها الا من ختر وكانت أخت حسان في الاسارى فقال له زيد خذها فقالت امرأة أتطلقون بناتكم وتذرون أمهاتكم فقال زيد لاخت حسان اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن ونهى الجيش ان يهبطوا الى واديهم الذي جاؤا منه فامسوا في أهليهم فلما شربوا عتمتهم ركبوا حتى صبحوا رفاعة فقال له حسان بن ملة انك لجالس تحلب المعز ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذي جئت به فدعا رفاعة بجمل فشد عليه رحله وخرج معه جماعة فساروا ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة وانتهوا الى المسجد دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهم ألاح اليهم بيده أن تعالوا من وراء الناس فاستفتح رفاعة المنطق فقام رجل فقال يارسول الله ان هؤلاء قوم سحرة فردد هامرتين أي عندهم فصاحة لسان وبيان فقال رفاعة رحم الله من لم يحذنا في يومنا هذا الا خيرا ثم دفع كتابه اليه صلى الله عليه وسلم فقال دونك يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ياغلام اقرأه وأعلن فلما قرأه استخبرهم فأخبروه الخبر فقال صلى الله عليه وسلم كيف أصنع بالقتلى ثلاث مرار فقال رفاعة أنت أعلم يارسول الله لانحرم عليك حلالا ولانحل لك حراما فقال أبو زيد بن عمرو أطلق لنا يارسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمي هذه فقال صلى الله عليه وسلم صدق أبو زيد اركب معهم ياعلي فقال ان زيدا لن يطيعني فقال خذ سيفي هذا فأعطاه سيفه فقال ليس لي راحلة فحملوه على بعير وخرجوا فاذا رسول لزيد على ناقة من ابلهم فانزلوه عنها فقال ياعلي ما شأني قال مالهم عرفوه فأخذوه ثم ساروا فوجدوا الجيش بفيفاء فأخذوا مافي أيديهم حتى كانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل وأخبروهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم انما بعث عليا رضي الله عنه الى زيد بن حارثة رضي الله عنه يأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم وفي رواية فقال علي رضي الله عنه لزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترد على هؤلاء القوم ماسدك من أسر أوسبي أو مال فقال زيد رضي الله عنه علامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أطلب علامة فقال علي رضي الله عنه هذا سيفه فعرفه زيد فنزل وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شئ من سبي أومال فليرده فهذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليهم كل ماأخذ منهم وظاهر السياق يقتضي انهم كانوا يطؤن الجواري بلا استبراء وهو كذلك لأن وجوبه انما كان في سبي هوازن والله أعلم

﴿ثم سرية زيد بن حارثة أيضا﴾

رضي الله عنه الى وادي القرى وهو موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام وكانت في رجب سنة ست سار رضي الله عنه الى وادي القرى فلقي به بني فزارة وقاتلهم فقتل

منهم وقتل من المسلمين قتلى منهم ورد بن مرداس رضى الله عنه وحمل منهم جريح به رمق والله أعلم

سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه

الى دومة الجندل بضم الدال المهملة وبفتحها وبفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال وباللام آخره وهو حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة وكانت فى شعبان سنة ست من الهجرة وقد ذكر ابن اسحاق فى أول هذه القصة حديثا فى أوله زيادة لا بأس بذكرها فقال حدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت عاشر عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ وحذيفة وأبو سعيد اذ أقبل فتى من الانصار فسلم ثم جلس فقال يا رسول الله أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأكثرهم له استعدادا قبل أن ينزل به أولئك هم الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن انه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم ما مطروا وما نقضوا عهد الله عز وجل وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فأخذوا ما كان فى أيديهم وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله الا جعل بأسهم بينهم ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سودا فأدناه صلى الله عليه وسلم منه وأقعده بين يديه وعممه بيده وفى رواية نقضها ثم عممه بها فأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحو ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن وأعرف ثم أمر بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه ثم حمد الله وصلى على نفسه صلى الله عليه وسلم ثم قال خذه يا ابن عوف اغزوا جميعا فى سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم فأخذ عبد الرحمن اللواء وفى رواية بعثه الى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك أى أطاعوك فأسلموا فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بجيشه حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام وقد كانوا أبوا أول ما قدم عليهم أن يعطوا الا السيف ثم أسلم فى اليوم الثالث الاصبغ بن عمرو الكلبى وكان نصرانيا وكان ملكهم ورئيسهم وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقام عبد الرحمن بقيتهم بالجزية وتزوج تماضر بنت الاصبغ وقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة رضى الله عنها وفى رواية أن عبد الرحمن رضى الله عنه كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يخبره باسلام من أسلم من القوم وانه أراد أن يتزوج

فهم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بنت الاصبغ فتزوجها ويمكن الجمع بين الروايتين بأن عبد الرحمن لم يكتف بقوله أولا فان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم لاحتمال انه أراد ان أسلم الجميع مع انه قد بقي منهم جماعة على الجزية فكتب اليه احتياطا فولدت له بعد ذلك سنة بضع وعشرين من الهجرة أبا سلمة وهو الحافظ الثقة كثير الحديث امام العلماء وهو من كبار التابعين واسمه عبد الله وقيل اسماعيل توفي سنة أربع وتسعين والله أعلم

سرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه

ومعه مائة رجل الى بني سعد بن بكر أي الى حي منهم وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم ساعون في جمع الناس يريدون أن يمدوا يهود خيبر فسار علي رضي الله عنه الليل وكمن النهار حتى انتهى الى الغميج بفتح الغين وكسر الميم آخره جيم اسم ماء بين فدك وخيبر فوجدوا به رجلا فقالوا ما أنت قال باغ أي طالب لشيء ضل مني فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد قال لا علم لي به فشددوا عليه فأقر انه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرها كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فقالوا له فأين القوم قال تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل قالوا فسر بنا حتى تدلنا قال على أن تؤمنوني قالوا ان دللتنا عليهم أو على سرحهم أمناك والا فلا أمان لك قال فذاك فخرج بهم دليلا حتى ساء ظنهم به ثم أفضى بهم الى أرض مستوية فاذا نعم كثيرة وشاء فقال هذه نعمهم وشاؤهم فأغاروا عليها فقال ارسلوني فقالوا حتى نأمن الطلب وهرب الرعاء الى جمعهم فحذروهم فتفرقوا فقال الدليل علام تحبسوني وقد تفرقت الاعراب قال علي حتى نبلغ معسكرهم فانتهى بهم اليه فلم ير أحدا فأرسلوه وساقوا النعم والشاء معهم وكانت خمسمائة بعير وألفي شاة وهربت بنو سعد بالظعن وقدم علي رضي الله عنه ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود والله أعلم

سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه

الى أم قرفة بكسر القاف وسكون الراء والفاء وتاء التأنيث وهو اسم امرأة وهي بنت ربيعة ابن بدر الفزاري التي جرى فيها المثل أمنع من أم قرفة لانها كان يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم لها محرم كنيت بابن لها يسمى قرفة وكان لها عشرة بنين وبنتان وكانت بناحية وادي القرى على سبع ليال من المدينة جهة الشام وكانت هذه السرية في رمضان سنة ست من الهجرة وسببها ان زيد بن حارثة رضي الله عنه خرج في تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره وفي رواية أن زيدا رضي الله عنه حلف أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة

قد جمع وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعثه اليهم في جيش وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فكمن هو وأصحابه بالنهار وساروا بالليل ومعهم دليل من فزارة فعلمت بهم بنو فزارة فجعلوا لهم ناظورا حين يصبحون يصعد على جبل مشرف فينظر وجه الطريق الذي يرون انهم يؤتون منه فيبصر مسافة يوم فاذا رأى شيئاً كثيراً فيقول اسرحوا ولا بأس عليكم فاذا كان العشاء أشرف على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا ولا بأس عليكم فلما كان الصحابة على نحو ليلة أخطأ دليلهم الطريق فسار في آخر حتى أمسوا وهم على خطأ فعاينوا الحاضرين من بني فزارة فحمد واخطأهم ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا وأحاطوا بمن حضر من بني فزارة فقتلوهم وأخذوا أم قرفة وكانت ملكة رئيسة وكانت ذات شرف في قومها وأخذوا ابنتها جارية بنت مالك ابن حذيفة بن بدر وعمد قيس بن المحسر وقيل ابن سعد الى أم قرفة وهي عجوز كبيرة فأسرها وبنتها فقتلها قتلا عنيفا ربط رجليها بحبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقها وانما قتلها كذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت اغزوا المدينة واقتلوا محمدا وقدم زيد بن حارثة رضى الله عنه من وجهه ذلك فقرع باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام صلى الله عليه وسلم اليه وهو يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله به وكان سلمة بن الاكوع رضى الله عنه هو الذي أسر بنت أم قرفة فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لخاله حزن بن أبي وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن

﴿سرية عبد الله بن عتيك﴾

لقتل أبي رافع عبد الله أو سلام بتشديد اللام ابن أبي الحقيق بضم الحاء وقافين بينهما تحتية مصغرا اليهودي وهو من الذين حزبوا الاحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير بعث اليه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك بفتح العين المهملة وكسر التاء الفوقية وسكون الياء وبالكاف الخزرجي الانصاري رضى الله عنه في رمضان سنة ست وقيل في ذى الحجة سنة خمس بعد وقعة الاحزاب وفي البخاري قال الزهري بعد قتل كعب بن الاشرف الواقع سنة ثلاث قال ابن اسحاق ان الزهري أخذ ذلك عن عبد الله بن كعب بن مالك فقال لما قتلت الأوس كعب بن الاشرف في عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد اذنه صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه استأذنته الخزرج في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر قال ابن اسحاق حدثني محمد بن مسلم بن شهاب عن عبد الله بن كعب بن مالك قال كان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين أي يحمل كل منهما على الآخر والمراد أن كلا من الأوس والخزرج يدفع عن النبي صلى الله عليه وسلم ويتفاخر بذلك لا يصنع الأوس شيئا فيه عنه صلى الله عليه

وسلم غنى الا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفى الاسلام واذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك ولما أصابت الأوس كعب بن
الاشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا
علينا أبدا فتذاكروا من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الاشرف
فذكروا سلام بن أبى الحقيق فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم فى قتله فأذن لهم فخرج اليه من
الخزرج خمسة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة واسمه الحارث بن ربعى والأسود
ابن خزاعى ومسعود بن سنان الاسلمى حليف بنى سلمة بطن من الخزرج فأمرهم صلى الله عليه
وسلم بقتله ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل عن
الحركة جاؤا الى منزله وكان فى حصن مرتفع فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم
قال عبد الله بن عتيك لاصحابه اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أدخل الحصن
فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه ليخفى شخصه كى لا يعرف كأنه يقضى حاجته وقد دخل
الناس وكانوا فقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه فكان ذلك سبب تقنع عبد الله بن عتيك
بثوبه وجلوسه كأنه يقضى حاجته مخافة أن يعرف فناداه البواب يا هذا ان كنت تريد
أن تدخل فادخل فانى أريد أن أغلق الباب لانه ظن انه من أهل الحصن الذين خرجوا الطلب
الحمار قال ابن عتيك فدخلت ثم اختبأت فى مربط حمار عند باب الحصن فلما دخل الناس
أغلق الباب ثم علق الاقاليد أى المفاتيح على وتد فى كوة فقمت الى الاقاليد فأخذتها ففتحت
الباب وكان أبو رافع يسمر الناس عنده وفى رواية فتعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهبت
ساعة من الليل وكان فى غرفة عالية له اليها عجلة من خشب فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه
فجعلت كلما فتحت بابا أغلق على من داخل وقلت ان القوم ان نذروا بى لم يخلصوا الى حتى
أقتله فانتهيت اليه فاذا هو وسط عياله فى بيت مظلم قد طفئ سراجه لا أدرى أين هو وكان عبد
الله بن عتيك يتكلم باليهودية فقدمه أصحابه ليتكلم بكلام أبى رافع فيظنه انه من قومه فلا يفزع
منه فاستفتح باب غرفته فرأته امرأته فقالت من أنت قال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له وقالت
ذاك صاحبك فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار اليها بالسيف فسكتت قال فقلت أبا
رافع لاعرف موضعه فقال من هذا فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة وأنا دهش فما أغنت
شيأ ولم أقتله وصاح أبو رافع فخرجت من البيت وكنت غير بعيد فقالت امرأته يا أبا رافع هذا
صوت عبد الله بن عتيك قال ثكلتك أمك وأين عبد الله بن عتيك قال ثم دخلت عليه كأنى أغيثه
وغيرت صوتى فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع قال لامك الويل ان رجلا فى البيت ضربنى قبل
بالسيف فضربته ضربة أثخنته ولم أقتله فصاح وقام أهله وصاحت امرأته ثم وضعت ظبة السيف
أى حده فى بطنه حتى دخل فى ظهره وسمعت صوت العظم فعرفت أنى قد قتلته فجعلت أفتح
الابواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلى وأنا أرى انى قد انتهيت الى الارض فوقعت

فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة ثم خرجت وكنت فى موضع وأوقدت اليهود النيران وذهبوا فى كل وجه يطلبون حتى اذا أيسوا رجعوا اليه وجلست كامنا وقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك صعد الناعى على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلقت الى أصحابى فقلت النجاء أى أسرعوا فقد قتل الله أبا رافع وفى رواية فعصبت رجلى وأتيت أصحابى أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى لا أبرح حتى أسمع الناعى فلما كان وجه الصبح صعد الناعى فقال انعى أبا رافع فقمت أمشى ما بى قلبة فأدركت أصحابى قبل أن يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فبشرته صلى الله عليه وسلم وفى رواية فانتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها بيده المباركة صلى الله عليه وسلم فكأنى لم أشتكها قط وجاء فى رواية ان الاسود بن خزاعى أحد الاربعة الذين كانوا مع عبد الله بن عتيك تخلف ليتحقق موت أبى رافع قال فذهبت انظر حتى دخلت فى الناس فوجدت امرأته ورجالا من يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه وتحدثهم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسى وقلت أنى لابن عتيك بهذه البلاد ثم نظرت فى وجهه فقالت فاظ أى مات واليهود فما سمعت من كلمة كنت ألذ فى نفسى منها ثم أدرك أصحابه فأخبرهم الخبر وجاء فى بعض الروايات أن عبد الله بن عتيك لما تمادى عليه المشى أحس بألم رجله وهو سائر مع أصحابه فى الطريق فحملوه ثم لما أتاه صلى الله عليه وسلم مسح عليه فزال عنه جميع الالم ببركته صلى الله عليه وسلم وفى رواية للحاكم عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه قال توجهنا من خيبر فكنا نكمن النهار ونسير الليل واذا كنا أقعدنا منا واحدا يحرسنا فاذا رأى ما يخافه أشار الينا فلما قربنا من المدينة كانت نوبتى فأشرت اليهم فخرجوا سراعا ثم لحقتهم فدخلنا المدينة فقالوا ماذا رأيت قلت ما رأيت شيأ ولكن خشيت أن تكونوا أعييتم فأردت أن يحملكم الفزع وروى ابن منده من عبد الله بن عتيك رضى الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن قتل ابن أبى الحقيق وهو على المنبر فلما رآنا قال أفلحت الوجوه وفى هذه القصة من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذى بلغته الدعوة وأصر وقتل من أعان عليه صلى الله عليه وسلم بيده أو ماله أو لسانه وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم والاخذ بالشدة فى محاربتهم وابهام القول للمصلحة وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبى رافع بصوته واعتماده على صوت الناعى بموته ووقع فى بعض الروايات أن الذى قتل أبا رافع عبد الله بن أنيس والصواب ما فى صحيح البخارى ان الذى قتله عبد الله بن عتيك وفى قتل أبى رافع وكعب بن الاشرف يقول حسان رضى الله عنه

لله در عصابة لاقيتهم * يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم * مرحا كأسد فى عرين مغرف

حتى أتوكم في محل بلادكم * فسقوكم حتفا ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف

(سرية عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي رضي الله عنه)

الى أسير بضم الهمزة وفتح السين وسكون التحتية و بالراء ابن رزام براء مكسورة فزاي مخففة فألف فميم اليهودي بخيبر وكانت في شوال سنة ست وسببها انه لما قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق أمرت يهود عليها أسيرا فقال والله ماسار محمد الى أحد من يهود ولا بعث أحدا من أصحابه الا أصاب منهم ما أراد ولكني أصنع مالم يصنع أصحابي فقالوا وما عسيت أن تصنع قال أسير في غطفان فأجمعهم ونسير الى محمد في عقر داره بفتح العين وضمها وسكون القاف أي أصلها فانه لم يغز أحد في عقر داره الا أدرك منه عدوه بعض ما يريد قالوا نعم ما رأيت فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم و بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك فوجه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في ثلاثة نفر في شهر رمضان سرا ليستكشف له الخبر فسأل عن خبره وغرته أي غفلته فأخبر بذلك وذلك انه أتى ناحية خيبر فدخل في الحوائط وفرق الثلاثة في ثلاثة من حصونها فوعوا ما سمعوا من أسير وغيره ثم خرج بعد ثلاثة أيام فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لليال بقين من رمضان فأخبره بكل ما رآه وسمعه وقدم عليه أيضا خارجة ابن حسيل بمهملتين مصغرا فاستخبره صلى الله عليه وسلم ماوراءه فقال تركت أسير بن رزام يسير اليك في كتائب يهود فندب صلى الله عليه وسلم الناس له فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال نعم ولي منكم مثل ذلك فقالوا نعم فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر و يحسن اليك فطمع في ذلك فشاور يهود فخالفوه في الخروج وقالوا ما كان محمد يستعمل رجلا من بني اسرائيل قال بلى قد مللنا الحرب وخرج وفي رواية لابن اسحاق فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا له انك ان قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين وفي رواية فحمله أي أسيرا عبد الله بن رواحة حتى اذا كانوا بقرقرة موضع على ستة أميال من خيبر ندم أسير على مسيره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد الفتك بعبد الله بن رواحة ففطن له وهو يريد السيف فاقتحم به عبد الله ثم ضربه بالسيف فقطع رجله فضربه أسير بمخرش في يده من شوحط فأمه وفي رواية عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وأهوى أسير بيده الى سيفي ففطنت له فدفعت بعيري وقلت غدرا أي عدو الله مرتين فنزلت فسقت بالقوم حتى انفرد لي أسير فضربته بالسيف فأندرت عامة فخذه وساقه فسقط عن بعيره ومال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقتلوهم لظهور ارادة الغدر لهم منهم

غير رجل واحد أعجزنا شدًا أى جريا أفلت على رجليه ولم يصب من المسلمين أحد ولله الحمد فقاتلوا اليهود بعد التأمين الا لكونهم غدروا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه فقال تمشوا بنا الى الثنية لنبحث عن أصحابنا فخرجوا معه فلما أشرفوا عليها اذا هم بسرعان أصحابنا فجلس صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فانتهينا فحدثناه الحديث فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين وتفل صلى الله عليه وسلم على شجة عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فلم تقح ولم تؤذه حتى مات وفى رواية قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ومسح صلى الله عليه وسلم وجهى ودعا لى وقطع لى قطعة من عصاه فقال أمسك هذه معك علامة بينى وبينك يوم القيامة أعرفك بها فانك تأتى يوم القيامة متخصرا فلما دفن عبد الله جعلت معه على جلده دون ثيابه ووقع له مثل ذلك لما جاء برأس الهذلى قيل فيحتمل ان هذا وهم من بعض الرواة والحق انه لا مانع من تكرار اعطائه عصاه وانه جعل الكل بين جلده وكفنه والشارع اذا خص بعض صحبه بشئ لا يسأل لم لم يفعله مع بقية الصحابة والله أعلم

﴿قصة عكل وعرينة﴾

وهى سرية كرز بن جابر الفهرى رضى الله عنه كان أحد رؤساء قريش استشهد عام الفتح وعكل حى من قضاعة وعرينة حى من بجيلة وكانت هذه السرية فى جمادى الاولى سنة ست وقيل فى شوال سنة ست وسببها أن ناسا من عكل وعرينة سبعة أو ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وتلفظوا بكلمة التوحيد وأظهروا الاسلام وكانوا حين قدموا المدينة سقاما مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فقالوا يا رسول الله انا كنا أهل ضرع أى ماشية وابل ولم نكن أهل ريف وكرهنا الاقامة بالمدينة فلو أذنت لنا فخرجنا الى الابل فأمرهم بذود من الابل وهى من الثلاثة الى العشرة ومعها راع وأمرهم باللحوق بها ليشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة وصحت أجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله صلى الله عليه وسلم اسمه يسار وحين قتلوه مثلوا به فقطعوا يده ورجله وجعلوا الشوك فى عينيه واستاقوا الذود فجاء الصريخ بما وقع منهم فبعث صلى الله عليه وسلم فى آثارهم خيلا من المسلمين قريبا من العشرين وأمر عليهم كرز بن جابر الفهرى رضى الله عنه فلحقهم فجاء بهم فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث الطلب فى آثارهم قال اللهم أعم عليهم الطريق واجعله عليهم أضيق من مسك جمل فأعمى الله عليهم السبيل وفى رواية فجاء الخبر فى أول النهار فبعث فى آثارهم فلما ارتفع النهار جئ بهم وفى رواية فبعث فى آثارهم فغدوا فاذا هم بامرأة تحمل كتف بعير فسألوها فقالت مررت بقوم قد نحروا بعيرا فأعطونى هذا وهم بتلك المفازة فساروا فوجدوهم فأسروهم ولم يفلت منهم انسان فربطوهم وأردفوهم

على الخيل حتى قدموا المدينة فأمر بهم فقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمروا أعينهم وتركوا في ناحية الحرة في الشمس حتى ماتوا وانما سمر أعينهم لانهم فعلوا مثل ذلك بالراعي كما سيأتي فكان ذلك قصاصا أي كالقصاص قال انس رضي الله عنه فلقد رأيتهم يكدم أي يعض بعضهم الارض بفيه حتى ماتوا وفي رواية كانوا يستسقون أي يطلبون الماء فلا يسقون لانهم ارتدوا فلا حرمة لهم وأنزل الله في هؤلاء انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وهؤلاء كفروا وقتلوا وحاربوا وقطعوا الطريق وسرقوا * وفي القصة من الفوائد قدوم الوفود على الامام ونظره في مصالحهم ومشروعية الطب والتداوي بألبان الابل وأبوالها وان كل جسد يطب بما اعتاده وقتل الجماعة بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حرابة ان قلنا ان قتلهم كان قصاصا والمماثلة في القصاص وانه ليس من المثلة المنهي عنها وثبوت حكم المحاربة في الصحراء وأما في القرى ففيه خلاف وجواز استعمال أبناء السبيل ابل الصدقة في الشرب وفي غيره قياسا عليه باذن الامام والله أعلم

سرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه

الى أبي سفيان بعثه صلى الله عليه وسلم الى أبي سفيان ليقتله غيلة لان أبا سفيان أرسل للنبي صلى الله عليه وسلم من يقتله وذلك ان أبا سفيان قال لنفر من قريش ألا أحد يغدر بمحمد فانه يمشي في الاسواق فأتاه رجل من الاعراب في منزله فقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم شدا أي جريا فان أنت قويتني خرجت اليه حتى أغتاله ومعي خنجر مثل خافية النسر فأسوره ثم آخذ في عير فأسير وأسبق القوم عدوا فاني هاد بالطريق فقال أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال اطو أمرك فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه فعقل راحلته ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد بني عبد الاشهل فأقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا ليريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فذهب لينحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن حضير رضي الله عنه بداخلة ازاره أي طرفه وحاشيته فاذا بالخنجر فأسقط في يده أي ندم وقال دمي دمي أي اتركوا دمي أو خلوا دمي فأخذ أسيد بلببه أي منحره وخنقه أشد الخنق فقال صلى الله عليه وسلم أصدقني ما أنت قال وأنا آمن قال نعم فأخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم فأسلم رضي الله عنه وقال يا محمد والله ما كنت أفرق أي أخاف الرجال فما هو الا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم انك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت انك ممنوع وانك على حق وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان فجعل صلى الله عليه وسلم يتبسم فأقام الرجل أياما ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج فأذن له فخرج ولم يسمع له بذكر ولم يعرف أحد من الحفاظ اسم ذلك الرجل

ثم بعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري ومعه سلمة بن أسلم الانصاري رضي الله عنه وقيل جبار بن صخر الى أبي سفيان وقال ان أصبتما منه غرة فاقتلاه فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبي سفيان وفي رواية قدما مكة وجلسا بشعب ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمر ولو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين فقال عمرو ان القوم اذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم وانهم ان رأوني عرفوني فاني أعرف بمكة من الفرس الابلق فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فأبى أن يطيعني فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله انا نمشي بمكة اذ نظر الى رجل من أهلها فعرفني فقال عمرو بن أمية فوالله ان قدمها الا لشر فقيل انه هذا الرجل الذي أبصره هو معاوية بن أبي سفيان وقيل غيره فأخبر أبا سفيان وقريشا بوجود عمرو بمكة فخافوه وطلبوه وكان فاتكا جريا في الجاهلية والفتك القتل على غفلة فحشد أي جمع له أهل مكة وصاروا يطلبونه فهرب عمرو وسلمة أو وجبار بن صخر فلقي عمرو رجلا من رؤس المشركين وهو عبيد الله بن مالك التيمي فقتله وقتل آخر من بني الديل سمعه يتغنى ويقول

ولست بمسلم مادمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بعثتهما قريش الى المدينة يتحسسان الاخبار فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وهو يضحك ثم دعا له بخير

* وفي سيرة ابن هشام بعد قوله السابق ان قدمها الا لشر فقلت لصاحبي النجا فخرجنا نشتد حتى أصعدنا في جبل وخرجوا في طلبنا حتى اذا علونا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفا في الجبل فبتنا فيه وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يعني به عبيد الله بن مالك التيمي المتقدم ذكره يقود فرساله ويختلي عليها فغشينا ونحن في الغار فقلت ان رآنا صاح بنا فأخذنا وقتلنا قال ومعي خنجر قد أعددته لابي سفيان فخرجت اليه فضربته على ثديه ضربة فصاح صيحة أسمع أهل مكة ورجعت فدخلت مكاني وجاء الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا من ضربك قال عمرو بن أمية وغلبه الموت فمات مكانه ولم يدلل على مكاننا فاحتملوه فقلت لصاحبي لما أمسينا النجا فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جثة خبيب بن عدي فقال أحدهم والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية لولا انه بالمدينة لقلت انه عمرو بن أمية فلما حاذى الخشبة التي عليها خبيب شد عليها فاحتملها وخرج يشتد فخرجوا وراءه حتى أتى جرفا أي مهبط مسيل فرمى الجثة في الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه فقلت لصاحبي النجا ومضيت ثم أويت الى جبل ودخلت كهفا فبينا أنا فيه اذ دخل على شيخ من بني الديل أعور في غنيمة له فقال من الرجل فقلت من بني بكر فمن أنت قال من بني بكر فقلت مرحبا فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال

ولست بمسلم مادمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

فقلت في نفسي ستعلم ثم أمهلته حتى اذا نام أخذت قوسي فجعلت سيتها في عينه الصحيحة والسية بكسر المهملة وفتح التحتية ما عطف من طرفها ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ثم خرجت حتى جئت العرج ثم سلكت حتى اذا هبطت النقيع اذا رجلان من قريش كانت قريش بعثتهما عينا الى المدينة فقلت استأسرا فأبيا فرميت أحدهما بسهم واستأسر الآخر فأوثقته رباطا وقدمت به المدينة وقدمر انه صلى الله عليه وسلم بعث الزبير والمقداد لانزال خبيب فأنزلاه وخافا الطلب فألقياه فابتلعته الارض ويمكن ان عمرو بن أمية التقى معهما حين ارسالهما لانزال خبيب وكان هو راجعا من مكة فشاركهما في انزال خبيب فصح نسبة ذلك الى كل منهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿قصة الحديبية ويقال غزوة الحديبية﴾

بتخفيف الياء وتشديدها وهي بئر يسمى المكان باسمها وقيل شجرة وقيل قرية أكثرها في الحرم على تسعة أميال من مكة وسببها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه انه دخل البيت هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فخرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة يريد العمرة ولا يريد قتالا واستنفر العرب ومن البوادي ومن حوله من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش ان يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الاعراب فخرج بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه وليعلموا انه انما خرج زائرا للبيت ومعظما له وأخرج معه زوجته أم سلمة رضي الله عنها واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وقيل أبورهم كلثوم بن الحصين وقيل استعملهما معا وجملة أصحابه الذين كانوا معه ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وقيل ألف وثلثمائة والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال ألف وخمسمائة جبر الكسر ومن قال وأربعمائة ألغاه وأما رواية ألف وثلثمائة فرواها عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه فيمكن حملها على ما اطلع عليه هو واطلع غيره على زيادة مائتين وزيادة الثقة مقبولة أو ان الالف والثلثمائة هم الذين خرجوا من المدينة ابتداء ثم تلاحقوا أو ان الزيادة من الاتباع والخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولم يخرج صلى الله عليه وسلم معه بسلاح الا سلاح المسافر السيوف في القرب فلما كان بذي الحليفة قلد الهدى وأحرم منها بعمرة وبعث عينا أي جاسوسا له من خزاعة وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغديرا لاشطاط أتاه جاسوسه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك من الدخول الى مكة وفي رواية انه لقيه بعسفان فقال هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل قد تلبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله ان لاتدخلها عليهم عنوة أبدا والعوذ

جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التى معها أطفالها والمراد انهم خرجوا بما ذكر لارادة طول المقام وعدم الفرار وفى رواية قال له انى لاطوف بالبيت فى ليلة كذا وكذا وقريش فى أنديتها اذ صرخ صارخ من اعلى جبل أبى قبيس بصوت أسمع أهل مكة يقول

هبوا لصاحبكم مثلى صحابته * سيروا اليه وكونوا معشرا كرما
بعد الطواف وبعد السعى فى مهل * وان يحوزهم من مكة الحرما
شاهت وجوههم من معشر نكل * لا ينصرون اذا ما حاربوا صنما

فارتجت مكة وتعاقدوا على ان لا تدخل عليهم عامهم هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا الهاتف سلفع شيطان الاصنام يوشك ان يقتله الله ان شاء الله فبينما هم كذلك اذ سمعوا من اعلى الجبل صوتا يقول

شاهت وجوه رجال حالفوا صنما * وخاب سعيهم ما قصر الهمما
انى قتلت عدو الله سلفعة * شيطان أصنامهم سحقا لمن ظلما
وقد أتاهم رسول الله فى نفر * وكلهم محرم لا يسفكون دما

فقال صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون ان أميل الى عيال هؤلاء الكفار الذين يريدون أن يصدونا عن البيت وذراريهم فان يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين والا تركناهم محروبين وفى رواية أترون أن نميل ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين محروبين وان يجيئوا تكن عنقا قطعها الله أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر رضى الله عنه الله ورسوله أعلم يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه للبيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال امضوا على اسم الله ويروى أن المقداد بن الاسود رضى الله عنه قال نحو مقالته يوم بدر بعد كلام أبى بكر قال والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فقال صلى الله عليه وسلم فسيروا على اسم الله وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى وشاورهم فى الامر فساروا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم موضع قريب من مكة فى خيل لقريش فيها مائتا فارس منهم عكرمة بن أبى جهل طليعة وهى مقدمة الجيش فخذوا ذات اليمين وفى رواية قال من رجل يخرج بنا على غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقا وعرا فخرجوا منه بعد أن شق عليهم وأفضوا الى طريق سهلة فقال لهم قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها وفى رواية فقال صلى الله عليه وسلم واسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض بفتح المهملة وسكون الميم وبالضاد المعجمة اسم موضع يخرج على مهبط الحديبية من أسفل مكه

فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش وفي رواية فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش أى غباره كذا ألحقه بعضهم وقيده بعضهم بالغبار الاسود فانطلق يركض نذيرا لقريش وفي رواية أن خالدا دنا في خيله حتى نظر المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة وصف خيله بينهم وبين القبلة فأمر صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم في خيله فقام بازائه فصف أصحابه وحانت صلاة الظهر فصلاها بهم صلى الله عليه وسلم فقال خالد قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ولكن ستأتي الساعة صلاة أخرى هي أحب اليهم من أنفسهم وأبنائهم فنزل جبريل بين الظهر والعصر بقوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الآية فحانت صلاة العصر والعدو جهة القبلة فصلى بهم صلاة الخوف فرتب القوم صفين وصلى بهم فلما سجد سجد معه صف وحرس صف فلما قام هو ومن سجد معه سجد من حرس ولحقوه وسجد معه في الثانية من حرس أولا وحرس الآخرون فلما جلس سجد من حرس وتشهد بالصفين وسلم وهذه الكيفية تعرف بصلاة عسفان ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي تشرف على الحديبية وتهبط على قريش وتسمى ثنية المرار بكسر الميم وتخفيف الراء بركت ناقته القصواء فقال الناس حل حل وهي كلمة تقال للناقة اذا تركت السير فتمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصواء خلأت القصوا أى حرنت وبركت من غير علة والخلاء بالمد للابل كالحران للخيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أى حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك التشبيه أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش لوقع القتال المفضي الى سفك الدماء ونهب الأموال كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه لكن سبق في علم الله أنهم لا يدخلون الآن لانه سيدخل في الاسلام خلق منهم ويستخرج من أصلابهم ناسا يسلمون ويجاهدون وكان بمكة جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فلو طرق الصحابة مكة لما أمن أن يصاب منهم ناس بغير عمد كما أشار اليه قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم وجواب لو محذوف أى لاذن لكم في الدخول والقتال وانما منعكم من الدخول والقتال ليدخل الله في رحمته من يشاء أى من الكفار الذين سبقت لهم السعادة لو تزيلوا أى لو تميز الكفار من المؤمنين المستضعفين لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ثم قال صلى الله عليه وسلم عقب قوله حبسها حابس الفيل والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة فيها تعظيم حرمات الله أى من ترك القتال في الحرم والجنوح الى السلم والكف عن اراقة الدماء وفي رواية لا يدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم وهي من حرمات الله الا أعطيتهم اياها أى أجبتهم اليها وان كان فيها تحمل المشقة ثم زجر الناقة فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية ثم قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول

الله

الله ما بالوادى ماء ننزل عليه وكان فيه حفرة فيها ماء قليل يأخذونه قليلا قليلا فأخذوه حتى نزحوه وشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فنزل ناجية ابن الاعجم وقيل ناجية بن جندب وقيل عبادة بن خالد أو خالد بن عبادة وقيل البراء بن عازب رضى الله عنه فوضعه فى البئر ويمكن أن الجميع تعاونوا فى ذلك قال فوالله مازال يجيش أى يفور الماء حتى صدروا عنه أى رجعوا رواء بعد ورودهم وفى رواية فمازال الماء يجيش حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر وفى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا باناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة فاروا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وعند غير البخارى توضأ فى الدلو ثم أفرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها ويمكن الجمع بأنه فعل ذلك كله وفى حديث جابر عند البخارى ومسلم قال عطش الناس يوم الحديبية وبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها اذ أقبل الناس نحوه فقال مالكم قالوا يارسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب الا مافى ركوتك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا وجمع ابن حبان بينهما بأن ذلك وقع فى وقتين وكان قصة الركوة قبل قصة البئر وقد أخرج الامام أحمد عن جابر رضى الله عنه القصة وفيها فجاء رجل باداوة فيها شئ من ماء ليس فى القوم ماء غيره فصبه صلى الله عليه وسلم فى قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح وتزاحم الناس عليه فقال على رسلكم فوضع كفه فى القدح ثم قال أسبغوا الوضوء قال فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه واختلاف ألفاظ حديث جابر انما كان من تصرف الرواة ووقع فى بعض الروايات انهم توضؤا وشربوا وسقوا دوابهم وملؤا قربهم فقيل كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا ألفا وأربعمائة وفى حديث يزيد بن خالد رضى الله عنه انهم أصابهم مطر بالحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين والله أعلم وفى هذا معجزات ظاهرة وفيه بركة سلاحه وماينسب اليه صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك اذ جاءهم بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة الخزاعى فى نفر من قومه خزاعة وكان ذلك قبل اسلامه فانه أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكانت خزاعة عيبة نصح للنبى صلى الله عليه وسلم وتقدم أن بنى هاشم فى الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمر ذلك فى الاسلام فقال بديل للنبى صلى الله عليه وسلم غورت أى أبعدت عن المدينة ولا سلاح معك فقال لم نجئ لقتال فتكلم أبو بكر رضى الله عنه فقال له بديل أنا لا أتهم ولا قومى ثم قال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى اعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل والعوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التى معها أطفالها يريد انهم خرجوا معهم بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء معهن الاطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لارادة طول المقام ان دعا اليه الامر ليكون أدعى الى عدم الفرار وخص كعب بن

لؤى وعامر بن لؤى لرجوع أنساب قريش الذين بمكة أجمع اليهما وبقى من قريش بنو سامة ابن لؤى وبنو عوف بن لؤى وهم قريش البطاح ولم يكن بمكة منهم أحد وكذلك قريش الظواهر الذين منهم بنو تيم بن غالب ومحارب بن فهر وقوله أعداد مياه الحديبية قال الحافظ ابن حجر يشعر بانه كان بها مياه كثيرة وان قريشا سبقوا الى النزول عليها فلهذا عطش المسلمون وقد جاء التصريح بذلك عن عروة بن الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيبا لبديل انا لم نجئ لقتال أحد وانما جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب أى أضعفت قوتهم وأهزلتهم واضعفت أموالهم وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم أى جعلت بيني وبينهم مدة تترك الحرب فيها ويخلوا بيني وبين الناس من كفار العرب وغيرهم فان أظهر أى باظهار الله تعالى ديني بحيث يدخله الناس ويتبعوني فيما جئت به فان شاؤا الدخول فيما دخل فيه الناس فعلوا والا أى وان لم أظهر فقد جموا بفتح الجيم وشد الميم المضمومة يعنى استراحوا من القتال وفى رواية فان ظهر الناس على فذلك الذى يبغون وفى رواية وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة وانما ردد الامر مع انه جازم بان الله تعالى سينصره ويظهره لوعد الله تعالى له بذلك على طريق التنزل مع الخصم وفرض الامر على مازعمه ثم قال وان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى وهى صفحة العنق كنى بذلك عن القتل أى حتى أموت وأبقى منفردا فى قبرى وقيل المراد انه يقاتل حتى ينفرد وحده فى مقاتلتهم والمعنى ان لى من القوة بالله والحول به مايقتضى مقاتلتهم عن دينه لو انفردت فكيف لا أقاتلهم عن دينه مع كثرة المسلمين ونفاذ بصائرهم فى نصر دين الله ولينفذن الله أمره وفى هذا تصريح بما كان عليه صلى الله عليه وسلم من القوة والثبات فى تنفيذ حكم الله وتبليغ أمره والندب الى صلة الرحم والابقاء على من كان من أهلها وبذل النصيحة للقرابة فقال بديل سأبلغهم ماتقول فأذن له * قال الزرقانى فى شرح المواهب وفى هذا جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة اذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بايثارهم أهل الاسلام على غيرهم ولو كانوا من أهل دينهم ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهارا على غيرهم ولا يعد ذلك من موالاة الكفار ولا من موادة اعداء الله بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وانكاء بعضهم ببعض ولا يلزم من ذلك جواز الاستعانة بالمشركين على الاطلاق انتهى و بديل بن ورقاء كان سيد قومه وأسلم يوم الفتح بمر الظهران وشهد حنينا والطائف وتبوك وكان من كبار مسلمة الفتح وقيل اسلم قبل الفتح وقال ابن منده وأبو نعيم اسلم قديما ولعله كان يكتم اسلامه والمشهور هو الاول وخزاعة قبيلة من الازد ثم انطلق بديل مع من معه من قومه حتى أتى قريشا فقال ناس منهم هذا بديل وأصحابه وانما يريدون ان يستخبروكم فلا تسألوهم عن حرف واحد فرأى بديل انهم لا يستخبرونه فقال انا قد جئنا كم من عند هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وسمعناه يقول قولا فان شئتم نعرضه عليكم

فعلنا

فعلنا وفى رواية انا جئنا من عند محمد أتحبون أن نخبركم عنه فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان
تخبرنا عنه بشئ ولكن أخبره عنا انه لا يدخلها علينا عامه هذا أبدا حتى لا يبقى منا رجل واحد
وقال ذو الرأى منهم هات ما سمعته يقول ولم يكن أبو سفيان حاضرا هذه القضية على الصحيح بل
كان غائبا فى بعض تجاراته فمن ذكره معهم فقد غلط وفى رواية فأشار عليهم عروة بن مسعود
الثقفى بان يسمعوا كلام بديل فان أعجبهم قبلوه والا تركوه فقال صفوان بن أمية والحارث بن
هشام أخبرونا بالذى رأيتم وسمعتم قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله
عليه وسلم فرجعوا الى قريش فقالوا انكم تعجلون على محمد انه لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا
البيت فقالوا وان كان جاء لا يريد قتالا بل جاء زائرا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث
عنا العرب بذلك أبدا فقام عروة بن مسعود الثقفى وقد أسلم رضى الله عنه عند منصرفه صلى الله
عليه وسلم من الطائف وهو أحد الرجلين الذين قال الله فيهما وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم فأحدهما الوليد بن المغيرة كان بمكة ومات كافرا والثانى عروة بن مسعود
الثقفى وكان بالطائف فالقريتان مكة والطائف فقال لقريش ياقوم ألستم بالوالد أى مثل
الوالد فى الشفقة على ولده قالوا بلى قال أولست بالولد أى مثله فى النصح لوالده قالوا بلى بل جاء ان
أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف فأراد أنهم ولدوه فى الجملة قال فهل تتهمونى قالوا
لا ما أنت عندنا بمتهم قال ألستم تعلمون انى استنفرت أهل عكاظ أى دعوتهم الى نصركم فلما
امتنعوا من الاجابة جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا يعنى النبى صلى
الله عليه وسلم قد عرض عليكم خطة رشد أى خصلة خير وصلاح وانصاف اقبلوها ودعونى
آتيه أى أجيء اليه قالوا ائته فأتى عروة بن مسعود النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يكلم النبى
صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال بديل بن ورقاء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله
لبديل السابق وأخبره أنه لم يأت يريد حربا وعند قول النبى صلى الله عليه وسلم فان هم أبوا
فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم قال عروة أى محمد أخبرنى ان استأصلت قومك أى أهلكتهم
بالكلية هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أى أهلك أصله قبلك وان تكن الاخرى أى وان
تكن الغلبة لقريش فانى والله لأرى وجوها أشوابا يعنى أخلاطا من الناس خليقا أن يفروا
عنك ويدعوك وفى رواية فكأنى بهم لو لقيت قريشا قد أسلموك فتؤخذ أسيرا فأى شئ أشد
عليك من هذا وانما قال ذلك لان العادة جرت ان الجيوش المجمعة لا يؤمن عليها الفرار بخلاف
من كان من قبيلة واحدة فانهم يأنفون الفرار عادة وما درى عروة أن مودة الاسلام أعظم من
مودة القرابة وقد ظهر له ذلك بعد من مبالغة المسلمين فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم فلما قال عروة
ابن مسعود ما قاله وعرض بل صرح بنسبتهم للفرار قال له أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكان
قاعدا خلف النبى صلى الله عليه وسلم امصص بظر اللات أنحن نفر عنه والبظر هو الفرج
وقيل قطعة بعد الختان فى فرج المرأة واللات اسم صنم كانت تعبده ثقيف قال العلماء هذا

مبالغة من أبي بكر رضي الله عنه في سب عروة فانه أقام معبود عروة وهو صنمه مقام امرأة تحقير المعبوده وعادة العرب الشتم بذلك فقال عروة من هذا يا محمد واستفهم عنه لجلوسه خلف النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينافي أنه يعرفه وله عليه يد كما سيقول فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أبو بكر بن أبي قحافة فقال عروة مخاطبا لأبي بكر أما والذي نفسي بيده وكانت عادة العرب الحلف بذلك لولا يد لك عندي لم أكافئك بها لأجبتك ولكن هذه بها أي جعلت عدم اجابتك عن شتمي جزاء اليد التي كنت أحسنت الي بها قال الزهري ان اليد المذكورة هي أن عروة كان تحمل دية فأعانه فيها أبو بكر رضي الله عنه بعون حسن وفي رواية أعانه بعشر قلائص وكان غيره يعينه بالاثنين والثلاث وجعل عروة بن مسعود يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم بكلمة أخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وكانت تلك عادة العرب وكان المغيرة بن شعبة بن مسعود الثقفي وهو ابن أخي عروة بن مسعود قائما على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف بقصد الحراسة وعليه المغفر قال عروة بن الزبير ان المغيرة لما رأى عروة بن مسعود لبس لامته وجعل على رأسه المغفر ليستخفي من عمه عروة وقام على رأس النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ففيه جواز القيام على رأس الامير بالسيف لقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدو ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لان محله ما اذا كان على وجه العظمة والكبر فكان المغيرة كلما أهوى عروة بن مسعود بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وهو ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها وفعل المغيرة ذلك اجلالا وتعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول لعروة أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا ينبغي لمشرك أن يمسه فيقول عروة ما أفظك وأغلظك وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولاسيما عند الملاطفة يريدون بذلك التحية والتواصل وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير فربما رأى عروة لعظمته في قومه أنه نظير للنبي صلى الله عليه وسلم وما علم حينئذ أنه لا نظير له فالاولى منعه فلذا كان المغيرة رضي الله عنه يمنعه لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضي أي يتغافل ويسكت لعروة فلا يؤاخذه بفعله ولا يمنعه استمالة وتأليفا له ولقومه والمغيرة كان يمنعه فلما تكرر المنع من المغيرة رفع عروة رأسه وقال من هذا وفي رواية فلما أكثر المغيرة مما يقرع يده غضب وقال ليت شعري من هذا الذي قد أذاني من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم ألأم منه ولا أشر منزلة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا يا محمد قال هذا ابن أخيك شعبة وفي رواية هذا المغيرة بن شعبة فلما عرف أنه ابن أخيه قال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وفي رواية والله ما غسلت يدي من غدرتك ولقد أورثتنا العداوة في ثقيف وفي رواية وهل غسلت سوأتك الا بالامس فيمكن أن الاختلاف من تصرف الرواة أو أنه قال ذلك كله ويعني بغدرته ما كان من

المغيرة

المغيرة قبل اسلامه فانه صحب فى الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بنى مالك خرجوا الى المقوقس
ملك مصر بهدايا فأحسن اليهم وأعطاهم وقصر بالمغيرة لانه لم يكن من رهطهم بل من احلافهم
فغار منهم ولم يواسه أحد منهم فلما كانوا ببعض الطريق شربوا الخمر وناموا فوثب المغيرة
فقتلهم كلهم وأخذ أموالهم ثم جاء الى المدينة فأسلم فقال أبو بكر رضى الله عنه ما فعل المالكيون
الذين كانوا معك قال قتلتهم وجئت باسلابهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمس أو ليرى
رأيه فيها فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شئ أى
لا أتعرض له لكونه أخذ غدرا لانه لا يحل أخذ مال الكفار غدرا حال الامن لان الرفقة
يصطحبون على الامانة وهى تؤدى الى أهلها مسلما كان أو كافرا وانما تحل أموالهم بالمحاربة
والمغالبة فلعله صلى الله عليه وسلم ترك المال فى يده لامكان اسلام قومه فيرده اليهم أموالهم وقيل
انه انما فعل ذلك كان ماله حربيا والحربى اذا أتلف مال الحربى لم يضمن وهو أحد وجهين
للشافعية فبلغ ثقيفا ما فعله المغيرة من قتل أصحابه وأخذ أموالهم فتهايج الفريقان للقتال بنو
مالك والاحلاف رهط المغيرة فسعى عمه عروة بن مسعود حتى أخذوا منه دية ثلاثة عشر نفرا
واصطلحوا وقيل ان عروة بن مسعود ليس عما للمغيرة نفسه بل عم أبيه ولا ضير فى ذلك فعم الاب
عم عند العرب والمغيرة بن شعبة رضى الله عنه كان من دهاة العرب أحصن فى الاسلام ثمانين
امرأة وقيل ثلثمائة وقيل ألف امرأة ثم ان عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم بعينه فقال حين حدث الحديث والله ما تنخم يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة
الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده تبركا واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره
أى أسرعوا الى فعله واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده
وما يحدون النظر اليه تعظيما له فكان فى فعلهم ذلك ردا لما ظنه من فرارهم فكأنهم قالوا بلسان
الحال من يحبه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن بنا أن نفر عنه ونسلمه لعدوه
بل هم أشد اغتباطا أى تعلقا وتمسكا به وبدينه ونصره من هذه القبائل التى تراعى بعضها بمجرد
الرحم فرجع عروة الى أصحابه فقال أى قوم فوالله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر
وكسرى والنجاشى والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله
ما تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره
واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم وفى رواية واذا تكلموا
خفضوا أصواتهم عنده اجلالا وتوقيرا وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم
خطة رشد فاقبلوها ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشئ أبدا فروا رأيكم وفى رواية فقال عروة
أى قوم قد رأيت الملوك ما رأيت مثل محمد وما هو بملك ولقد رأيت الهدى معكوفا وما أراكم
الا ستصيبكم قارعة وهذا دليل على جودة عقله وتفطنه لما كان عليه الصحابة من المبالغة
فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل

والتبرك بآثاره فلم يسمع القوم ما قاله عروة بن مسعود وما رغبهم فيه من الصلح فانصرف هو ومن
تبعه الى الطائف فقال رجل من بني كنانة يسمى الحليس بن علقمة ولا يعرف له اسلام وكان
سيد الاحابيش أي القبائل التي تجمعت من غير قريش دعوني آته يعني النبي صلى الله عليه
وسلم أي أذهب اليه فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن يعني التي تهدى للحرم
فابعثوها أي أثيروها دفعة واحدة ليعتبر برؤيتها ويتحقق أنهم لا يريدون حربا فيعينهم على
دخول مكة لنسكهم فبعثوها واستقبله الناس يلبون بالعمرة فلما رأى الحليس ذلك قال
متعجبا سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا أي يمنعوا عن البيت وفي رواية قال أبى الله أن
تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب وفي رواية فلما رأى الهدي يسيل عليه
من عرض الوادي بقلائده وقد حبس عن محله رجع ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجاء عند الحاكم أنه صاح وهو على بعد فقال هلكت قريش ورب الكعبة ان القوم انما
أتوا عمارا فقال صلى الله عليه وسلم أجل يا أخا بني كنانة قال الحافظ ابن حجر فيحتمل أنه خاطبه
على بعد ولم يصل اليه جمعا بين الروايتين فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت
وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقالوا له اجلس انما أنت أعرابي لا علم لك فغضب عند
ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم أيصد عن بيت
الله من جاء معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لأنفرن بالاحابيش
نفرة رجل واحد فقالوا له اكفف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به * وفي القصة دليل
على أن كثيرا من المشركين كانوا يعظمون حرمات الاحرام والحرم وينكرون على من يصد عن
ذلك تمسكا منهم ببقايا دين ابراهيم عليه السلام ثم قام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص من بني
عامر بن لؤي ولم يذكره أحد في الصحابة الا ابن حبان فانه ذكره بلفظ يقال له صحبة وهو بكسر
الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي فقال دعوني آته فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله
عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر وفي رواية غادر قال الحافظ ابن حجر ما زلت متعجبا من
وصفه بالفجور مع أنه لم يقع منه في قصة الحديبية فجور ظاهر بل فيها ما يشعر بخلاف ذلك كما
سيأتي من كلامه في قصة أبي جندل الى أن رأيت في مغازي الواقدي في غزوة بدر أن عتبة بن
ربيعة قال لقريش كيف نخرج من مكة وبنو كنانة خلفنا لا نأمنهم على ذرارينا وذلك أن
حفص بن الاخيف كان له ولد وضيء فقتله رجل من بني بكر بن كنانة بدم لهم كان في قريش
فتكلمت قريش في ذلك ثم اصطلحوا فعدا مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بني بكر غرة
فقتله فنفرت من ذلك كنانة فجاءت وقعة بدر أثناء ذلك فكان مكرز معروفا بالغدر وذكر
الواقدي أيضا أن مكرزا أراد أن يبيت المسلمين بالحديبية فخرج في خمسين رجلا فأخذهم محمد
ابن مسلمة وهو على الحرس وانفلت مكرز فكأنه صلى الله عليه وسلم أشار الى ذلك حين قال وهو

رجل فاجر أو غادر فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يكلمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل وأصحابه فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو العامري وكان خطيب قريش وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكان ملازما للجهاد حتى استشهد يوم اليرموك وقيل مات بالشام بطاعون عمواس وكان يقول والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين الا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة أنفقتها مع المشركين الا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمري أن يتلو بعضه بعضا قال الشافعي سهيل بن عمرو رضي الله عنه كان محمود الاسلام من حين أسلم ولما جاء خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة اضطرب الناس وكادوا يرتدون فخطب الناس خطبة كخطبة الصديق بالمدينة رضي الله عنه وثبتهم فيها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما أراد تكسير أسنانه لعله يقف موقفا يسرك فكان ذلك الموقف هو خطبته لاهل مكة وتثبيتهم فكان ذلك من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قيل ان وصول سهيل بن عمرو الى النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل انصراف مكرز بن حفص من عند النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان مكرزا رجع الى قريش فأخبرهم بقوله صلى الله عليه وسلم وأن ذهاب الحليس ثم عروة بعد مكرز وجمع بأنه رجع فأخبرهم ثم جاء مع سهيل في الصلح ولما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم وكان مع سهيل حويطب بن عبد العزى * قال ابن اسحاق دعت قريش سهيل بن عمرو وقالت اذهب الى هذا الرجل ولا تكن في صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا فاتى سهيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما رآه مقبلا قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا الرجل فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم برك على ركبتيه وجلس النبي صلى الله عليه وسلم متربعا وقام عباد بن بشر وسلمة بن أسلم على رأسه مقنعين في الحديد وجلس المسلمون حوله فجرى بينهما القول وأطال سهيل الكلام وتراجعا فقال له عباد بن بشر اخفض صوتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فخفض صوته ولم يزالا يتراجعان حتى تم الصلح بينهما وهذا يقتضي أن ارسال سهيل بن عمرو كان قبل أن يرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة وجرى على ذلك كثير من أهل السير وقال آخرون ان ارسال سهيل بن عمرو كان بعد ارسال النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية أحب أن يبعث الى قريش يعلمهم انه انما قدم معتمرا لا مقاتلا فبعث خراش بن أمية الخزاعي على جمله عليه الصلاة والسلام فعقره عكرمة بن أبي جهل وأراد قتله فمنعه الاحابيش فأتاه صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله اني أخاف قريشا على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظي عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه أي فان بني عمه يمنعونه

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وكتب له كتابا الى أشراف قريش يخبرهم انه لم
يأت الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته وأمره النبى صلى الله عليه وسلم عثمان أن يأتى رجالا
مسلمين مستضعفين بمكة ونساء مؤمنات مستضعفات بها ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم
ان الله وشيك أى قريب أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان فخرج عثمان رضى
الله عنه ودخل مكة ومعه عشرة من الصحابة رضى الله عنهم باذن النبى صلى الله عليه وسلم ليزوروا
أهاليهم ولم يذكروا أسماءهم فلقيه قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص وأسلم بعد ذلك
رضى الله عنه وكان ابن عم عثمان رضى الله عنه فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أرسله به وهم يردون عليه ويقولون ان محمدا لا يدخلها علينا أبدا فلما فرغ عثمان رضى الله
عنه من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال
ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المسلمون الذين مع النبى
صلى الله عليه وسلم قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قالوا وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص اليه قال ذاك
ظنى به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكثت كذا وكذا سنة فلما رجع عثمان وقيل له
فى ذلك أى قالوا له طفت بالبيت فقال والذى نفسى بيده لو مكثت بها معتمرا كذا وكذا سنة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله صلى الله
عليه وسلم واحتبست قريش عثمان عندها ثلاثة أيام وأشاع الناس انهم قتلوه هو
والعشرة الذين معه فبلغ ذلك الخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال عند بلوغه ذلك لا نبرح حتى
نناجز القوم أى نقاتلهم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة وأمر عمر بن
الخطاب رضى الله عنه أن ينادى الناس الى البيعة قال سلمة بن الاكوع رضى الله عنه بايعناه
وبايعه الناس على عدم الفرار وانه اما الفتح واما الشهادة وفى رواية بايعناه على الموت ولما
لم يكن قتل عثمان رضى الله عنه محققا بل كان بالاشاعة بايع عنه النبى صلى الله عليه وسلم
أى على تقدير حياته وفى ذلك اشارة منه صلى الله عليه وسلم الى أن عثمان لم يقتل وانما فعل
المبايعة مع القوم لاجل أخذ ثار عثمان رضى الله عنه جريا على ظاهر تلك الاشاعة تثبيتا وتقوية
لاولئك القوم فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم هذه عن عثمان فانه فى حاجتك وحاجة
رسولك وفى لفظ ان عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه فضرب بيمينه على شماله
وما ذاك الا لانه علم عدم صحة القول بقتله وبعد ان جاء عثمان رضى الله عنه بايع بنفسه تحصيلا
لتلك الفضيلة وقد أشار الى امتناع عثمان رضى الله عنه من الطواف والى مبايعة النبى صلى الله
عليه وسلم صاحب الهمزية فقال

وأبى أن يطوف بالبيت اذلم * يدن منه الى النبى فناء

فخزته منه ببيعة رضوان يدمن نبيه رضاه
أدب عنده تضاعفت الاعمال بالترك حبذا الادباء

وروى أن قريشا بعثت الى عبد الله بن أبي بن سلول ان أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله وهو المسمى بالحباب كما تقدم رضى الله عنه يا أبت أذكرك الله أن تفضحنا فى كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت البيعة تحت شجرة هناك من أشجار السمر وتسمى بيعة الرضوان لقول الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد بايع تحت تلك الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة كما تقدم وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان بن سنان الاسدى وقيل انه أبو سنان أخو عكاشة بن محصن رضى الله عنهما ولما بايعه رضى الله عنه قال أبايعك على ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال اضرب بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان وقيل أول من بايع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقيل سلمة بن الاكوع رضى الله عنه وقيل ان سلمة رضى الله عنه بايع ثلاث مرات أول الناس ووسط الناس وآخر الناس بأمره صلى الله عليه وسلم فى الثانية والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا وذلك ليكون له فى ذلك فضيلة لانه أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته فى الاسلام وشهرته فى الثبات وجاء ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما بايع مرتين وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام الى قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أن المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم أى لا تصدوا هؤلاء العمار ان صدكم أصحابهم وكان محمد بن مسلمة رضى الله عنه على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت قريش أربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم انه رجل غادر ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يصيبوا منهم أحدا أو يجدوا منهم غرة أى غفلة فاخذهم محمد بن مسلمة الا مكرزا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن زنيم بسهم فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار أهل الرأى منهم بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس فبعثت قريش سهيل بن عمرو العامرى ومعه حويطب بن عبد العزى وقيل معه جمع منهم وقيل ان ارسال سهيل كان مرتين جاء ورجع اليهم ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ولما أقبل سهيل قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل ثانيا وطالت المراجعة بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ومن جملة ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له لم تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة أي بالشدة والاكراه ولكن ذلك بالعام القابل ثم تم الامر على الصلح على ترك القتال وأن توضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يأمن بعضهم بعضا وأن يرجع عنهم عامهم هذا ويأتي في العام القابل ويخلون له مكة ثلاثة أيام وأن لا يدخلوا الا بالسيوف في قربها واشترط سهيل على النبي صلى الله عليه وسلم شروطا منها أنه قال لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا وقيل هذا الشرط انما ذكره عند كتابة الكتاب كما سيأتي فلما تم الامر ولم يبق الا الكتابة للكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر أليس هو برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال أولسنا بمسلمين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية أي الخصلة المذمومة في ديننا فقال أبو بكر رضي الله عنه يا عمر الزم غرزه أي ركابه وفي رواية قال له أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه حتى تموت فاني أشهد أنه رسول الله فقال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله ثم أتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مثل ما قال لابي بكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني الله ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن خولة رضي الله عنه وأمره أن يكتب بينهم فقال له سهيل بن عمرو لا يكتب الا ابن عمك علي أو عثمان بن عفان رضي الله عنهما وكان ذلك بعد رجوع عثمان رضي الله عنه على بعض الروايات فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا أي الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم اي لان قريشا كانت تكتبها فقال المسلمون والله لا نكتبها وانما نكتب بسم الله الرحمن الرحيم وضج المسلمون ثم أسكتهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال اكتب باسمك اللهم ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت ولكن اكتب اسمك واسم أبيك وفي رواية لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك ولتابعتك أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه امح رسول الله فقال علي رضي الله عنه ما أنا بالذي أمحوه وفي رواية والله لا أمحوك أبدا فقال أرنيه فأراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال انا رسول الله وان كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب فجعل علي رضي الله عنه يبكي ويأبى أن يكتب الا محمد رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم اكتب فان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته فانه اشارة لما سيقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فانهما بعد حرب صفين وقعت

بينهما المصالحة الى رأس الحول فلما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب معاوية بن أبي سفيان فقال عمرو بن العاص وكان أحد الحكمين وكان من جهة معاوية
لا تكتب أمير المؤمنين وأرسل معاوية أيضا رضي الله عنه لعمرو بن العاص يقول لا تكتب
ان عليا أمير المؤمنين لو كنت أعلم ان عليا أمير المؤمنين ما قاتلته فبئس الرجل أنا ان أقررت أنه
أمير المؤمنين ثم أقاتله ولكن اكتب علي بن أبي طالب وامح أمير المؤمنين فقال أصحاب علي
رضي الله عنه لعلي يا أمير المؤمنين لا تمح اسم امارة المؤمنين فانك ان محوتها لا تعود اليك فلم يسمع
منهم وقال للكاتب امحها ثم تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم له في الحديبية ان لك مثلها
تعطيها وأنت مقهور فقال الله أكبر مثلا بمثل والله اني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد لك بذلك اكتب اسمك محمد بن عبد الله فقال
له عمرو بن العاص رضي الله عنه سبحان الله أتشبه بالكفار ووقع بينهما نزاع في ذلك حتى تمت
الكتابة على عدم ذكر أمير المؤمنين وظهر صدق قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله
عنه ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور ولما أبى علي رضي الله عنه يوم الحديبية أن يكتب الا
رسول الله وافقه على ذلك بعض الحاضرين من المسلمين منهم أسيد بن حضير وسعد بن عبادة
رضي الله عنهما فأخذا يد علي رضي الله عنه ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم والا فالسيف بيننا وبينهم وضج المسلمون وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لا نعطي
هذه الدنية في ديننا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم ويومي بيده اليهم ان اسكتوا ثم
أمر عليا رضي الله عنه أن يكتب محمد بن عبد الله فكتب وقيل أمر محمد بن مسلمة رضي الله عنه
فكتب والحق أن الذي كتبه محمد نسخة أخرى مثل ذلك الكتاب لان سهيلا قال يكون هذا
الكتاب معي فكتب محمد بن مسلمة مثله ليكون عند المسلمين وجاء في بعض الروايات ثم أخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب بيده فكتب فتمسك بعضهم بظاهره وقال ان النبي
صلى الله عليه وسلم كتب بيده يوم الحديبية معجزة له مع أنه لا يقرأ ولا يكتب وجرى على ذلك
أبو الوليد الباجي المالكي فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه وقالوا ان هذا مخالف للقرآن
فناظرهم واستظهر عليهم بأن هذا لا ينافي القرآن وهو قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من
كتاب ولا تخطه بيمينك بأن هذا النفي مقيد بما قبل ورود القرآن وقيل تحقق أميته أما بعد
القرآن وبعد ان تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته فلا مانع أن يعرف الكتابة من غير معلم
معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك عن كونه أميا والجمهور على أن الروايات التي فيها أخذ الكتاب
بيده فكتب محمولة على المجاز اي أمر أن يكتب الكاتب وقوله بيده متعلق بأخذ وليس متعلقا
بقوله كتب قال العلماء وافقهم النبي صلى الله عليه وسلم على عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم
وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة
الحاصلة بالصلح التي أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليها وحجب المسلمين عنها حتى ضجوا

وتشوشوا من ذلك ولم يكن أحد فى القوم راضيا بجميع مارضى به النبى صلى الله عليه وسلم غير أبى بكر الصديق رضى الله عنه وبهذا يتبين علو مقامه ويمكن أن الله كشف لقلبه وأطلعه على بعض تلك الاسرار التى ترتبت على ذلك الصلح كما أطلع على ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فانه حقيق بذلك رضى الله عنه كيف وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم والله ما صب الله فى قلبى شيئا الا وصببته فى قلب أبى بكر رضى الله عنه قال أبو بكر رضى الله عنه ما كان فتح أعظم من فتح الحديبية ولكن قصر رأيهم عما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ربه والعباد يعجلون والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد ولقد رأيت سهيل بن عمرو فى حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه فأنا أنظر الى سهيل بن عمرو يلتقط من شعره صلى الله عليه وسلم ويجعل بعضه على عينيه وأذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية ببسم الله الرحمن الرحيم أى وبرسالة النبى صلى الله عليه وسلم فحمدت الله الذى هداه للاسلام مع أنه لا مفسدة فى عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وعدم كتابة رسول الله بل ترتب عليهما مصلحة وانما المفسدة لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل ثم كتب على رضى الله عنه هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به وأراد النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اظهار ما تكلم به مع سهيل أولا ليطلع المسلمون على أنه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد للمسلمين فى ذلك الصلح فقال سهيل والله لا نخلى بينك وبين البيت وتتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب على رضى الله عنه ذلك فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل الا رددته الينا وان كان على دينك ومن جاء قريشا ممن تبعك لم يردوه اليك وفى رواية لمسلم من حديث أنس رضى الله عنه أن قريشا صالحت النبى صلى الله عليه وسلم على أن من جاءنا منكم لم نرده اليكم ومن جاءكم منا رددتموه الينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم فانه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاء منهم الينا فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وفى رواية للبخارى وكان فيما اشترط سهيل على النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا أى غضبوا وأنفوا منه فأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال المسلمون متعجبين سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما وكان ممن قال ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وسهل بن حنيف رضى الله عنهم وفى رواية أن عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله أترضى بهذا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاء منهم الينا أى ورددناه فسيجعل الله له فرجا ومخرجا ومما كتب فى كتاب الصلح ما رواه البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما الا يدخل مكة بالسلاح الا السيف فى القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد ان أراد أن يتبعه وأن لا يمنع من أصحابه

أحدا ان أراد أن يقيم بها وعند ابن اسحاق على أن بيننا عيبة مكفوفة أى أمورا مطوية فى صدور سليمة اشارة الى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها وأنه لا اسلال ولا اغلال أى لا سرقة ولا خيانة والمراد أن يأمن بعضهم من بعض فى نفوسهم وأموالهم سرا أو جهرا وقيل الاسلال من سل السيوف والاغلال من لبس الدروع وان من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة وقالوا نحن فى عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن فى عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة علينا وأنه اذا كان عام قابل خرجنا فدخلتها باصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيره وان الحرب توضع بينهم عشر سنين وفى رواية أربع سنين تأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض انتهى فان قيل ما الحكمة فى كونه صلى الله عليه وسلم وافق سهيلا على هذه الشروط التى من جملتها أنه لا يأتيه رجل منهم وان كان على دين الاسلام الا ويرده اليهم فالجواب كما نقله النووى عن العلماء أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هى ماظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التى علمها النبى صلى الله عليه وسلم وخفيت عليهم فحمله ذلك على موافقتهم وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تظهر عندهم أمور النبى صلى الله عليه وسلم كما هى ولا يجتمعون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاؤا الى المدينة وجاء المسلمون الى مكة وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونهم وسمعوا منهم أحوال النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة وأعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بأنفسهم كثيرا من ذلك فمالت أنفسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فأسلموا فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهما وغيرهما وازداد الآخرون أى الذين لم يسلموا ميلا الى الاسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما قد مهد لهم الميل وكانت العرب من غير قريش ينتظرون باسلامهم اسلام قريش لما يعلمونه فيهم من القوة والرأى ولانهم كانوا يقولون قوم الرجل أعلم به فلما أسلمت قريش أسلمت العرب قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ففيه اشارة الى أنه عند حصول نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم على اعدائه وفتح مكة يدخل الناس فى دين الله جماعات وكان الامر كذلك فجاءه العرب بعد فتح مكة من أقطار الارض طائعين وكان هذا الصلح هو سبب فتح مكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فالله ورسوله أعلم بالحكمة البالغة فان صد المسلمين عن البيت كان فى الظاهر هضما للمسلمين وفى الباطن عزا لهم وقوة فأذل الله المشركين من حيث أرادوا العز لانفسهم وقهرهم من حيث أرادوا الغلبة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلله الحمد والمنة على ما أنعم به وتفضل وقال البخارى عند ذكر كتابة الشروط

فبينما هم كذلك وقال ابن اسحاق فان الصحيفة لتكتب اذ دخل أبو جندل واسمه العاص بن
سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وكان قد أسلم بمكة قبل ذلك رضي الله عنه فحبسه أبوه ومنعه من
الهجرة وأوثقه بالقيود فحين سمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحديبية احتال على
نفسه حتى خرج من السجن وتنكب الطريق وركب الجبال حتى هبط على المسلمين ففرح به
المسلمون وتلقوه فقام سهيل بن عمرو الى ابنه أبي جندل حين رآه فضرب وجهه ضربا شديدا حتى
رق عليه المسلمون وبكوا وتلببه أي جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه وقبض عليه بنحره وقال سهيل
هذا يا محمد أول ما أقاضيك أي أول شيء أحاكمك عليه أن ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انا لم نقض الكتاب بعد أي لم نفرغ من كتابته فقال سهيل والله اذا لا أصالحك على شيء أبدا فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم فأجزه لي قال ما أنا بمجيز ذلك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل فقال
مكرز وحويطب بلى قد أجزناه لك فأخذاه وأدخلاه فسطاطا وكفا أباه عنه فأبى سهيل بن
عمرو واجازتهما وقيل انما أجازاه ليكف عنه العذاب ليرجع الى طاعة أبيه فكان ذلك من فجور
مكرز الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فانه قال ذلك نفاقا وفي باطنه خلافه قال ابن اسحاق
ثم قال سهيل يا محمد قد لجت القضية أي وجبت وتمت بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال صدقت
فجعل ينتره ويتلببه ويجره ليرده الى قريش فلما رأى أبو جندل أباه مصمما على أخذه قال
أي معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب في الله
عذابا شديدا وفي رواية جعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين أرد الى المشركين
يفتنوني في ديني فزاد الناس ذلك على ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر
واحتسب فانا لا نغدر وقد تم الصلح قبل أن تأتي وقد تلطفت بأبيك فأبى وان الله جاعل لك ولمن
معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى جنب أبي جندل
يقول له اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم كدم الكلب ويدني له السيف
قال عمر رضي الله عنه رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه وجعل يقول ان الرجل يقتل
أباه والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله فقال له أبو جندل مالك لا تقتله أنت فقال عمر نهانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقتل غيره فقال أبو جندل ما أنت أحق بطاعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم مني ولعل عمر رضي الله عنه ظن جواز قتل أبي جندل لأبيه لكونه أراد
أن يفتنه عن دينه وان قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب ثم رجع
أبو جندل رضي الله عنه مكة في جوار مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى فأدخلاه
مكة وكفا عنه أباه وسيأتي في آخر القصة ان أبا جندل في مدة الهدنة هرب من مكة ومعه جماعة
من المستضعفين وأنهم انضموا الى أبي بصير وقطعوا الطريق على قريش حتى كتبت قريش
للنبي صلى الله عليه وسلم تسأله بالأرحام أن يأويهم عنده كما سيأتي ثم ان سهيل بن عمرو له ابن
آخر اسمه عبد الله بن سهيل أسلم قديما فأسر وخرج مع المشركين يوم بدر فلما وصلوا

بدرا اخرج من بينهم ودخل فى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا والمشاهد كلها وأما أبو جندل فاسمه العاص كما تقدم وأول مشهد شهده فتح مكة ثم ان قريشا أرسلت عثمان بن عفان رضى الله عنه وبهذا يعلم ان بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه وقد وقع فى المواهب ما يقتضى ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذى ذهب به عثمان كان متضمنا الصلح الذى وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو فحبست قريش عثمان رضى الله عنه فحبس صلى الله عليه وسلم سهيلا قال الحلبى ولا يخفى ما فيه ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح أشهد عليه رجالا من المسلمين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة رضى الله عنهم ومن المشركين حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ولما تم هذا الصلح الا بعد توقف كثير من المسلمين فيه وصاروا يراجعون النبى صلى الله عليه وسلم ويسألونه ان لا يوافق على تلك الشروط لا سيما عمر رضى الله عنه فانه أتى النبى صلى الله عليه وسلم وراجعه كثيرا كما تقدم ومن مراجعته أنه قال له ألست نبى الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قال فلم نعطى الدنية أى الحالة الدنية الخسيسة فى ديننا اذا ونرجع ولم يحكم الله بيننا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به أى للرؤيا التى رآها قال بلى أفأخبرتك انا نأتيه هذا العام قال لا قال صلى الله عليه وسلم فانك آتيه ومطوف به أى وكذلك الصحابة رضى الله عنهم لانه كان صلى الله عليه وسلم أخبرهم بانه رأى انهم يدخلون المسجد الحرام ويطوفون بالبيت ووعدهم بذلك فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وشق عليهم قال عمر رضى الله عنه لقد دخلنى امر عظيم وراجعت النبى صلى الله عليه وسلم مراجعة ما راجعته مثلها قط حتى قال لى أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى البزار عن عمر رضى الله عنه اتهموا الرأى على الدين فلقد رأيتنى أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيى وما ألوت عن الحق فرضى صلى الله عليه وسلم وأبيت حتى قال يا عمر ترانى رضيت وتأبى وفى رواية قال يا ابن الخطاب انى رسول الله ولن يضيعنى الله فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال يا أبو بكر أليس هذا نبى الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا فقال أبو بكر أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصى ربه فاستمسك بغرزه أى ركابه أى لا تفارقه فوالله انه على الحق قال قلت أوليس كان يحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به فأجابه بمثل ما أجابه النبى صلى الله عليه وسلم ثم ان هذه الرواية مصرحة بأن

اتيانه لأبى بكر كان بعد اتيانه للنبى صلى الله عليه وسلم وتقدمت رواية صحيحة بأن ذلك كان قبل
اتيانه صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان تلك المراجعة تكررت فجاء لأبى بكر وراجعه قبل
و بعد ودل جواب أبى بكر الموافق لجواب النبى صلى الله عليه وسلم على ان أبا بكر رضى الله عنه
أكمل الصحابة علما وأعرفهم بأحوال النبى صلى الله عليه وسلم وأعلمهم بأمور الدين وأشدهم
موافقة لأمر الله تعالى فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه
ورسوخه وزيادته فى كل ذلك على غيره وقد جاء فى بعض الروايات ان المسلمين استنكروا الصلح
المذكور وكانوا على رأى عمر رضى الله عنه وعنهم فلم يوافقهم أبو بكر رضى الله عنه بل كان قلبه
على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء ومر فى الهجرة ان ابن الدغنة وصفه بمثل ما وصفت
به خديجة النبى صلى الله عليه وسلم سواء من كونه يصل الرحم ويحمل الكل ويعين على نوائب
الحق وغير ذلك فلما تشابهت صفاتهما من الابتداء استمر ذلك الى الانتهاء وبجلالة قدر أبى بكر
وسعة علمه عند عمر رضى الله عنه لم يراجع عمر فى ذلك أحدا بعده صلى الله عليه وسلم أو قبله غير
الصديق وانما سأله بعد سؤال المصطفى صلى الله عليه وسلم لشدة ما حصل لعمر رضى الله عنه
من الغيظ ولقوته فى نصر الدين واذلال الكافرين قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضى الله عنه
وكلامه شكا فى الدين حاشاه رضى الله عنه ففى رواية ابن اسحاق أنه لما قال له الزم غرزه فانه
رسول الله قال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله بل كان سؤاله طلبا لكشف ما خفى عليه من المصلحة
وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف فى خلقه وقوته فى نصر الدين واذلال المبطلين
ففى ذلك دليل جواز البحث فى العلم حتى يظهر المعنى وفى البخارى قال عمر رضى الله عنه فعملت
لذلك أعمالا وفى ابن اسحاق فما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ
مخافة كلامى الذى تكلمت به حين رجوت أن يكون خيرا وعند الواحدى عن ابن عباس رضى
الله عنهما لقد أعتقت بسبب ذلك رقابا وصمت دهرا وانما عمل ذلك لتوقفه عن المبادرة بامتثال
الامر وان كان معذورا فى جميع ما صدر منه بل مأجورا لانه مجتهد وانما توقف لتظهر له الحكمة
وتنكشف عنه الشبهة * ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح والاشهاد وتوجه
سهيل بن عمرو ومن معه بالكتاب قام صلى الله عليه وسلم الى هديه فنحره ومن جملته جمل كان
لأبى جهل نجيب مهرى غنمه المسلمون منه يوم بدر ثم صار له صلى الله عليه وسلم وكان يضرب
فى لقاحه صلى الله عليه وسلم وفى رأسه برة أى حلقة من فضة وقيل من ذهب وانما أدخله صلى
الله عليه وسلم فى الهدى ليكون فى ذبحه اغاظة للمشركين وكان قد فر هذا الجمل من الحديبية
ودخل مكة وانتهى الى دار أبى جهل وخرج فى أثره عمرو بن غنمة الانصارى فأبى سفهاء مكة أن
يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة نياق فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لولا انا سميناه فى الهدى فعلنا وفى لفظ قال انهم سهيل بن عمرو ان تريدوه فاعرضوا على محمد
مائة من الابل فان قبلها فامسكوا هذا الجمل والا فلا تتعرضوا له فعرضوا ذلك عليه صلى الله

عليه وسلم فأبى وقال لولم يكن هـذا الجمل للهدى لقبلت المائة فردوه اليه فنحره وفرق لحمه
ولحم بقية الهدى على الفقراء الذين حضروا الحديبية وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث
الى مكة عشرين بدنة مع ناجية رجل من أسلم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعد فراغهم من
الكتاب أمرهم بالنحر والحلق ثلاث مرات فلم يقم منهم أحد فدخل على أم سلمة رضى الله عنها
وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت مالك يارسول الله فذكر لها مالقى من الناس وقال لها
هلك المسلمون أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا وفى لفظ قال عجبا ياأم سلمة ألاترين الى
الناس آمرهم بالامر فلا يفعلونه قلت لهم انحروا واحلقوا وحلوا مرارا فلم يجبنى أحد من
الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون وجهى فقالت يارسول الله لاتلمهم فانهم قد
دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ثم أشارت
اليه أن يخرج ولا يكلم أحدا منهم وينحر بدنه ويحلق رأسه ففعل ذلك أى أخذ الحربة وقصد
هديه وأهوى بالحربة الى البدنة رافعا صوته بسم الله والله أكبر ثم دخل قبة له من أدم ودعا
بخراش الخزاعى فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة فأخذه الناس وتحاصوه وأخذت أم عمارة
رضى الله عنها طاقات منه فكانت تغسله للمريض وتسقيه فيبرأ وكانت بدنه صلى الله عليه
وسلم التى نحرها بالحديبية سبعين ولما رآه الناس نحر وحلق قاموا ونحروا وحلقوا وجعل
بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا للازدحام وارادة التعجيل اقتداء به صلى الله
عليه وسلم وكان نحرهم للهدايا بالحديبية وهى فى الحرم فى قول مالك رضى الله عنه
وبعضها فى الحل وبعضها فى الحرم فى قول الشافعى رضى الله عنه وفى رواية أن النبى
صلى الله عليه وسلم أمر بالهدى فساقه المسلمون الى جهة الحرم فقام اليه مشركو قريش فحبسوه
فأمر صلى الله عليه وسلم بنحره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما صدت الهدايا عن البيت
حنت كما تحن الى أولادها فنحر صلى الله عليه وسلم بدنه حيث حبسوه وهى الحديبية والمراد نحر
أكثره فلا ينافى مارواه ابن سعد عن جابر رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة مع رجل من أسلم وبعث الله ريحا فحملت شعورهم
فألقتها فى الحرم جبرا لهم فى صدهم عن البيت فاستبشروا بقبول عمرتهم * قال الزرقانى ولعل
المراد غير شعره صلى الله عليه وسلم أى لانه أخذه المسلمون كما تقدم ويحتمل انهم أخذوا أكثره
وألقت الريح باقيه فى الحرم وحلق رجال وقصر آخرون فقال صلى الله عليه وسلم يرحم الله
المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال والمقصرين وفى رواية وقال
فى الرابعة والمقصرين وانما توقف الصحابة رضى الله عنهم بعد الامر لاحتمال انه للندب
أو لرجاء نزول الوحى بابطال الصلح أو تخصيصه بمن أذن لهم فى دخول مكة ذلك العام لاتمام
نسكهم وساغ ذلك لهم لانه زمان وقوع النسخ ويحتمل أن صورة الحال أبهتتهم فاستغرقوا فى
الفكر لما لحقهم من الذل عند نفوسهم مع ظهور قوتهم واعتقادهم القدرة على قضاء نسكهم

بالغلبة أولان الامر المطلق لا يقتضى الفور ويحتمل مجموع هذه الامور لمجموعهم أوفهموا انه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل أخذا بالرخصة فى حقهم وانه هو يستمر على الاحرام أخذا بالعزيمة فى حق نفسه فأشارت اليه أم سلمة بالتحلل لينتفى هذا الاحتمال ففعله فلما رأوه بادروا الى فعل ما أمرهم به اذلم تبق غاية ينتظرونها ونظيره ماوقع لهم فى غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر فى رمضان فأبوا حتى شرب فشربوا وفى سؤاله أم سلمة رضى الله عنها فضيلة أمر المشورة ومشاورة المرأة الفاضلة وفضل أم سلمة رضى الله عنها ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لانعلم امرأة أشارت برأى فأصابت الا أم سلمة قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى واستدرك عليه بعضهم بنت شعيب فى أمر موسى عليهما الصلاة والسلام أى حين قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وفى قصة بيعة الرضوان دليل على فضل الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الآية وفى الصحيح عن جابر رضى الله عنه قال قال لنا النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض وأخرج مسلم وغيره عن جابر رضى الله عنه لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية وروى أحمد باسناد حسن عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لما كنا بالحديبية قال صلى الله عليه وسلم لا توقدوا نارا بليل فلما كان بعد ذلك قال اوقدوا واصطنعوا فانه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم وفى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة وقد قدح بعض الرافضة لعنهم الله تعالى على عثمان رضى الله عنه انه لم يحضر هذه البيعة كما انه لم يحضر غزوة بدر وأجيب بأن هذه البيعة انما كانت لاجله لما أشاعوا موته وغيبته انما هى لامتثاله أمر الله ورسوله وبايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه عن عثمان وضرب بيده على الاخرى ولما رجع بايع كما تقدم فهو من جملة من بايع بيعة الرضوان فاخراجه غلط ظاهر وأما عدم حضوره غزوة بدر فكان بأمر النبى صلى الله عليه وسلم لاجل تمريض ابنته رقية رضى الله عنها وقد عده صلى الله عليه وسلم من أهل بدر وضرب له بسهم معهم فهو معدود من البدريين فاخراجه غلط ظاهر ودل قوله لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة انهم مبشرون بالجنة وأما قولهم العشرة المبشرون بالجنة فالمراد انهم ذكروا بأسمائهم فى حديث واحد حيث قال أبو بكر فى الجنة الى آخرهم قال ابن عبد البر ليس فى الغزوات ما يعدل بدرا أو يقرب منها الا الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان قال الزرقانى لكن قال غيره الراجح تقديم أحد على الحديبية وانها التى تلى غزوة بدر فى الفضل وكانت اقامته صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما وقال بعضهم كانت مدة غزوته هذه كلها شهرا ونصفا ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفى نفوس أصحابه رضى الله عنهم شئ من عدم الفتح الذى كانوا لا يشكون فيه فأنزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بكراع الغميم وقال ابن اسحاق نزلت وهو بضجنان بفتح الضاد المعجمة وسكون الجيم ونونين بينهما ألف جبل

على بريد من مكة وفى البخارى عن عمر رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد أنزلت على سورة هى أحب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا
مبينا واختلف الناس فى المراد من الفتح فقال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب رضى الله عنهم
الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح قال الحافظ ابن حجر ان الفتح فى اللغة فتح المغلق والصلح
كان مغلقا حتى فتحه الله وكان من أسباب فتحه صد المسلمين عن البيت فكانت الصورة الظاهرية
ضيما للمسلمين والباطنة عزا لهم فان الناس للامن الذى وقع فيهم اختلط بعضهم ببعض من
غير نكير وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الاسلام جهرة آمنين وكانوا
قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك الا خفية فظهر من كان يخفى اسلامه فذل المشركون من
حيث أرادوا العزة وقهروا من حيث أرادوا الغلبة بعد ان كان المنافقون يظنون أن لن
ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا أى حسبوا انهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم وقيل
الفتح المراد هو فتح مكة فنزلت السورة عند مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر به بالماضى
لتحقق وقوعه وفيه من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به مالا يخفى وقيل المعنى قضينا لك
قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك قابلا من الفتاحة وهى الحكومة وفى
الصحيح من البراء رضى الله عنه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتحا ونحن نعد الفتح بيعة
الرضوان قال الحافظ ابن حجر يعنى بالفتح قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وقد وقع فيه اختلاف
قديم والتحقيق انه يختلف باختلاف المراد من الآيات فالمراد بقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا
فتح الحديبية لما ترتب على الصلح من الامن ورفع الحرب وتمكن من كان يخشى الدخول فى
الاسلام والوصول الى المدينة منهما وتتابع الامر الى أن كمل الفتح أى بفتح مكة وأما قوله
تعالى وأثابهم فتحا قريبا فالمراد به فتح خيبر على الصحيح لانها هى التى وقعت فيها المغانم
الكثيرة للمسلمين قال تعالى ومغانم كثيرة يأخذونها وروى الامام أحمد وأبو داود
والحاكم من حديث مجمع بن جارية الانصارى الاوسى رضى الله عنه قال شهدنا الحديبية فلما
انصرفنا منها وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وهو موضع امام
عسفان وقد جمع الناس وقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل يارسول الله أو فتح هو قال
أى والذى نفسى بيده انه لفتح وعند ابن سعد فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال نهنيك يارسول
الله فلما هناه جبريل هناه الناس وروى موسى بن عقبة والزهرى والبيهقى عن عروة بن الزبير
قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم راجعا فقال رجل من أصحابه ماهذا بفتح لقد صددنا عن البيت
وصد هدينا ورد صلى الله عليه وسلم رجلين من المؤمنين كانا خرجا اليه فبلغه صلى الله عليه وسلم
قول ذلك الرجل فقال بئس الكلام بل هو أعظم الفتح قد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح
عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبون اليكم فى الامان ولقد رأوا منكم ما كرهوا
وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم أحد اذ تصعدون

ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم فى أخراكم أنسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم ومن
أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون
صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح والله يانبى الله مافكرنا فيما فكرت فيه ولانت أعلم بالله
وأمره منا وروى سعد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبى فى قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا
مبينا قال لم يكن فى الاسلام فتح قبله أعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت
الهدنة ووضع الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا والتقوا وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة
لم يكلم أحد ذو عقل فى تلك المدة بالاسلام الادخل فيه ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان
دخل فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر ويدل عليه أنه صلى الله عليه وسلم خرج فى الحديبية فى ألف
وأربعمائة ثم خرج بعد سنتين الى فتح مكة فى عشرة آلاف ومما ظهر من مصلحة الصلح انه كان
مقدمة بين يدى الفتح الاعظم الذى دخل الناس عقبه فى دين الله أفواجا فكانت قصة الحديبية
مقدمة الفتح فسميت فتحا اذ مقدمة الظهور ظهور وجاء انهم فى مدة اقامتهم بالحديبية حصلت
للناس مجاعة فقالوا يارسول الله جهدنا أى أصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع وفى الناس ظهر
أى ابل فانحره لنا كل من لحمه وانده من شحمه ونحتذى من جلوده فقال عمر بن الخطاب
رضى الله عنه يارسول الله لا تفعل فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر أمثل كيف بنا اذا لقينا
عدونا غدا جياعا رجالا ولكن ان رأيت أن تدعو الناس الى أن يجمعوا بقايا أزوادهم ثم
تدعو لهم فيها بالبركة فان الله سيبلغها بدعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابسطوا
أنطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ودعا لهم ثم قال قربوا
أوعيتكم فأخذوا ماشاء الله وملأوا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقى مثله وفى مسلم خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فأمرنا
النبى صلى الله عليه وسلم فجمعنا أزوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فكان
كربضة العنز أى كقدر العنز وهى رابضة أى باركة وكنا أربع عشرة مائة فأكلنا حتى شبعنا
ثم حشونا جربنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فقال أشهد أن لا اله الا
الله وانى رسول الله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما الا حجب من النار وقال صلى الله عليه وسلم لرجل
من أصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو مايتوضأ به فجاء رجل باداوة وهى الركوة فيها نطفة من
ماء أى قليل من ماء وقيل للماء اليسير نطفة لانه ينطف أى يصب فافرغها فى قدح ووضع راحته
الشريفة صلى الله عليه وسلم فى ذلك الماء فتوضأنا كلنا أى الاربعة عشر مائة ندغفقه دغفقة
أى نصبه صبا شديدا وذكر بعض المفسرين فى قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون أنه صلى الله عليه
وسلم رأى وهو بالحديبية أن يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فأخبرهم
بذلك فلما صدوا قالوا له أين رؤياك يارسول الله فأنزل الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية

قال

قال الحلبي في السيرة ولا يخالف هذا ما تقدم أن الرؤيا المذكورة كانت بالمدينة وأنها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال هذا الذي وعدتكم فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال ادعو لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال هذا الذي قلت لكم ولما كان في حجة الوداع ووقف بعرفة قال هذا الذي قلت لكم فان قيل انه لم يذكر في الرؤيا أنه أخذ المفتاح ولا أن يقف بعرفة أجيب بأنه يجوز أن يكون أخبر بذلك بعد الرؤيا أوان المراد من ذلك مجرد دخوله والله أعلم والشجرة التي كانت البيعة عندها بلغ عمر رضي الله عنه في خلافته ان ناسا يصلون عندها و يطوفون بها فخاف رضي الله عنه من اتساع الامر وظهور البدعة وان تعبد كالاصنام فأمر بها فقطعت ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة هاجرت اليه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وكانت أسلمت بمكة و بايعت قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم ثم خرجت في مدة الصلح مهاجرة ماشية على قدميها من مكة الى المدينة وصحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة وهي أخت عثمان بن عفان رضي الله عنه لامه لان أم عثمان رضي الله عنه تزوجها بعد أبي عثمان عقبة بن أبي معيط فولدت له الوليد بن عقبة وأم كلثوم بنت عقبة وذكر بعضهم أنها أول امرأة هاجرت وفيه نظر ولما قدمت المدينة دخلت على أم سلمة رضي الله عنها وأعلمتها أنها جاءت مهاجرة وتخوفت أن يردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عملا بالشرط فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضي الله عنها أعلمته فرحب بأم كلثوم فخرج أخواها عمارة والوليد في ردها بالعهد فقالا يا محمد أوف لنا بما عاهدتنا عليه فقالت يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء الضعف أفتردني الى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي فنزل القرآن بأن النساء المؤمنات لا يرجعن وان الشرط في الرجال فقط وان النساء يمتحن قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية فأبى صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم وكان الامتحان ان تستحلف المرأة المهاجرة أنها ما هاجرت ناشزا ولا هاجرت الا لله ورسوله وفي رواية كانت المرأة اذا جاءت حلفها عمر بالله أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وبالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله فاذا حلفت لم ترد ويرد صداقها الى بعلها فلما رجع الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشا بذلك فرضوا بذلك ولم يكن لام كلثوم زوج بمكة فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه فكان صلى الله عليه وسلم في مدة الصلح يرد الرجال ولا يرد النساء بعد امتحانهن وممن جاء من الرجال الى النبي صلى الله عليه وسلم أبو بصير وكان مسلما بمكة فحبسوه فهرب حتى وصل الى المدينة فكتب في رده أزهر بن عبد عوف وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وهو من الطلقاء يوم الفتح وهو عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه كتابا وبعثا به رجلا من بني عامر يقال له خنيس ومعه مولى

يهديه الطريق فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه أبي بن كعب رضي الله
عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه من ردّ من قدم عليك
من أصحابنا فابعث الينا بصاحبنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا
هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا
ومخرجا فانطلق الى قومك فقال يارسول الله أتردّني الى المشركين يفتنوني في ديني قال يا أبا بصير
انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما وصار
المسلمون يقولون له الرجل يكون خيرا من ألف رجل يريدون بذلك اغراءه على من معه حتى اذا
كان بذي الحليفة جلس الى جدار وجلس معه صاحباه فقال أبو بصير لاحد صاحبيه ومعه سيفه
أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر فقال نعم انظر اليه ان شئت فاستله العامري ثم هزه وقال
لاضربن بسيفي هذا في الاوس والخزرج يوما الى الليل فقال له أبو بصير ناولنيه أنظر اليه فناوله
فلما قبض عليه ضربه به حتى برد يعني مات ثم طلب المولى الذي كان معه يهديه الطريق فوجده
قد خرج سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد فلما رآه رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحصى يطن تحت قدميه وفي لفظ يطير من تحت قدميه من شدة عدوه وأبو
بصير في أثره قد أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قد رأى فزعا وفي رواية ذعرا فلما
انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد قال له ويحك مالك قال قتل
صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكذب اني لمقتول واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه
فاذا أبو بصير أناخ بعير العامري بباب المسجد ودخل متوشحا السيف وقال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وفت ذمتك وأدّى الله عنك أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني ان أفتن فيه فقال
اذهب حيث شئت فقال يارسول الله هذا سلب العامري الذي قتلته رحله وسيفه فخمسه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه ولكن شأنك
بسلب صاحبك وعند ذلك ذهب أبو بصير الى محل من طريق الشام تمر به عير قريش والميرة واجتمع اليه
جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة فكانوا يتسللون اليه وانفلت أبو جندل بن سهيل بن
عمرو الذي ردّه صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وخرج من مكة في سبعين راكبا أسلموا فلحقوا
بأبي بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة الهدنة خوفا من أن يردهم
الى أهلهم وانضم اليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا
ثلثمائة مقاتل فقطعوا مارة قريش لا يظفرون بأحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا أخذوها
حتى كتبت قريش له صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام الا آواهم ولا حاجة لهم بهم وفي رواية
أن قريشا أرسلت أبا سفيان بن حرب في ذلك وأن قريشا أسقطت هذا الشرط وقالت ان
هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي
جندل وأبي بصير أن يقدما عليه وأن من معهم من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا

لأحد منهم من قريش ولا لعيرهم فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهلهم وأمنت قريش على عيرهم وتحقق قول النبي صلى الله عليه وسلم سيجعل الله لابي جندل وأصحابه فرجا ومخرجا وعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم الذين صعب عليهم رد أبي جندل الى قريش مع سهيل بن عمرو أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما أحبوه وان رأيه أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك أن المصالحة كانت أولى لهم كما تقدم بيان ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة خيبر﴾

بوزن جعفر وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحاق أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم الى خيبر سنة سبع وقال ابن عقبة عن الزهري أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها وقيل عشر ليال وقيل خمسة عشر يوما وأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة موزعة على حصونها الى أن فتحها في صفر وقيل انها كانت سنة ست وهو منقول عن الامام مالك وبه جزم ابن حزم لكن قال الحافظ ابن حجر الراجح ما ذكره ابن اسحاق وهو قول الجمهور واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة غيلة بن عبد الله الليثي وقيل سباع بن عرفطة ويمكن الجمع بأنه استخلف أحدهما أولا ثم عرض ما يقتضي استخلاف الآخر وكان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس وقد استنفر صلى الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لا تخرجوا معي الا راغبين في الجهاد فأما الغنيمة فلا أي فلا تعطوا منها شيئا ثم أمر مناديا ينادي بذلك قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طلحة رضي الله عنه وهو زوج أم أنس رضي الله عنها حين أراد الخروج الى خيبر التمسوا الي غلاما من غلمانكم يخدمني فخرج أبو طلحة مردفي وأنا غلام وقد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل خدمته فسمعته كثيرا ما يقول اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال قال الحلبي وهذا السياق يدل على ان أول خدمة أنس له حينئذ وهو يخالف ما صح انه عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابني وهو غلام كيس وكان عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين ففي مسلم عن أنس رضي الله عنه قال جاءت بي أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت يا رسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به ليخدمك فادع الله له

فقال اللهم أكثر ماله وولده وعند غيره سلم وأطل عمره وأدخله الجنة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم انما قال لابي طلحة ماذكر رجاء أن يأتي له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس رضي الله عنه وكان الله قد وعد رسوله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية في سورة الفتح بمغانم بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها أي مغانم خيبر وخرج معه من نسائه أم سلمة رضي الله عنها وقال صلى الله عليه وسلم في مسيره لعامر بن الاكوع عم سلمة بن الاكوع رضي الله عنهما انزل فخذ لنا من هناتك أي من أراجيزك واشعارك وفي لفظ انزل حرك بنا الركاب وكان يحدو حداء حسنا وفي رواية وكان عامر رجلا شاعرا فقال يا رسول الله تركت قول الشعر فقال له عمر رضي الله عنه اسمع وأطع فنزل يرتجز ويقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا * وألقين سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا * انا اذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا * ونحن عن فضلك ما استغنينا
ان الذين قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

وعند انشاده الابيات المذكورة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك وفي رواية غفر لك ربك وما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لاحد في مثل هذا الموطن الا استشهد فقال عمر رضي الله عنه وجبت أي الشهادة يا رسول الله هلا أمتعتنا به أي هلا أخرت الدعاء بذلك الى وقت آخر فاستشهد رضي الله عنه في هذه الغزوة ورجع اليه سيفه فقتله فانه أراد أن يضرب به ساق يهودي فجاءت ذبابته في ركبته فمات من ذلك فقال الناس قتله سلاحه وفي رواية قتل نفسه أي فليس بشهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وفي رواية قال سلمة بن الاكوع رضي الله عنه يا رسول الله فداك أبي وأمي زعموا أن عامرا حبط عمله وفي لفظ يزعم أسيد بن حضير وجماعة من أصحابك ان عامرا حبط عمله اذ قتل بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال ذلك أي أخطأ في قوله وان له أجرين وجمع بين أصبعيه انه لجاهد مجاهد والجاهد الجاد في أمره فلما قام به وصفان كان له أجران وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا أي قرب منها فنام هو وأصحابه دونها ثم ركبوا اليها بكرة فصبحوها بالقتال وكان صلى الله عليه وسلم اذا أتى قوما بليل لم يغزهم أي لم يسرع بالهجوم عليهم حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف عنهم والا أغار عليهم فلما أتى خيبر أصبح ولم يسمع أذانا فركب وفي رواية لابن اسحاق أنه صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لاصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك

من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا باسم الله وكان يقول هذه الكلمات لكل قرية دخلها فلما أصبح خرجت اليهود الى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم وحكى الواقدى ان أهل خيبر سمعوا بقصده صلى الله عليه وسلم لهم فكانوا يخرجون فى كل يوم عشرة آلاف مقاتل متسلحين مستعدين صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات حتى اذا كان الليلة التى قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فخرجوا بالمساحى طالبين مزارعهم فوجدوا المسلمين فلما رأوهم قالوا محمد والله والخميس أى جاء محمد أو هذا محمد والله والخميس أى الجيش فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا وفى التنزيل اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا والثلاثة مبدأ الكثرة وصلى الصبح بغلس ثم دفع رايته العقاب الى الحباب بن المنذر رضى الله عنه ودفع راية لسعد بن عبادة رضى الله عنه وذكر ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم نزل بواد يقال له الرجيع بينهم وبين غطفان لئلا يمدوهم وكانوا حلفاءهم وان غطفان تجهزوا وقصدوا خيبر فسمعوا حسا خلفهم فظنوا ان المسلمين خلفوهم فى ذراريهم فرجعوا وأقاموا وخذلوا أهل خيبر أى تركوهم وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير يقولون الله أكبر لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم أى ارفقوا بأنفسكم لا تبالغون فى رفع أصواتكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وجاء ان عبد الله بن أبى بن سلول أرسل الى يهود خيبر يقول لهم ان محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم وأدخلوا أموالكم الى حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه ان عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا قليل وانما قال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر لانه لما رأى آلة الهدم وهى المساحى والمكاتل تفاءل بأن حصونهم ستخرب ويحتمل ان الله أعلمه بذلك بالوحى وهو الاصح وكان يهود خيبر أدخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة فى حصون النطاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم نزل قريبا من حصون النطاة فجاءه الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقال يارسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان هو الرأى تكلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرأى فقال يارسول الله ان أهل النطاة لى بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون فى حمر النخل أى النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يارسول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأى اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد وقال يارسول الله وجدت لك منزلا فقال صلى الله عليه وسلم على بركة الله وتحول لما أمسى وأمر الناس بالتحول وفى لفظ ان راحلته قامت تجر بزمامها فادركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من

الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة وتحول الناس اليها
واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وكان ذلك الموضع حائلا بين أهل خيبر وغطفان وابتنى هنالك
مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر وأمر بقطع نخيل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون فى قطعها
حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها وقاتل صلى الله
عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب
وفى يده قناة وترس وما قيل انه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته
اكاف من ليف فلعله كان فى الطريق أما حال الحرب فانه ركب ذلك الفرس وألح على حصن
ناعم بالرمى وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل وهو صلى الله عليه وسلم يقاتل هو وأصحابه
ودفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم
يصنع شيئا وخرجت كتائب يهودية امامهم رجل منهم يقال له ناشر فكشف الانصار حتى انتهى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى
مهموما وفى ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضى الله عنهما برحى ألقيت عليه من
ذلك الحصن ألقاها عليه مرحب اليهودى وقيل كنانة بن الربيع اليهودى ويحتمل أنهما
اجتمعا فى ذلك وكان محمود بن مسلمة قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا
فانحاز الى ظل ذلك الحصن فألقى عليه حجر الرحى فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه
على وجهه وندرت عينه فأدركه المسلمون فأتوا به النبى صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة
الى مكانها وعصبه بخرقة فمات من شدة الجراحة فجاء أخوه محمد بن مسلمة رضى الله عنه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اليهود قتلوا أخى محمود بن مسلمة فقال صلى الله عليه
وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به فاذا لقيتموهم فقولوا
اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم أنت ثم الزموا الارض جلوسا
فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا ومكث صلى الله عليه وسلم سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة
يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان رضى الله عنه فاذا
أمسى رجع الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوى جرحه وكان
يناوب بين أصحابه فى حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر رضى
الله عنه فطاف عمر رضى الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم فأتى برجل من يهود خيبر فى
جوف الليل فأمر عمر رضى الله عنه بضرب عنقه فقال اذهب بى الى نبيكم حتى أكلمه فأمسك
عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلى فسمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلام عمر رضى الله عنه فلما سلم من صلاته أدخله عليه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لليهودى ما وراءك قال تؤمننى يا أبا القاسم قال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم
يتسللون من الحصن فى هذه الليلة قال فأين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤن

للقتال والمراد ما أبقوه من ذراريهم فلا ينافي ما تقدم انهم أدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة وأخبره أن في هذا الحصن يعني حصن الصعب من حصون النطاة في بيت فيه تحت الارض منجنيقا ودبابات ودروعا وسيوفا فاذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودي ان شاء الله أوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيري وأخرى قيل وماهي قال تخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال يا أبا القاسم احقن دمي قال أنت آمن قال ولي زوجة فهبها لي قال هي لك ثم دعاه الى الاسلام فقال أنظرني وكان صلى الله عليه وسلم تأخذه الشقيقة في بعض تلك الايام فيبعث أناسا من أصحابه فلم يكن فتح ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه لاعطين الراية غدا الرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يولي الدبر يفتح الله عز وجل على يديه فيمكنه الله من قاتل أخيك وعند ذلك لم يكن أحد من الصحابة له منزلة عند النبي صلى الله عليه وسلم الا ورجا أن يعطاها وفي رواية فبات الناس يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوان يعطاها وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال ما أحببت الامارة الا ذلك اليوم ويروى ان عليا رضي الله عنه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم الى علي رضي الله عنه وكان أرمد شديد الرمد وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم انه يشتكي عينيه فقال من يأتيني به فذهب اليه سلمة بن الاكوع رضي الله عنه وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب عينيه فعقد له لواءه الابيض قال ابن اسحاق لم تكن الرايات الا يوم خيبر فانه صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ بين أبي بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضي الله عنهم وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة رضي الله عنها وفي سيرة الحافظ الدمياطي وكانت له راية سوداء وفي رواية بيضاء وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة في ذلك اللواء ولعل هذا اللواء الذي فيه الاسود هو المعني بما جاء في بعض الروايات كان له لواء أبيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله أي بالسواد فلا تنافي بين الروايات فقال علي يا رسول الله اني أرمد كما ترى لا أبصر موضع قدمي فوضع رأسه في حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق صلى الله عليه وسلم في عينيه وفي رواية فتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع وقال علي رضي الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفي رواية فما رمدت ولا صدعت وفي لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفي هذا السياق لطيفة وهو أن من طلب شيئا أو تعرض لطلبه يحرمه غالبا وأن من لم يطلب الشئ ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه ذلك

أخرعنه سنة أى و بعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده سيفه وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه كلة من استبرق وفوض اليه أمر مصر وقد قيل لو دمت قلت ودمت من السماء لا تقع الا على رأس من لا يريدها ثم دعا النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه وكرم وجهه بقوله اللهم اكفه الحر والبرد قال على رضى الله عنه فما وجدت بعد ذلك لا حرا ولا بردا فكان رضى الله عنه يلبس فى الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس فى البرد الشديد الثوبين الخفيفين وفى لفظ الثوب الخفيف فلا يبالى بالبرد وكان يفعل ذلك اظهارا لهذه المعجزة وتحقيقا لها وقد يخالف ذلك ماحكاه بعضهم قال دخل رجل على على رضى الله عنه وهو يرعد تحت سمل قطيفة أى قطيفة خلقة فقال يا أمير المؤمنين ان الله جعل لك فى هذا المال وأنت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لا أرزأ كم من مالكم فانها القطيفة التى خرجت بها من المدينة وقد يقال لا مخالفة لجواز أن تكون رعدته تلك لحمى أصابته فى ذلك الوقت لا لشدة البرد كما ظنه السائل وقد أشار صاحب الهمزية الى زوال رمد على رضى الله عنه ببركة ريق النبى صلى الله عليه وسلم بقوله

وعلى لما تفلت بعينيه وكلتاهما معا رمداء
فغدا ناظرا بعينى عقاب * فى غزاة لها العقاب لواء

ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم أعطى عليا رضى الله عنه الراية ليذهب للقتال فقال على رضى الله عنه أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فى الاسلام فان لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وفى رواية قال على كرم الله وجهه علام أقاتلهم قال على أن يشهدوا أن لا اله الا الله وانى رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم وفى رواية لما أعطاه الراية قال له امش ولا تلتفت فسار شيئا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يارسول الله علام أقاتلهم قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله * وعن حذيفة رضى الله عنه قال لما تهيأ على رضى الله عنه يوم خيبر للحملة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على والذى نفسى بيده ان معك من لا يخذلك هذا جبريل عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فأبشر بالرضوان والجنة يا على انك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطى الراية كل يوم واحدا من أصحابه ويبعثه فبعث أبا بكر رضى الله عنه فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الغد فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من الانصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح فقال عليه الصلاة والسلام لأعطين الراية أى اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه كرارا غير فرار فدعا عليا رضى الله عنه وهو أرمد فتفل فى عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ودعا له ومن

معه بالنصر وفي رواية ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار الذي هو سيفه في وسطه وأعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج علي رضي الله عنه يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت قال علي بن أبي طالب قال اليهودي علوتم والتوراة التي أنزل الله على موسى ثم خرج اليه أهل الحصن وكان أول من خرج اليه الحارث أخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون ووثب علي رضي الله عنه عليه فتضاربا وتقاتلا فقتله علي رضي الله عنه وانهزم اليهود الى الحصن ثم خرج اليه مرحب وفي رواية ان مرحبا لما علم ان أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن وقد لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا وحجرا قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة اسنان وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب * اذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له علي رضي الله عنه وهو يقول

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره * أكيلكم بالسيف كيل السندره

ثم حمل مرحب على علي رضي الله عنه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي رضي الله عنه بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده وراء ظهره وكان طول الباب ثمانين شبرا ولم يحركه بعد ذلك سبعون رجلا الا بعد جهد ففيه دلالة على فرط قوة علي وكمال شجاعته رضي الله عنه وعن أبي رافع رضي الله عنه لقد رأيتني في سبعة نجهد على أن نقلب ذلك الباب فلم نقدر رواه ابن اسحاق والبيهقي والحاكم وعن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن جابر رضي الله عنهم ان عليا رضي الله عنه حمل الباب يوم خيبر وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا رواه البيهقي وفي رواية للبيهقي ان عليا رضي الله عنه لما انتهى الى الحصن المسمى القموص اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلا فكان جهدهم أن أعادوا الباب مكانه وهذا لا يعارض رواية أربعين لانهم عالجوا حمله فاقدروا وانما تكاملوا سبعين وأما الرواية السابقة التي فيها لقد رأيتني في سبعة فقال الحافظ ابن حجر الجمع بينها وبين رواية الاربعين ان السبعة عالجوا قلبه والاربعين عالجوا حمله والفرق بين الامرين ظاهر ولو لم يكن الا باختلاف حال الابطال ثم ان عليا رضي الله عنه ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذي تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف في الاضراس والى ذلك أشار بعضهم وقد أجاد بقوله

وشادن أبصرته مقبلا * فقلت من وجدي به مرحبا
قد فؤادي في الهوى قده * قد علي في الوغى مرحبا

وما ذكر من قتل علي رضي الله عنه لمرحب هو الصحيح المروي في صحيح مسلم وغيره وذكر بعض أهل السير ان الذي قتل مرحبا محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقال ان مرحبا طلب المبارزة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه أنا يا رسول الله فان أخي

قتل بالامس ولم يأخذ أحد بثاره وكان الذي قتله مرحب فقال قم اليه اللهم أعنه عليه فقام اليه وبارزه فضربه مرحب فاتقى محمد بن مسلمة ضربته بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت عليه وأمسكته فضربه محمد بن مسلمة فقتله وفي رواية فضربه في ساقه فيحتمل انه بارزه وضربه في ساقه وعلي رضي الله عنه هو الذي قتله وقيل ان الذي قتله محمد بن مسلمة انما هو الحارث أخو مرحب فاشتبه على بعض الرواة وكان مكتوبا على سيف مرحب هذا سيف مرحب من يصبه يعطب وقول علي رضي الله عنه * أنا الذي سمتني أمي حيدره * أراد بذلك اعلام مرحب برؤيا يقرآها عليا على رضي الله عنه مكاشفة وذلك ان مرحبا رأى تلك الليلة مناما ان أسدا افترسه فأشار بقوله حيدره وهو من أسماء الاسد الى انه الاسد الذي يفترسه فلما سمع ذلك مرحب ارتعد وضعفت نفسه وهذا الاسم سمت عليا به أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم أرادت أن يكون اسم ابنها كاسم أبيها وكان أبو طالب غائبا فلما قدم كره ذلك الاسم وسماه عليا وقيل ان عليا كان يلقب بحيدرة وهو صغير والحيدرة الغليظ القوي فلقب به لكونه كان عظيم البطن ممتلئا لحما ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبراني ياسر * شاكي السلاح بطل مغادر

وكان أيضا من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضي الله عنه فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها وكانت مع القوم وهي عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله انه يقتل ابني فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله تعالى فقتله الزبير وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فداك عم وخال لكل نبي حواري وحواري الزبير وذكر الزمخشري ان هذه الواقعة للزبير كانت في بني قريظة قال انه يعني الزبير أول من استحق السلب وكان ذلك في بني قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يازبير فقالت أمه صفية رضي الله عنها واحدي يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أيهما علا صاحبه قتله فعلاه الزبير رضي الله عنه فقتله فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه وقال السلب للقاتل هذا كلامه قال الحلبي فليتأمل فاني لم أقف في كلام أحد على ان بني قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة وفي رواية ان القاتل لياسر علي بن أبي طالب ويمكن الجمع بمثل ما تقدم من انهما اشتركا في ذلك وكان من جملة قتلى المسلمين الاسود الراعي كان أجير الرجل من اليهود يرعى له غنما وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم وقيل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يارسول الله أعرض علي الاسلام فعرضه عليه فاسلم وفي رواية قال ان اسلمت ماذا لي قال الجنة فأسلم فلما أسلم قال يارسول الله اني كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها وفي رواية انها أمانة وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك قال اضرب في وجوهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فأخذ حفنة من حصى فرمى به وجوهها وقال ارجعي الى صاحبك فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى

دخلت الحصن ثم تقدم ذلك الاسود فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر وفي رواية سهم فقتله ولم يسجد لله سجدة فأتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه فاعرض عنه فقالوا يارسول الله لم أعرضت عنه قال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان ترب الله من ترب وجهك وقتل من قتلك زاد في لفظ لقد اكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام من نفسه حقا ثم ان الله تعالى فتح ذلك الحصن وهو حصن ناعم وهو أول حصن من حصون النطاة على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن يزيد بن أبي عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضي الله عنه فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة أصابتني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة رواه البخاري وفي البخاري أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في رجل ممن يدعي الاسلام انه من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب أي يشك في قوله صلى الله عليه وسلم انه من أهل النار فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها اسهما فنحر نفسه فاشتد رجل من المسلمين وهو اكثم الخزاعي فقال يارسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال صلى الله عليه وسلم قم يابلال فأذن في الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي رواية عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا فمال الى عسكره ومال الآخرون الى عسكرهم وفي أصحابه رجل لايدع لهم شاذة ولا فاذة الا اتبعها يضربها بسيفه فقيل ما اجزى أحدنا اليوم كما أجزى فلان فقال صلى الله عليه وسلم أما انه من اهل النار فقال رجل من القوم أنا صاحبه فخرج معه كلما وقف وقف معه واذا أسرع أسرع معه فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك رسول الله قال وماذاك قال الرجل الذي ذكرت آنفا انه من النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها وانما الاعمال بالخواتيم وقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الرجل انه من أهل النار يحتمل أن يكون ذلك لنفاق في قلبه أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليه أولانه يرتد بعد ذلك ويستحل قتل نفسه قال العلماء هذا الرجل أعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم انه نفذ عليه الوعيد بالنار ولا يلزم منه أن كل من قتل نفسه يقضى عليه بالنار بل يحتمل ان هذا الرجل حين أصابته الجراحة ارتاب وشك في

الايمان أو استحل قتل نفسه فمات كافرا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وجاء في رواية أن الذي نادى بلال وفي أخرى عمر بن الخطاب وفي أخرى عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهم قال الحافظ ابن حجر يجمع بأنهم نادوا جميعا في جهات مختلفة ثم انه وقع اختلاف بين رواية أبي هريرة وسهل بن سعد رضي الله عنهما في بعض الالفاظ فقيل ان القصة متعددة في موطنين لرجلين مختلفين وقيل انها قصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة وسيأتي ان أبا هريرة رضي الله عنه لم يحضر قتال خيبر انما جاء عند قسم غنائمها فلعله سمع القصة من بعض الصحابة رضي الله عنهم ولم يزل القتال بين المسلمين واليهود والمسلمون يفتحون حصونهم حصنا بعد حصن حتى أتموها وقتل من اليهود ثلثمائة وتسعون واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلا وقيل أربع وثلاثون وفتح الله حصون اليهود حصنا حصنا وهي النطاة وبها حصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير بن العوام نسب اليه لكونه صار في سهمه بعد وكان في قلة جبل والشق والقموص وحصن البرى وحصن أبي والوطيح والسلالم وهو حصن ابن أبي الحقيق وأخذ صلى الله عليه وسلم كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك أي جلد حمار فلما كثر جعلوه في مسك ثور فلما كثر جعلوه في مسك جمل وكانوا قد غيبوه في خربة فدل الله رسوله صلى الله عليه وسلم عليه فأخبر بموضعه وكان من مال بني النضير الذي حمله حيي بن أخطب لما أجلي عن المدينة روى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان أهل خيبر شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يكتموه شيئا فان فعلوا فلا ذمة لهم فأتى بكنانة والربيع فقال لهما ما فعل مال حيي الذي جاء به من بني النضير قالا أذهبته الحروب والنفقات فقال العهد قريب والمال أكثر وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم أتى بكنانة وأخيه الربيع وابن عمهما فقال أين آنيتكم التي كنتم تعيرونها أهل مكة قالوا هربنا فلم تزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى فذهب منا كل شيء فقال ان كتمتماني شيئا فاطلعت عليه استحللت به دماءكما وذراريكما فقالا نعم فدعا رجلا من الانصار فقال اذهب الى نخل كذا وكذا فانظر نخلة مرفوعة فأتني بما فيها فجاءه بالآنية والاموال فقومت بعشرة آلاف دينار فضرب عنقهما وسبى أهليهما بالنكث الذي نكثاه وفي رواية أن كنانة جحد أن يكون يعلم مكان الكنز فدفعه صلى الله عليه وسلم الى الزبير فمسه بعذاب فقال رأيت حييا يطوف في خربة ههنا ففتشوها فوجدوا المسك فقتل ابن أبي الحقيق وأصاب المسلمين مجاعة قبل فتح الحصون وأرسلت أسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بن حارثة وأمرته أن يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أسلم يقرؤنك السلام ويقولون أجهدنا الجوع فلامهم رجل وقال من بين العرب تصنعون هذا فقال هند بن حارثة أخو أسماء والله اني لارجو أن يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير فجاءه أسماء وبلغه مقالة أسلم فدعا لهم أي قال اللهم انك قد عرفت حالهم وان ليست بهم قوة وان ليس بيدي شيء أعطيهم اياه وقال اللهم افتح أكثر

الحصون طعاما وودكا ودفع اللواء للحباب بن المنذر وندب الناس ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم بعد ان أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر أكثر طعاما منه من شعير وتمر وودك أي سمن وزيت وشحم وماشية ومتاع وكان بهذا الحصن خمسمائة مقاتل وقيل فتح فخرج منهم رجل يقال له يوشع مبارز فخرج له الحباب فقتله الحباب فخرج آخر يقال له الديال فبرز له عمارة بن عقبة الغفاري فقتله وقال خذها وانا الغلام الغفاري فقال الناس حبط جهاده فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب بن المنذر رضي الله عنه فحض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد فأقبلوا وزحف بهم الحباب فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن وغيرها شيئا كثيرا ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واعلفوا ولا تحملوا أي لا تخرجوا به الى بلادكم وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال أصبت من فيء خيبر أي غنيمتها جرابا فاحتملته على عنقي أريد رحلي فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها وهو أبو اليسر كعب بن زائد الانصاري رضي الله عنه فأخذ بناصيتي وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين فقلت لا والله لا أعطيك فجعل يجاذبني الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب الغنائم لا أبا لك خل بينه وبينه فأرسلني فانطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه وكل الحصون فتحت عنوة الا حصن الوطيح وحصن سلالم فانه مامكث المسلمون على حصارهما أربعة عشر يوما فلم يخرج أحد منهم فهم صلى الله عليه وسلم أن يحمل عليهم وان ينصب عليهم المنجنيق فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وان لا يصحب أحد منهم الا ثوبا واحدا فصالحهم على ذلك وعلى أن ذمة الله تعالى ورسوله بريئة منهم ان كتموه شيئا فتركوا مالهم من أرض ومال وصفراء وبيضاء والكراع والحلقة والبز الا ثوبا واحدا فمن قال ان خيبر فتحت عنوة حمل على غير هذين الحصنين ومن قال صلحا حمل على هذين ووجدوا في الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها ووجدوا في أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم ثم جمع السبي فجاء دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه فقال يا رسول الله أعطني جارية فقال له صلى الله عليه وسلم اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي وكانت امرأة حسناء فتنافس الناس فيها فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أعطيت دحية صفية سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها فأخذ أخت كنانة بن الربيع بن أبي

الحقيق زوج صفية وكانت صفية بنت حيي من سبط هارون أخي موسى عليهما السلام فاصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه ثم أعتقها وتزوج بها وفي المواهب وانما أخذ صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت ملك من ملوكهم قال الحافظ ابن حجر ولد صفية مائة نبي ومائة ملك ثم صيرها الى نبيه صلى الله عليه وسلم وليس ممن توهب لدحية لكثرة من في الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها نسبا وجمالا فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها فان في ذلك رضا الجميع وكانت صفية قبل ذلك رأت أن القمر وقع في حجرها فذكرت ذلك لابيها فلطم وجهها وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكوني عند ملك العرب فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتى بها صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فأخبرته وأخرج ابن أبي عاصم عن أبي برزة رضي الله عنه قال لما نزل صلى الله عليه وسلم خيبر كانت صفية عروسا فرأت في المنام ان الشمس نزلت حتى وقعت في صدرها فقصت ذلك على زوجها فقال ما تمنين الا هذا الملك الذي نزل بنا ولا تنافي لامكان رؤيتها القمر أولا ثم الشمس ثانيا فأخبرت بالمنام الاول أباها وبالثاني زوجها * وفي هذه الغزوة سمت اليهودية الشاة للنبي صلى الله عليه وسلم وأهدتها اليه واسمها زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر واطمأن صلى الله عليه وسلم بعد فتحها أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فلاك منها مضغة ثم لفظها حين أخبره العظم أنها مسمومة وازدرد بشر بن البراء لقمة فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ارفعوا أيديكم ثم قال اجمعوا الى من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقوني عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم فقال من أبوكم فقالوا أبونا فلان أي وانتسبوا الى غير أبيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم قال هل أنتم صادقوني عن شئ ان سألتكم عنه قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم صلى الله عليه وسلم من أهل النار قالوا نكون فيها زمانا يسيرا ثم تخلفوننا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لن نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقوني عن الشئ ان سألتكم عنه فقالوا نعم قال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا أن نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وفي رواية أرسل صلى الله عليه وسلم الى اليهودية فقال هل سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتني هذه في يدي مشير الذراع قالت نعم قال لها ما حملك على ذلك قالت ان كنت نبيا يطلعك الله وان كنت كاذبا فأريح الناس منك وقد استبان لي أنك صادق وأنا أشهدك ومن حضرك اني على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي من أصحابه الذين أكلوا معه بشر بن البراء رضي الله عنه واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله

من أجل الذى أكل من الشاة وفى رواية أن اليهودية قبل ان تضع السم جعلت تسأل أى
أجزاء الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها الذراع فعمدت الى شاة لها
فذبحتها ثم عمدت الى سم يقتل من ساعته بعد أن شاورت يهود على سموم متعددة فعينوا لها هذا
السم فسمت الشاة وأكثرت فى الذراعين والكتف وجاء ان بشر بن البراء مات بعد حول من
تلك الاكلة بسبب ذلك السم فدفع صلى الله عليه وسلم تلك اليهودية لاولياءه فقتلوها فيه وبهذا
يجمع بين الروايات المختلفة فان فى بعضها أنه صلى الله عليه وسلم لم يعاقب تلك اليهودية وفى بعضها
انه قتلها فيحمل على قتلها قصاصا فى بشر بن البراء وما كان صلى الله عليه وسلم ينتقم لنفسه بل
يعفو ويصفح وبعد فتح خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ومن معه من
المسلمين وهم ستة عشر رجلا فتلقى النبى صلى الله عليه وسلم جعفرا وقبل جبهته وعانقه وقام له وقد
قام لصفوان بن امية لما قدم عليه ولعدى بن حاتم رضى الله عنهما ثم قال صلى الله عليه وسلم
ما أدرى بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضى الله عنه
أشبهت خلقى وخلقى فرقص رضى الله عنه من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم
رقصه وجعل ذلك أصلا لرقص الصوفية عند ما يجدون من لذة المواجيد فى مجالس الذكر
والسماع وقدم من الحبشة مع جعفر رضى الله عنه ابوموسى الاشعرى رضى الله عنه وجماعة
من قومه ففى البخارى ومسلم عن أبى موسى رضى الله عنه قال بلغنا مخرج النبى صلى الله عليه وسلم
ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين أنا وأخوان لى أنا أصغرهم أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم
فى ثلاث أو اثنين وخمسين رجلا من قومى فركبنا سفينة فألقتنا الى النجاشى فوافقنا جعفر بن
أبى طالب فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هنا وأمرنا بالاقامة فأقيموا معنا فأقمنا
معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فاسهم لنا ولم يسهم
لاحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا الا لمن شهدها معه الا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه فانه
قسم لهم معنا وكانت أسماء بنت عميس رضى الله عنها متزوجة بجعفر بن أبى طالب رضى الله
عنه وولدت له بالحبشة ابنه عبد الله وحين قدمت معه قال لها عمر رضى الله عنه سبقناكم
بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم فغضبت وذكرت ذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال
ليس باحق بى منكم له ولاصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان وعند البخارى فى
حديث طويل فى قصتهم وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال انى لاعرف أصوات رفقة الاشعريين
بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وقدم على النبى
صلى الله عليه وسلم فى هذه الايام أيضا أبو هريرة رضى الله عنه وطائفة من قومه قال أبو هريرة
رضى الله عنه قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة
الغفارى رضى الله عنه فأخبرنا ان النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر فزودنا سباع ثم جئنا خيبر وهو
محاصر للكتيبة فأقمنا حتى فتح الله وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم حجاج بن علاط السلمى

وأسلم وكان مكثرا من المال فقال يارسول الله ان لى عند امرأتى بمكة ومتفرق فى تجار مكة فأذن لى ان آتى مكة لآخذ مالى قبل أن يعلموا باسلامى فلا اقدر على أخذ شئ منه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لابد لى أن أقول أى خلاف الواقع لاحتال على التوصل لاخذ مالى قال قل قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر أهل القوة والمنعة بعدما وقع بينهم من المراهنة على مائة بعير فى ان النبى صلى الله عليه وسلم يغلب أهل خيبر أولا فقال حويطب بن عبد العزى وجماعة بالاول وقال عباس بن مرداس وجماعة بالثانى فلما جاءهم حجاج قالوا حجاج والله عنده الخبر ولم يكونوا علموا باسلامه ثم قالوا يا حجاج بلغنا ان القاطع يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر فقلت عندى من الخبر ما يسركم فاجتمعوا على يقولون يا حجاج ايه فقلت لم يلق محمد واصحابه قوما يحسنون القتال غير خيبر فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط وانهم اسر واممحمدا وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فنقتله بين أظهرهم وفى لفظ يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لاهل مكة قد جاءكم الخبر هذا محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال حجاج وقلت لهم أعينونى على غرمائى أريد ان أقدم فاصيب من مغانم محمد واصحابه قبل ان يسبقنى التجار الى ما هنالك فجمعوا الى مالى على أحسن ما يكون ثم فشا الخبر بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور بمكة وحزن من كان بمكة من المسلمين وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فجعل لا يستطيع ان يقوم ثم أرسل الى حجاج غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله أعلى وأجل من ان يكون الذى جئت به حقا فقال له حجاج اقرأ على أبى الفضل السلام وقل له ليخل لى بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره واكتم عنى فأقبل الغلام فقال أبشر يا أبا الفضل فوثب العباس فرحا كان لم يكن مسه شئ وأخبره بذلك واعتق العباس ذلك الغلام وقال لله على عتق عشر رقاب فلما كان الظهر جاءه حجاج فناشده الله ان يكتم عنه ثلاثة أيام وقال انى أخشى الطلب فاذا مضت الثلاث فأظهر أمرك فوافقه العباس رضى الله عنه على ذلك فقال انى اسلمت وان لى عند امرأتى مالا ودينا على الناس ولو علموا باسلامى لم يدفعوه الى وانى تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيى بن أخطب وقتل ابن أبى الحقيق وأخبره الخبر بتمامه فلما امسى حجاج خرج وطالت على العباس رضى الله عنه تلك الليالى الثلاث فلما مضت الثلاث عمد العباس رضى الله عنه الى حلة فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيبا ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون لا يصيبك الاخير يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والله الذى حلفتم به لم يصبنى الاخير بحمد الله أخبرنى حجاج ان خيبر فتحها الله على يد رسوله وجرى فيها سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت ملكهم حيى بن أخطب لنفسه وانه تركه

عرو بها وانما قال ذلك ليخلص ماله والا فهو ممن أسلم فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون يا عباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاجا أما والله لو علمنا له كان لنا وله شأن ولم يلبثوا ان جاءهم الخبر بذلك وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فأعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة أسهم بعد ان خمسها خمسة اجزاء ثم دفع صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر الأرض ليعملوا فيها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع وقال لهم انا اذا شئنا ان نخرجكم أخرجناكم ثم استمروا على ذلك الى خلافة عمر رضي الله عنه ووقعت منهم خيانة وغدر ببعض المسلمين فاجلاهم الى الشام بعد ان استشار الصحابة رضي الله عنهم في ذلك والله أعلم

﴿غزوة وادي القرى﴾

اسم موضع بقرب المدينة كان به جماعة من اليهود روى ابن اسحاق عن أبي هريرة رضي الله عنه لما انصرفنا من خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتينا وادي القرى نزلنا ها أصلا مع غروب الشمس وحاصرهم صلى الله عليه وسلم أربعة أيام وهيأ صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة رضي الله عنه وراية الى الحباب بن المنذر رضي الله عنه وراية الى سهل بن حنيف رضي الله عنه وراية الى عباد بن بشر رضي الله عنه ثم دعاهم الى الاسلام وأخبرهم انهم ان اسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم فقتله الزبير رضي الله عنه ثم آخر فقتله الزبير أيضا ثم آخر فقتله علي رضي الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة رضي الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة أيضا حتى قتل منهم احد عشر رجلا كلما قتل رجل دعا من بقي الى الاسلام حتى أعطوا ما بأيديهم وفتحها صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وقسم ما أصابه على أصحابه وترك الارض والنخل بأيدي يهود وعاملهم عليها وولاها صلى الله عليه وسلم عمرو بن سعيد بن العاص وصالحه صلى الله عليه وسلم أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادي القرى وولاها صلى الله عليه وسلم يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه وكان اسلامه يوم فتحها وتيماء بلدة معروفة بين المدينة والشام على سبع مراحل من المدينة وصالحه أيضا أهل فدك على ان لهم نصفها وله صلى الله عليه وسلم نصفها فاقرهم على ذلك فكانت له صلى الله عليه وسلم خاصة لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وقدم بعض أهل السيرة مصالحة أهل فدك على غزوة وادي القرى لانه صالحهم بعد ان فتح خيبر ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة منصورا مؤيدا والله أعلم

﴿ذكر خمس سرايا بين خيبر وعمرة القضاء﴾

﴿سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه﴾

الى تربة بضم التاء وفتح الراء وبالموحدة وتاء التانيث واد بقرب مكة على يومين منها ناحية

العبلاء وهو موضع على أربع ليال من مكة وكانت فى شعبان سنة سبع بعث صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعه ثلاثون رجلا فكان يسير الليل و يكمن النهار فأتى الخبر الى هوازن الى الطائفة التى كانت منهم بتربة فهربوا وجاء عمر رضى الله عنه الى محالهم فلم يلق منهم أحدا بل ترفعوا وأخذوا سائر مالهم من نعم وغيرها فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بذى الجدر موضع على ستة أميال من المدينة قال له رجل من بنى هلال هل لك فى جمع آخر تركته من خثعم سائرين قد أجدبت بلادهم فقال عمر رضى الله عنه لم يأمرنى صلى الله عليه وسلم بهم انما أمرنى أن أعمد لقتال هوازن بتربة

﴿ثم سرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه﴾

الى بنى كلاب قبيلة بنجد بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء وكانت فى شعبان أيضا سنة سبع ويقال الى بنى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء وقتل من قتل منهم ورأيت الذرارى فخشيت أن يسبقونى الى الجبل فأدركتهم فرميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهى أم قرفة عليها قشع من أدم ومعها ابنتها من أحسن العرب فجئت بهم أسوقهم الى أبى بكر رضى الله عنه فنفلنى أبو بكر ابنتها فلم أكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقينى صلى الله عليه وسلم فقال يا سلمة هب لى المرأة لله أبوك فقلت هى لك فبعث بها الى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين قال بعضهم ان تسمية المرأة بأم قرفة وهم لان ذلك انما كان فى سرية زيد بن حارثة كما تقدم والله أعلم

﴿ثم سرية بشير بن سعد﴾

الانصارى الخزرجى رضى الله عنه الى بنى مرة بفدك فى شعبان أيضا سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فلما وصلوا الى محل القوم لقوا رعاء الشاء فسألوهم عن الناس فقالوا هم فى بواديهم والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماء فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركه العدد الكثير منهم عند الليل فباتوا يرمونه بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير فأصيبوا وولى منهم من ولى وقاتل بشير حتى جرح وصار به رمق فضربوا كعبه اختبارا لحاله أهو حى أم ميت فلما لم يتحرك قالوا قد مات ورجعوا بنعمهم وشائهم وقدم علبة بن زيد رضى الله عنه بخبرهم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد وذلك انه استمر فى القتلى حتى أمسى فلما أمسى تحامل حتى انتهى الى فدك فأقام عند يهود بها أياما حتى ارتفع من الجراح ثم رجع الى المدينة

﴿ثم سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه﴾

الى

الى أهل الميفعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة فى شهر رمضان سنة سبع من الهجرة فى مائة وثلاثين راجلا وقيل فى مائتين وثلاثين فهجموا عليهم فى وسط محالهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة وفى هذه السرية قتل اسامة بن زيد رضى الله عنهما نهيك بن مرداس الاسلمى وقيل الغطفانى بعد أن قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أسامة من لك بلا اله الا الله فقال يارسول الله انما قالها تعوذا من القتل قال هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال اسامة لا أقاتل أحدا يشهد أن لا اله الا الله وفى رواية ان قوم مرداس لما انهزموا بقى وحده وكان ألجأ غنمه لجبل فلما لحقوه قال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد رضى الله عنهما فلما رجعوا نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا الآية وقيل ان ذلك فى سرية أخرى سنة ثمان كان أسامة هو أميرها وانه لما قدم المدينة قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا اسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قال اسامة قلت يارسول الله انما كان متعوذا فما زال يكررها أى قوله أقتلته الخ حتى تمنيت انى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أى لان الاسلام يجب ما قبله فقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم دفع لاهل القتيل ديته وأمر اسامة أن يعتق رقبة والله أعلم

﴿ثم سرية بشير بن سعد أيضا﴾

الانصارى رضى الله عنه الى يمن وجبار وهى أرض لغطفان ويقال لفزارة وكانت فى شوال سنة سبع من الهجرة بعثه صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا بأرض غطفان واعدهم عيينة بن حصن للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا وأصاب لهم نعما كثيرة فغنمها ثم انهم اجتمع عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم ثم انهزم جمع عيينة وتبعهم المسلمون فأسروا منهم رجلين وقدموا بهما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما فأرسلهما والمناوشة تدانى الفريقين وأخذ بعضهم بعضا

﴿عمرة القضاء﴾

قال موسى بن عقبة قال ابن شهاب انه صلى الله عليه وسلم خرج فى هلال ذى القعدة سنة سبع معتمرا وأمر أصحابه أن يعتمروا وقضاء لعمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية وأمر أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معهم غيرهم أيضا فكانوا ألفين سوى النساء والصبيان واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفارى رضى الله عنه وساق معه صلى الله عليه وسلم ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس وانما فعل ذلك احتياطا وتوثقا خوفا من غدر أهل مكة فلما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل امامه عليها محمد ابن مسلمة رضى الله عنه وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد رضى الله عنه وأحرم صلى الله عليه

عليه وسلم وسلك طريق الفرع ولبى ولبى المسلمون معه وبعث محمد بن مسلمة فى الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله تعالى فأتوا قريشا فأخبروهم ففزعوا وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد فى أصحابه وبعثوا مكرز بن حفص فى نفر من قريش حتى لقوه صلى الله عليه وسلم ببطن يأجج فى أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحق فقالوا والله ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل الا بسلاح المسافر فقال انى لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز هو الذى تعرف به البر والوفاء ثم رجع بأصحابه الى مكة فقال ان محمدا على الشرط الذى شرط لكم ونزل صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن يأجج موضع على أميال من مكة وخلف عليه أوس بن خولى الانصارى رضى الله عنه فى مائتى رجل حتى قضى الكل مناسك عمرتهم رضى الله عنهم وخرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال ولم يقدروا على رؤيته صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يطوفون بالبيت وفى رواية خرجوا استنكافا أن ينظروا اليه صلى الله عليه وسلم غيظا وحنقا أى حسدا وقدم صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه بذى طوى وخرج راكبا ناقته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل من الثنية التى تطلعه على الحجون وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه آخذ بزمام راحلته يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله ✱ اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ✱ ويذهل الخليل عن خليله
قد أنزل الرحمن فى تنزيله ✱ بان خير القتل فى سبيله
نحن قتلناكم على تأويله ✱ كما قتلناكم على تنزيله
يا رب انى مؤمن بقيله ✱ انى رأيت الحق فى قبوله

فقال له عمر رضى الله عنه يا ابن رواحة أبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال له صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى أى هذه الابيات أى نكايتها فيهم أسرع من نضح النبل وقيل ان قوله نحن ضربناكم على تأويله الخ من قول عمار بن ياسر رضى الله عنهما يوم صفين ولا مانع من ان عبد الله بن رواحة قال ذلك أولا وتمثل به عمار يوم صفين ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن رواحة رضى الله عنه قل لا اله الا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها ابن رواحة ثم قالها الناس وفى أمره بذلك زيادة اغاظة للكفار لتأذيهم بها أكثر من الشعر المذكور لاسيما وقد قالوها كلهم معلنين بها ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على ناقته وفى رواية ماشيا وهرول ثلاثة أشواط والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم وفى البخارى

ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال
المشركون انه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يرملوا
الاشواط الثلاثة ليرى المشركون قوتهم فقالوا هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى وهنتهم هؤلاء
أجلد من كذا وكذا انهم لينفرون نفر الظبي والمشركون كانوا على جبل قعيقعان فأمرهم
أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم قريش لانهم انما يرونهم اذا كانوا بين الركنين الشاميين
ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته وبعد فراغه نحر هديه عند المروة وحلق
هنالك ثم أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا الى أصحابه ببطن يأجج يقيمون على السلاح ويأتي
الآخرون ليقضوا نسكهم ففعلوا وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا كما شرطه قريش في
الهدنة فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاء سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى فقالا
ننشدك الله والعهد الا ما خرجت من أرضنا فرد عليهما سعد بن عبادة رضي الله عنه فأسكته
صلى الله عليه وسلم وأذن بالرحيل قال الحافظ ابن حجر كأنه دخل في أوائل النهار فلم تكمل
الثلاث الا في مثل ذلك الوقت من نهار الرابع بالتلفيق وكان مجيئهما قرب ذلك الوقت وفي
البخاري من حديث البراء فلما دخلها يعني مكة ومضى الاجل أي الايام الثلاثة أتوا عليا
رضي الله عنه فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم فتبعته ابنة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنها واسمها امامة أو عمارة أو سلمى أو غير
ذلك تنادي ياعم ياعم فتناولها علي رضي الله عنه وقال لفاطمة رضي الله عنها وهي في
هودجها دونك ابنة عمك وقال علي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم علام نترك ابنة
عمنا يتيمة بين ظهراني المشركين فلم ينهه فخرج بها ثم اختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة
رضي الله عنهم أي في انها تكون عند أيهم وكان ذلك بعد ان قدموا المدينة فقال علي رضي
الله عنه أنا أخذتها وأخرجتها من بين ظهراني المشركين وقال جعفر بن أبي طالب هي ابنة
عمي وخالتها أسماء بنت عميس تحتي وقال زيد بن حارثة هي ابنة أخي أي لان النبي صلى الله عليه
وسلم آخى بينه وبين حمزة رضي الله عنه فكان لكل فيها شبهة فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم
لخالتها وقال الخالة بمنزلة الأم وقال لعلي أنت مني وأنا منك تطييبا لخاطره وقال لجعفر
أشبهت خلقي وخلقي وقال لزيد أنت أخونا ومولانا وانما أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على
اخراجها مع اشتراط المشركين أن يردوا اليهم من جاء اليه وأن لا يخرج بأحد من أهلها لانهم
لم يطلبوها ولان النساء المؤمنات لم يدخلن في ذلك الشرط وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة رضي
الله عنها عند رجوعه وهو حلال بسرف وجاء في رواية أنه عقد عليها وهو محرم وبنى بها وهو
حلال قال المحققون ان ذلك وهم والصحيح الاول واختلف الناس في تسمية هذه العمرة عمرة
القضاء فقال مالك والشافعي والجمهور لانه قاضى قريشا سنة الحديبية فالمراد بالقضاء الفصل
الذي وقع عليه الحكم لا لانها قضاء عن العمرة التي صد عنها لانها لم تكن فسدت حتى يجب

قضاؤها بل كانت عمرة تامة وقال أبو حنيفة وأحمد فى رواية عنه ان من صد عن البيت فعليه القضاء فتسميتها قضاء على ظاهره والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر خمس سرايا قبل سرية مؤتة * سرية الاخرم﴾

ابن أبى العوجاء السلمى رضى الله عنه الى بنى سليم فى ذى الحجة سنة سبع فى خمسين رجلا فخرج اليهم فعلم بخروجه عين لبنى سليم فأخبرهم بخروجه اليهم وحذرهم فجمعوا لابن أبى العوجاء جمعا كثيرا فأتاهم وهم معدون له فدعاهم الى الاسلام فقالوا لا حاجة لنا الى ما دعوتنا اليه فتراموا بالنبل ساعة وأتتهم الامداد وأحاط الكفار بالمسلمين من كل ناحية وقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وفى رواية قتلوا جميعا حتى أميرهم وقيل تركوه جريحا ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول يوم من صفر وقيل نجا معه اثنان أو أكثر فعاونوه فى الذهاب الى المدينة والله أعلم

﴿سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه﴾

الى بنى الملوح بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة وسكون التحتية آخره دال وهو ماء بين عسفان وقديد وكانت فى صفر سنة ثمان روى ابن اسحاق وغيره عن جندب بن مكيث الجهنى رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله على سرية كنت فيها وأمره بشن الغارة على بنى الملوح بالكديد فخرجنا حتى اذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء فأخذناه فقال انى جئت أريد الاسلام وما خرجت الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان تكن مسلما فلن يضرك رباط يوم وليلة وان تك غير ذلك كنا قد استوثقنا منك فشددناه وثاقا ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود وقلنا له ان غارك فاحتز رأسه ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس فكنا فى ناحية الوادى وبعثنى أصحابى ربيئة لهم فخرجت حتى أتيت تلا مشرفا على الحاضر فاستندت فيه فعلوت على رأسه فنظرت الى الحاضر فوالله انى لمنبطح على التل اذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته انى لارى على التل سوادا ما رأيته فى أول يومى فانظرى الى أوعيتك هل تفقدين شيئا لا تكون الكلاب جرت بعضها فنظرت وقالت لا والله أفقد شيئا قال فناولينى قوسى وسهمين فناولته فأرسل سهما فما أخطأ بين عينى فنزعته وثبت مكانى فأرسل الآخر فوضعه فى منكبى فنزعته ووضعته وثبت مكانى فقال لامرأته لو كان ربيئة لقوم لقد تحرك لقد خالطه سهماى لا أبالك اذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما الكلاب ثم دخل وأمهلناهم حتى اذا اطمأنوا وناموا وكان فى وجه السحر شننا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا النعم وخرج صريخ القوم فجاءنا قوم لا قبل لنا بهم فمضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه واحتملناهما معنا وأدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم الا الوادى قديد فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى

من

من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء شئ ليس لاحد به قوة ولا يقدر احد ان يجاوزه فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم لا يستطيع رجل منهم ان يمر الينا ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم فلم يقدروا على طلبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحارث بن مالك هو ابن البرصاء وهي أمه وقيل أم أبيه وهو صحابي رضي الله عنه سكن مكة ثم المدينة وتوفي آخر خلافة معاوية رضي الله عنه وله حديث واحد وهو قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة رواه الترمذي وابن حبان وصححاه والله أعلم

﴿ اسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة الحجبي وعمرو بن العاص رضي الله عنهم ﴾

قال خالد بن الوليد لما أراد الله عز وجل بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضرني رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس موطن أشهده الا انصرف وأنا أرى في نفسي اني في غير شئ وان محمدا يظهر فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه فطلبني فلم يجدني فكتب الي كتابا فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فاني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام يجهله أحد قد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال أين خالد فقلت يأتي الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسرتني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت في المنام كاني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فلما أجمعت على الخروج الى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى ان محمدا ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فان شرفه شرف لنا فقال لو لم يبق غيري ما اتبعته ابدا فقلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان قلت فاكتم ذكر ما قلت لك قال لا اذكره ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي قلت هذا لي صديق فأردت ان اذكر له ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان واخوته الاربع مسافع والجلاس والحارث وكلاب فانهم قتلوا كلهم يوم احد فكرهت ان اذكر له ثم قلت له انما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فاسرع الاجابة وواعدني ان سبقني اقام بمحل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة وهو اسم محل فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك قال أين مسيركم قلنا الدخول في الاسلام قال وذلك الذي أقدمني وفي لفظ قال عمرو لخالد يا أبا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام الميسم أي تبين الطريق وظهر الامر وان هذا

الرجل اني آفاذهب فاسلم فخرجت حتى قال عمرو وأنا والله ماجئت الا لأسلم فاصطحبنا جميعا وحدث
عمرو بن العاص رضى الله عنه عن سبب اسلامه كما رواه ابن اسحاق وغيره قال عمرو لما انصرفنا
عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله
ان أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وقد رأيت أن نلحق بالنجاشي فان ظهر محمد فنكون تحت
يده أحب الينا من يد محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلا يأتينا منهم الا خير قالوا ان
هذا الرأى قلت فاجمعوا مايهدى له وكان أحب مايهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا
ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى رسوله صلى الله عليه
وسلم فى شأن جعفر وأصحابه فدخل عليه ثم خرج فقلت لاصحابى هذا عمرو بن أمية لو دخلت
على النجاشى فأعطانيه فضربت عنقه لرأت قريش انى أجزت عنها بقتل رسول محمد فدخلت
فسجدت له كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقى أهديت لى من بلادك شيئا قلت له نعم أدما
كثيرا وقربته اليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له انى رأيت رسول عدونا خرج من عندك فأعطنيه
لاقتله فانه أصاب من أشرافنا وخيارنا فغضب ثم ضرب أنفى ضربة بيده ظننت انه كسره فلو
انشقت لى الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ماسألته
قال أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام
لتقتله قلت أكذلك هو قال ويحك ياعمرو أطعنى واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من
خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت أفتبايعنى له على الاسلام قال نعم فبسط يده
فبايعته على الاسلام ثم خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت خالد بن الوليد
وذلك قبل الفتح فصحبته حتى قدمنا المدينة وفى اسلام عمرو على يد النجاشى لطيفة هى ان صحابيا
أسلم على يد تابعى ولا يعرف مثله فلما وصلوا المدينة أناخوا كلهم بظهر الحرة فأخبر بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بهم وقال لاصحابه رمتكم مكة بأفلاذ كبدها قال خالد فلبست
من صالح ثيابى ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت أخى فقال أسرع فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فاسرعنا المشى فاطلعت عليه فما زال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق
فقلت انى أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله قال الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك
عقلا رجوت أن لا يسلمك الا الى خير قلت يارسول الله ادع الله لى يغفر تلك المواطن التى كنت
أشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما كان قبله وتقدم عثمان وعمرو فاسلما
وفى رواية عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قدمنا المدينة فانخنا بالحرة فلبسنا من صالح
ثيابنا ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون
حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت
فوالله ماهو الا أن جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم وما استطعت أن أرفع طرفى حياء منه فقال

فبايعته

فبايعته على أن يغفر لى ماتقدم من ذنبي ولم يحضرني ماتأخر فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ماعدل بى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بخالد بن الوليد فى أمر حزبه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبى بكر بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر بتلك المنزلة وروى الزبير بن بكار انهم لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم قال عمرو كنت أسن منهما فأردت أن أكيدهما فتقدمتهما قبلى للبيعة فبايعاه واشترطا أن يغفر لهما ماتقدم من ذنبهما فأضمرت فى نفسى أن ابايع على أن يغفر لى ماتقدم من ذنبي وماتأخر فلما بايعت ذكرت ماتقدم من ذنبي وأنسيت أن أقول وماتأخر وروى الزبير بن بكار ان رجلا قال لعمرو بن العاص رضى الله عنه ما أبطأ بك عن الاسلام وأنت أنت فى عقلك قال كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن توازى أحلامهم الجبال فلذنابهم فلما ذهبوا وصار الامر الينا نظرنا وتدبرنا فاذا حق بين فوقع الاسلام فى قلبى وكان عمرو رضى الله عنه أمير مصر فى خلافة عمر رضى الله عنه وهو أحد دهاة العرب توفى سنة ثلاث وأربعين من الهجرة على الصحيح عن نحو تسعين سنة وروى الخطيب مرفوعا يقدم عليكم الليلة رجل حكيم فقدم عمرو مهاجرا وأما خالد بن الوليد رضى الله عنه فهو أحد الاشراف كانت اليه أعنة الخيل فى الجاهلية وشهد مع قريش الحروب الى الحديبية وكان على خيل قريش طليعة كما تقدم ثم صار سيف الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم يوليه أعنة الخيل روى أبو يعلى لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار وعزماته يوم مؤتة ويوم قتال أهل الردة وفى بدأة فتوح العراق وجميع فتوح الشام أكثر من أن تحصى اذ كان له فيها العناء العظيم الجليل والبلاء الحسن الجميل وروى أبو زرعة الدمشقى مرفوعا نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار وروى سعيد بن منصور عن خالد رضى الله عنه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعلها عمرة الجعرانة فحلق رأسه فابتدر الناس شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهى معى الا تبين لى النصر ورواه أبو يعلى بلفظ فما وجهت فى وجه الا فتح والاكثر على انه مات بحمص سنة احدى وعشرين وعمره بضع وأربعون سنة وقيل توفى بالمدينة النبوية وروى ابن المبارك عن خالد رضى الله عنه انه قال لما حضرته الوفاة لقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى الا أن أموت على فراشى وأما عثمان بن طلحة بن أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى العبدرى فهو حاجب البيت وصاحب المفتاح فى الجاهلية والاسلام ووقع فى تفسير الثعلبى بلا سند انه أسلم يوم الفتح بعد أن دفع له المفتاح قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة وهو منكر والمعروف انه أسلم وهاجر مع عمرو وخالد وبه جزم غير واحد ثم سكن المدينة وبها مات سنة ثنتين وأربعين وقيل استشهد بأجنادين قال العسكرى وهو بالحل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه أيضا﴾

لما رجع رضى الله عنه من سرية الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم الى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك فى صفر سنة ثمان روى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم هيأ الزبير بن العوام رضى الله عنه وقال له سر حتى تنتهى الى مصاب أصحاب بشير فان أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم وهيأ معه مائتى رجل وعقد له لواء فقدم غالب بن عبد الله من سرية الكديد وقد أظفره الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس وبعث غالبا ومعه مائتا رجل فأغاروا عليهم مع الصبح وذلك انه لما دنا منهم بعث الطلائع ومنهم علبة بن الحارث الى محالهم فأشرف على جماعة منهم ثم رجع وأخبره الخبر وروى ابن سعد عن حويصة رضى الله عنه قال بعثنى صلى الله عليه وسلم فى سرية مع غالب الى بنى مرة فأغرنا عليهم مع الصبح وقد أخذ علينا أميرنا أن لا نفترق وآخى بيننا وقال لا تعصونى فانه صلى الله عليه وسلم قال من أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى وانكم متى ما تعصونى فانكم تعصون نبيكم فآخى بينى وبين أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فأصبنا القوم وروى انه لما دنا من القوم حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وان تطيعونى ولا تعصونى ولا تخالفوا لى أمرا فانه لا رأى لمن لا يطاع ثم ألف بين كل اثنين وقال لهم لا يفارق أحد منكم زميله واذا كبرت فكبروا فلما أحاط بالقوم كبر غالب فكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعارهم أمت أمت وقتلوا منهم قتلى وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها وكانت سهامهم عشرة أبعرة لكل رجل أو عدلها من الغنم لكل بعير عشرة والله أعلم

﴿ثم سرية شجاع بن وهب الاسدى رضى الله عنه﴾

الى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر بالسىء بكسر السين المهملة ثم همزة ممدودة وهو ماء من ذات عرق على ثلاثة مراحل من مكة فى شهر ربيع الاول سنة ثمان ومعه أربعة وعشرون رجلا وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فأصابوا نعما كثيرا وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشر من الغنم والله أعلم

﴿ثم سرية كعب بن عمير﴾

الغفارى رضى الله عنه الى ذات أطلاح من أرض الشام وراء ذات القرى فى ربيع الاول سنة ثمان فى خمسة عشر رجلا فساروا حتى انتهوا الى ذات أطلاح فوجدوا جمعا كثيرا وكان يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا من القوم فرآه عين لهم فأخبر بقلة الصحابة فجاؤا على الخيل فدعاهم المسلمون الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا ونجا منهم رجل جريح فى القتلى قال ابن سعد هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى

أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فشق عليه ذلك وهم بالبعث اليهم فبلغه انهم ساروا الى موضع آخر فتركهم والله أعلم

﴿ثم سرية مؤتة﴾

وسماها البخاوى وابن اسحاق غزوة مؤتة لكثرة جيش المسلمين فيها وان لم يخرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بضم الميم وسكون الواو وأو الهمز بدلها آخرها هاء وهي من عمل البلقاء وهي مدينة معروفة بالشام على مرحلتين من بيت المقدس وكانت في جمادى الاولى سنة ثمان وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أرسل الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحارث بن أبي شمر الغساني فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له أين تريد فقال الشام فقال لعلك من رسل محمد فقال نعم فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه على ثلاثة آلاف وندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال ان قتل زيد فالامير جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون رجلا من بينهم يجعلونه عليهم أميرا وكان ممن حضر يهودي اسمه النعمان فقال يا محمد ان كنت سميت من سميت أصيبوا جميعا لأن أنبياء بني اسرائيل كانوا اذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا ان أصيب فلان فلو سموا مائة أصيبوا جميعا ثم جعل يقول لزيد اعهد أي أوص فانك لا ترجع الى محمد ان كان نبيا فقال زيد أشهد انه رسول صادق بار وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه الى زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من هناك الى الاسلام فان أجابوا والا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم فأسرع الناس بالخروج وعسكروا بالجرف وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام وخرج صلى الله عليه وسلم مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم وقال أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعة ولا تقربوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء ولما ودع ابن رواحة بكى رضي الله عنه فقالوا ما يبكيك فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة * بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثي * يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وفي رواية ان عبد الله بن رواحة لما أراد وداع النبي صلى الله عليه وسلم وفراقه قال له النبي صلى الله عليه وسلم قل شعراً تقتضبه اقتضاباً أي من غير روية فقال

اني تفرست فيك الخير نافلة * فراسة خالفت فيك الذي نظروا

أنت الرسول فمن يحرم نوافله * والوجه منه فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فقال له صلى الله عليه وسلم وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة وروى الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ابن رواحة تخلف حتى صلى الجمعة مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما صلى رآه قال ما منعك أن تغدو مع أصحابك قال أردت أن أصلي معك الجمعة ثم ألحقهم فقال صلى الله عليه وسلم لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما أدركت غدوتهم وفي رواية لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم وقام شرحبيل بن عمرو الغساني فجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع أمامه فلما نزل المسلمون وادي القرى بعث أخاه سدوس بن عمرو في خمسين من الكفار فاقتتلوا مع المسلمين وقتل سدوس وانكشف أصحابه ونزل المسلمون معان وبلغهم كثرة العدو فأقاموا على معان ليلتين ومعان بفتح الميم موضع أو جبل من أرض الشام وبلغ المسلمين أن هرقل نزل بأرض البلقاء في مائة ألف من مشركي الروم مع ما انضم اليهم من لخم وجذام وقيس وبهرا ما يبلغون مائة ألف وهم الذين جمعهم شرحبيل وجاء في رواية أن القوم كانوا مائتي ألف من الروم وخمسين ألفاً من العرب ومعهم خيول كثيرة فقال المسلمون نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمر فنمضي له فشجعهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه على المضي وقال يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم اياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة رضي الله عنه فمضوا الى مؤتة فوافاهم المشركون فجاء منهم من لا قبل لأحد به من العدد الكثير الزائد على مائتي ألف والسلاح والكراع أي الخيل والديباج والحرير والذهب اظهاراً للقوة والشدة بكثرة أموالهم وآلات حروبهم وفي هذا دليل على فرط شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وقوة قلوبهم وتوكلهم على ربهم وعدم مبالاتهم بأنفسهم لانهم باعوها لله تعالى اذ أقدم ثلاثة آلاف على أكثر من مائتي ألف أصحاب حروب وشدة وهذا انما هو لما وقر في قلوبهم والطمأنت عليه نفوسهم من الثقة بقول الله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقوله وان جندنا لهم الغالبون وقوله وكان حقاً علينا نصر المؤمنين والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة رضي الله عنه فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعناً بالرماح رضي الله عنه ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقاتل به وهو على فرسه فألجمه القتال وأحاط به فنزل عن فرس له شقراء فعقرها

وقاتل

وقاتل حتى قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان أسن من علي رضي الله عنه بعشر سنين وقيل كان عمره أربعين وقيل احدى وأربعين وكان رضي الله عنه حين اشتد القتال وأحاط به العدو يقاتل ويقول

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها
علي اذلاقيتها ضرابها

وانما عقر فرسه خوفا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ولأن يقاتل ولا يفر ففيه دليل على فرط شجاعته رضي الله عنه ولما أخذ اللواء قاتل قتالا شديدا فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت يساره فاحتضنه وقاتل حتى قتل رضي الله عنه ووجد فيه بضع وسبعون وفي رواية وتسعون جرحا ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ليس فيها شئ في دبره ولا ظهره أي ليس منها شئ في حال الادبار بل كلها في حال الاقبال لمزيد شجاعته ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ثم تقدم به وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال

أقسمت يا نفس لتنزلنه * طائعة أو لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه * مالي أراك تكرهين الجنه
قد طالما قد كنت مطمئنه * هل أنت الا نطفة في شنه

﴿وقال أيضا﴾

يا نفس ان لا تقتلي تموتي * هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت * ان تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا رضي الله عنهما ثم نزل عن فرسه فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت أيامك فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في الناس فقال وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل روى سعيد بن منصور انهم دفنوا يومئذ في قبر واحد زيدا وجعفرا وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وفي الصحيح وما يسرهم انهم عندنا أي لما رأوا من فضل الشهادة ثم أخذ اللواء ثابت بن أقرم العجلاني البلوي حليف الانصار وكان من أهل بدر رضي الله عنه فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا أنت قال ما أنا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد رضي الله عنه وفي رواية أن ثابتا مشى باللواء الى خالد وقال انت أعلم بالقتال مني فلم يقبل خالد اللواء وقال أنت أحق به مني لانك ممن شهد بدرا فنادى ثابت يا معشر المسلمين فاجتمع الناس على خالد بن الوليد رضي الله عنه وسلموه اللواء فأخذه وفي الصحيح حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم وانكشف الناس فكانت الهزيمة قال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد قتالا شديدا فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة عظيمة واندق في يد خالد يومئذ تسعة أسياف حتى

ما بقى فى يده الا صفيحة يمانية وانهزم المشركون أسوأ هزيمة ما روى مثلها قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤا وجاء فى رواية انه لما قتل عبد الله بن رواحة تفرق المسلمون وانهزموا حتى لم ير اثنان جميعا ثم لما اجتمعوا على خالد هزم الله المشركين وفى رواية انه لما أصبح خالد ابن الوليد جعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة فأنكر العدو حالهم وقالوا جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين وغنم المسلمون أكثر ما كان معهم وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر رجلا وهذا من عناية الله بالاسلام وأهله ومزيد اعزازه ونصره لهم اذ جيش عدته ثلاثة آلاف يلقون أكثر من مائتى ألف فلا يقتل منهم الا اثنا عشر رجلا مع انهم اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام وأما قتلى المشركين فلا يحصون فكانت هذه السرية من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم الباهرة التى أكرم الله بها أصحابه رضى الله عنهم ورفعت الارض يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معترك القوم فأخبر أصحابه وذلك انه لما أطلع على ذلك نادى فى الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال يا أيها الناس باب خير باب خير باب خير ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازى انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفر وا له ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء وهو أمير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره وفى رواية ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين من غير امرة حتى فتح الله عليهم وفى رواية قال اللهم انه سيف من سيوفك فانصره فمن يومئذ سمى خالد سيف الله وفى لفظ ثم أخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه وعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه خالد بن الوليد رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا خالد لم تؤذى رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل أحد ذهبا لم تدرك عمله فقال يا رسول الله انهم يقعون فى فارد عليهم فقال لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار قال بعضهم كون ما وقع يوم مؤتة فتحا ونصرا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لانهم كانوا أكثر من مائتى ألف والصحابة رضى الله عنهم ثلاثة آلاف وكان مقتضى العادة انهم يقتلون بالكلية وجاء وفى رواية أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وهذا لا يخالف ما جاء ان طائفة من الصحابة فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة يقولون لهم أنتم الفرارون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون وفى لفظ العكارون أى الكرارون وجاء فى رواية انا فئتكم يشير الى قوله تعالى الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة يعنى ان فرارهم كان من الانحياز الى فئة وأيضا ازداد العدو على ضعفهم بل زاد على عشرة أضعافهم والحاصل أن المسلمين لما قتل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه انهزموا وتفرقوا وذهب جماعة منهم الى المدينة ثم

اجتمع الناس لما انحاز خالد بن الوليد رضي الله عنه ورتب الناس وقد مدح رسول الله صلى الله
عليه وسلم خالدا على ذلك وأثنى عليه ولما قدم يعلى بن أمية رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه
وسلم بخبر الجيش قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت فأخبرني وان شئت أخبرتك قال
فأخبرني يارسول الله لازداد يقينا فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر كله ووصف له
ما كان فقال والذي بعثك بالحق ماتركت من حديثهم حرفا واحدا وان أمرهم لكما ذكرت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معتركهم وحين رأى ذلك
قال حمى الوطيس أي حميت الحرب واشتدت وقيل ان الذي جاء بخبرهم أبو عامر الاشعري
رضي الله عنه ولا مانع من أن كلا منهما جاء بالخبر وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها زوج
جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أصيب
جعفر وأصحابه فقال ائتني بني جعفر فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه وفي رواية وبكى حتى
تقطرت لحيته الشريفة فقلت يارسول الله بأبي أنت وأمي مايبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه
شئ قال نعم أصيبوا هذا اليوم قالت فقمت أصيح واجتمع علي النساء وجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لي يا أسماء لاتقولي هجرا ولا تضربي خدا وقال اللهم قدمه يعني جعفرا الى
أحسن الثواب واخلفه في ذريته بأحسن ماخلفت أحدا من عبادك في ذريته وخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى أهله فقال لاتغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما فانهم قد
شغلوا بأمر صاحبهم وفي لفظ انه دخل على فاطمة رضي الله عنها وهي تقول واعماه فقال على
مثل جعفر فلتبك البواكي ثم قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن
أنفسهم اليوم وفي رواية قد شغلهم ماهم فيه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن سلمى
مولاة النبي صلى الله عليه وسلم عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم عجنته وأدمته بزيت وجعلت
عليه فلفلا قال عبد الله فأكلت من ذلك الطعام وحبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
اخوتي ثلاثة أيام يدور معه صلى الله عليه وسلم كلما صار في بيت احدى نسائه ثم رجعنا الى بيتنا
وهذا الطعام الذي جعل لآل جعفر رضي الله عنه هو أصل طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة
كما تسمي طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة وروى
الامام أحمد بسند صحيح ثم أمهل صلى الله عليه وسلم آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال لهم لاتبكوا
على أخي بعد اليوم ثم قال ائتوني بني أخي فجيء بنا كأنا أفرخ فدعا الحلاق فحلق رؤسنا
ثم قال أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي ثم دعا لهم قال عبد الله بن
جعفر رضي الله عنهما دعا لي وقال اللهم بارك له في صفقة يمينه فما بعت شيئا ولا اشتريته
الا بورك لي فيه وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل لي زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن
رواحة رضي الله عنهم في خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة
في أعناقهما صدودا أي اعراضا ورأيت جعفرا ليس في عنقه صدود فسألت فقيل انهما حين

غشيهما الموت أعرضا بوجوههما وأما جعفر فانه لم يفعل * وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد وفى رواية رأيتهم فيما يرى النائم وقد رفعوا فى الجنة على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا من سريرى صاحبيه فقلت مم هذا فقيل لى مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى أى فانه كما تقدم صار يتنزل نفسه ويتردد بعض التردد فى النزول وفى لفظ دخل عبد الله بن رواحة الجنة معترضا فقيل يا رسول الله ما اعتراضه قال لما أصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال انى صائم فضعه فى ترسى عند رأسى فان عشت حتى تغرب الشمس أفطرت قال فمات صائما قبل الغروب ووجدنا فيما بين صدره ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح وكان النبى صلى الله عليه وسلم يوما جالسا مع أصحابه فرفع رأسه الى السماء وقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يا رسول الله ما كنت تصنع هذا فقال مر بى جعفر بن أبى طالب فى ملأ من الملائكة فسلم على وفى رواية مر بى وهو مخضب الجناحين بالدم * ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولقيهم الصبيان فقال النبى صلى الله عليه وسلم خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطونى ابن عبد الله بن جعفر فأتى به فأخذه فحمله بين يديه وكان عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما ولد بالحبشة وأمه اسماء بنت عميس رضى الله عنها وتزوجها أبو بكر رضى الله عنه بعد جعفر بن أبى طالب فولدت له محمد بن أبى بكر رضى الله عنهما ثم تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد أبى بكر رضى الله عنه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة فى السماء وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة البارحة فرأيت فيها جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه يطير مع الملائكة وفى رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه وروى جناحان من ياقوت قال السهيلى ان الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر يقدر بها على الطيران لا أنهما جناحان كجناحى الطائر كما قد يسبق للوهم لان الصورة الآدمية أشرف الصور ولا يضر ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ولا كونهما مضمخين بالدم ورجح بعضهم حمل الكلام على حقيقته وقال انهما جناحان حقيقيان وأطال فى ذلك والله أعلم وقد قال حسان بن ثابت رضى الله عنه قصيدة يرثى بها جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وبعض من معه فقال

تأوبنى ليل بيثرب أعسر * وهم اذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لى عبرة * سفوحا وأسباب البكاء التذكر

بلى ان فقدان الحبيب بلية * وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا * شعوبا وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا * جميعا وأسباب المنية تخطر
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم * الى الموت ميمون النقيبة أزهر
اغر كضوء البدر من آل هاشم * أبى اذا سيم الظلامة يجسر
فطاعن حتى مال غير موسد * بمعترك فيه قنى متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه * جنان وملتف الحدائق اخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد * وفاء وامرا حازما حين يأمر
ولازال في الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لا يزلن ومفخر
فهم جبل الاسلام والناس حولهم * رضام الى الطود يروق ويقهر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم * عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مازق * عماس اذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه * عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه

الى بلاد بلى وعذرة وهى وراء وادى ذات القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام وبلى قبيلة كبيرة ينسبون الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وكذا عذرة ينسبون الى عذرة بن سعد بن قضاعة وتسمى سرية ذات السلاسل سميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا والمراد انهم تجمعوا وانضم بعضهم الى بعض فى أول الامر فلا ينافى انهم لما قرب المسلمون منهم ألقى الله فى قلوبهم الرعب وفروا وقيل سميت بذلك لان بها ماء يقال له السلسل وكانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان جمعا من قضاعة تجمعوا للاغارة وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضى الله عنه فى ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم يأمرنى ان آخذ ثيابى وسلاحى فقال يا عمرو انى أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك قلت انى لم أسلم رغبة فى المال قال نعم المال الصالح للمرء الصالح فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء فسار هو ومن معه وكان يكمن النهار ويسير الليل فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وأمره أن

يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فأراد أبو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت على مددا أى معينا ومقويا وأنا الامير أى ولا امارة لك حتى تؤم الناس فقال أبو عبيدة لا ولكن أنا على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه وكان أبو عبيدة رجلا سهلا هينا عليه أمر الدنيا فقال يا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى لا تختلفا وانك ان عصيتنى أطعتك فأطاع له أبو عبيدة فكان عمرو يصلى بالناس وسار حتى وصل الى العدو بلى وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا فى البلاد وتفرقوا بعد أن اقتتلوا ساعة فهزمهم المسلمون فأقام هناك ثلاثة أيام وكان يبعث الخيل فيأتون بالشاء والنعم فينحرون ويأكلون ولم يكن فى ذلك غنائم تقسم وقال البلاذرى فلقى العدو من قضاعة وغيرهم وكانوا مجتمعين ففضهم أى فرقهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم وهذا يعضده قوله صلى الله عليه وسلم فيغنمك الله ويسلمك كما مر وروى ابن راهويه والحاكم عن بريدة ان عمرو بن العاص رضى الله عنه أمرهم فى تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا فأنكر ذلك عمر رضى الله عنه فقال له أبو بكر رضى الله عنه دعه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعثه علينا الا لعلمه بالحرب فسكت عنه وروى ابن حبان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنهم سألوه أن يوقدوا نارا فمنعهم فكلموا أبا بكر رضى الله عنه فكلمه فى ذلك فقال لا يوقد أحد نارا الا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزموهم فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فحمد أمره وروى الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قدمت عن جيش ذات السلاسل فحدثت نفسى انه لم يبعثنى على قوم فيهم أبو بكر وعمر الا لمنزلة لى عنده فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول الله أى الناس أحب اليك قال عائشة قلت انى لست أعنى النساء انما أعنى الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم وقلت فى نفسى لا أعود أسأله عن هذا وفى الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل اذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية وفضل أبى بكر على الرجال وبنته على النساء ومنقبة لعمرو بن العاص رضى الله عنه لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وان لم يقتض ذلك أفضليته عليهم لكن يقتضى ان له فضلا فى الجملة وقد قال رافع الطائى وهذه الغزوة هى التى يفتخر بها أهل الشام أى ويحتجون بها على فضل عمرو بن العاص رضى الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية الخبط﴾

وهى سرية أبى عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشى الفهرى أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنه وعنهم وسماها البخارى غزوة سيف البحر بكسر السين أى

ساحل البحر واشتهرت بسرية الخبط بعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ومعه ثلثمائة
و بضعة عشر رجلا وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أرض جهينة ليلاقي عير القريش
ولمحاربة حي من جهينة وكانت في رجب سنة ثمان بعد نكث قريش العهد وقبل فتح مكة وزودهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر لم يجدوا غيره وقيل كان معهم غيره فلما فنى ما معهم
أكلوا الخبط وهو بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة ورق السلم قال جابر رضي الله عنه كنا
نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله وفي رواية كان الرجل منا يأكل تمرة تمرة فقالوا لجابر
كيف كنتم تصنعون قال نمصها كما يمص الصبي الثدي ثم نشرب عليها الماء فيكفينا يومنا الى
الليل ثم أكلوا الخبط بعد فناء التمر وابتاع لهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما جزرا
ونحرها لهم وفي رواية انهم أصابهم جوع شديد فقال قيس من يشتري مني تمرا بالمدينة بجزر
بجزر هنا فقال له رجل من جهينة من أنت فانتسب فعرفه الجهني فقال عرفت نسبك فابتاع
منه خمس جزائر بخمسة أوسق وأشهد له نفرا من الصحابة وامتنع عمر رضي الله عنه لكون قيس
لا مال له فقال الاعرابي ما كان سعد ليقصر بابنه وأرى وجها حسنا وفعلا شريفا فأخذ قيس
الجزر فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزورا فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال عزمت عليك أن لا
تنحر أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك فقال قيس يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس
و يحمل الكل و يطعم في المجاعة ولا يقضي عني تمرا لقوم مجاهدين في سبيل الله فكاد أبو عبيدة
يلين وجعل عمر يقول اعزم فعزم عليه فبقيت جزوران فقدم بهما قيس المدينة ظهرا يتعاقبون
عليهما و بلغ سعدا مجاعة القوم فقال ان يكن قيس كما أعرف فسينحر لهم فلما لقيه
قال ما صنعت في مجاعة قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال
أصبت ثم ماذا قال نهيت قال ومن نهاك قال أبو عبيدة أميري قال ولم قال زعم انه لا مال لي
وانما المال لابيك فقال لك أربع حوائط أدناها تجد منه خمسين وسقا وقدم الجهني مع
قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فعل قيس فقال ان الجود من
شيمة أهل ذلك البيت وقيل ان قيسا نحر قبل الثلاث ستا مما كان معه من الظهر ثم ثلاثا
من التي اشتراها من الجهني وكان قيس من دهاة العرب أهل الرأي والمكيدة في الحرب
مع النجدة والبسالة والشجاعة من وقف على ما وقع بينه و بين معاوية رضي الله عنهما حين
ولاه سيدنا علي رضي الله عنه مصر بعد قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه رأى العجب
العجاب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم ما لا مزيد عليه ووقفت له عجوز مرة
وقالت أشكو اليك قلة الجرذان ببيتي والجرذان نوع من الفيران فقال ما أحسن هذا السؤال
وقال لها لأكثرن جرذان بيتك فلأ بيتها طعاما وقيل قالت له مشت جرذان بيتي على العصا فقال
لها لادعهن يثبن وثوب الاسود ثم ملأ لها بيتها طعاما ولا مانع من تعدد الواقعة وكان قيس لا شعر
بوجهه وكان مع ذلك جميلا وكانت الانصار تقول وددنا أن نشتري لقيس بن سعد لحية

بأموالنا كلها * ولنرجع الى تمام قصة سرية الخبط قال أهل السير ثم أخرج الله لهم دابة من البحر تسمى العنبر وهي سمكة كبيرة يتخذ من جلدها الترسة وقيل ان العنبر المشموم رجيعها قال الازهري العنبر سمكة بالبحر الاعظم يبلغ طولها خمسين ذراعا وفي رواية لجابر رضي الله عنه فألقى لنا البحر حوتا ميتا لم نر مثله فأكلنا منه نصف شهر وفي رواية ثمانية عشر يوما حتى صحت أجسامنا واذهنا من ودكه فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبه ونظر الى أطول بعير فجاز تحته راكبه وفي رواية ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل فخرج من تحتها وما مست رأسه وفي رواية فدخل أي الراكب تحتها ما يطاطئ رأسه وفي رواية لمسلم عن جابر رضي الله عنه فلقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه أي حدقتيه الدهن بالقلال ونقتطع منه الفدر أي القطع من اللحم كالثور وفي رواية عن جابر أيضا فدخلت أنا وفلان فعد خمسة في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا فسبحان القوي القادر فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا فكان معنا منه شيء فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل ولم يذكر أحد من أهل السير انهم قاتلوا أحدا في هذه السرية بل أقاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد ثم رجعوا ولم يلقوا كيدا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية أبي قتادة رضي الله عنه﴾

الى نجد واسم أبي قتادة الحارث وقيل عمرو أو النعمان بن ربعي الانصاري السلمي بعثه صلى الله عليه وسلم الى خضرة وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا وأمره أن يشن الغارة على غطفان بأرض محارب فسار الليل وكمن النهار ثم هجم على جمع منهم فقاتله منهم رجال وقتل من أشرف منهم وسبى أبو قتادة ومن معه سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الابل مائتي بعير والغنم ألفي شاة وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما بعث صلى الله عليه وسلم سرية قبل نجد فكنت فيها فغنموا ابلا كثيرة وغنما فكانت سهامنا اثني عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا فرجعنا بثلاثة عشر بعيرا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وكان السبي أربع نسوة وأطفال وجوار وكان فيهم جارية وضيئة كأنها ظبي وقعت في سهم أبي قتادة فجاء محمية ابن جزء الزبيدي فقال يا رسول الله ان أبا قتادة قد أصاب في وجهه هذا جارية وضيئة وقد كنت وعدتني جارية فأرسل صلى الله عليه وسلم الى أبي قتادة فقال هب لي الجارية فوهبها له فدفعها الى محمية بن جزء الزبيدي والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية أبي قتادة أيضا رضي الله عنه الى اضم﴾

وهو بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة وبالميم واد على ثلاثة برد من المدينة وكانت هذه السرية في أول شهر رمضان سنة ثمان وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم أن يغزو أهل مكة بعد

ان نقضوا العهد كما سيأتى بعث أبا قتادة رضى الله عنه فى ثمانية أنفار سرية الى بطن اضم ايظن
ظان انه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولتذهب بذلك الاخبار فلا تستعد قريش
لحربه ويدخل عليهم على حين غفلة وكان يقول اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها
فى بلادها واستجيب له فعميت الاخبار عنهم فلم يأتهم خبر عنه ولا علموا بذلك الا ليلة دخوله
صلى الله عليه وسلم كما سيأتى فخرج أبو قتادة ومن معه رضى الله عنهم فلقوا عامر بن الاضبط
الاشجعى فسلم عليهم بتحية الاسلام أى قال السلام عليكم وقيل عظمهم بالانقياد ومنه كلمة
الشهادة التى هى أمارة على اسلامه فقتله محلم بن جثامة فأنزل الله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم
السلام لست مؤمنا الآية روى الامام أحمد والطبرانى عن عبد الله بن أبى حدرد رضى الله عنه
قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اضم فى نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة
ابن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن اضم مر بنا عامر بن الاضبط الاشجعى على قعود له ومعه
متيع له ووطب من لبن فسلم علينا بتحية الاسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشئ كان
بينه وبينه وأخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر
نزل فينا يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام
لست مؤمنا الى آخر الآية وتقدم فى سرية غالب الليثى أن الآية نزلت فى قتل اسامة بن زيد
مرداس بن نهيك فيحتمل تعدد القصة وتكرر نزول الآية ثم ان أبا قتادة ومن معه لم يلقوا جمعا
و بلغهم انه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة وتوجه الى مكة فلحقوه بالسقيا فأخبروه الخبر
فقال لمحلم أقتلته بعد ماقال آمنت بالله وفى رواية بعد ماقال انى مسلم فجلس محلم بين يدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليستغفر له وقال انما قالها متعوذا قال أفلا شققت عن قلبه لتعلم أصادق
هو أم كاذب قال وهل قلبه الا مضغة من لحم قال صلى الله عليه وسلم انما كان ينبى عنه لسانه
وفى رواية لا ما فى قلبه تعلم ولا لسانه صدقت فقال استغفر لى يا رسول الله قال لا غفر الله لك أى
زجرا وتهويلا لهذا الامر كيلا يتهاون الناس بقتل النفس المؤمنة فقام محلم وهو يتلقى
دموعه ببرديه فما مضت له سابعة من الليالى حتى مات فجهز وه ودفنوه فلفظته الارض ثم عادوا
ودفنوه فلفظته الارض ثم دفنوه فلفظته الارض فرضموا عليه الحجارة حتى واروه فذكروا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله
أراد أن يعظكم فى حرمة ما بينكم بما أراكم منه وجاء فى بعض طرق هذه القصة ان عيينة بن
حصن قام يطالب بدم عامر بن الاضبط وعيينة يومئذ رئيس غطفان وقام الاقرع بن حابس يدفع
عن محلم بن جثامة لمكانه من خندف فتداولا الخصومة عنده صلى الله عليه وسلم وأرادوا
الاقتصاص من محلم ثم قبلوا الدية ثم سأل محلم النبى صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له فقال
اللهم لا تغفر له فمات بعد سبع الى آخر ما تقدم

﴿غزوة الفتح الاعظم وهو فتح مكة شرفها الله تعالى﴾

وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء * وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء * ودخل
الناس بسببه فى دين الله أفواجا * وأشرق به وجه الارض ضياء وابتهاجا * خرج صلى الله
عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية فانه كان
قد وقع الشرط انه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن
أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم
ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكانت خزاعة حلفاء جده عبد
المطلب حين تنازع مع عمه نوفل فى ساحات وأفنية من السقاية كانت فى يد عبد المطلب فاخذها
منه نوفل فاستنهض عبد المطلب قومه فلم ينهض معه منهم أحد وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك
ثم كتب الى أخواله بنى النجار فجاءه منهم سبعون وقالوا ورب هذه البنية لتردن على ابن اختنا
ما أخذت منه والا ملأنا منك السيف فرده ثم حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس فحالف عبد
المطلب خزاعة وكان عليه الصلاة والسلام بذلك عارفا ولقد جاءته خزاعة يوم الحديبية بكتاب
جده عبد المطلب فقرأه عليه أبى بن كعب رضى الله عنه وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد
المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأى منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه
شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وعقوده وما لا ينسى ابدا اليد واحدة والنصر واحد
ما أشرق ثبير وثبت حراء وما بل بحر صوفة ولا يزداد فيما بيننا وبينكم الا تجددا ابد الدهر
سرمدا وفى رواية حلفا جامعا غير مفرق الأشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر
والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث
ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان حلف أبد
لطول أمد يزيده طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال
خزاعة متكافئون متظافرون متعاونون على عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب
وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أو غرب أو حزن
أو سهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى به حميلا * ولما ذكرت خزاعة ذلك الحلف للنبى صلى
الله عليه وسلم يوم الحديبية قال صلى الله عليه وسلم ما أعرفنى بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه
من الحلف وكل حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا حلف فى الاسلام وهذا
الذى نفاه فى الاسلام هو ما كان على الفتن والقتال والغارات والذى قواه الاسلام ما كان على
نصر المظلوم وصلة الارحام والخير ونصرة الحق فلا تنافى حينئذ ثم انه قد كان بين بنى بكر بن
عبد مناة بن كنانة وبين خزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية وتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام
فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر ومعه جماعة من قبيلة بنى الديل
حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يسمى الوتير بأسفل مكة فأصابوا منهم رجلا يقال له منبه
واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال فلما انتهوا الى الحرم

قالت بنو بكر يانوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة وهي قوله لا اله له يا بني
بكر أصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون فلا تصيبون ثاركم فيه وقيل ان سبب القتال بين
بني بكر وخزاعة ان شخصا من بني بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه
غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين مع ما كان بينهم من العداوة وطلب بنو بكر
من قريش ان يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك فبيتوا خزاعة ووقع
القتال بينهم وكان جملة من قتل من خزاعة عشرين أو ثلاثة وعشرين وقاتل مع بني بكر جمع
من قريش خفية منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن أبي جهل وشيبة
ابن عثمان وسهيل بن عمرو وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم ولم يشاوروا في ذلك
أبا سفيان وقيل شاوروه فأبى عليهم وظنوا أنهم لم يعرفوا وان هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا زالوا يقاتلون خزاعة حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعي بمكة فلما ناصرت
قريش بني بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد
والميثاق ندموا وفي رواية ولما لجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع
وانتهوا بهم في عماية الصبح ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون وأصبحت
خزاعة مقتولين على باب بديل ورافع فقال سهيل بن عمرو لنوفل بن معاوية البكري قد حصرتهم
تريد قتل من بقي وهذا ما لا نطاوعك عليه فاتركهم فتركهم فخرجوا وندمت قريش على
ما صنعوا وجاء الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة الى صفوان ومن كان معه فلاماهم على
ما صنعوا وقالا ان بينكم وبين محمد مدة وهذا نقض لها وقالت قريش ان محمدا غازينا فقال
ابن أبي سرح لا يغزوكم حتى يخيركم في خصال كلها أهون من غزوه يرسل اليكم أن دوا قتلى
خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلا أو تبرؤا من حلف بني بكر أو ننبذ اليكم على سواء فقال سهيل
ابن عمرو نبرأ من حلفهم أسهل وقال شيبة بن عثمان ندي القتلى أهون وقال قرطة بن عمرو لا ندي
ولا نبرأ ولكنا ننبذ اليه على سواء وقال أبو سفيان ليس هذا بشيء وما الرأي الا جحد هذا
الامر أي كون قريش دخلت في نقض عهد أو قطع مدة وأنه قطع قوم بغير رضاء منا ولا
مشورة فما علينا قالوا هذا الرأي لا رأي غيره وكان هذا النقض من قريش في شعبان سنة
ثمان وأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك يوم وقوعه حتى قال لعائشة رضي الله عنها
صبيحة وقعة خزاعة لقد حدث يا عائشة في خزاعة أمر فقالت أترى قريشا تجترئ على نقض
العهد الذي بينك وبينهم وقد أفناهم السيف فقال ينقضون العهد لامر يريده الله تعالى
قالت يا رسول الله خير قال خير وروى الطبراني من حديث ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها
قال بات عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام ليتوضأ للصلاة فسمعته يقول في متوضئه
بالليل لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول
في متوضئك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك

أحد فقال هذا راجز بنى كعب وهم بطن من خزاعة يستصرخني ويزعم أن قريشا أعانت عليهم بنى بكر وهذا علم من أعلام النبوة باهر فاما أنه أعلم بذلك بالوحى وعلم ما تصوره الراجز فى نفسه أو ان الراجز كان يرتجز وأسمع الله نبيه صلى الله عليه وسلم كلامه قال أهل السير ولما انقضى قتال بنى بكر وخزاعة خرج عمرو بن سالم الخزاعى أحد بنى كعب وهم بطن من خزاعة ومعه أربعون راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذى أصابهم ويستنصرونه وقبل قدومهم بثلاث أمر النبى صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها أن تجهزه أى تهيئ له أهبة السفر وما يحتاج اليه فى قطع المسافة اعتمادا على ما أطلعه الله عليه مما وقع من نقض العهد وأمرها أن لا تعلم أحدا فدخل عليها أبو بكر رضى الله عنه قبل أن يخبره النبى صلى الله عليه وسلم ويستشيره فى ذلك فقال يا بنية ما هذا الجهاز فقالت ما أدرى فقال والله ما هذا زمان غزو بنى الاصفر فأين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا علم لى وفى رواية لابن أبى شيبة انها أعلمته وجمع بينهما بأنه دخل عليها مرتين الاولى قالت له لا علم لى ثم أخبرته صلى الله عليه وسلم فأذن لها فى اخبار أبيها لكونه عيبة سره فدخل عليها ثانيا فأخبرته فقال والله ما انتقضت الهدنة بيننا وخرج رضى الله عنه فذكر ما قالت له للنبى صلى الله عليه وسلم فذكر له صلى الله عليه وسلم أنهم أول من غدر قالت ميمونة رضى الله عنها فاقمنا ثلاثا أى بعد قوله لها هذا راجز بنى كعب ثم صلى بالناس صبح اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده وذلك أن عمرو بن سالم أقبل هو ومن معه حتى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس بالمسجد فقال منشدا

يا رب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الأتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا * وجعلوا لى فى كداء رصدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

وفى رواية

هم قتلونا بصعيد هجدا * نتلو القرآن ركعا وسجدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم وفى رواية فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسى وفى رواية قال والذى نفسى بيده لامنعنهم مما أمنع منه نفسى واهل بيتى وفى رواية قالت عائشة رضى الله عنها لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب مما كان من شأن بنى كعب غضبا لم أره غضبه منذ زمان وفى رواية أنه دمعت عيناه حين سمع شعر عمرو بن سالم وقال خزاعة منى وأنا

منهم وسأل صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم فيمن تهمتكم قال فى بنى بكر قال كلها قال لا ولكن
فى بنى نفاثة وهم بطن من بنى بكر ثم قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم وأصحابه ارجعوا
وتفرقوا فى الاودية فرجعوا وتفرقوا وذهبت فرقة الى الساحل وفرقة لزمت الطريق
وقصد بذلك صلى الله عليه وسلم اخفاء مجيئهم للنبى صلى الله عليه وسلم ثم قدم بديل بن ورقاء
الخزاعى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذهاب عمرو بن سالم ومعه نفر من قومه فأخبروه
صلى الله عليه وسلم الخبر ورجعوا ولزم بديل الطريق فى نفر من قومه وقيل ان بديلا لم يفارق
مكة حتى لقيه فى الفتح بمر الظهران وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لركب خزاعة
أنا باعث الى أهل مكة فسائلهم عن هذا الامر ومخيرهم فى خصال ثلاث فبعث اليهم ضمرة
يخيرهم بين أن يدوا قتلى خزاعة أو يبرأوا من حلف بنى نفاثة أو ينبذ اليهم على سواء فأتاهم
ضمرة فأخبرهم فقال قرطة بن عمرو لا ندى ولا نبرأ لكن ننبذ اليه على سواء ثم ندمت قريش
على ما ردوا به فبعثوا أبا سفيان يجدد الصلح ويزيدهم فى المدة وقيل ان أبا سفيان توجه مبادرا
قبل أن يبلغ المسلمين الخبر ولم يعلم بمسير خزاعة قبله وقيل ان الحارث بن هشام وعبد الله بن أبى
ربيعة مشيا الى أبى سفيان فقالا لئن لم يصلح هذا الامر لا يروعكم الا محمد فى أصحابه فقال
أبو سفيان قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها قالوا وما هى قال رأت دما أقبل
من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة مليا ثم كأن ذلك الدم كأن لم يكن فكرهوا الرؤيا وقال
أبو سفيان هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه ولا يحمل الا على والله ما شوورت فيه ولا هويته
حتى بلغنى ليغزوننا محمد ان صدقنى ظنى وهو صادقى ولا بد من أن آتى محمدا فأكلمه فقالت
قريش أصبت فخرج ومعه مولى له على راحلتين وعند رجوع ركب خزاعة من المدينة لقوا
أبا سفيان بعسفان فسألهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا الخفاء الى منزلهم بعد
أن فارقوه فأخذ بعرا وفتته فوجد فيه النوى فعلم أنهم ذهبوا الى المدينة وفى رواية أن أبا سفيان
لقى بديل بن ورقاء بعسفان فاشفق أبو سفيان أن يكون بديل قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال للقوم أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها قالوا لا علم لنا بها انما كنا بالساحل نصلح بين الناس
فى قتيل وفى لفظ قال من أين أقبلت يا بديل قال سرت الى خزاعة فى هذا الساحل قال أوما أتيت
محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة أى توجه اليها قال أبو سفيان لئن كان جاء الى المدينة
لقد علف بها النوى فجاء الى منزلهم ففتت أبعارا باعرهم فوجد فيها النوى فقال أبو سفيان
أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا وقيل قدوم أبى سفيان المدينة قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه
رضى الله عنهم كأنكم بأبى سفيان قد جاء يقول جدد العهد وزد فى المدة وهو راجع بسخطة
فلما انتهى أبو سفيان الى المدينة دخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين زوج النبى صلى الله عليه
وسلم ورضى عنها فأراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فطوته عنه فقال
يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى قالت بل هو فراش رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر فقالت بل هدانى الله للاسلام فأنت يا أبت
سيد قريش وكبيرها كيف يسقط عنك الدخول فى الاسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر
فقام من عندها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يجدد العهد ويزيد فى المدة فأبى
عليه وقال ابن اسحاق انه كلم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيئا وفى رواية قال يا محمد انى
كنت غائبا فى صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا فى المدة فقال صلى الله عليه وسلم فلذلك جئت قال
نعم فقال هل كان من حدث فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال صلى
الله عليه وسلم فنحن على ذلك فأعاد أبو سفيان القول فلم يرد عليه شيئا فذهب الى أبى بكر رضى الله
عنه فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل وفى رواية قال لأبى بكر
تكلم محمدا أو تجير بين الناس فقال جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عمر
رضى الله عنه فقال أنا أشفع لكم والله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به وفى رواية قال له عمر
رضى الله عنه ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله وما كان متينا فقطعه الله وما كان منه
مقطوعا فلا وصله الله فقال أبو سفيان جوزيت من ذى رحم شرا ثم دخل على على رضى الله عنه
وعنده فاطمة رضى الله عنها وحسن رضى الله عنه غلام يدب بين يديها فقال يا على انك أمس
القوم بى رحما وانى جئت فى حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لى فقال على رضى الله عنه ويحك
يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه
فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك أن تأمرى ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد
العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ بنى هذا أن يجير بين الناس وما كان أحد يجير على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية أنه جاء عثمان رضى الله عنه قبل على رضى الله عنه
فقال جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى سعد بن عبادة رضى الله عنه فقال
يا أبا ثابت انك سيد هذه البحيرة فأجر بين الناس وزد فى المدة فقال سعد جوارى فى جوار
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فأتى أشراف قريش والانصار فكلمهم وكلهم
يقول جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فلما أيس منهم دخل
على فاطمة رضى الله عنها فقال هل لك أن تجيرى بين الناس فقالت انما أنا امرأة وأبت عليه
فقال مرى ابنك فقالت ما بلغ أن يجير فقال لعلى رضى الله عنه يا أبا حسن انى أرى الامور
قد اشتدت على فانصحنى قال والله ما أعلم شيئا يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم
فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا قال لا والله ما أظنه ولكن
لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال أيها الناس انى قد أجرت بين الناس
ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انى
قد أجرت بين الناس فقال صلى الله عليه وسلم أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ثم ركب بعيره

وانصرف

وانصرف الى مكة وكانت غيبته قد طالت واتهمته قريش أشد التهمة وقالوا قد صبا واتبع
محمدا سرا وكتم اسلامه فلما دخل على هند امرأته ليلا قالت لقد غبت حتى اتهمك قومك فان
كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فأنت الرجل ثم جلس منها مجلس الرجل من امرأته فقالت
ما صنعت فأخبرها الخبر وقال لم أجد الا ما قال لي علي فضربت برجلها في صدره وقالت قبحت
من رسول قوم فما جئت بخير فلما أصبح حلق رأسه عند اساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم
رؤسهما وقال لا أفارق عبادتكما حتى أموت وأراد بذلك أن تبرئه قريش مما اتهمته به من
قولهم انه صبا فلما صنع ذلك قالوا والله ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو زيادة في مدة فانا لا نأمن
ان يغزونا فقال والله لقد أبى علي وفي رواية كلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت أبا بكر فلم
أجد فيه خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو وفي رواية أعدى العدو وكلمت عليه
أصحابه فما قدرت على شيء منهم الا انهم يرمونني بكلمة واحدة وما رأيت قوما أطوع لملك
عليهم منهم له الا أن عليا لما ضاقت بي الامور قال أنت سيد بني كنانة فأجر بين الناس فناديت
بالجوارة قالوا هل أجاز ذلك محمد قال لا وانما قال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة قالوا رضيت بغير
رضا وجئتنا بما لا يغني عنا ولا عنك شيأ ولعمر الله ما جوارك بجائز وان اخفارك عليهم لهين
والله ما زاد علي على ان لعب بك تلعبا فقال والله ما وجدت غير ذلك فقالوا ما جئتنا بحرب فنحذر
ولا صلح فنأمن وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش
حتى نبغتها في بلادها وروى ابن أبي شيبة عن أبي مالك الاشجعي قال خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من بعض حجره فجلس عند بابها وكان اذا جلس وحده لم يأته أحد حتى يدعوه فقال
ادع لي أبا بكر فجاء فجلس بين يديه فناجاه طويلا ثم أمره فجلس عن يمينه ثم قال ادع لي عمر فجاء
فجلس فناجاه طويلا فرفع عمر صوته فقال يا رسول الله هم رأس الكفر الذين زعموا انك ساحر
وانك كاهن وانك كذاب وانك مفتر ولم يدع شيأ مما كانوا يقولون لأذكره ثم قال وأيم الله
لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة فأمره فجلس عن شماله ثم دعا الناس فقال ألا أحدثكم بمثل
صاحبيكم هذين قالوا نعم يا رسول الله فأقبل بوجهه الكريم على أبي بكر رضي الله عنه فقال ان
ابراهيم عليه السلام كان ألين في الله تعالى من الدهن باللبن ثم أقبل على عمر رضي الله عنه فقال
ان نوحا كان أشد في الله تعالى من الحجر وان الامر أمر عمر فتجهزوا وتعاونوا فتبعوا أبا بكر
فقالوا انا كرهنا ان نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لي كيف تأمرني
في غزو مكة قلت يا رسول الله هم قومك حتى رأيت انه سيطيعني ثم دعا عمر فقال هم رأس الكفر
حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه وقد أمركم بالجهاد لتغزوا مكة وجاء في بعض الروايات انه
صلى الله عليه وسلم تجهز وما أعلم أحدا والمراد انه ما أعلم عامة الناس فلا ينافي انه أعلم
كبار أصحابه رضي الله عنهم فتجهز الناس وقال حسان رضي الله عنه يحرض الناس ويذكر
مصاب رجال خزاعة

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة * رجال بني كعب تحزز رقابها
بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم * وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي * سهيل بن عمرو حرها وعقابها
فلا تأمنن يا ابن أم مجالد * اذا احتلبت صرفا وأعصل نابها
فلا تجزعوا منها فان سيوفنا * لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن اسحاق قوله بأيدي رجال يعني قريشا وابن أم مجالد عكرمة بن أبي جهل وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فلتة وأمر جماعة أن تقيم بالانقاب وكان عمر رضي الله عنه يطوف على الانقاب فيقول لاتدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه وفي رواية ثم أمر بالطرق فحبست فعمي على أهل مكة لا تأتيهم خبر فكتب حاطب بن أبي بلتعة البدري حليف بني أسد رضي الله عنه كتابا وأرسله الى مكة يخبرهم بمسيرا النبي صلى الله عليه وسلم وأرسله مع امرأة استأجرها بعشرة دنانير وقال لها أخفيه ما استطعت ولا تمري على الطريق فان عليه حرسا فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضي الله عنهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ وهو موضع على بريد من المدينة فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا لها أخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فالتمسناه فلم نركتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنلقين عنك الثياب وفي رواية أو لنكشفنك أو لنضربن عنقك فلما رأت الجد حلت قرونها فأخرجته من عقاصها وفي رواية فلما رأت الجد أهوت الى حجزتها فأخرجته فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية أما بعد يامعشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجزله وعده فانظروا لانفسكم والسلام وفي رواية ان لفظ الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد فدعا النبي صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال أتعرف هذا الكتاب قال نعم قال ما حملك على هذا قال حاطب يا رسول الله لا تعجل علي أما والله اني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت وفي لفظ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش يعني حليفا لهم ولم أكن من أنفسها وفي رواية ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه وكان من معك من المهاجرين ممن له أهل أومال بمكة لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت اذ فاتني النسب فيهم ان أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وفي رواية فقال حاطب والله ما

ارتبت فى الله منذ أسلمت ولكننى كنت امرأ غريبا ولى فى مكة بنون واخوة فكتبت كتابا لا يضر الله ورسوله ولم أفعله ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقكم فيما أخبركم به فقال له عمر رضى الله عنه قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش وفى رواية انه قال انه يعلم يارسول الله انك أخذت على الطريق وأمرت أن لا نرى أحدا بمن ننكره الا رددناه يارسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفى رواية فقد وجبت لكم الجنة وفى أخرى لا يدخل النار أحد شهد بدرا فدمعت عينا عمر رضى الله عنه وقال الله ورسوله أعلم وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل فالذى نزل فى ذلك الى هنا وقيل الى قوله قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم وانما قال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر رضى الله عنه من القوة فى الدين وبغض المنافقين فظن أنه يستحق القتل لكونه خالف ما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم من اخفاء مسيره عن قريش وحرصه على عدم وصول خبره اليهم وبعثه جماعة على الطريق حتى لا يبلغهم الخبر فلذا ظن انه استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن فى قتله وأطلق عليه منافقا لكونه أظهر خلاف ما أبطن وحاطب كان معذورا متأولا بما ذكره من عذره وكفاه منقبة شهادة الله له بالايمان حيث قال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الخ وقوله صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ليس فيه اباحة المعاصى لهم وانما هو خطاب اكرام وتشريف تضمن انهم رضى الله عنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا لان يغفر لهم ما يحصل من الذنوب لو فرض وقوعه منهم وما أحسن قول بعضهم

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فى كل من أخبر عنه بشئ من ذلك فانهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة الى أن فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شئ من أحدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم رضى الله عنهم ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج من المدينة وعزم على غزو أهل مكة بعث الى من حوله من العرب وطلب حضورهم أسلم وغفار وأشجع وسليم وغيرهم فارسل اليهم يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلا فى كل ناحية فنهم من

وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون فى غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا من المهاجرين والانصار وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم وقيل ان العشرة آلاف خرج بهم من نفس المدينة ثم تلاحق به ألفان قال الحلبى فى السيرة وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس وكانت الانصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة ألفا ومعها مائة فرس وكانت أسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرسا وكان معه صلى الله عليه وسلم من زوجاته أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين الغفارى وجمع بينهما بأن أبارهم جعله للقضايا والاحكام وابن أم مكتوم للصلاة وخرج عليه الصلاة والسلام من المدينة لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة وقيل لليلتين خلتا من رمضان وقيل لست عشرة وقيل ثمان عشرة قال النووى لا أعلم خلافا فى ان ذلك فى شهر رمضان أى وانما الخلاف فيما مضى منه حين الخروج ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الكديد بفتح الكاف وهو موضع بين قديد وعسفان أفطر لانه بلغه ان الناس شق عليهم الصيام وقيل له انما ينظرون فيما فعلت فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا باناء من ماء وقيل من لبن فوضعه على راحلته ليراه الناس فشرب فأفطر فناوله رجلا الى جنبه فشرب فلم يزل مفطرا رفقا بالمسلمين حتى انسلخ الشهر لانه وان قدم مكة قبل تمام الشهر لكنه كان فى أهبة القتال وبعث السرايا ولم ينو الاقامة ولذا كان يقصر الصلاة * وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم قد خرج بأهله وعياله مهاجرا فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان اسلامه قديما وكان يكتمه بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم أمره بالاقامة بمكة ليكتب له أخبار قريش وكان العباس رضى الله عنه يسره ما يفتح الله على المسلمين وما أظهر اسلامه لاهل مكة الا يوم الفتح وكان مقيما بمكة على سقايته وكان ينفع المستضعفين بمكة وبه يتقون ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وقيل انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة فبعث ثقله الى المدينة وسار مع النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة للفتح وروى الطبرانى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال استأذن العباس النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فكتب اليه ياعم أقم مكانك الذى أنت فيه فان الله يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة ولما لقيه قال هجرتك ياعم آخر هجرة كما ان نبوتى آخر نبوة * وكان ممن لقيه صلى الله عليه وسلم فى الطريق أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عمه صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاع من حليمة السعدية وكان مع أبى سفيان ولده جعفر وعبد الله ابن أبى أمية المخزومى ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وهو أخو أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم لأبيها لان أمها عاتكة بنت عامر بن قيس وكان لقاء أبى سفيان ومن معه للنبى صلى الله عليه وسلم بنقب العقاب بين مكة والمدينة وقيل بالابواء وهم مسلمون

مهاجرون

مهاجرون واسم أبي سفيان كنيته وقيل اسمه المغيرة وكان يألف النبي صلى الله عليه وسلم ولا يفارقه قبل النبوة فلما بعثه الله عاداه وهجاه وأجابه عنه حسان رضي الله عنه كثيرا وكان عبد الله ابن أبي أمية قبل اسلامه شديدا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وفي ذلك وكان كل منهما أي من أبي سفيان وعبد الله من أشد الناس أذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض عنهما صلى الله عليه وسلم لما لقياه لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو فالتمسا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم فكلمته أم سلمة رضي الله عنها فيهما فقالت يارسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك فقال لاحاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ماقال يعني قوله له والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون ان الله أرسلك فقالت له أم سلمة رضي الله عنها لايكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال أبو سفيان والله ليأذن لي أو لآخذن بيد ابني هذا يعني ولده جعفرا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشده أبو سفيان معتذرا عما مضى فقال

لعمرك اني يوم أحمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكالمدلج الحيران أظلم ليله * فهذا أواني حين أهدى وأهتدى

هداني هاد غير نفسي ونالني * مع الله من طردته كل مطرد

أصد وأنأى جاهدا عن محمد * وأدعى وان لم أنتسب من محمد

قال ابن اسحاق انه لما قال ونالني مع الله من طردته كل مطرد ضرب صلى الله عليه وسلم صدره وقال أنت طردتني كل مطرد وقال علي رضي الله عنه لأبي سفيان بن الحارث عند اذنه صلى الله عليه وسلم له في الدخول عليه ائته من قبل وجهه فقل له ماقال اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لايرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له صلى الله عليه وسلم لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ويقال انه مارفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه وكان صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ولزم ركاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ولم يفارقه وكان صلى الله عليه وسلم يقول فيه أرجو أن يكون خلفا من حمزة وقال له صلى الله عليه وسلم كل الصيد في جوف الفرا وقيل قال ذلك لأبي سفيان بن حرب ولا مانع من التعدد وتوفي أبو سفيان بن الحارث رضي الله عنه سنة خمس عشرة أو عشرين بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقبره بالمدينة معروف يزار عليه قبة منيرة * يروى أنه قال عند موته ولا تبكن على فاني لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت

* وأما عبد الله بن أبي أمية المخزومي فكذلك كان بعد اسلامه شديد الحياء من النبي صلى الله عليه وسلم لايستطيع أن يرفع طرفه اليه حياء منه واستشهد في غزوة الطائف رضي الله عنه

وعقد صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات بقديد ودفعها للقبائل فأعطى ابنى سليم لواء وراية وابنى غفار راية ولاسلم لواءين وابنى كعب راية ولمزينة ثلاثة ألوية ولجهينة أربعة ألوية وكان جاء نفر من بنى بكر أسلموا فكانوا معه صلى الله عليه وسلم فأعطاهم لواء ولاشجع لواءين ورأى أبو بكر الصديق مناما قبل عقد الالوية وقيل عند نزولهم بمر الظهران فقال يارسول الله رأيت فى المنام أنا دنونا من مكة فخرجت الينا كلبة تهر أى تصوت فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فاذا هى تشخب لبنا فقال صلى الله عليه وسلم ذهب كلبهم وأقبل درهم وهم سائلونا بأرحامهم وانكم لاقون بعضهم فان لقيتم أباسفيان فلا تقتلوه وقوله ذهب كلبهم أى شدتهم وقوله وأقبل درهم المراد خيرهم وهو انقيادهم للاسلام ثم لما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش أوتسمع بها فترعب من كثرتها واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فأخذ العيون والاخبار عن أهل مكة ولم يبلغهم مسيره وهم مغتمون محزونون متحيرون خائفون وتقدم أن العباس رضى الله عنه استقبل النبى صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر فبعث أهله الى المدينة ورجع مع النبى صلى الله عليه وسلم قال العباس حين نزل النبى صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفسى لأهل مكة وقلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلى أجد بعض الحطابة أوصاحب لبن أوذا حاجة يأتى مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة وكان من قضاء الله وقدره أن خرج أبوسفيان بن حرب وحكيم بن حزام و بديل بن ورقاء الخزاعى يتجسسون الاخبار و ينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقيل انه بلغهم مسيره صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا الى أى جهة وقيل ان قريشا بعثوا أباسفيان يتجسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فأقبل أبوسفيان وحكيم و بديل يسيرون فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك ورأوا كثرة النيران فقال أبوسفيان مارأيت كالليلة نيرانا قط ولاعسكرا هذه كنيران عرفة فقال بديل هذه نيران بنى عمرو يعنى خزاعة فقال أبوسفيان هم أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فلما دخل أبوسفيان ومن معه عسكر المسلمين أخذهم حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية أخذتهم الخيل تحت الليل وكان الحرس عند نفر من الانصار وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليهم تلك الليلة فجاؤا بهم فلما أخذوا بخطم أبعرتهم قال أبوسفيان من أنتم قالوا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم وروى الطبرانى عن أبى ليلى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فقال ان أباسفيان بالاراك فخذوه فأخذناه وفى رواية وكان صلى الله عليه وسلم بعث بين يديه خيلا تقتص العيون وخزاعة على الطريق لايتركون أحدا يمضى ولما أخذ

المسلمون أباسفيان ومن معه جاؤا بهم الى عمر رضى الله عنه لكونه كان على الحرس تلك الليلة
فقالوا جئناك بنفر أخذناهم من أهل مكة فقال عمر رضى الله عنه وهو يضحك اليهم والله
لو جئتمونى بأبى سفيان مازدتم قالوا والله أتيناك بأبى سفيان فقال احبسوه وفى رواية أن
العباس رضى الله عنه كان صديقا لأبى سفيان فلما ركب البغلة ليتوجه الى الاراك رجاء أن يجد
من يبعثه لقريش ليأخذوا أمانا اذ سمع صوت أبى سفيان فأخذه وجاء به فأمسكه الحرس فأجاره
من الحرس أن يقتلوه وقال عمر رضى الله عنه لأبى سفيان حين مر به العباس عليه أبو سفيان
عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك من غير عقد ولا عهد قال العباس وقلت له يا أبا حنظلة
تعرف صوتى فقال أبو الفضل قلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قلت والله هذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به وفى رواية قد جاءكم فى عشرة آلاف
فقال واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبى وأمى قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك
فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك فتركب
صاحبه وركب خلف العباس رضى الله عنه فكان كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا
فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم على بغلته قال العباس ثم خرج عمر رضى الله عنه يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم
فركضت البغلة وسبقته فاقتحمت من البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل
عليه عمر فى أثرى فقال يارسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه من غير عقد ولا
عهد فدعنى أضرب عنقه قال العباس رضى الله عنه قلت يارسول الله انى قد أجرته ولعل العباس
وعمر لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم انكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه قال
العباس رضى الله عنه ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا يناجيه الليلة دونى
رجل فلما أكثر عمر فى شان أبى سفيان قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بنى عدى ما قلت
هذا ولكنك قد عرفت أنه من رجال عبد مناف فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم
أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم ومابى الا انى عرفت أن اسلامك كان أحب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذهب يا عباس به الى رحلك فاذا أصبحت فأتنى به كذا فى رواية ابن اسحاق وذكر موسى بن
عقبة وغيره أن العباس قال قلت يارسول الله أبو سفيان وحكيم وبديل قد أجرتهم وهم يدخلون
عليك قال أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم فدعاهم الى الاسلام وأن
يشهدوا أن لا اله الا الله وأنه رسول الله فشهد بديل وحكيم وقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله
ان فى النفس من هذا شيئا بعد فأرجئها اى أخرها وفى رواية قال له صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان
أسلم تسلم قال كيف أصنع باللات والعزى فقال له عمر اخرأ عليهما وكان عمر رضى الله عنه خارج
القبة ثم قال عمر أما والله لو كنت خارج القبة ما قلتها فقال أبو سفيان ويحك يا عمر انك رجل

فاحش دعني مع ابن عمي فاياه أكلم فقال صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس فذهب به فلما
أصبح أتى به أول النهار على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن أبا سفيان لما أصبح ورأى
الناس بادروا الى الوضوء قال ما للناس أمروا في شيء قالوا لا ولكنهم قاموا الى الصلاة فأمره
العباس فتوضأ وانطلق به فلما كبر صلى الله عليه وسلم كبر الناس ثم ركع فركعوا ثم رفع فرفعوا
ثم سجد فسجدوا فقال ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ولا فارس الا كارم
ولا الروم ذات القرون بأطوع منهم له يا أبا الفضل أصبح ابن أخيك والله عظيم الملك فقال
العباس انه ليس بملك ولكنها النبوة فقال أو ذاك فلما رآه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الصلاة
قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله فلما رأى أبو سفيان مخاطبة النبي صلى
الله عليه وسلم له بهذا الخطاب اللين العذب وأنه صلى الله عليه وسلم أغضى وضرب صفحا عما جرى
منه في عداوته ومحاربته قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك اذ ظننت أنه لو كان
مع الله اله غيره لأغنى عني شيئا لقد استنصرت الهي واستنصرت الهك فوالله ما لقيتك من مرة
الا نصرت علي فلو كان الهي محقا والهك مبطلا لكنت غلبتك ثم قال صلى الله عليه وسلم
ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك
وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شيء فخاف عليه العباس أن يبادر أحد بقتله لانه ليس وقت
مجادلة لاسيما مع شدة حنق المسلمين عليه فقال له ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا
رسول الله قبل أن تضرب عنقك فأسلم وشهد شهادة الحق رضي الله عنه وروى الحافظ الذهبي
عن سعيد بن المسيب قال لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل
وطواف بالبيت حتى أصبحوا فقال أبو سفيان لهند أترين هذا من الله ثم أصبح فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم قلت لهند أترين هذا من الله فقال أبو سفيان أشهد أنك عبد الله ورسوله والذي
يحلف به ما سمع قولي هذا الا الله وهند وروى ابن عساكر عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم
قال خرج صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان جالس في المسجد فقال في نفسه ما أدري بم يغلبنا محمد
فأتاه صلى الله عليه وسلم فضرب صدره وقال بالله نغلبك فقال أشهد أنك رسول الله وروى
الحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمشي والناس يطأون عقبه فقال في نفسه لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعا
فجاء عليه السلام حتى ضرب في صدره فقال اذن يخزيك الله فقال أتوب الى الله وأستغفر الله
ما أيقنت انك نبي الا الساعة اني كنت لأحدث بذلك نفسي * والحاصل أن أبا سفيان كان
في أول الامر مستكرها فلم يزل صلى الله عليه وسلم يترفق به ويتألفه حتى تمكن الاسلام من قلبه
ولقد حضر مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة الطائف ففقئت عينه فجاء بها في يده الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له ان شئت أرجعها الله اليك خيرا مما كانت وان شئت خيرا منها في الجنة
فرمى بها وقال خيرا منها في الجنة وفقئت عينه الاخرى يوم اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه

وكان يحث الناس ويحرضهم على القتال ويقول هذا يوم من أيام الله انصروا دين الله ينصركم الله قال أنس بن مالك رضى الله عنه لقد رأيته أعمى يقوده غلامه يدخل به على عثمان رضى الله عنه فى زمن خلافته وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله عنه وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع سنة أربع وثلاثين وقيل سنة احدى وثلاثين وعمره ثمان وثمانون سنة * قال السيوطى فى تحفة الادب روى القزوينى فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لطم أبو جهل فاطمة رضى الله عنها فى أول بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها ائت أبا سفيان فأتته فأخبرته فأخذ بيدها حتى وقف على ابى جهل فقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لابى سفيان قال ابن عباس رضى الله عنهما ما شككت أن اسلامه كان لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم وقد أوصى صلى الله عليه وسلم بأصحابه وأنصاره وأصهاره وهو من أصهاره لان ابنته أم حبيبة رضى الله عنها كانت زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم انى سألت الله أن لا يدخل النار أحدا ممن صاهرنى أو صاهرته فاياك ان تصغى لما ينقله بعض المؤرخين و يتشدق به بعض أهل الزيغ والضلال من الطعن فيه وفى ابنه أو فى أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فتكون من الهالكين وما جرى بين الصحابة من الاختلاف فهو محمول على الاجتهاد وكلهم مأجورون ان شاء الله تعالى فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على محبة أهل البيت وأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأن لا يجعل لاحد منهم فى عنقنا ظلامة * قال موسى بن عقبة قال أبو سفيان وحكيم بن حزام يارسول الله جئت بأوباش الناس ممن يعرف ومن لا يعرف الى أهلك وعشيرتك فقال صلى الله عليه وسلم أنتم أظلم وأفجر فقد غدرتم بعد الحديبية وظاهرتم على بنى كعب يعنى خزاعة بالاثم والعدوان فى حرم الله وأمنه فقالا صدقت يارسول الله وقال بديل والله يارسول الله لقد غدروا ولو أن قريشا خلوا بيننا و بين عدونا يعنى بنى بكر ما نالوا منا ثم قالا لو كنت جعلت جدك ومكيدتك لهوازن فهم أبعد رحما وأشد عداوة لك فقال صلى الله عليه وسلم انى لارجو من ربى أن يجمع لى ذلك كله فتح مكة واعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن وغنيمة أموالهم وذراريهم فانى أرغب الى الله تعالى فى ذلك ثم قال أبو سفيان يارسول الله ادع الناس بالامان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها أهم آمنون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن ثم أراد العباس رضى الله عنه تثبيت اسلام أبى سفيان لئلا يدخل عليه الشيطان من حيث انه كان متبوعا فأصبح تابعا ليس له من الامر شئ فقال يارسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم ثم أعانه أبو بكر رضى الله عنه فقد روى ابن أبى شيبة أن أبا بكر رضى الله عنه قال يارسول الله ان أبا سفيان رجل يحب السماع أى الشرف يعنى فاجعل له شيئا فقال صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن قال وما تسع دارى زاد ابن عقبة ومن دخل دار حكيم فهو آمن

وهي من أسفل مكة ودار أبي سفيان بأعلاها ومن دخل المسجد فهو آمن قال وما يسع المسجد
قال ومن أغلق بابه فهو آمن قال أبو سفيان هذه واسعة وأمر صلى الله عليه وسلم منادية أن
ينادي بذلك كله الا من استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بقتلهم كما سيأتي ثم قال له
العباس النجا الى قومك أي بعد أن حبسه حتى مرت عليه جنود الله كما سيأتي وفي رواية
أنه صلى الله عليه وسلم بعث أبا سفيان وحكيم بن حزام الى أهل مكة ينادون فيهم بذلك حتى
اذا جاء أبو سفيان قومه صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به
اسلموا تسلموا من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا قاتلك الله وما تغني عنا دارك قال ومن أغلق
بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فقامت اليه هند زوجته فأخذت بشاربه وقالت اقتلوا
الحميت أي الزق الضخم الدسم الاحمس نجت من طليعة قوم وفي رواية أنها أخذت بلحيته
ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم فقال لها
ويحك اسكتي وادخلي بيتك والله لتسلمن أو لأضربن عنقك وقال لهم ويلكم لا تغرنكم هذه
من أنفسكم فقد جاءكم بما لا قبل لكم به فتفرقوا الى دوركم والى المسجد وروي أنه
صلى الله عليه وسلم قال قبل مجيء أبي سفيان ومن معه اليه ان بمكة أربعة نفر أربأ بهم عن الشرك
وأرغب بهم في الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو وهذا
يدل على أن جبيرا أسلم يوم الفتح لكن ذكر بعضهم وقيل ان اسلامه كان قبل ذلك وحكيم بن حزام
رضي الله عنه أبوه حزام بن خويلد أخو خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فهي
عمة حكيم وكان عمره حين أسلم ستين سنة وعاش في الاسلام ستين وتوفي وعمره مائة وعشرون
سنة وكان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام أعتق في الجاهلية مائة رقبة وفي الاسلام
مثل ذلك فانه حج في الاسلام ووقف بعرفة وأعتق بها مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة
منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام وأهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة وأهدى ألف
شاة رضي الله عنه ولما أراد صلى الله عليه وسلم السير من مر الظهران قال للعباس رضي الله
عنه لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر فاحبسه عند خطم الجبل حتى يرى جنود الله وجاء أن
أبا بكر رضي الله عنه هو الذي قال يا رسول الله لو أمرت بأبي سفيان فحبس على الطريق فحبسه
العباس بالمضيق دون الاراك وفي رواية ومعه حكيم بن حزام فقال أبو سفيان أغدرا قال لا
ولكن لي اليك حاجة حتى تنظر جنود الله وما أعد الله للمشركين وفي رواية قال له انا أهل
النبوة لا يغدرون وأمر صلى الله عليه وسلم كل قبيلة ان تكون عند راية صاحبها وتظهر ما معها
من القوة والعدة فاصبح الناس على ظهر وقدم بين يديه الكتائب ومرت القبائل على قاداتها
والكتائب على راياتها فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة والكتيبة بالتاء المثناة القطعة من
الجيش وأبو سفيان ينظر اليهم ويسأل عنهم وأول من قدم خالد بن الوليد رضي الله عنه في بني
سليم وهم ألف وقيل تسعمائة معهم لواآن يحملهما العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة تحبس

مرّوا بأبي سفيان كبروا ثلاثا فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء فقال خالد بن الوليد فقال خالد الغلام قال نعم قال ومن معه قال بنو سليم قال مالى ولبنى سليم ثم مرّ على أثره الزبير بن العوام رضى الله عنه فى خمسمائة من المهاجرين وأفناء العرب فكبروا ثلاثا فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء قال الزبير بن العوام قال ابن أختك قال نعم ثم مرّت كتيبة بنى غفار فى ثلثمائة يحمل رايتهم أبو ذر رضى الله عنه فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال يا عباس من هؤلاء قال غفار قال مالى ولغفار ثم مرّت أسلم فى أربعمائة فيها لواآن يحملهما بريدة بن الحصيب وناجية بن الاعجم فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال أسلم قال مالى ولاسلم ثم مرّت بنو كعب بن عمرو وهم خزاعة فى خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال بنو كعب اخوة أسلم قال هؤلاء حلفاء محمد قال نعم ثم مرّت مزينة فيها مائة فرس وثلاثة ألوية يحملها النعمان وعبد بن عمرو بن عوف و بلال بن الحارث فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال مزينة قال مالى ولمزينة قد جاءتنى تقعقع من شواهقها ثم مرّت جهينة فى ثمانمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد بن خالد وسويد بن صخر ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال جهينة قال مالى ولجهينة والله ما كان بينى و بينهم حرب قط ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد بن بكر فى مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثى فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال بنو بكر قال نعم أهل شؤم والله هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواآن يحملهما معقل بن سنان ونعيم ابن مسعود الاشجعى فكبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال أشجع قال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد فقال له العباس أدخل الله الاسلام فى قلوبهم فهذا فضل الله ومرت بنو تميم و بنو فزارة وسعد بن هذيم وهم من قضاعة فصنعوا مثل ذلك وقيل ان مرور هؤلاء كان قبل أشجع وان أشجع كانت آخرهم ثم قال أبو سفيان أبعد ما مضى محمد فقال له العباس لو أتت الكتيبة التى محمد فيها لرأيت الخيل والحديد والرجال وما ليس لاحد به طاقة قال ومن له بهؤلاء طاقة وجعل الناس يمرون وهو يقول عند مرور كل قبيلة ما مر محمد فيقول العباس لا حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها اذ فى كل بطن منها لواء وهم فى الحديد لا يرى منهم الا الحدق فيهم ألفا دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان من هؤلاء قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه معه راية الانصار وتقدم أن راية المهاجرين كانت مع الزبير رضى الله عنه وكان جملة من كبار المهاجرين مع النبى صلى الله عليه وسلم والانصار وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفى رواية ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألفا دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون والانصار وفيها الرايات والالوية مع كل بطن من بطون الانصار لواء و راية وهم فى الحديد لا يرى منهم الا الحدق ولعمر بن الخطاب رضى الله عنه فيها زجل بصوت عال وهو يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفى رواية قال أبو سفيان سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار فقال

مالاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما فقال يا أبا سفيان انها النبوة فقال نعم اذن فلما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان قال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي يوم الحرب الذي لايوجد منه مخلص اليوم تستحل الكعبة أي يقتل من أهدر دمه ولو تعلق بأستار الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار أي حبذا يوم الهلاك تمنى أبو سفيان أن يكون له يد وقوة فيحمى قومه ويدفع عنهم وقيل معناه هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم لمن قدر عليه قال ذلك غلبة وعجزا وقيل المعنى هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى لقربك من النبي صلى الله عليه وسلم وسمع مقالة سعد بن عبادة رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل سمعها رجلان وهما عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فقالا يا رسول الله ما نأمن أن تكون لسعد صولة في قريش فقال لعلى رضي الله عنه أدركه فخذ الراية منه ثم أمره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد بن عبادة ورأى صلى الله عليه وسلم أن الراية لم تخرج عنه حيث صارت لابنه وقيل انما أمر بأخذ الراية منه حين حاذى النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فانه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه وهو مار في جنود الله أمرت بقتل قومك قال لا فذكر له أبو سفيان ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم أي قال له أنشدك الله في قومك فانك أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا أي بالاسلام والدين وبانقاذهم من الضلال المبين وفي رواية ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة أشار بهذا الى أنه صلى الله عليه وسلم هو الذي يكسوها ذلك العام وقد وقع ذلك فالمراد من اليوم الزمان ثم أرسل الى سعد فأخذ الراية منه فدفعها لابنه قيس رضي الله عنه وروى ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه قال لما قال سعد بن عبادة ذلك القول تعرضت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

يا نبى الهدى اليك لجا حى * قريش ولات حين لجاء

حين ضاقت عليهم سعة الار * ض وعاداهم اله السماء

والتقت حلقتا البطان على القو * م ونودوا بالصيلم الصلعاء

ان سعدا يريد قاصمة الظهـ * ـر بأهل الحجون والبطحاء

خزرجي لو يستطيع من الغيـ * ـظ رمانا بالنسر والعواء

وغر الصدر لايهم بشئ * غير سفك الدما وسبي النساء

قد تلظى على البطاح وجاءت * عنه هند بالسوءة السوآء

اذ ينادى بذل حى قريش * وابن حرب بذا من الشهداء

فلئن أقحم اللواء ونادى * يا حماة الادبار أهل اللواء

ثم ثابت اليه من بهم الخز * رج والاوس أنجم الهيجاء

لتكونن بالبطاح قريش * فقعة القاع في أكف الاماء

فانهينه فانه أسد الاسد لدى الغاب والغ فى الدماء
انه مطرق يريد لنا الامر سكوتا كالحية الصماء

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخلته رأفة ورحمة فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت لابنه قيس وجاء انه لما جاءه الرسول من النبى صلى الله عليه وسلم بتسليمها لابنه أبى أن يسلمها الا بأمارة من النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه بعمامته فسلمها لابنه وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم سلمها لعلى وفى بعضها انه سلمها للزبير بن العوام فدخل مكة برايتين قال الحافظ ابن حجر والذى يظهر فى الجمع بين الروايات أنه صلى الله عليه وسلم أرسل عليا رضى الله عنه لينتزعها ويدخل بها ثم خشى تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس ثم ان سعدا خشى أن يقع من ابنه شئ ينكره النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير ثم بعد مرور جنود الله كلها بأبى سفيان قال له العباس النجا الى قومك فجاء اليهم يصيح بالأمان فأمسكته زوجته وفات اتقاتلوه الى آخر ماتقدم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون قال عروة بن الزبير أخبرنى نافع بن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال سمعت العباس يقول للزبير رضى الله عنهما فى حجة اجتمعوا فيها بمكة فى خلافة عمر رضى الله عنه يا أبا عبد الله هاهنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية قال نعم قال الحلبى فى السيرة وفى ذلك المحل بنى مسجد يقال له مسجد الراية ودخل صلى الله عليه وسلم من الثنية العليا وأمر خالد بن الوليد ومن معه أن يدخلوا من الثنية السفلى روى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته القصواء مردفا أسامة بن زيد رضى الله عنهما خلفه وهذا من مزيد تواضعه وكريم أخلاقه حيث أردف فى هذا الموكب العظيم خادمه وابن خادمه رضى الله عنهما والمتكبر يعد ارداف ابنه اذا ركب فى السوق عارا عليه ماذا الا التكبر برأ الله منه نبيه صلى الله عليه وسلم وفى رواية ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمراء وفى رواية وعليه عمامة سوداء حرقانية واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله تعالى حين رأى مارأى من فتح الله وكثرة المسلمين وهو يقول اللهم ان العيش عيش الآخرة وفى رواية دخل وعلى رأسه المغفر ويمكن الجمع بين ذلك كله وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما دخل صلى الله عليه وسلم عام الفتح أى لما أراد الدخول رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم والتفت الى أبى بكر رضى الله عنه وقال يا أبا بكر كيف قال حسان فأنشده قوله

عدمت بنيتى ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مسرجات * يلطمهن بالخمر النساء

فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوها من حيث قال حسان وروى الطبرانى عن العباس رضى الله عنه قال لما بعث صلى الله عليه وسلم قلت لأبى سفيان بن حرب أسلم بنا قال لا والله حتى أرى

الخيل تطلع من كداء فقلت ما هذا قال شيء طلع بقلبي لان الله لا يطلع هنالك خيلا أبدا قال العباس
رضي الله عنه فلما طلع صلى الله عليه وسلم من هنالك ذكرت أبا سفيان به فذكره وتقدم هذا
الحديث بأطول من هذا وانهما توجها الى اليمن في تجارة واجتمعا بحبر من أحبار اليهود
وسألاه عن النبي صلى الله عليه وسلم فسألهما عن صفاته فوصفاها له فقال هو هو ذبحت يهود وقام
وترك رداءه فتعجب أبو سفيان من تصديق اليهودي به وخوفهم منه فقال له العباس ألا تسلم بنا
فقال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء الى آخر الحديث قال الحافظ بن حجر وقد ساق
موسى بن عقبة دخول خالد والزبير سياقا واضحا موافقا للاحاديث الصحيحة فقال وبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء بالفتح
والمد وأمره أن يركز رايته بالحجون وان يمكث عند الراية ولا يبرح حتى يأتيه وبعث خالد بن
الوليد في قبائل منها قضاعة وسليم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم وأمره أن يدخل من
أسفل مكة وان يغرز رايته عند أدنى البيوت أي أقربها الى الثنية التي دخل منها وهو أول بيوت
مكة من الجهة التي دخل منها وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض ورايته سوداء
تسمى العقاب وكانت من برد لعائشة رضي الله عنها وجعل أبا عبيدة على الرجالة أي المشاة وبعث
سعد بن عبادة في كتيبة الانصار وكانت معه الراية حتى نزعت منه واستمرت الراية في مقدمة
كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا
الا من قاتلهم فاندفع خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها ناس من
بني بكر وبني الحارث بن عبد مناف وناس من هذيل الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا
ومنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا لا تدخلها عنوة فصاح خالد في أصحابه
فقاتلهم فانهزموا أقبح الانهزام وقتل من بني بكر نحو أربعة وعشرين رجلا ومن هذيل أربعة
حتى انتهى بهم القتال الى الحزورة وكانت سوقا بمكة ثم دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم
على الجبال هربا واتبعهم المسلمون فصاح حكيم بن حزام وأبو سفيان يا معشر قريش علام تقتلون
أنفسكم من دخل داره فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون
أبوابها ويطرحون السلاح في الطرق فيأخذه المسلمون وروى ابن اسحاق ان أصحاب خالد لقوا
ناسا من قريش منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وتجمعوا بالخندمة
ليقاتلوا المسلمين فناوشوهم شيئا من القتال فقتل من أصحاب خالد مسلمة بن الميلاء الجهني وقتل من
المشركين اثنا عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا وفي ذلك يقول حماش بن قيس يخاطب امرأته حين
لامته على الفرار وقد كان سابقا يصلح سلاحه ويعدها أن يأتيها ببعض الاسرى المسلمين يكونون
خادما لها وكانت أسلمت سرا وفي رواية انها رأته وهو يبري نبلا له فقالت له لم تبري هذا
النبل قال بلغني ان محمدا يريد أن يفتح مكة ويغزوها فلئن كان لأخدمنك خادما من بعض من
نستأسره فقالت والله لكأني بك قد رجعت تطلب مخبأ أخبؤك فيه لو رأيت خيل محمد فلما

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أقبل اليها وقال و يحك هل من مخبأ فقالت له وأين الخادم فقال لها دعيني عنك وأنشد يقول

انك لو شهدت يوم الخندمه ● اذفر صفوان و فر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمه * واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه ● ضربا فلا تسمع الا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه * لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يا بنى عبد الرحمن وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار الاوس يا بنى عبيد الله وقتل من أصحاب خالد أيضا رجلان حبيش بن الاشعر الخزاعى أخو أم معبد التى مر بها النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا وكرز بن جابر الفهرى وهذا أسلم بعد غزوة بدر وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين وهو الذى أغار على سرح النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر الاولى ثم لما أسلم استعمله النبى صلى الله عليه وسلم و بعثه فى طلب العرنيين كما تقدم ولما وقع القتال بأسفل مكة نظر صلى الله عليه وسلم الى بارقة السيوف فقال ماهذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل و بدئ بالقتال فلم يكن له بد أن يقاتلهم وجاء فى رواية انه قيل له يارسول الله هذا خالد بن الوليد يقتل فقال قم يافلان فقل له فليرفع يديه من القتل فأتاه الرجل فقال له ان نبى الله يقول لك اقتل من قدرت عليه وأجرى الله ذلك على لسانه فقتل سبعين فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل اليه ألا آمرك ان تنذر خالدا قال أردت أمرا فأراد الله أمرا فكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت الا الذى كان فسكت صلى الله عليه وسلم وما رد عليه وقوله قتل سبعين لا ينافى رواية أربعة وعشرين لان زيادة الثقة مقبولة والاقل داخل فى الاكثر وقال موسى بن عقبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن لخالد رضى الله عنه قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدؤنا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت فقال صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء فى رواية ان قريشا و بشت أوباشا لها أى جمعت جموعا من قبائل شتى فنادى صلى الله عليه وسلم أبا هريرة رضى الله عنه وقال له اهتف لى بالانصار فهتف بهم فجاؤا وأطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى أوباش قريش واتباعهم ثم قال بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا قال أبو هريرة رضى الله عنه فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحدا منهم الا قتلناه لا يقدر أن يدفع عن نفسه فجاء أبو سفيان فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن أى أمر أن ينادى بذلك و بعد لم به ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد فقال يارسول الله هم بدؤنا بالقتال و قد كففت ما استطعت ودعوتهم الى الاسلام فأبوا حتى اذا لم أجد بدا قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا فى كل وجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء الله

خير وجاء فى رواية انه صلى الله عليه سلم قال كفوا القتال الا خزاعة عن بنى بكر الى صلاة العصر وهى الساعة التى أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان دخوله صلى الله عليه وسلم لعشر بقين رمضان ومعه صلى الله عليه وسلم زوجتاه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما * وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استثنى أناسا من الدخول فى الامان وأمر بقتلهم وهم خمسة عشر ما بين رجل وامرأة عبد الله بن أبى سرح وعبد الله بن خطل وقينتان كانتا عنده تغنيان بهجاء النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين وعكرمة بن أبى جهل والحويرث بن نقيد ومقيس بن صبابة وهبار بن الاسود وكعب بن زهير والحارث بن هشام وهو أخو أبى جهل لابويه وزهير بن أبى أمية وسارة وهى مولاة لبنى المطلب وصفوان بن أمية وهند بنت عتبة زوج أبى سفيان أم معاوية ووحشى قاتل حمزة وأكثر هؤلاء أسلموا كما سيأتى بيانه أما عبد الله بن أبى سرح بن الحارث العامرى فانه كان أسلم ثم ارتد ولحق بمكة وصار يتكلم بكلام قبيح فى حق النبى صلى الله عليه وسلم فاهدر دمه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فلما علم باهدار دمه لجأ الى عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان أخاله من الرضاع فقال يا أخى استأمن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقى فغيبه عثمان رضى الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا ثم أتى به اليه صلى الله عليه وسلم وصار يقول عثمان يارسول الله أمنته فبايعه والنبى صلى الله عليه وسلم يعرض عنه مرارا ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى الله عليه وسلم لمن حوله أعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وكان عباد بن بشر رضى الله عنه نذران رأى عبد الله بن أبى سرح قتله وكان قائما على رأس النبى صلى الله عليه وسلم وهو متقلد سيفه ينتظر النبى صلى الله عليه وسلم يشير اليه أن يقتله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انتظرتك ان توفى بنذرك فقال يارسول الله خفتك أفلا أومضت الى فقال انه لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الاعين وهو الايماء بالطرف قال الزرقانى ثم أدركته العناية الازلية وأتته السعادة الابدية فأسلم وحسن اسلامه وعرف فضله وجهاده وكان على ميمنة عمرو بن العاص رضى الله عنه فى فتح مصر وكانت له المواقف المحمودة فى الفتوح وهو الذى افتتح أفريقية فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ثمان أوسبع وعشرين وكان ذلك الفتح من أعظم الفتوح بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وغزا الاساود من النوبة سنة احدى وثلاثين وهادن باقى النوبة الهدنة الباقية بعده وغزا ذات الصوارى سنة أربع وثلاثين وولاه عمر رضى الله عنه صعيد مصر ثم ضم اليه عثمان رضى الله عنه مصر كلها وكان محمودا فى ولايته واعتزل الفتنة حتى مات سنة سبع أو تسع وخمسين وروى البغوى باسناد صحيح عن يزيد بن أبى حبيب قال لما كان عند الصبح قال ابن أبى سرح اللهم اجعل آخر عملى الصبح فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه رضى الله عنه * وأما عبد الله بن خطل فانه انما أمر بقتله لانه كان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد

الله

الله و بعثه لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الانصار يخدمه وفى رواية كان معه مولى
يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم يجده
صنع له شيئا وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا فجعل يهجو النبى صلى الله
عليه وسلم فى شعره وكان له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يصنعه
وقد جاء أنه يوم فتح مكة ركب فرسه ولبس درعه وأخذ بيده قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة
فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت
أستارها فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فأخبره
فأمر بقتله وقيل لما طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل متعلقا
باستار الكعبة فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب فقتله سعيد
ابن حريث وأبو برزة الاسلمى وقيل الزبير وقيل سعيد بن ذؤيب وقيل سعيد بن زيد والظاهر
انهم اشتركوا فى قتله جمعا بين الاقوال وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت
احداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخرى فأمنها فأسلمت * وأما عكرمة بن أبى
جهل فانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان من أشد الناس اذية للنبى صلى الله عليه
وسلم وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم أهدر دمه هرب ليلقى
نفسه فى البحر أو يموت تائها فى البلاد وكانت امرأته أم حكيم رضى الله عنها بنت عمه الحارث بن
هشام رضى الله عنه أسلمت قبله فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابو داود
والنسائى ان عكرمة ركب البحر أى حين هرب فأصابتهم ريح عاصف فنادى عكرمة اللات
والعزى فقال أهل السفينة أخلصوا ان آلهتكم لا تغنى عنكم شيئا ههنا فقال عكرمة والله
ائن لم ينج من البحر الا الاخلاص لا ينجى فى البر غيره اللهم لك عهد ان أنت عافيتنى مما أنا فيه
أن آتى محمدا حتى أضع يدى فى يده فلأجدنه عفوا غفورا كريما فجاء وأسلم أى بعد ان ذهبت
الريح وجنه وجاءت به وقد ذكر كثير من المفسرين انه نزل فيه واذا غشيهم موج كالظلل
دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وروى البيهقى ان امرأته قالت
يا رسول الله قد ذهب عكرمة عنك الى اليمن وخاف أن تقتله فأمنه فقال هو آمن فخرجت
فى طلبه فأدركته وقد ركب سفينة ونوتى يقول له أخلص أخلص قال ما أقول قال قل لا اله الا الله
قال ما هربت الا من هذا وان هذا أمر تعرفه العرب والعجم حتى النواتى ما الدين الا ما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم قال وغير الله قلبى وجاءت أم حكيم تقول يا ابن عم جئتك من عند أبر الناس
وخير الناس لا تهلك نفسك انى قد استأمنت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع معها وجعل
يطلب جماعها فتأبى وتقول أنت كافر وانا مسلمة فقال ان أمرا منعك منى لامر كبير فلما وافى
مكة أو المدينة قال صلى الله عليه وسلم يأتيكم عكرمة فلا تسبوا أباه فان سب الميت يؤذى الحى
قال الزهرى وابن عقبة فلما رآه صلى الله عليه وسلم وثب قائما فرحا به ورمى عليه رداءه وقال مرحبا

بمن جاء مؤمنا مهاجرا فوقف بين يديه صلى الله عليه وسلم ومعه زوجته أم حكيم بنت الحارث
ابن هشام رضى الله عنها وهى متنقبة فقال ان هذه أخبرتنى انك أمنتنى فقال صلى الله عليه وسلم
صدقت فأنت آمن فقال الى م تدعو قال أدعو الى أن تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله وتقيم
الصلاة وتؤتى الزكاة وكذا وكذا حتى عد خصال الاسلام قال ما دعوت الا الى خير وأمر حسن
جميل قد كنت فينا يا رسول الله قبل أن تدعونا وأنت أصدقنا حديثا وأبرنا ثم قال فانى أشهد أن
لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال ثم ماذا قال تقول أشهد الله وأشهد من حضرنى انى مسلم
مجاهد مهاجر فقال عكرمة ذلك رواه البيهقى وفى رواية قال عكرمة أشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وطأطأ رأسه من الحياء فقال له يا عكرمة ما تسألنى شيئا
أقدر عليه الا أعطيتكه قال استغفر لى كل عداوة عاديتكها فقال اللهم اغفر لعكرمة كل
عداوة عادانيها أو منطق تكلم به ورد صلى الله عليه وسلم زوجته له أى أبقاها على نكاحها الاول
حيث اجتمعا فى الاسلام قبل تمام عدتها وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وروى
ابن عبد البر انه صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فأعجبه فقال لمن
هذا فقيل لأبى جهل فشق عليه وقال لا يدخلها الا نفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة بن أبى جهل مسلما
فرح به وأول ذلك العذق بعكرمة واستدل بذلك على تأخر الرؤيا وأنها قد تكون لغير من ترى
له ولم يزل عكرمة رضى الله عنه مستقيما حاله حتى استشهد فى الشام فى خلافة أبى بكر الصديق
رضى الله عنه وقيل انما استشهد فى خلافة عمر رضى الله عنه وتفصيل ذلك ان أبا بكر الصديق
رضى الله عنه لما فرغ من قتال أهل الردة وقوم مسيلمة الكذاب جهز الجيوش لغزو الروم وأمر
عليهم أبا عبيدة رضى الله عنه ثم عزله وولى خالد بن الوليد رضى الله عنه وكان ممن خرج مع الناس
عكرمة بن أبى جهل والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو رضى الله عنهم ووقفوا أنفسهم للجهاد
وانهم لا يرجعون فحضروا فتوح الشام بعد حروب كثيرة ثم توفى أبو بكر رضى الله عنه واستخلف
عمر بن الخطاب رضى الله عنه فولى أبا عبيدة رضى الله عنه على الجنود وأبقى خالد بن الوليد رضى
الله عنه أميرا من الامراء تحت أمر أبى عبيدة فخرجوا من الشام لفتح بقية المدائن التى حوله
ففتحوا بعلبك ومدائن كثيرة ثم توجهوا لفتح حمص ولاقتهم الروم بجموع كثيرة فاقتتلوا مع
المسلمين قتالا شديدا ولم يكن أحد فى يوم حمص أشد قتالا وأكثر بأسا من عكرمة بن أبى جهل
حتى كان يقصد الأسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال يا قوم أنا كنت أقاتل عن
الاصنام فكيف اليوم وأنا أقاتل فى طاعة الملك العلام وانى أرى الحور العين يتشوقن الى
ولو بدت واحدة منهن لأهل الدنيا لاغنتهم عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما وعدنا ثم سل سيفه وغاص فى الروم ولم يزدد الا اقداما وقد عجبت الروم من حسن
صبره وقتاله فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق الكبير من بطارقتهم ويسمى هربيس
وبيده حربة عظيمة تضىء وتلهب فهزها فى كفه وضربه بها فوقعت فى قلبه ومرقت من

ظهره

ظهره فاستشهد وعجل الله بروحه الى الجنة رضى الله عنه فوقف عليه ابن عمه خالد بن الوليد رضى الله عنه و بكى بكاء شديدا ثم كر سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين على البطريق الذى قتل عكرمة فقتله وعجل الله بروحه الى النار ثم فتح الله عليهم حمص وكان جملة من قتل من الكفار فى ذلك اليوم خمسة آلاف و جملة من استشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون رجلا رضى الله عنهم * وفى الاحياء للامام الغزالى فى كتاب تلاوة القرآن كان عكرمة بن أبي جهل رضى الله عنه اذا نشر المصحف غشى عليه و يقول هو كلام ربى هو كلام ربى رضى الله عنه ولما انقضت عدة زوجته أم حكيم رضى الله عنها وكانت خرجت معزوجها الى الشام تزوجها خالد ابن سعيد رضى الله عنه وأراد أن يدخل بها فجعلت تقول لو أخرت الدخول حتى يفضى الله هذه الجموع تعنى الروم فقال خالد ان نفسى تحدثنى انى أصاب فى جموعهم قالت فدونك فدخل بها فى خيمته فما أصبح الصبح الا والروم قد اصطفت فخرج خالد رضى الله عنه فقاتل حتى قتل فشدت أم حكيم رضى الله عنها عليها ثيابها وأخذت عمود الخيمة التى دخل بها فيها خالد فقتلت بذلك العمود سبعة من الروم وجاء أن عكرمة رضى الله عنه شكى الى النبى صلى الله عليه وسلم قولهم له عكرمة بن أبي جهل فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات وفى رواية لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء وفى أخرى اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وقد كان قبل اسلامه رضى الله عنه بارز رجلا من المسلمين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الانصار ما أضحكك يارسول الله وقد فجعنا بصاحبنا قال أضحكنى أنهما فى درجة واحدة فى الجنة ومن ثم قتل عكرمة رضى الله عنه شهيدا فى قتل الروم فى وقعة اليرموك كما تقدم * وأما الحويرث بن نقيد بنون وقاف مصغرا ابن وهب بن عبد بن قصى فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لانه كان يعظم القول فيه صلى الله عليه وسلم و ينشد الهجاء فيه و يكثر أذاه وهو بمكة وكان العباس رضى الله عنه حمل فاطمة وأم كلثوم رضى الله عنهما بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث بهما الجمل فرمى بهما الارض وشارك هبار بن الاسود فى نخس جمل زينب رضى الله عنها لما هاجرت فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله على رضى الله عنه وذلك أنه سأل عنه وهو فى بيته قد أغلق عليه بابه فقيل هو فى البادية فتنحى على رضى الله عنه عن بابه فخرج يريد أن يهرب من بيت الى آخر فتلقاه على رضى الله عنه فضرب عنقه * وأما مقيس بن صبابة فانه كان أسلم ثم أتى على أنصارى فقتله وكان الانصارى قتل أخاه هشام بن صبابة خطأ فى غزوة ذى قرد ظنه من العدو فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الانصارى ثم ارتد و رجع الى قريش فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله نميلة بن عبد الله الليثى * وأما هبار بن الاسود بن المطلب ابن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى الاسدى فانه كان شديد الأذى للمسلمين وكان عرض لزينب رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها الجمل حتى

سقطت على صخرة وأسقطت جنينها ولم تزل مريضة حتى ماتت رضى الله عنها فأهدر صلى الله
عليه وسلم دمه يوم الفتح فهرب واختفى ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة قال
جبير بن مطعم رضى الله عنه كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الجعرانة
فطلع هبار بن الاسود فقالوا يارسول الله هبار بن الاسود قال قد رأيته فأراد رجل القيام اليه
فأشار اليه أن اجلس فوقف هبار فقال السلام عليك يانبى الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن
محمدا رسول الله وقد هربت منك فى البلاد وأردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك
وصفحك عمن جهل عليك وكنا يارسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة
فاصفح عن جهلى وعما كان يبلغك عنى فانى مقر بسوء فعلى معترف بذنبى فقال صلى الله عليه وسلم
قد عفوت عنك وقد أحسن الله اليك حيث هداك للاسلام والاسلام يجب ماقبله قال الزهرى
ان هبارا رضى الله عنه لما قدم المدينة جعلوا يسبونه فشكى ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال سب
من سبك فكفوا عنه * وأما كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى فانما أهدر دمه صلى الله
عليه وسلم لانه كان من الشعراء الذين تكلموا بهجاء النبى صلى الله عليه وسلم وصار يعير أخاه
بجيرا حين أسلم وكان من خبر كعب وأخيه بجير أن بجيرا قال لكعب أثبت فى غنمنا حتى آتى هذا
الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فأسمع كلامه وأعرف ماعنده فأقام كعب بأبرق العزاف وهو
ماء لبنى أسد بين المدينة والربذة ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه وآمن
به وسبب قول بجير لأخيه اثبت فى غنمنا حتى آتى هذا الرجل الخ أن أباهما زهيرا كان يجالس
أهل الكتاب فسمع منهم أنه قد قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير فى منامه أنه قد مد
سبب أى حبل من السماء وأنه مد يده ليتناوله ففاته فأول ذلك بالنبى الذى يبعث فى آخر الزمان
وأنه لايدركه وأخبر بنيه بذلك المنام وبما سمعه من أهل الكتاب وأمرهم وأوصاهم ان
أدركوه أن يسلموا فكتب بجير الى أخيه كعب يخبره بأنه قد ظهر أمره وتحققت نبوته وأنه آمن
به واتبعه وحثه على القدوم اليه ليؤمن كايمانه فكتب اليه كعب

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل * على أى شئ غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا * عليه ولا تلفى عليه أخا لكا
فان كنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعا لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية * فأنهلك المأمون منها وعلكا

وكان صلى الله عليه وسلم يسمى فى الجاهلية الامين والمأمون ثم أرسل كعب بالابيات الى أخيه
بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده اياها فلما سمع صلى الله
عليه وسلم قوله سقاك بها المأمون قال صدق وانه لكذوب وأنا المأمون ولما سمع قوله على خلق لم
تلف أما ولا أبا عليه قال أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم قال صلى الله عليه وسلم من لقى منكم

كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه أخوه بجير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل رجالا ممن كانوا يهجونه و يؤذونه فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر أى أقبل مسرعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاء تائبا وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض أى الى محل ينجيك وكتب له هذه الابيات

فمن مبلغ كعبا فهل لك فى التى * تلوم عليها بالطلا وهى أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شئ دينه * ودين أبى سلمى على محرم

فلما بلغت الابيات كعبا و بلغه انه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله وأراق دمه ضاقت عليه الارض وخاف على نفسه وأرجف به أى خوفه من كان حاضرا عنده من مجيئه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له انك لمقتول فلما لم يجد بدا ومخلصا يلتجئ اليه الا الاسلام خرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من فتح مكة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه و بينه معرفة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ثم أشار له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فجاء حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال أنا يا رسول الله كعب بن زهير ثم تشهد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم أنشده قصيدته المعروفة التى أولها بانت سعاد فقلبى اليوم متبول الى أن قال فيها

تمشى الوشاة بجنبيها وقولهم * انك يا ابن أبى سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله * لا ألهينك انى عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلى لا أبا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدنى * والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ * ـقرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم * أذنب وان كثرت فى الاقاويل

وقال فيها

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبة من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا

الى آخر القصيدة قال ابن الانبارى انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به * مهند

من سيوف الله مسلول * ورمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية رضى الله عنه في زمن خلافته بذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أعطانيه أحدا فلما مات بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم وهى البردة التى عند السلاطين الى اليوم وكان الخلفاء يلبسونها فى الاعياد وقيل انها فقدت فى وقعة التتار وروى ابن اسحاق انه لما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وثب عليه رجل من الانصار فقال يارسول الله دعنى وعدو الله أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه جاء تائبا نازعا أى مائلا منتقلا الى الاسلام كافا عن الشرك تاركا له فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم وخص المهاجرين بمدحته فى قصيدته لانهم لم يتكلموا فيه الا بخير وعرض بذم الانصار فقال له صلى الله عليه وسلم لولا ذكرت الانصار بخير فانهم أهل لذلك فقال بعد ذلك يمدح الانصار

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى مقنب من صالحى الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار
الناظرون بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعون نفوسهم لنبيهم * للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من علقوا من الكفار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وكذا أبوه زهير وأخوه بجير وابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة رضى الله عنه وجاء عن سعيد بن المسيب أن كعبا لما قدم المدينة سأل عن أرق الصحابة رضى الله عنهم فدل على أبى بكر رضى الله عنه فأخبره بخبره فمشى أبو بكر وكعب على أثره حتى صار بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل يبايعك يارسول الله فمد يده فبايعه قال العلامة الزرقانى والجمع ممكن بأنه لما قدم المدينة نزل على الجهنى فأخبره بأن أبا بكر أرق الصحابة وأتى به اليه فسار الى بيعته ثم تقدم الصديق وكعب على أثره فلما أمن عرفه بنفسه والله أعلم * وأما الحارث بن هشام المخزومى وهو أخو أبى جهل شقيقه فانه كان شديدا على النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين وكذا زهير بن أبى أمية المخزومى أخو أم سلمة رضى الله عنها فانه كان شديدا فى كفره فأهدر دمهما صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فهربا واختبيا فى بيت أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها فاجارتهما فأجار صلى الله عليه وسلم جوارها ثم جاءت بهما فأسلما وحسن اسلامهما رضى الله عنهما وكون الذى أجارته مع الحارث بن هشام هو زهير بن أبى أمية هو الصحيح وقيل الذى أجارته معه هو عبد الله بن أبى ربيعة وقيل هو هبيرة بن أبى وهب قال الحافظ ابن حجر وهذا ليس بشئ لان هبيرة هرب عند الفتح الى نجران فلم يزل بها مشركا حتى مات وكانت أم هانئ رضى الله عنها تحت هبيرة بن أبى وهب المخزومى روى الامام أحمد وغيره عن أم هانئ رضى الله عنها قالت لما كان يوم الفتح فر الى

رجلان من أحمائي من بني مخزوم فدخل على علي رضي الله عنه فقال والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآني قال مرحبا وأهلا بأم هانئ ما جاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ والمشهور أن اسلام أم هانئ رضي الله عنها كان عام الفتح وقيل أسلمت قديما وكانت تكتم اسلامها وعن الحارث بن هشام رضي الله عنه قال لما أجارتني أم هانئ رضي الله عنها وأجاز النبي صلى الله عليه وسلم جوارها صار لا يتعرضني أحد بعد ذلك وكنت أخشى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمر علي وأنا جالس ولم يتعرض لي وكنت أستحيي أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أذكر برؤيته اياي ما كنت أفعله في كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فلقيني بالبشر ووقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال الحمد لله الذي هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام ثم صار بعد ذلك من فضلاء الصحابة وابنه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان من فضلاء التابعين وعلمائهم وعبادهم رضي الله عنه وكذا ابن ابنه أبو بكر بن عبد الرحمن وابنه عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم * وأما سارة فهي مولاة لبني المطلب بن عبد مناف وانما أهدر صلى الله عليه وسلم دمها لانها كانت مغنية بمكة تغني بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي كان معها كتاب حاطب بن أبي بلتعة وكانت قدمت المدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة فقال لها صلى الله عليه وسلم ما كان في غنائك ما يغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء فوصلها وأوقر لها بعيرا طعاما فرجعت الى مكة وكان ابن خطل يلقي اليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغني به فاختفت عند فتح مكة ثم استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها وأسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها * وأما صفوان بن أمية بن خلف الجمحي فكان أيضا من أشد الناس عداوة وأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاهدر دمه صلى الله عليه وسلم فاختفى وأراد أن يذهب ويلقي نفسه بالبحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه وقال يا نبي الله ان صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه فانك أمنت الاحمر والاسود فقال أدرك ابن عمك فهو آمن فقال أعطني آية يعرف بها أمانك فاني قد طلبت منه العود فقال لا أعود معك الا أن تأتيني بعلامة أعرفها فأعطاه صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فلحقه بها وهو يريد ركب البحر فقال له صفوان اعزب عني لا تكلمني فقال أي صفوان فداك أبي وأمي جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة التي جاء بها فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هذا يزعم انك أمنتني قال صدق فقال أمهلني بالخيار شهرين فقال صلى الله عليه وسلم أنت بالخيار أربعة أشهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج الى حرب

هوازن استقرض منه أربعين ألف درهم وطلب منه دروعا كانت عنده فقال أغصبا يا محمد قال لا ولكن عارية مرجوعة أو مضمونة ثم خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج لحرب هوازن وهو على شركه فلما قسم صلى الله عليه وسلم غنائم هوازن بحنين أعطاه مائة من الابل ثم مائة ثم مائة ثم رآه صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا مملوأ نعما وشاء فقال له صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هو لك وما فيه وفي رواية ان صفوان رضي الله عنه طاف مع النبي صلى الله عليه وسلم ليتصفح الغنائم اذ مر بشعب مملوء ابلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر اليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب قال نعم قال هو لك بما فيه فقبض صفوان ما في الشعب وقال ان الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا ما طابت نفس أحد قط بمثل هذا الا نبي أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وترك المدة التي كان طلبها وكان يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم أبغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق الي * وأما هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبي سفيان وأم ابنه معاوية رضي الله عنهم فانما أهدر دمها صلى الله عليه وسلم لانها مثلت بعمه حمزة رضي الله عنه يوم أحد ولاكت قلبه ولم تقدر على ابتلاعه فلفظته فلما كان يوم الفتح ورأت جند الله اختفت في بيت أبي سفيان زوجها ثم أسلمت وأتته صلى الله عليه وسلم بالابطح وقالت الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتمسني رحمتك يا محمد اني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم قالت أنا هند بنت عتبة فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بك ثم أرسلت اليه بهدية جديين مشويين وقديد مع جارية لها فقالت انها تعتذر اليك وتقول لك ان غنمنا اليوم قليلة الوالدة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكم في غنمكم وأكثر والدتها قالت هند فلقد رأينا من كثرتها ما لم نره قبل وذلك بدعائه صلى الله عليه وسلم وقالت كنت أرى في النوم اني في الشمس أبدا قائمة والظل قريب مني لا أقدر عليه فلما دنا صلى الله عليه وسلم رأيت كأني دخلت الظل فكان ذلك هو الدخول في الاسلام وجاء انها لما أسلمت عمدت الى صنم كان في بيتها فجعلت تضربه بالقدوم وتقول كنا منك في غرور * وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قالت هند بنت عتبة يا رسول الله ما كان على ظهر الارض أهل خباء أحب الي أن يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الارض أهل خباء أحب الي أن يعزوا من أهل خبائك قال النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا والذي نفسي بيده أي ستزيدين من ذلك ويتمكن الايمان في قلبك فيزيد حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوى رجوعك عن بغضه ثم قالت يا رسول الله ان أبا سفيان رجل مسيك فهل علي حرج ان أطعم من الذي له عيالنا قال لا أراه الا بالمعروف وكان اسلامها بعد اسلام زوجها فأقرهما صلى الله عليه وسلم على النكاح الاول لان الاسلام جمعهما في العدة بل قيل ان بين اسلامها واسلام زوجها ليلة واحدة وكانت هند امرأة ذات أنفة ورأي وعقل وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهم هند بنت عتبة

منتقبة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن بايعننى على أن لا تشركن بالله شيأ ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصيننى فى معروف فقالت هند لما قال ولا تسرقن قالت والله انى كنت أصيب من مال أبى سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدرى أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضرا أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل عفا الله عنك فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبى الله ولما قال ولا تزنين قالت أوتزنى يا رسول الله الحرة ولما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا فقتلتهم كبارا وفى لفظ وهل تركت لنا ولدا الا قتلته يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى على قفاه وتبسم صلى الله عليه وسلم ولما قال ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن قالت والله ان اتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال ولا تعصيننى فى معروف قالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى معروف وحضرت هند قتال الروم يوم اليرموك مع أبى سفيان وكانت تشجع المسلمين وتحرضهم على القتال مع بقية النسوة اللاتى كن معها وتوفيت فى خلافة عمر رضى الله عنه فى اليوم الذى توفى فيه أبو قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنهم * وكان من جملة من أسلم وبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ابنها معاوية وأخوه يزيد ابنا أبى سفيان وقيل ان اسلام معاوية كان عام الحديبية وعن معاوية رضى الله عنه قال لما كان عام الحديبية وقع الاسلام فى قلبى فذكرت ذلك لامى فقالت اياك أن تخالف أباك فيقطع عنك القوت فأسلمت وأخفيت اسلامى فقال لى يوما أبو سفيان وكأنه شعر باسلامى أخوك خير منك هو على دينى فلما كان عام الفتح أظهرت اسلامى ولقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بى وكتبت له بعد أن استشار فى ذلك جبريل عليه السلام فقال استكتبه فانه أمين * وفى البخارى ان كريبا قال لابن عباس رضى الله عنهما ان معاوية يوتر بركعة فقال دعه فانه فقيه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه صلى الله عليه وسلم أردفه يوما خلفه فقال ما يلينى منك قلت بطنى قال اللهم املأه حلما وعلما * وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضى الله عنه اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب ومكن له فى البلاد وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية رضى الله عنه يقول اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضى الله عنه أنت منى وأنا منك لتزاحمنى على باب الجنة كهاتين وأشار بأصبعه الوسطى والتى تليها وقال له النبى صلى الله عليه وسلم اذا ملكت فأحسن وفى رواية اذا ملكت من أمر أمتى شيأ فاتق الله واعدل وفى رواية يا معاوية انك ستلى أمر أمتى فارفق بها ويذكر انه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وازاره ورداؤه وشئ من شعره فقال عند موته كفنونى

في القميص وأدرجوني في الرداء وآزروني بالازار واحشوا منخري وشدوا في من الشعر وخلوا
بيني وبين أرحم الراحمين ولما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي
اللهم أقل عثرتي واغفر زلتي وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك ثم بكى حتى
علا نحيبه وكانت وفاته بدمشق سنة ستين من الهجرة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان
وسبعين سنة وكان أبيض جميلا وهو من الموصوفين بالحلم ولي الشام لعمر وعثمان رضي الله عنهما
عشرين سنة وولي الخلافة سنة أربعين ومكث خليفة عشرين سنة الا ستة أشهر وأما ما وقع
بينه وبين علي رضي الله عنه فمذهب أهل السنة ان ذلك كان باجتهاد منهما فلا يعترض على أحد
منهما وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي وأصهاري وأنصاري فمن سبهم فعليه لعنة الله
والملائكة والناس أجمعين * وأما وحشي بن حرب فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه لكونه قتل عمه
حمزة رضي الله عنه فلما فتحت مكة هرب الى الطائف قال فكنت بالطائف فلما خرج وفد
الطائف ليسلموا ضاقت علي المذاهب فقلت ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله اني
لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل ويحك والله انه ما يقتل أحدا يدخل في دينه فخرجت حتى
قدمت عليه فلم يرعه الا وأنا قائم على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رآني قال وحشي قلت نعم
يا رسول الله قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال ويحك غيب وجهك عني
فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله ثم خرج
وحشي مع من خرج لقتال أهل الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقتل مسيلمة الكذاب
بحربته التي قتل بها حمزة رضي الله عنه فكان يقول أرجو أن تكون هذه بتلك أي ان هذه
تكفر تلك * وممن اختفى يوم الفتح عتبة ومعتب ابنا أبي لهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه
العباس أين ابنا أخيك لا أراهما يعني عتبة ومعتبا ابني أبي لهب فقال العباس رضي الله عنه
تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش قال ائتني بهما فركبت اليهما فأتيته بهما فدعاهما للاسلام
فأسلما فسر باسلامهما ودعا لهما ثم قام صلى الله عليه وسلم وأخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى أتى
الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه فقال له العباس رضي الله عنه سرك الله
يا رسول الله اني أرى السرور في وجهك قال اني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما لي
وشهدا معه حنينا والطائف ولزماه يوم حنين وقلعت عين معتب يوم حنين * وممن اختفى أيضا
سهيل بن عمرو وكان ابنه عبد الله مسلما فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ له أمانا فقال صلى
الله عليه وسلم هو آمن بأمان الله فليظهر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقي
سهيل بن عمرو فلا يحد النظر اليه فلعمري ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام
فخرج ابنه عبد الله اليه فأخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل كان والله برا
صغيرا برا كبيرا ثم انه خرج الى حنين وهو على شركه ثم أسلم بالجعرانة رضي الله عنه وصار من
فضلاء الصحابة رضي الله عنهم حتى أن الله ثبت به أهل مكة يوم جاءهم خبر وفاته صلى الله عليه

وسلم

وسلم فكادوا أن يرتدوا فخطبهم خطبة مثل خطبة الصديق رضي الله عنه بالمدينة وقال فيها من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فثبتهم الله به رضي الله عنه واستشهد رضي الله عنه في اليرموك وقيل توفي بالشام في طاعون عمواس ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين بين أبي بكر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما وهو مواضع مطأطئ رأسه على ناقته القصواء مردفا أسامة بن زيد رضي الله عنهما خلفه وهو صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح وعن أنس رضي الله عنه قال لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح استشرفه الناس فوضع رأسه على رحله متخشعا وفي رواية حتى ان رأسه لتكاد تمس رحله أي تواضعا لله لما رأى ما أكرمه به من الفتح ولم يزل يقرأ سورة الفتح في حال دخوله حتى جاء البيت فطاف به * وفي شرح المواهب للعلامة الزرقاني ان طوافه صلى الله عليه وسلم انما كان بعد ان استقر في خيمته ساعة واغتسل وعاد للبس السلاح والمغفر ودعا بالقصواء فادنيت الى باب الخيمة وقد حف به الناس فركبها وسار وأبو بكر رضي الله عنه يحادثه فمر ببنات أبي أحيحة بالبطحاء وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم الى أبي بكر رضي الله عنه واستنشده قول حسان الماضي * يلطمهن بالخمر النساء * الى ان انتهى الى الكعبة ومعه المسلمون فاستلم الركن بمحجنه وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيرا حتى جعل صلى الله عليه وسلم يشير اليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون فطاف بالبيت ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة سبعا يستلم الحجر الاسود كل طوفة بمحجنه وكان ذلك يوم الاثنين لعشر بقين من رمضان وهو حلال غير محرم * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حي من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوي به الى كل صنم منها فيخر لوجهه وفي رواية لقفاه وفي رواية فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه من غير أن يمسه بما في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وفي رواية فأتى في طوافه على صنم الى جنب البيت من جهة بابه يعبدونه وهو هبل وكان أعظم الاصنام وكان في يده صلى الله عليه وسلم قوس فجعل يطعن بها في عينيه ويقول جاء الحق الآية ثم أمر به فكسر فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه لابي سفيان رضي الله عنه قد كسر هبل أما انك قد كنت يوم أحد في غرور حين تزعم انه قد أنعم فقال أبو سفيان دع هذا عنك يا ابن العوام لقد أرى لو كان مع اله محمد غيره لكان غير ما كان * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح هذا ما وعدني ربي ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك فقال

واستجابت له بنصر وفتح * بعد ذاك الخضراء والغبراء

وتوالت للمصطفى الآية الكبرى عليهم والغارة الشعواء
فاذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه نزل عن راحلته * روى ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال ما وجدنا مناخا في المسجد لراحلته صلى الله عليه وسلم حتى أنزل على أيدي الرجال فأخرجت الراحلة فأنيخت بالوادي ثم انتهى صلى الله عليه وسلم الى المقام فصلى ركعتين ثم انصرف الى زمزم وقال لولا ان تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلوا فنزع له العباس دلوا فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركون ينظرون ويعجبون ويقولون ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به ثم جلس صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد وأبو بكر رضي الله عنه قائم على رأسه بالسيف ثم دعا عثمان بن طلحة رضي الله عنه ففتح له الكعبة ودخلها صلى الله عليه وسلم هو وبلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة الحجبي رضي الله عنهم وصلى ركعتين بين العمودين اليمانيين وفي رواية جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت على ستة أعمدة وفي رواية ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة أذرع وفي رواية ان دخوله ذلك كان ثاني يوم الفتح ثم وقف على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم خطب خطبة طويلة وذكر فيها جملة من الاحكام منها الا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعي واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير ثم قال يا معشر قريش ماذا تقولون وماذا تظنون اني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام ومما ذكره في تلك الخطبة قوله أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فان أحد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له ان الله قد أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم الى آخر ما تقدم وقد اختلفت الروايات في كيفية احضار مفتاح الكعبة له

حين اراد الدخول والصحيح انه دعا عثمان بن طلحة وقال ائتنى بالمفتاح وتقدم انه أسلم فى مدة صلح
الحديبية وهاجر هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهم فذهب عثمان الى أمه
سلافة بنت سعيد الانصارية الاوسية وقد اسلمت بعد ذلك رضى الله عنها فلما جاءها ليأخذ منها
المفتاح أبت أن تعطيه فقال يا أمه ادفعى لى المفتاح فانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبت أن
تعطيه وقالت لا واللات والعزى فقال انها لا لات ولا عزى قد جاء أمر غير ما كنا فيه والله لتعطنه
وانك ان لم تفعلى قتلت أنا وأخى وأنت قتلتينا او والله لتدفعنه أو ليأتين غيرى فيأخذه منك
فأدخلته فى حجزتها وقالت أى رجل يدخل يده هنا قال الزهرى وأبطأ عثمان على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ينتظر حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول ما يحبسه
وفى رواية فجعلت تقول ان أخذه منكم لا يعطيكموه فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت أبى
بكر وعمر رضى الله عنهما فى الدار وعمر رافع صوته وهو يقول يا عثمان اخرج فقالت يا بنى
خذ المفتاح فان تأخذه أحب الىّ من أن يأخذه تيم وعدى أى أبو بكر وعمر فأخذه عثمان
فخرج يمشى حتى اذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عثر عثمان فسقط منه
المفتاح فحنى عليه وتناوله وفى رواية فاستقبله صلى الله عليه وسلم ببشر ففتح له عثمان الباب
وفى رواية فأخذه صلى الله عليه وسلم منه وفتح الكعبة فيحتمل انهما تشاركا فى الفتح وقد
روى الفاكهى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كانت بنو أبى طلحة يزعمون انه لا يستطيع
أحد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ففتح بيده قال العلامة
الزرقانى ويحتمل الجمع بانه صلى الله عليه وسلم لما فتح الضبة بالمفتاح عاونه عثمان فدفع الباب
ففتحه له أى فصح اسناد الفتح لكل منهما وجاء ان خالد بن الوليد كان حين دخل النبى صلى الله
عليه وسلم الكعبة على باب الكعبة يذب الناس ولما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة جلس
فى المسجد ومفتاح الكعبة فى يده فقام اليه على رضى الله عنه فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة
مع السقاية صلى الله عليك وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه انما أعطيكم ما تبذلون فيه
أموالكم للناس أى وهو السقاية لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم وهى الحجابة لشرفكم
وعلو مقامكم وفى رواية ان العباس رضى الله عنه تطاول يومئذ لاخذ المفتاح فى رجال من
بنى هاشم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعى به فقال هاك مفتاحك
يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وأنزل الله هذه الآية فى شأن عثمان بن طلحة ان الله يأمركم أن
تؤدوا الامانات الى أهلها وروى الازرقى وغيره عن مجاهد قال نزلت هذه الآية فى عثمان
ابن طلحة أخذ عليه الصلاة والسلام منه مفتاح الكعبة ودخلها يوم الفتح فخرج وهو يتلوها
فدعا عثمان فدفع المفتاح اليه وقال خذوها أى الحجابة يا بنى أبى طلحة لا ينزعها منكم الا ظالم
قال وقال عمر رضى الله عنه خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة وهو يتلو هذه الآية ما سمعته
يتلوها قبل ذلك * قال السيوطى ظاهر هذا انها نزلت فى جوف الكعبة وروى الازرقى عن

ابن المسيب خذوها خالدة تالدة لا يظلمكموها الا كافر وفي رواية عند ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن سابط انه صلى الله عليه وسلم دفع المفتاح الى عثمان فقال خذوها خالدة مخلدة انى لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم ولا ينزعها منكم الا ظالم وروى ابن سعد وغيره عن عثمان بن طلحة رضى الله عنه قال لقيني صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فدعاني الى الاسلام فقلت يا محمد العجب لك حيث تطمع أن أتبعك وقد خالفت دين قومك وجئت بدين محدث قال وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس وذلك بعد بعثته فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت يعني مادامت قريش أنت لا تقدر على ذلك فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت ان الامر سيصير الى ما قال أي لانه كان معروفا بينهم بالصدق والامانة قال عثمان فأردت الاسلام فاذا قومي يزبرونني زبرا شديدا فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ائتني بالمفتاح فأتيته به ثم دفعه الىّ وقال خذوها يعني سدانة البيت خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال عثمان فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال ألم يكن الذى قلت لك فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت فقلت بلى أشهد أنك رسول الله وفي تفسير الثعالبي بلا سند أن هذه الآية ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي أمره عليه الصلاة والسلام أن يأتيه بمفتاح الكعبة فأبى عليه وأغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فلوى علي يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي رضى الله عنه فقال عثمان لعلي رضى الله عنهما أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال علي رضى الله عنه لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأسلم قال الحافظ ابن حجر هذه الرواية منكرة والمعروف انه أسلم قبل الفتح وهاجر مع عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وكذا قوله في أول الحديث فلوى علي يده وأخذ المفتاح مع قوله قبله لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فان ذلك كله منكر قال الزرقاني ولعله بفرض صحته وقع من ابن عمه شيبة لانه يدل ان أسلم بعد لكن بعد ولا يخفى لانه لم يمكن من هو أجل منه منع شئ ولا قول شئ يومئذ والروايات السابقة هي التي صحت بها الاحاديث وعثمان المذكور هذا هو ابن طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدري وطلحة أبو عثمان قتل كافرا يوم أحد ويقال لعثمان الحجبي ولآل بيته الحجبة ويعرفون الآن بالشيبيين

نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة قال الحافظ ابن حجران أبا طلحة له ولدان عثمان وطلحة أبي عثمان شيبة وأبي طلحة بعثمان فلما مات عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخذ المفتاح ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة لان عثمان بن طلحة كان لا ولد له وبقي في أولاد شيبة وهم الشيبيون قال العلامة الزرقاني وفي هذه الاخبار كلها دليل على بقاء عقبهم الى الآن قال العلامة الشمس الحطاب المالكي المكي ولا التفات الى قول بعض المؤرخين ان عقبهم انقطع في خلافة هشام بن عبد الملك فانه غلط لقول مالك رضي الله عنه لا يشرك مع الحجبة في الخزانة أحد لانها ولاية منه صلى الله عليه وسلم ومالك ولد بعد هشام ابن عبد الملك بنحو عشرين سنة وذكر ابن حزم وابن عبد البر جماعة منهم في زمانهما وعاشا الى ما بعد نصف المائة الخامسة وكذا ذكر العلامة القلقشندي وعاش الى احدى وعشرين وثمانمائة ولا دلالة لزاعم انقراضهم في اخدام معاوية رضي الله عنه الكعبة عبيدا لان اخدامها غير ولاية فتحها كما هو معلوم وكثيرا ما يقع في كلام المؤرخين كالازرقي والفاكهي ذكر الحجبة ثم الخدمة بما يدل على التغاير انتهى وقد تقدم الكلام على اسلام عثمان ابن طلحة بن أبي طلحة في قصة اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم وأما شيبة ابن عثمان بن أبي طلحة فأسلم عام الفتح وكان رضي الله عنه يحدث عن سبب اسلامه فيقول ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم بعض ما عليه آباؤنا من الضلالات ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم سار الى حرب هوازن قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأقتله فأكون أنا الذي قمت بثار قريش كلها وفي لفظ اليوم أدرك ثاري من محمد أي لان أباه وعمه وجماعة من بني عمه قتلوا يوم أحد قتلهم حمزة وعلي وغيرهم رضي الله عنهم قال وقلت لو لم يبق من العرب والعجم أحد الا اتبع محمدا ما اتبعته لا يزداد ذلك الامر عندي الا شدة فلما اختلط الناس يوم حنين ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته أصلت السيف ودنوت منه أريد الذي أريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل رفع الى شواظ من نار كالبرق كاد يمحشني فوضعت يدي على بصري خوفا عليه وفي رواية فلما هممت به حال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد ولا مانع من وقوع كل ذلك قال فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم وعرف الذي أريد فناداني ياشيبة ادن مني فدنوت منه فمسح صدري ثم قال اللهم أعذه من الشيطان قال شيبة فوالله لهو في الساعة صار أحب الي من سمعي وبصري وأذهب الله ما كان في ثم قال ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي والله أعلم أني أحب أن أقيه بنفسي وكل شيء ولو كان أبي حيا ولقيته تلك الساعة لاوقعت السيف به فجعلت ألزمه فيمن لزمه أي ثبت معه يوم حنين حتى تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد وقربت اليه بغلته فاستوى عليها قائما وجاء في رواية عن شيبة بن عثمان الحجبي رضي الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فوالله اني لواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذ قلت يا رسول الله انى لأرى خيلا بلقا قال يا شيبة انه لا يراها الا كافر فضرب بيده على صدرى ثم قال اللهم اهد شيبة فعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده عن صدرى الثالثة حتى ما أجد من خلق الله أحب الى منه ولما انقضى القتال ورجع صلى الله عليه وسلم الى معسكره فدخل خباءه دخلت عليه ما دخل عليه غيرى حبا لرؤية وجهه صلى الله عليه وسلم وسروره فقال يا شيبة الذى أراد الله خير مما أردت بنفسك ثم حدثنى بكل ما أضمرته فى نفسى مما لم أذكره لاحد قط فقلت انى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله ثم قلت له استغفر لى فقال غفر الله لك وجاء ان بلالا رضى الله عنه أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤذن ظهر يوم الفتح على ظهر الكعبة ليغيظ بذلك المشركين وكان أبو سفيان وعتاب بن أسيد وفى رواية وخالد بن أسيد أخو عتاب والحارث بن هشام وغيرهم جلوسا بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد أو خالد ابن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون يسمع هذا فيسمع منه ما يغيظه وقال الحارث بن هشام أما والله لو أعلم انه حق لا تبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره وفى رواية انه قال أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال بعض بنى سعيد بن العاص لقد أكرم الله سعيدا قبل أن يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة وقال الحكم بن أبى العاص والله ان هذا الحدث عظيم عبد بنى جمح يصيح على بنية أبى طلحة وقال أبو سفيان لا أقول شيئا لو تكلمت لاخبرت عنى هذه الحصباء فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم قد علمت الذى قلتم ثم ذكر لهم ذلك فقال أما أنت يا فلان فقلت كذا وأما أنت يا فلان فقلت كذا وأما أنت يا فلان فقلت كذا فقال أبو سفيان أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحارث ابن هشام وعتاب بن أسيد وخالد بن أسيد نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك وصار بعض من قريش يستهزؤن ويحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم أبو محذورة وكان من أحسنهم صوتا فلما رفع صوته بالأذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به النبى صلى الله عليه وسلم فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده الشريفة قال فامتلأ قلبى والله ايمانا ويقينا وعلمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وأمره أن يؤذن لاهل مكة وكان سنه ستة عشر سنة وأولاده بعده كانوا يتوارثون الاذان بمكة وروى ان جويرية بنت أبى جهل قالت عند أذان بلال على ظهر الكعبة والله لا نحب من قتل الأحبة أبدا ولقد جاء لابى الذى جاء لمحمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه ثم أسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها وممن جاءه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومى وقيل عبد الله ابن السائب وقيل السائب بن عويم وقيل قيس بن السائب بن عويم وكان شريكا للنبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم قال لما أسلمت أخذ عثمان وغيره يثنون على فقال

صلى الله عليه وسلم لا تعلمونى به كان صاحبى وفى لفظ لما أقبلت عليه قال مرحبا بأخى وشريكى كان لا يدارى ولا يمارى قد كنت تعمل أعمالا فى الجاهلية لا تتقبل منك أى لتوقفها على الاسلام وهى اليوم تتقبل منك أى لوجود الاسلام وجاء ان فضالة بن عمير بن الملوح حدث نفسه بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضالة قال نعم فضالة يارسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شئ كنت أذكر الله فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة رضى الله عنه يقول والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيئا أحب الى منه وفى سيرة ابن هشام قال فضالة فرجعت الى أهلى فمررت بامرأة كنت اتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعث فضالة رضى الله عنه يقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يأبى على الله والاسلام
لو ما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وجلس فى المسجد والناس حوله ذهب أبو بكر رضى الله عنه وجاء بأبيه عثمان ويكنى بأبى قحافة يقوده وقد كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه وفى لفظ لو أقررت الشيخ فى بيته لاتيناه تكرمة لابى بكر رضى الله عنه فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى أنت اليه فأجلسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أسلم تسلم فأسلم ولم يعش لابى قحافة ابن ذكر الا أبو بكر رضى الله عنه وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه باسلام أبيه وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق لاسلام أبى طالب كان أقر لعينى من اسلامه يعنى اباه أبا قحافة وذلك ان اسلام أبى طالب كان أقر لعينك وكان رأس أبى قحافة رضى الله عنه ولحيته مبيضتين بالشيب فقال صلى الله عليه وسلم غيروهما وجنبوه السواد وكانت أم أبى بكر بنت عم أبيه أسلمت قديما حين أسلم أبو بكر رضى الله عنه وأخته أم فروة رضى الله عنها أسلمت أيضا وأبناؤه وبناته قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة أسلم هو ووالداه وأخته وجميع أولاده وبناته غير أبى بكر رضى الله عنه وبنوه ثلاثة عبد الله وهو أكبرهم مات أول خلافة أبيه وعبد الرحمن ومحمد وكانت ولادة محمد رضى الله عنه عام حجة الوداع وبناته ثلاثة أسماء وهى أكبرهن وهى شقيقة عبد الله وعائشة وهى شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم مات أبو بكر رضى الله عنه وهى فى بطن أمها وأخبر أنها أنثى قبل وفاته وهى حمل فى بطن أمها حيث قال لعائشة رضى الله عنها انما هما اخواك وأختاك ولم تكن تعلم ان لها أختا غير أسماء رضى الله عنها فسألته عن ذلك فأشار الى الحمل المذكور وقال أراها أنثى فكان

ذلك من كراماته رضى الله عنه وقد ذكر جملة من المفسرين ان هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون قال بعضهم لا يعرف فى الصحابة أربعة متناسلون أسلموا وصحبوا النبى صلى الله عليه وسلم وكل واحد أبو الذى بعده الا فى بيت أبى بكر رضى الله عنه أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ومن أثبت غير ذلك كزيد بن حارثة وأبيه حارثة أى فانه أسلم وابنه أسامة ابن زيد وابن أسامة فقد نوزع فى ثبوت أن ابن أسامة رآه النبى صلى الله عليه وسلم فأما أبو بكر رضى الله عنه وأهل بيته فمتفق على ثبوت ذلك فيهم * وبقى من الاصنام التى كانت على الكعبة صنم لخزاعة كان فوق الكعبة وكان من صفر وفى رواية من نحاس موتدا بأوتاد من حديد الى الارض فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه أن يرميه فرمى به وكسره وجعل أهل مكة يتعجبون * وروى الحاكم عن على رضى الله عنه قال انطلق بى صلى الله عليه وسلم حتى أتى بى الكعبة فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة فصعد على منكبى ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفى تحته قال اجلس فجلست ثم قال يا على اصعد على منكبى ففعلت فلما نهض بى خيل لى أنى لو شئت نلت أفق السماء فصعدت فوق الكعبة وتنحى صلى الله عليه وسلم فقال ألق صنمهم الاكبر وعالجه قال فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فألقيته وقد أجاد القائل

يارب بالقدم التى أوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما
وبحرمة القدم التى جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما * قدمى وكن لى منقذا ومسلما
واجعلهما ذخرى فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة أى بحسب زعمهم وكانت تماثيل على صور شتى فأمر بها فأخرجت وفى رواية أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها فلم يدخلها حتى محيت الصور فكان عمر رضى الله عنه هو الذى أخرجها وأخرجوا صورة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى أيديهما الازلام التى كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط وفى رواية عن جابر رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه قد ترك صورة ابراهيم عليه السلام فلما دخل صلى الله عليه وسلم رآها فقال يا عمر ألم آمرك أن لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ثم رأى صورة مريم فقال امسحوا ما فيها من الصورة قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون وفى رواية أسامة بن زيد رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فرأى صورا فدعا بماء فجعل

يمحوها وهو محمول على انه بقيت بقية خفيت على من محاها أولا وذكر بعضهم ان صورة عيسى وأمه بقيتا أو بقي بعض أثرهما حتى رآهما بعض من أسلم من نصارى غسان فقال انكما لببلاد عربية فلما هدم ابن الزبير رضي الله عنهما البيت ذهبا فلم يبق لهما أثر ثم نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره فكسروا الاصنام التى كانت في بيوتهم وعمدت هند بنت عتبة رضي الله عنها الى صنم كان في بيتها وجعلت تضربه وتقول كنا منك في غرور ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا الى كسر الاصنام التى حول مكة لانهم كانوا اتخذوا لهم أصناما جعلوا لها بيوتا يعظمونها ويهدون لها ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان في كل حي صنم فمنها العزى ومناة وسواع وسيأتي ذكر السرايا اليها * ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الى الكعبة وقيل كان على راحلته فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهي حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك بها دما ولا يعضد فيها شجرة لم تحل لاحد كان قبلي ولم تحل لاحد يكون بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة يعني من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على أهلها ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا له ان الله تعالى قد أحلها لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم وقد جاء في صحيح مسلم لا يحل أن يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الهذلي وكان مع بني بكر فلما دخل مكة وهو على شركه عرفته خزاعة فاحاطوا به فطعنه منهم خراش الخزاعي بمشقص في بطنه حتى قتله فلامه صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراشا والمشقص ما طال من النصل وعرض وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة أي لا تغزى على الكفر أي لا يقاتلوا على أن يسلموا * واختلف العلماء رحمهم الله هل فتحت مكة صلحا أو عنوة فقال الاكثرون انها فتحت عنوة وقال الشافعي وأحمد في رواية عنه انها فتحت صلحا وجمع بعضهم بين الروايات بأن أعلاها فتح صلحا أي الذى سلكه النبي صلى الله عليه وسلم وأسفلها فتح عنوة أي الذى سلكه خالد بن الوليد رضي الله عنه ولما قرب صلى الله عليه وسلم من دخول مكة أي قبل أن يدخلها يوم قال له أسامة بن زيد رضي الله عنهما يا رسول الله أين تنزل غدا زاد في رواية أتنزل في دارك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور وكان عقيل ورث أبا طالب هو وأخوه طالب ولم يرث

جعفر ولا على معهما شيأ لانهما كانا مسلمين وترك لهما النبي صلى الله عليه وسلم ما يخصه تفضلا واستمالة وتأليفا لهما وقيل تصحيحا لتصرفات الجاهلية كما صحح أنكحتهم ثم ان عقيلا أسلم وأما طالب ففقد ببدر وكان مع المشركين وقيل اختطفته الجن وفي رواية للبخاري قال صلى الله عليه وسلم منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله مكة الخيف وفي رواية بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني به المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وانما اختار صلى الله عليه وسلم النزول في ذلك الموضع ليتذكر ما كانوا فيه فيشكر الله على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم وتمكنه من دخول مكة ظاهرا غالبا على رغم من سعى في اخراجه منها ومبالغة في الصفح عن الذين أساؤا ومقابلتهم بالمن والاحسان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وعن جابر رضي الله عنه قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع قبته أي التي ضربت له بعد وقال هذا منزلنا يا جابر حيث تقاسمت قريش علينا قال جابر رضي الله عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله علينا مكة في خيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر وقال ذلك أيضا صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فعن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني بذلك المحصب * وبعد ان فتح الله مكة جاء صلى الله عليه وسلم الى الصفا حيث ينظر الى البيت ورفع يديه وقام يدعو ويذكر الله بما شاء وقد أحدقت به الانصار فقال بعضهم لبعض أما الرجل فقد أدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته فنزل عليه الوحي بما ذكر القوم فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وقال يا معشر الانصار قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يا رسول الله قال فما اسمي اذن ان فعلت ذلك كيف اسمي وأوصف باني عبد الله ورسوله كلا لا أفعل ذلك اني عبد الله ورسوله أي من كان هذا وصفه لا يفعل ذلك هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم فأقبلوا اليه يبكون ويقولون والله ما قلنا الذي قلنا الا الضن أي البخل بالله ورسوله أي لا نسمح أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله ورسوله يعذرانكم أي يقبلان عذركم ويصدقانكم وفي رواية ان الانصار قالوا فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شئ يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وتقدم له صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة نظير ذلك وهو ان الانصار قالوا يا رسول الله هل عسيت ان نصرناك وأظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم * واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن

أمية قبل أن يسلم خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب ابن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها في أصحابه من أهل الضعف ثم وفاها مما غنمه من هوازن وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسعة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخاري بقصر الصلاة في مدة اقامته بها لانه كان يترقب المسير الى حرب هوزان اجماعه بتجهيزهم لحاربتهم وولى مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان عمره احدى وعشرين سنة وفي رواية أن عمره كان ثماني عشرة سنة وجعل معه معاذ بن جبل رضي الله عنه يعلم الناس الفرائض والسنن وجعل رزق عتاب كل يوم درهما فكان رضي الله عنه يقول لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم وفي رواية أنه خطب الناس فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم درهما فلا حاجة لي الى أحد وبقي على عمله الى آخر خلافة الصديق رضي الله عنه وتوفي في اليوم الذي توفي فيه الصديق رضي الله عنه وقيل بل استعمله عمر رضي الله عنه وعاش الى سنة احدى وعشرين وكانت وفاته في خلافة عمر رضي الله عنه وانما استعمله النبي صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كان رأى في المنام أن أسيدا والده ولي على مكة مسلما فمات كافرا فكانت تأويل تلك الرؤيا ولاية ولده عتاب رضي الله عنه حين أسلم وكان رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وعبادهم وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما ولاه قال له انطلق فقد استعملتك على أهل الله قال ذلك ثلاثا وفي رواية قال له يا عتاب أتدري على من استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيرا يقول ذلك ثلاث مرات فكان عتاب رضي الله عنه شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل مكة عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم * قال ابن الجوزي انما استعمل صلى الله عليه وسلم عتابا حين أراد الخروج الى حرب هوزان وفي كلام غيره أن ذلك كان بعد غزوة الطائف وعمرة الجعرانة حين أراد صلى الله عليه وسلم الذهاب الى المدينة ولا تخالف لاحتمال أن يراد انه أبقاه على ذلك حين أراد الرجوع الى المدينة وكان لعتاب رضي الله عنه ولد اسمه عبد الرحمن يقال له يعسوب قريش حضر وقعة الجمل مع علي رضي الله عنه فقتل واحتمل نسر يده وألقاها بمكة فعرفوها بخاتمه فجهزوها وصلوا عليها ودفنوها والكلام على هذه الغزوة الشريفة يطول وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أشار الامام البوصيري لبعض ما وقع فيها فقال

صرعت قومه حبائل بغي * مدها المكر منهم والدهاء

فأتتهم خيل الى الحرب تختا * ل وللخيل في الوغى خيلاء

قصدت منهم القنا فقوافى الطعن منها ماشأنه الايطاء
وأثارت بأرض مكة نقعا * ظن أن الغدو منها عشاء
أحجمت عنده الحجون وأكدى * دون اعطائه القليل كداء
ودهت أوجهابها وبيوتا * مل منها الاكفاء والاقواء
فدعوا أحلم البرية والعفو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التى من قريش * قطعتها الترات والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء
ولو أن انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله فى الامور فأرضى الله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضح الا بما حواه الاناء

وقد أجاد العلامة أبو محمد عبد الله بن أبى زكريا يحيى بن على الشقراطسى حيث يقول فى قصيدته المشهورة بعد ما ساق قصة بدر أتبعها بثمانية وعشرين بيتا فى قصة الفتح لانهما كانتا عظيمتين فبدر أول مشهد نصر الله رسوله الله صلى الله عليه وسلم فيه وهذه يوم استيلائه على مكة التى هى من أشرف البقاع ويوم عزه فى بلاده التى أوذى فيها ودخل الناس فى دين الله أفواجا فقال

ويوم مكة اذ أشرفت فى أمم * تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها * فى قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذى لجب * عرمرم كزهاء السيل منسحل
وأنت صلى عليك الله تقدمهم * فى بهو اشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب * متوج بعزيز النصر مقتبل
يسمو أمام جنود الله مرتديا * ثوب الوقار لأمر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت * بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر أملاك السماء بما * ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق * والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا فى أعنتها * والعيس تنثال رهوا فى ثنى الجدل
لولا الذى خطت الاقلام من قدر * وسابق من قضاء غير ذى حول
أهل ثهلان بالتهليل من طرب * وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت * له النبوة فوق العرش فى الازل
شعبت صدع قريش بعد ما قذفت * بهم شعوب شعاب السهل والقلل

قالوا محمد قد زادت كتائبه * كالأسد تزأر فى أنيابها العصل
فويل مكة من آثار وطأته * وويل أم قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم * تلمم ولا بأليم اللوم والعذل
أضربت بالصفح صفحا عن طوائلهم * طولا أطال مقيل النوم فى المقل
رحمت واشج أرحام أتيح لها * تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذى لطف * مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
أزكى الخليقة أخلاقا وأطهرها * وأكرم الناس صفحا عن ذوى الزلل
زان الخشوع وقاره فى خفر * أرق من خفر العذراء فى الكلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به * من كان عنه قبيل الفتح فى شغل
والكفر فى ظلمات الرجس مرتكس * ثاو بمنزلة المهموت من زحل
حزت بالأمن أقطار الحجاز معا * وملت بالخوف عن حيف وعن طلل
وحل أمن ويمن منك فى يمن * لما أجابت الى الايمان عن عجل
وأصبح الدين قد حفت جوانبه * بعزة النصر واستولى على الملل
قد طاع منحرف منهم لمعترف * وانقاد منعدل منهم لمعتدل
أحبب بخلة أهل الحق فى الخلل * وعز دولته الغراء فى الدول

﴿هدم العزى وتعرف بسرية خالد بن الوليد سيف الله﴾

الذى صبه على الكفار وكانت عقب فتح مكة بخمس ليال بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه الى العزى ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها واختلف فى المراد من العزى فقيل هى شجرة وقيل صنم وضعه سعد بن ظالم الغطفانى لما قدم مكة ورأى أهلها يطوفون بين الصفا والمروة فأخذ من كل حجرا ونقلهما الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة وكانت العزى لقريش وجميع بنى كنانة وحجابها بنو شيبان من بنى سليم وكانوا حلفاء بنى هاشم وكانت أعظم أصنامهم وذلك أن عمرو بن لحى لعنه الله قال لهم ان الرب يشتى عند اللات ويصيف عند العزى فعظموها وبنوا لها بيتا وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويعظمونها كتعظيمها ويطوفون وينحرون عندها ومع ذلك يعرفون فضل الكعبة عليها لانها بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده قال ابن اسحاق فلما سمع سادن العزى بسير خالد اليه علق سيفه واسند فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول

أيا عز شدى شدة لا سوى لها * على خالد ألقى القناع وشمرى
أيا عز ان لم تقتلى المرء خالدا * فبوئى باثم عاجل أو تنصرى

فلما انتهوا اليها هدموا البيت التى هى فيه وكان على ثلاث سمرات فقطعها خالد رضى الله عنه وهدم البيت وكسر الصنم ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأخبره فقال هل رأيت

شيأ أخرجه منها حين هدمها قال لا قال فانك لم تهدمها أى الهدم الابدى المزيل لها حقيقة فان الذى فعلته هو ازالة الصورة الظاهرة و بقى أمر خفى لا تزول الا بزواله فارجع اليها فاهدمها فرجع خالد رضى الله عنه وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس تحثو التراب على رأسها ووجهها فجعل السادن يصيح بها وهو يقول

يا عزى خبليه * يا عزى عوريه

ولا تموتى برغم فضربها خالد رضى الله عنه وهو يقول

يا عز كفرانك لا سبحانك * انى رأيت الله قد أهانك

فجزلها أى قطعها اثنين وفى رواية فضرب الشجرة بالفأس فقلعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فضربها فقطعها اثنين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا

هدم سواع وهى سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه

الى هدم سواع وهو صنم لهذيل على ثلاثة أميال من مكة وكان بعثه فى رمضان أيضا بعد الفتح قال ابن جرير سواع بن شيث بن آدم لما مات صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين ولما عهدوا فى دعائه من الاجابة وأولاده يغوث ويعوق ونسر فلما ماتوا صورت صورهم فلما خلفت الخلوف قالوا ما عظم هؤلاء آباؤنا الا لانها ترزق وتنفع وتضر فاتخذوها آلهة قال السهيلى وكان بدء عبادتها فى عهد مهلاييل بن قينان قبل نوح عليه السلام وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما صارت الاوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب وهى أسماء قوم صالحين فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسونها أنصابا وسموها بأسمائهم فلم تعبد فلما هلك أولئك ونسخ العلم عبدت قال عمرو بن العاص رضى الله عنه فانتهيت الى سواع وعنده السادن قال ماتريد فقلت أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر على ذلك فقلت لم قال يمنعك قلت حتى الآن أنت على الباطل ويحك وهل يسمع أو يبصر حتى يمنعنى قال فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابى فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيأ ثم قلت للسادن كيف رأيت فقال أسلمت لله رب العالمين ولم يذكر أحد عدد الذين كانوا مع عمرو رضى الله عنه

هدم مناة وهى سرية سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه

الى مناة وهى صنم للاوس والخزرج ومن دان دينهم وقيل انها أيضا لهذيل و بنى كعب وخزاعة وغسان وكانت بالمشلل بضم الميم وفتح الشين واللام الاولى المشددة جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد وكان بعثه فى رمضان أيضا بعد الفتح فخرج سعد بن زيد رضى الله عنه فى عشرين فارسا حتى انتهى اليها وعليها سادن قال السادن ماتريد قال أريد هدم مناة قال أنت وذاك فأقبل

لظنه انه لا يقدر عليها فأقبل سعد يمشي اليها فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أي منتشرة الشعر تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وأقبل الى الصنم ومعه أصحابه فهدموه ولم يجدوا في خزانته شيأ وانصرف راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ما ذكر من أن الذي ذهب لهدمها سعد بن زيد الاشهلي هو ما مشى عليه في المواهب تبعا للطبقات ابن سعد وقال ابن اسحاق ان الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لهدمها أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه وفي سيرة ابن هشام انه علي بن أبي طالب رضي الله عنه و يمكن ان الجميع ذهبوا لذلك والله أعلم

﴿غزوة حنين﴾

وهو اسم موضع في طريق الطائف الى جنب ذي المجاز وهو سوق كان في الجاهلية وقيل حنين اسم لما بين مكة والطائف وتسمى غزوة أوطاس وهو اسم لموضع كانت به الوقعة وتسمى أيضا غزوة هوازن وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها اعدة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر وسببها انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض وتشاوروا على قتاله صلى الله عليه وسلم لانهم خافوا أن يسير اليهم و يغزوهم وقالوا قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا فالرأي أن نغزوه قبل أن يغزونا بل جاء في بعض الروايات انهم قبل فتح مكة كانوا يعدون قتاله صلى الله عليه وسلم و روى عن أبي الزناد ان هوازن أقامت سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم في العرب تجمعهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالوا لا ناهية له دوننا وعزموا على انهم يغزونه قبل أن يغزوهم وقال بعض منهم والله ما لاقى محمد قوما يحسنون القتال فأجمعوا أمركم وسيروا اليه قبل أن يسير اليكم فأجمعوا أمرهم على ذلك وكان جماع أمر الناس الى مالك بن عوف بن سعد ابن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن و يقال له النصري بالصاد وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة منهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم ومعهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا لكنه كبر لانه بلغ مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين وقيل قارب المائتين وقد عمي وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب لانه كان صاحب رأي وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف كنانة بن عبد ياليل وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان جملة من اجتمع من بني سعد وثقيف أربعة آلاف وانضم اليهم من أعداد سائر العرب جموع كثيرة وكان مجموعهم كلهم ثلاثين ألفا وجعلوا أمر الجميع الى مالك بن عوف النصري وكان عمره ثلاثين سنة واشترطوا عليه ان يأخذ برأي دريد بن الصمة فأمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم كي يثبتوا عند الحرب ولا يفروا فلما نزلوا بأوطاس قال دريد بن

الصمة مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال أين هو فحضر بين يديه فقال له انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود أى غالبهم اما قتلا واما اخراجا عن ذل وصغار فقال له مالك لا تخالفك فى أمر تراه فقال يا مالك أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كان له ما بعده من الايام مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال له ولم قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم فزجركا تزجر الدابة وهو ان يلصق اللسان بالحنك الاعلى ويصوت به وهو معنى قول بعضهم صوت بلسانه فى فيه ثم قال له رويعى ضأن والله ماله وللحرب أى من كانت هذه صفته ماله وللحرب ثم أشار عليه برد الذرية والاموال وقال هل يرد المنهزم شئ هى ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه لا هؤلاء النساء والصبيان والمواشى وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك فلم يقبل ذلك منه مالك ثم قال دريد ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم أحد فقال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة ما غابا ثم قال دريد لمالك ان يومك هذا الذى تلقى فيه محمدا ما بعده يوم فقال له مالك انى لا طمع ان ترى ما يسرك ثم أشار دريد عليه بأمور لم يقبلها مالك وقال والله لا أطيعك انك قد كبرت وضعف رأيك فقال لهوازن قد شرط مالك أن لا يخالفنى وقد خالفنى فأنا أرجع الى أهلى فمنعوه وقال مالك والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى وكره أن يكون لدريد فيها رأى أو ذكر فقالوا أطعناك فقال دريد يا معشر هوازن ان هذا فاضحكم فى عورتكم يعنى النساء والذرية وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم فانصرفوا واتركوه فأبوا فلما رأى دريد انهم خالفوه قال

يا ليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع * أقود وطفاء الزمع * كأنها شاة صدع

ثم أمر مالك بالخيل فجعلت صفوفا وجعل المشاة خلفهم ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم جعل الابل والبقر والغنم وراء ذلك كيلا يفروا ويقاتلوا عن مالهم ونسائهم وذراريهم ثم قال للناس اذا رأيتمونى شددت عليهم شدوا عليهم شدة رجل واحد * ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم اجتماعهم وتحزبهم أجمع على الخروج اليهم وكان خروجه من مكة يوم السبت لست خلون من شوال وكان معه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا منهم عشرة آلاف الذين جاؤا معه من المدينة لفتح مكة وألفان من الذين أسلموا فى فتح مكة الذين من عليهم وأطلقهم يوم الفتح وفصل بعضهم العشرة الآلاف الذين جاؤا معه من المدينة وخرجوا لحرب هوازن فقال أربعة آلاف من الانصار وألف من المهاجرين وألف من جهينة وألف من مزينة وألف من أسلم وألف من غفار وألف من أشجع وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استقرض من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن ربيعة

أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها فى أصحابه أهل الضعف ليستعينوا بها وكان ذلك عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ثم وفاها مما غنمه من هوازن وقال انما جزاء السلف الحمد والاداء وكان صفوان بن أمية على دين قومه وأخذ أمانا من النبى صلى الله عليه وسلم وسأله أن يعطيه مهلة شهرين ثم ان شاء تبعه ودخل فى الاسلام وان شاء ذهب حيث شاء فأعطاه أربعة أشهر ثم أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وتقدم الكلام على قصة اسلامه مستوفى عند ذكره فى عداد من أهدر دمهم صلى الله عليه وسلم واستثناهم من الدخول فى الامان ثم انه صلى الله عليه وسلم ذكر واله عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ان عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا فأرسل اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلق به عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد قال بل عارية وهى مضمونة حتى نؤديها اليك فقال ليس بهذا بأس فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح وفى رواية أربعمائة درع وسأله النبى صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها الى موضع القتال ففعل * وذكر بعضهم ان بعض تلك الادراع فقد فأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فأبى بعد اسلامه وقال أنا اليوم يا رسول الله فى الاسلام أرغب واستعار صلى الله عليه وسلم من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عمه صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف رمح وقال كأنى أنظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم وخرج الناس معه وأهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء خرجن يمشين على غير دين رجاء للغنائم ومن لم يكمل اسلامه لم يكره أن الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستعمل صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن أسيد رضى الله عنه وترك معه معاذ بن جبل رضى الله عنه يعلم الناس الاحكام والشرائع وقد تقدم الكلام على ذلك فى غزوة الفتح وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المشركين الذين أمنهم ولم يسلموا حين خروجه ثمانون رجلا منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقد تقدمت قصة اسلامهما فلما قرب النبى صلى الله عليه وسلم من محل العدو رتب أصحابه وصفهم ووضع الألوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا رضى الله عنه وقسم الرايات على كل بطن فأعطى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه راية وأعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه راية وهكذا وأعطى لواء الخزرج للحباب بن المنذر رضى الله عنه ولواء الاوس لاسيد بن حضير رضى الله عنه وجعل لكل بطن راية يحملها واحد منهم ثم رتب قبائل العرب التى كانت معه وفرق عليهم الالوية والرايات ولبس صلى الله عليه وسلم درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته البيضاء وفى رواية الشهباء وهى بغلة واحدة سماها بعضهم بيضاء وبعضهم شهباء لان بياضها كان يميل الى الشهبة واسمها دلدل وأرسل مالك بن عوف رئيس هوازن ثلاثة نفر عيونا وجواسيس ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه فرجعوا الى مالك وقد تفرقت أوصالهم من الفزع فقال ويلكم ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على

خيل بلق فوالله ماتماسكنا أن أصابنا ماترى وان أطعتنا رجعت بقومك فقال أف لكم بل أنتم أجبن القوم وحبسهم عنده خوفا أن يشيع ذلك فى جيشه ولم يصرفه ذلك ومضى على مايريد وأرسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه وهو عبدالله بن أبى حدرد الاسلمى رضى الله عنه وأمره ان يدخل فيهم و يسمع منهم ما أجمعوا عليه فدخل فيهم ومكث يوما أو يومين وسمع مايقولون ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره انه انتهى الى خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لاصحابه ان محمدا لم يقاتل قوما قط قبل هذه المرة وانما كان يلقى قوما أغمارا لاعلم لهم بالحرب فيظهر عليهم فاذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وابناءكم من ورائكم ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم واكسروا اغماد سيوفكم فتلقونه بعشرين الف سيف واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل اولا وفى رواية ان ابن ابى حدرد رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى انطلقت بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم اى نسائهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين ان شاء الله فقال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم عن قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فيما تقدم بعشرين الف سيف حق وهو الراجح كما حقق ذلك العلامة الزرقانى فى شرح المواهب وقيل كانوا ثلاثين الفا واما رواية انهم كانوا اربعة آلاف فرجوحة ولما كان صلى الله عليه وسلم بحنين وانحدر فى الوادى وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا قد كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه وذلك باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك بن عوف اجعل كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم وكررت عليهم أنت بمن معك وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد فحملوا عليهم حملة رجل واحد وكانت هوازن رماة فاستقبلوهم بالنبل كأنه جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم * وقال البراء بن عازب رضى الله عنهما كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فاخذ المسلمون فى الرجوع منهزمين لا يلوى أحد على أحد وفى رواية فاستقبلهم من هوازن مالم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك فى غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادى فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بنى سليم مولية وكانت مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فتبعهم أهل مكة والناس فانهزموا وقيل ان الطلقاء وهم أهل مكة قال بعضهم لبعض أى قال من كان منهم اسلامه مدخولا اخذلوهم فهذا وقته فانهزموا أول من انهزم وتبعهم الناس وسأل رجل البراء بن عازب رضى الله عنهما افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلى والعباس وابنه الفضل وأبوسفيان بن الحارث ابن عبدالمطلب ابن عمه صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب

عتبة ومعتب ابنا أبى لهب وأيمن بن أم أيمن وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين وأيمن هذا استشهد يومئذ واختلف فى عدد الذين ثبتوا معه يومئذ فقيل مائة وقيل ثمانون وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل ثلثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع باختلاف اللحظات فكانوا تارة قليلا وتارة كثيرا وتارة يجتمعون معه وتارة يتفرقون عن يمينه وشماله يقاتلون ٭ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى الناس وبقيت معه فى ثمانين رجلا من المهاجرين والانصار فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته لم يمض قدما وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم آخذا بلجام بغلته يكفها أن تتقدم فى نحر العدو وجاء فى رواية ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان آخذا باللجام فلعله كان يمسكه هو تارة والعباس تارة وكان أبو سفيان بن الحارث وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنه آخذا بركابه صلى الله عليه وسلم قال رضى الله عنه لما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسى وبيدى السيف مصلتا والله يعلم انى أريد الموت دونه صلى الله عليه وسلم وهو ينظر الى فقال له العباس رضى الله عنه يارسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله له كل عداوة عادانيها قال ثم التفت الى وقال يا أخى فقبلت رجله فى الركاب وقال صلى الله عليه وسلم فيه أبو سفيان بن الحارث من شباب أهل الجنة وفى رواية سيد فتيان أهل الجنة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يركض ناحية هوازن ويقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وأخذ كفا من تراب فرماه فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ الله عينيه من تلك القبضة وجاء فى بعض الروايات أنه حين أراد تناول التراب حادت به بغلته ومال به السرج وكان ابن مسعود رضى الله عنه قريبا منه قال فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فناولته فضرب به وجوههم فامتلأت ترابا وقيل انه نزل عن بغلته وأخذ التراب بيده وفى رواية قال للعباس ناولنى من الحصباء فافهم الله البغلة فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الارض فتناول من البطحاء فحثى فى وجوههم وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون وعن مالك بن أوس قال حدثنى عدة من قومى شهدوا ذلك اليوم يقولون قد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية من الحصى فما منا أحد الا شكى القذى فى عينيه ولقد كنا نجد فى صدورنا خفقانا كوقع الحصى فى الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان وعن يزيد بن عامر السوائى وكان حضر ذلك اليوم فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطست فيطن فيقول انا كنا نجد فى أجوافنا مثل هذا وعن أبى عبد الرحمن الفهرى قال حدثنى أبناؤهم عن آبائهم انهم قالوا لم يبق منا أحد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كامرار الحديد على الطست وهذا الرمى وقع فى هذه الغزوة وفى غزوة بدر وفى ذلك قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصى فأقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

وعن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم
ونحن فى آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا
وركبوا أكتافنا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الهزيمة صار يقول الى
أيها الناس الى قال الراوى للحديث فلم أر الناس يلوون على شئ فقال صلى الله عليه وسلم لعمه
العباس رضى الله عنه اصرخ يا معشر الانصار يا أصحاب السمرة يعنى الشجرة التى كانت تحتها
بيعة الرضوان وفى رواية اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالانصار الذين آووا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العباس رضى الله عنه رفيع الصوت حتى جاء انه كان يسمع
صوته من مسافة ثمانية أميال وفى رواية قال له نادِ يا أصحاب البيعة يوم الحديبية يا أصحاب
سورة البقرة وفى لفظ نادِ يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بنى الخزرج ولا تنافى بين الروايات
لاحتمال تكرر قول النبى صلى الله عليه وسلم له وتكرر ندائه وانه نادى بكل تلك الالفاظ
وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم نادى بنفسه أيضا بعد نداء العباس فالتفت عن يمينه فقال
يا معشر الانصار فقالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يا معشر
الانصار فقالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك وفى رواية فأجابوه لبيك لبيك نحن معك
يا رسول الله وصار الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع أى لم ينقد معه بسهولة انحدر
عنه وتركه ورجع بسيفه وترسه معه يؤم الصوت حتى ينتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعض الرواة ما شبهت عطفة الانصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل
وفى لفظ عطفة البقر على أولادها وفى رواية أقبلوا كأنهم الابل اذا حنت على أولادها
وفى رواية فجاء المهاجرون والانصار بسيوفهم فى أيمانهم كأنها الشهب فأمرهم النبى صلى الله
عليه وسلم أن يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار قتالا شديدا فنظر الى قتالهم فقال الآن حمى
الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب مثلا لشدة الحرب التى يشبه حرها حر التنور وهذا من فصيح
الكلام ولم يسمع من أحد قبل النبى صلى الله عليه وسلم فولى المشركون الادبار والمسلمون يقتلون
ويأسرون فيهم وكان فى ركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة فى هذا الموطن الذى هو موطن الحرب
والطعن والضرب تحقيق لنبوته لما خصه الله به من مزيد الشجاعة وتمام القوة والا فالبغال عادة
من مراكب الطمأنينة والأمن ولا يصلح لمواطن الحرب فى العادة الا الخيل لان الخيل مخلوقة
للكر والفر بخلاف البغال والابل فبين عليه الصلاة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب
وشجاعة نفس وثقة بالله وتوكلا عليه وقد أجمعت الصحابة رضى الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم
ما انهزم مع من انهزم بل صار يقدم فى وجه العدو بل ما انهزم فى موطن قط وقد انعقد الاجماع

على ذلك قال القاضي عياض من قال انه انهزم يستتاب فان تاب والا قتل ولما انهزم المشركون تبع
آثارهم المسلمون قتلا وأسرا حتى حدث بعض من هوازن بعد اسلامه قال ماخيل لنا الا ان كل
حجر وشجر فارس يطلبنا وأنزل الله من الملائكة خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة
عشر ألفا فقيل انهم قاتلوا وقيل لم يقاتلوا وانما نزلوا لالقاء السكينة في قلوب المؤمنين بالقاء
الخواطر الحسنة وجاء أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه ودعا وقال اللهم أنشدك ماوعدتني
اللهم لاينبغي أن يظهروا علينا اللهم كنت وتكون وأنت حي لاتموت تنام العيون وتنكدر
النجوم وأنت حي قيوم لاتأخذه سنة ولانوم ياحي ياقيوم اللهم ان تشأ أن لاتعبد بعد اليوم اللهم
لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان فقال له جبريل عليه السلام لقد لقنت الكلمات التي
لقن الله موسى يوم فلق له البحر كان البحر أمامه وفرعون خلفه وكان في يوم حنين أمام المشركين
رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل وهوازن خلفه ان أدرك من امامه
طعنه برمحه وان فاته دفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ أهوى اليه علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ورجل من الانصار يريدانه فأتى علي رضي الله عنه من خلفه وضرب عرقوبي
الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه
واجتلد الناس فوالله مارجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتوفين
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة لما في نفوسهم من
الضغن وكان ذلك قبل أن يتمكن الاسلام في قلوبهم وقالوا لاتنتهي هذه الهزيمة دون البحر
وقالوا غلبت والله هوازن ولم يرض صفوان بن أمية بتلك المقالة وكان ذلك قبل اسلامه فقال
لقائل ذلك بفيك الكثكث أي الحجارة والتراب وقال هشام بن كلدة وكان أخا صفوان
لامه بطل سحر محمد فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربني رجل من قريش
أحب الي من أن يربني رجل من هوازن ومر رجل على صفوان فقال له أبشر بهزيمة محمد
وأصحابه فوالله لايجبرونها أبدا فغضب صفوان وقال أتبشرني بظهور الاعراب فوالله لرب من
قريش أي مالك يدبر أمري أحب الي من رجل من الاعراب وقال عكرمة بن أبي جهل لمن قال
لايجبرونها أبدا ليس هذا لك ولا بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شيء ان أديل عليه اليوم فان
له العاقبة غدا ووصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم لم يتمكن الاسلام في قلوبهم وأظهروا
الشماتة وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها وثبت الله عتاب بن أسيد وجماعة معه فلم
يتغيروا وأعماهم عليه حتى جاءتهم البشرى بنصرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وانهزام هوازن
ومن معهم وعن قتادة قال مضى سرعان المنهزمين الى مكة يخبرون أهلها بالهزيمة فسر بذلك قوم
من أهلها وأظهروا الشماتة وقال قائلهم ترجع العرب الى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق
أصحابه فقال عتاب بن أسيد رضي الله عنه ان قتل محمد فان دين الله قائم والذي يعبده محمد حي
لايموت فما أمسوا حتى جاءهم الخبر بنصره صلى الله عليه وسلم فسر عتاب ومعاذ وكبت الله

من كان يسره خلاف ذلك ولما انعطف المسلمون راجعين انتهوا فى قتالهم هوازن الى قتل الذرية
فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية وقال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله
سلبه وروى ان أبا طلحة الانصارى رضى الله عنه قتل وحده عشرين قتيلا وأخذ أسلابهم وأدرك
ربيعة بن رفيع السلمى دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير
أعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد فقال أقتلك قال ومن أنت قال ربيعة بن رفيع
السلمى ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال له دريد بئس ما سلحتك أمك خذ سيفى هذا
من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت أضرب
الرجال ثم اذا أتيت أمك فاخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك
فقتله فلما أخبر ربيعة أمه بقتله قالت له أما والله لقد أعتق اثنين بل ثلاثا هلا تكرمت عن قتله
لما أخبرك بمنه علينا فقال ما كنت لأتكرم عن رضا الله ورسوله وقيل القاتل لدريد الزبير
ابن العوام رضى الله عنه وكانت أم سليم رضى الله عنها مع زوجها أبى طلحة زيد بن سهل
الانصارى رضى الله عنه وكانت رضى الله عنها حازمة وسطها ببردها وفى حزامها خنجر وكانت
حاملا بابنها عبد الله بن أبى طلحة فقال لها زوجها ما هذا الخنجر الذى معك يا أم سليم قالت ان دنا
منى أحد من المشركين بعجته به فقال أبو طلحة ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم فأعاد عليه
القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وقالت أم سليم رضى الله عنها للنبى صلى الله
عليه وسلم بأبى أنت وأمى يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا وعنك فانهم لذلك أهل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد كفى وأحسن وأى وقد غفر الله لهم كما قال تعالى وعذب
الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم
وجرح خالد بن الوليد رضى الله عنه جراحات أثقلت به وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال
رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشى
فى المسلمين ويقول من يدلنى على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند الى مؤخرة
الرحل لانه أثقل بالجراحة فتفل صلى الله عليه وسلم فى جراحاته فبرأ لوقته * وعن جبير بن مطعم
رضى الله عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة هوازن والناس يقتتلون شيئا أسود أقبل من السماء
حتى سقط بيننا وبين القوم فاذا نمل مبثوث قد ملأ الوادى فلم أشك انه الملائكة ولم تكن الا
هزيمة القوم وعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليهم
عمائم صفر قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والارض كتائب لا نستطيع أن نقاتلهم من
الرعب منهم وكان جملة من قتل من المسلمين فى هذه الوقعة أربعة فقط وقتل من المشركين وقت
الحرب أكثر من سبعين قتيلا وفى الانهزام أكثر من ثلثمائة وأسر منهم خلق كثير ومن النساء
ستة آلاف نفس وغنم المسلمون من الابل أربعة وعشرين ألف بعير ومن الغنم أكثر من
أربعين ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ولم يذكروا عدد البقر لانها كانت قليلة

بالنسب لما ذكر ولما وقعت هزيمة هوازن أسلم كثير من كفار مكة وغيرهم لما رأوا من نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه قال أصابتني رمية يوم حنين في جبهتي وسال الدم على وجهي وصدري فسلت النبي صلى الله عليه وسلم بيده عن وجهي وصدري الى ترقوتي ثم دعا لي فصار أثر يده غرة سائلة كغرة الفرس ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فأرسل اليهم صلى الله عليه وسلم أبا عامر الاشعري رضي الله عنه كما يأتي على الاثر والله أعلم

﴿سرية أبي عامر الاشعري رضي الله عنه﴾

وهو عم أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وتسمى هذه السرية غزوة أوطاس بعث صلى الله عليه وسلم أبا عامر خلف الفارين من هوازن ومعه جمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم سلمة بن الاكوع رضي الله عنه فالتقوا بأوطاس وهو واد في ديار هوازن وكان المنهزمون انقسموا ثلاث فرق فرقة منهم لحقت بالطائف وفرقة بنخلة وفرقة بأوطاس فانتهى اليهم أبو عامر فاذا هم مجتمعون فناوشوه القتال وقتل منهم أبو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كل واحد منهم الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه بأني دعوته الى الاسلام فلم يجب ثم برز له العاشر فدعاه الى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه فقال اللهم لا تشهد علي فكف عنه أبو عامر ظنا منه انه أسلم فأفلت ثم أسلم بعد فحسن اسلامه فكان صلى الله عليه وسلم اذا رآه قال هذا شريد أبي عامر ثم استشهد أبو عامر رضي الله عنه قتله اخوان وهما العلاء وأوفى ابنا الحارث بن جشم وجاء ان أبا موسى أدرك قاتل عمه فقتله وقيل ان الذي قتله عاشر الاخوة التسعة وهو الذي أسلم بعد ثم خلف أبا عامر أبو موسى رضي الله عنه باستخلاف عمه له فأقرأه الناس فقاتل القوم حتى هزمهم وفتح الله على يديه وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لابي عامر وقال اللهم اغفر لابي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة وفي رواية وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما

﴿ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه﴾

الى ذي الكفين وهو صنم من خشب كان لعمرو بن حممة الدوسي وذلك انه لما أراد صلى الله عليه وسلم السير الى الطائف لمحاصرة من تحصنوا به من ثقيف بعث الطفيل لاحراق ذلك الصنم وان يوافيه بالطائف فخرج سريعا فهدمه وجعل يلقي النار في وجهه ويقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا ＊ ميلادنا أقدم من ميلادكا ＊ اني حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا لانه كان مطاعا في قومه فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدمه من الطائف بأربعة أيام

﴿غزوة الطائف﴾

وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة سار الى الطائف وجعل خالد بن الوليد على مقدمته فى ألف من أصحابه وكانت ثقيف لما انهزموا دخلوا حصنهم بالطائف وأغلقوه عليهم بعد ان أدخلوا فيه ما يصلحهم من القوت لسنة وتهيأوا للقتال وكان معهم مالك بن عوف وجمع من أشراف قومه ومر صلى الله عليه وسلم فى طريقه بحصن لمالك ابن عوف فأمر به فهدم ومر بحائط أى بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم اما أن تخرج وأما ان نحرق عليك حائطك فأبى أن يخرج منه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه ولما وصل خالد رضى الله عنه الطائف نزل بمن معه من المسلمين قريبا من الحصن وعسكر هنالك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب كثير من المسلمين بجراحات وقتل من المسلمين اثنا عشر رجلا منهم عبد الله بن أبى أمية المخزومى رضى الله عنه وهو أخو أم سلمة رضى الله عنها وأصيبت عين أبى سفيان رضى الله عنه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وعينه فى يده فقال يا رسول الله هذه عينى أصيبت فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان شئت دعوت فردت عليك وان شئت فعين فى الجنة قال فى الجنة ورمى بها من يده وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك عند قتال الروم كما تقدم الكلام على ذلك ولما وصل صلى الله عليه وسلم الطائف نزل قريبا من الحصن ثم لما قتل من قتل من المسلمين ارتفع الى موضع مسجد الطائف اليوم وحاصرهم ثمانية عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمى به فى الاسلام وكان الذى أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه بل قيل انه صنعه بيده وأقبل خالد ابن الوليد رضى الله عنه ينادى أهل الحصن ويقول من يبارز فلم يطلع اليه أحد وناداه عبد ياليل لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم فى حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يذهب ذلك الطعام خرجنا اليك بأسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا ودخل جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم تحت دبابتين لينقبوا عليهم السور وزحفوا بها الى جدار الحصن ليخرقوه ففطن لهم ثقيف فأرسلوا اليهم سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتلوا منهم رجالا والدبابة بفتح الدال المهملة وموحدة مشددة وبعد الالف موحدة ثم هاء التأنيث هى آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا فسألوه أن يدعها لله وللرحم فقال صلى الله عليه وسلم فانى أدعها لله وللرحم ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل من الحصن وخرج لنا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر وقيل ثلاثة وعشرون رجلا ونزل منهم شخص فى بكرة فقيل له أبو بكرة وكان عبدا للحارث بن كلدة فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة واستأذن عيينة بن حصن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يأتى ثقيفا فى حصنهم ليدعوهم الى الاسلام فاذن له فى ذلك فأتاهم فدخل حصنهم فقال لهم

تمسكوا في حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد ولا تعطوا بأيديكم ولا يشق عليكم قطع هذا الشجر ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ماقلت لهم يا عيينة قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت انما قلت لهم كذا وقص عليه القصة فقال صدقت يارسول الله أتوب الى الله واليك من ذلك وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر منهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه أخو أم سلمة رضي الله عنها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف قالت خولة بنت حكيم رضي الله عنها قلت له يارسول الله مايمنعك أن تنهض الى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا حتى الآن فيهم وما أظن أن نفتحها الآن فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماحديث حدثتنيه خولة زعمت انك قلته لها قال قلته قال أوما أذن الله فيهم يارسول الله قال لا واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب أو المقام فقال له ثعلب في جحر ان أقمت أخذته وان تركته لم يضرك قال ابن اسحاق وبلغني أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه انى رأيت انى أهديت لي قعبة مملوءة زبدا فنقرها ديك فهراق مافيها فقال أبو بكر رضي الله عنه ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ماتريد فقال صلى الله عليه وسلم وأنا لا أرى ذلك وكأن الحكمة في أنه لم يؤذن له في فتح الطائف ذلك العام ان لا يستأصل أهل ذلك الحصن قتلا فأخر الله أمرهم حتى جاؤا طائعين مسلمين كما سيأتي ذكره في الوفود ان شاء الله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأذن في الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال فغدوا فأصابت المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك تعجبا من سرعة تغير رأيهم لانهم رأوا أن رأيه صلى الله عليه وسلم أبرك وأنفع من رأيهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وقيل له يارسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ورحم الله الابوصيري حيث يقول

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء

وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

وعند انحداره الى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع للكتاب الذي كتبه له صلى الله عليه وسلم عند الهجرة بين أصبعيه وينادي أنا سراقة وهذا كتابي فقال صلى الله عليه وسلم هذا يوم وفاء ومودة ادنوه فأدنوه منه فأسلم رضي الله عنه وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الضالة من الابل ترد حوضه الذي ملأه لابله هل له في ذلك أجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم

فى كل ذات كبد حراء أجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم الجعرانة أمر باحصاء السبى فكان كما تقدم ستة آلاف من النساء والذرية والاسرى ومن الابل أربعة وعشرين ألفا ومن الغنم أكثر من أربعين ألفا ومن الفضة أربعة آلاف أوقية غير ما يتبع ذلك من الامتعة وكان صلى الله عليه وسلم قدانتظر قدوم هوزان وتربص بهم بضع عشرة ليلة ثم بدأ بقسمة الغنائم فقسمها ثم قدم عليه هوزان مسلمين ورد عليهم السبى كما سيأتى وسألهم عن رئيسهم مالك بن عوف النصرى فقالوا هو مع ثقيف بالطائف فقال أخبروه أنه ان أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما أخبروا مالكا بذلك ركب مستخفيا فأدرك النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وقيل بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل كما وعد صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وقال حين أسلم يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * فى الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل اذا اجتدى * ومتى تشأ يخبرك عما فى غد
فكأنه ليث على أشباله * وسط الهباة خادر فى مرصد

واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه وضيق عليهم حتى أسلموا وشهد فتح القادسية وفتح دمشق فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما جاء وفد هوزان الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان قسم الغنائم سألوه أن يرد عليهم سبيهم وأموالهم فقال صلى الله عليه وسلم معى من ترون يعنى من المسلمين وقد استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون وقد قسمت فاختاروا اما السبى واما المال فاختاروا السبى فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فى رد سبيهم عليهم فردوه كلهم الا عيينة بن حصن فانه أبى أن يرد عجوزا كبيرة وقال هذه أم الحى لعلهم أن يغلوا فداءها ثم ردها بست قلائص كما سيأتى وكانت فى السبى أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاع وهى الشيماء قيل وأمه حليمة رضى الله عنها ولما قالت له الشيماء أنا أختك يا رسول الله قال وما علامة ذلك فأخبرته بعضة كان عضها اياها حين كانا مسترضعا عندهم وأرته اياها فعرفها وتذكر ذلك فقام وبسط لها رداءه وصنع مثل ذلك بأمه حليمة رضى الله عنها حين جاءته ودمعت عيناه وقال للشيماء ان أحببت فعندى محببة مكرمة وان أحببت أن أمتعك وترجعى الى قومك فعلى تعطى واشفعى تشفعى وقيل ان قومها قالوا لها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته فى قومك لرجونا أن يحابينا فأتته فقالت أتعرفنى قال من أنت قالت أنا أختك بنت أبى ذؤيب وآية ذلك انى حملتك فعضضتنى عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها فاستوهبته السبى وهم ستة آلاف فوهبهم لها فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة أعين على قومها منها وخيرها صلى الله عليه وسلم فقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة وان أحببت أن أمتعك وترجعى الى قومك قالت بل تمتعنى وأرجع الى قومى فأعطاها نعما وشاء وغلاما يقال له مكحول وجارية وقيل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وقيل القادم عليه أمه وقيل هما معا جمعا بين الروايات وجاءه

أبو صرد و يكنى بأبى برقان وكان عمه له صلى الله عليه وسلم من الرضاع فقال يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك وان فى من أصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات ونرغب الى الله واليك يارسول الله وقال زهير بن صرد يارسول الله ان ما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك أى لأن مرضعته حليمة رضى الله عنها كانت من هوزان لو أرضعنا الحارث بن أبى شمر ملك الشام أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل بنا مثل ما نزلت بنا لرجوناعطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين ثم أنشده أبياتا يستعطفه بها منها قوله

أمنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذفوك يملأه من محضها الدرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هذى البرية ان تعفو وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فاختاروا احدى الطائفتين اما السبى واما المال وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت انكم لاتقدمون لانه كما تقدم انتظرهم بعد أن قفل من الطائف بضع عشرة ليلة وفى رواية قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فأى الامرين أحب اليكم السبى أم الاموال وفى رواية قال لهم أما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ثم قال لهم اذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين و بالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا واظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم فى الدين فسأسأل لكم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان أثنى على الله بما هو أهله أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين وانى قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم ان يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفئ الله علينا فليفعل وفى رواية قال وأما من تمسك منكم بحقه من السبى فله بكل انسان ست قلائص وفى رواية فرائض لان البعير يسمى فريضة لكونه يؤخذ فى الزكاة ونعطيه ذلك من أول سبى أصيبه وفى رواية فمن أحب أن يعطى غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطى وأراد أخذ الفداء فعلى فداؤهم ثم قال أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع ابن حابس أما أنا و بنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن الفزارى أما أنا و بنو فزارة فلا وقال العباس ابن مرداس السلمى أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم العباس وهنتمونى أى أضعفتمونى حيث صيرتمونى منفردا وفى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم مسلمون وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء

شيئاً فمن كان عنده من النساء سبي فطابت نفسه أن يرده فليرده ومن أبي فليرد ذلك قرضاً علينا بكل انسان ست فرائض من أول ما يفي الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال انا لا ندري لعل فيكم من لم يرض فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعت العرفاء اليه انهم قد رضوا وكان صلى الله عليه وسلم عند تفريق السبي على المسلمين قد أمر منادياً ينادي أن لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأن بحيضة وقد أشار صاحب الهمزية الى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن ومنه عليهم بقوله

من فضلا على هوازن اذ كا * ن له قبل ذاك فيهم رباء
وأتى السبي فيه أخت رضاع * وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا * س به أنما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء * أي فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهي سيدة النسوة والسيدات فيه اماء

والصحيح انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم جميع السبي ولم يتخلف منه أحد الا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن كما تقدم فابى أن يردها وقال حين أخذها أرى عجوزا اني لأحسب أن لها في الحي نسبا وعسى أن يعظم فداؤها فجرّ عليه ولدها وهو زهير بن صرد فداءها منه وأعطاه مائة من الابل فيها فأبى عيينة وطمع في الزيادة فتركه وذهب وغاب عنه ثم مر عليه معرضاً فقال له عيينة خذها بالمائة فأبى وقال لا أدفع الا خمسين فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضاً فقال خذها بالخمسين فقال لا أدفع الا خمسة وعشرين فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر عليه معرضاً فقال خذها بالخمسة والعشرين فقال لا آخذها الا بعشرة فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضاً فقال خذها بالعشرة فقال لا آخذها الا بستة والله ما ثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا فوها ببارد ولا صاحبها بواجد عند فوتها أي حزين ولا درها بناكد أي غزير فقال له عيينة خذها لا بارك الله لك فيها وذلك بسبب دعائه صلى الله عليه وسلم فانه دعا على من أبى أن يرد من السبي شيئاً أن يبخس أي يكسد ثمنه ولما أخذها ولدها قال لعيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسا السبي قبطية فقال لا والله ما ذاك لها عندي فما فارقه حتى أخذ لها منه ثوباً والقبطية بضم القاف ثوب أبيض من ثياب مصر منسوبة للقبط * روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلاً أن يقدم مكة فيشتري للسبي ثياباً فلا يخرج الحر منهم الا كاسياً وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس أهل مالك بن عوف النصري عند عمته عاتكة أم عبد الله أبي أمية المخزومي حتى جاء مالك فسلم اليه أهله وكان الوفد كلموه صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال انما أريد بهم الخير ولم يجز أن تجري اليهم مال في مال مالك بن عوف حتى حضر ورده عليه وزاده مائة من الابل كما تقدم

﴿ذكر قسمة الغنائم﴾

لما رجع صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة قسم الغنائم وبدأ بالمؤلفة قلوبهم وهم ناس من قريش

أسلموا يوم الفتح اسلاما ضعيفا وأراد صلى الله عليه وسلم أن يتمكن الايمان فى قلوبهم وكان فيهم من لم يسلم بعد ثم أسلم كصفوان بن أمية ولما جمعت الغنائم وأحصيت جاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى كثرة المال قال يا محمد أصبحت أكثر قريش قتبسم صلى الله عليه وسلم ثم أعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يارسول الله ابنى يزيد وكان يقال له يزيد الخير وكان أكبر من معاوية فأعطى صلى الله عليه وسلم لابنه يزيد مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يارسول الله ابنى معاوية فأعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فأخذ أبو سفيان وابناه ثلثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة فقال أبو سفيان بأبى أنت وأمى يارسول الله لأنت كريم فى الحرب وكريم فى السلم لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وسالمتك فنعم المسالم كنت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا وجاء حكيم بن حزام فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة من الابل ثم سأل النبى صلى الله عليه وسلم فاعطاه مائة ثم سأله فأعطاه مائة ثم قال له يا حكيم هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فأخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها وقال يارسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا ثم كان عمر رضى الله عنه فى زمن خلافته يدعوه ليعطيه فيأبى أن يقبل فكان عمر رضى الله عنه يقول يا معشر المسلمين انى أعرض على حكيم حقه الذى قسم الله له من هذا الفئ فيأبى أن يقبله رضى الله عنه والذين أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم مائة مائة من الابل كثير منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية وحكيم بن حزام والاخنس بن شريق وجبير بن مطعم والجد بن قيس السهمى والحارث بن الحارث والحارث بن هشام أخو أبى جهل وحاطب بن عبد العزى وحرملة بن خودة وحويطب بن عبد العزى وحكيم بن طليق وخالد بن أسيد وخلف بن هشام وزهير بن أبى أسيد وزيد الخيل والسائب بن أبى السائب وصيفى بن عائذ وسهل وسهيل ابنا عمرو وشيبة بن عثمان الحجبى وعبد الرحمن بن يعقوب الثقفى وسفيان بن عبد الاسد المخزومى وصفوان بن أمية وكان قد خرج مع من خرج وهو على شركه فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم مائة ثم مائة ثم مائة ثم وادياً مملوأ ابلا وغنما فلم يزل يعطه حتى أسلم رضى الله عنه وتقدمت قصته عند ذكره فمن أهدر دمهم صلى الله عليه وسلم وممن أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم مائة الاقرع بن حابس التميمى وعيينة ابن حصن الفزارى وأعطى العباس بن مرداس السلمى دون المائة وكان مثلهما رئيسا على قومه كما انهما رئيسان على قومهما فقال يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

أتجعل نهبى ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى مجمع

وقد كنت فى الحرب ذا تدرء * فلم أعط شيئا ولم أمنع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تخفض اليوم لم يرفع

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه وأعطوه مثل أصحابه وفى رواية يا أبا بكر اقطع عنى لسانه وأعطه مائة من الابل فاعطى تمام المائة والعبيد اسم فرسه وأعطى صلى الله عليه وسلم جماعة من المؤلفة خمسين خمسين من الابل منهم عثمان بن وهب المخزومى وعمير بن ودقة وعمير بن وهب وعدى بن قيس السهمى وعمرو بن مرادس السلمى أخو العباس بن مرداس ومخرمة بن نوفل الزهرى وهشام بن عمرو العامرى وسعيد بن يربوع * وذكر بعضهم ان ممن أعطاه مائة أبا جهم بن حذيفة العدوى وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وعكرمة بن عامر العبدرى وعلقمة بن علاثة وعمرو بن الاهتم والعلاء بن جارية الثقفى وكعب بن الاخنس ولبيد بن ربيعة العامرى ومالك بن عوف رئيس هوازن ومطيع بن الاسود القرشى والنضير بن الحارث بالتصغير أخو النضر المقتول ببدر ونوفل بن معاوية الكنانى وهشام بن الوليد المخزومى وذكر بعضهم عكرمة بن أبي جهل فيمن أعطاه مائة وقيل انه لم يكن حاضرا وهو الصحيح لانه اختفى ثم ركب البحر حتى ذهبت اليه زوجته بأمان من النبي صلى الله عليه وسلم فرجع كما تقدم ثم قسم النبي صلى الله عليه وسلم بقية الغنائم على بقية الاعراب قال أهل المغازى أمر صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضى الله عنه وكان من أعظم كتابه صلى الله عليه وسلم باحصار الناس والغنائم ثم قسمها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعة من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ اثنى عشر من الابل ومائة وعشرين شاة وان كان معه أكثر من فرس لم يسهم للزائد ولم يعط الانصار ولا كبار المهاجرين شيأ فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ماعدل فيها وما أريد بها وجه الله تعالى فأخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فغضب وقال اذا لم أعدل فمن يعدل رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر فقال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضى الله عنهما ائذن لنا نضرب عنقه يا رسول الله فقال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية لا يتحدث الناس انى أقتل أصحابى فعامل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل بظاهر حاله تألفا للناس ليدخلوا فى الاسلام وقال ناس من الانصار ليسوا منافقين يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم والله ان هذا العجب اذا كانت شدة فنحن ندعى لها وتعطى الغنائم لغيرنا وددنا ان نعلم ممن كان هذا فان كان من الله تعالى صبرنا وان كان من النبي صلى الله عليه وسلم استعتبناه فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الى الانصار فجمعهم فى قبة من ادم فلما اجتمعوا قام صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغنى عنكم فقال فقهاء الانصار أما فقهاؤنا فلم يقولوا شيأ وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى

قريشاً وبتركوا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال صلى الله عليه وسلم انى أعطى رجالا حديثى عهد بكفر ومصيبة أتألفهم وانى أردت ان أخبرهم أو أجبرهم أما ترضون أن يرجع الناس بالاموال وفى رواية بالشاة والبعير وترجعون برسول الله الى بيوتكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يارسول الله قد رضينا وفى رواية فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا وفى رواية انه خطبهم فقال يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم الله بى وكنتم عالة فأغناكم الله بى وكلما قال شيأ قالوا الله ورسوله أمن قال ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك وخائفا فأمناك قالوا بل المن علينا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم تواضعا وانصافا واظهارا لشرف قدرهم والا فالحجة البالغة والمنة الظاهرة فى جميع ذلك له عليهم فلولا هجرته وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق وقد اقتضت حكمة الله أن الغنائم لما حصلت قسمت على من لم يتمكن الايمان من قلبه لما بقى فيه من طبع البشر من حب المال فكان ذلك سببا لاجتماع قلوبهم على محبته صلى الله عليه وسلم لان القلوب جبلت على حب من أحسن اليها وانما لم يعط صلى الله عليه وسلم أكابر المهاجرين والانصار مع استحقاقهم جميعها لرسوخ الايمان فى قلوبهم فوكلهم الى قوة ايمانهم فكان فى قسمها على المؤلفة اجتلاب قلوبهم وقلوب اتباعهم الذين كانوا يرضون اذا رضى رئيسهم فيكون سببا لاسلامهم ولتقوية قلب من دخل فى الاسلام منهم فيتبعهم من دونهم فكان فيه مصلحة عظيمة ولذا لم يقسم من أموال مكة عند فتحها شئ مع احتياج الجيوش الى المال الذى يعينهم على ماهم عليه ولما قيل له صلى الله عليه وسلم أعطيت عيينة والاقرع وتركت جعيل بن سراقة قال أما والذى نفس محمد بيده لجعيل خير من طلوع الارض كلها مثل عيينة والاقرع ولكنى أتألفهما ليسلما أى ليقوى اسلامهما ووكلت جعيل بن سراقة لاسلامه وانى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه مخافة أن يكبه الله فى النار على وجهه وفى رواية انى لاعطى اقواما أخاف هلعهم وجزعهم وأكل أقواما الى ماجعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب قال عمرو فوالله ما أحب ان لى بها حمر النعم وقد جاءت أحاديث كثيرة فى مدح الانصار رضى الله عنهم والدعاء لهم ولأبنائهم وأبناء أبنائهم وقال حسان رضى الله عنه فى مدحهم

سماهم الله أنصارا بنصرهم * دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا فى سبيل الله واعترضوا * للنائبات وماخافوا وما ضجروا

وفى البخارى عن جبير بن مطعم رضى الله عنه بينما أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم مقفله من

حنين اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه أن يعطيهم من الغنيمة يقولون
يارسول الله اقسم علينا فيئنا حتى اضطروه أى ألجؤه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله
عليه وسلم فقال أعطونى ردائى فلو كان عندى عدد هذه العضاه نعما وفى رواية لو كان
عندى عدد شجر تهامة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا أى اذا
جربتمونى لا تجدونى ذا بخل ولا ذا كذب ولا ذا جبن ثم قام صلى الله عليه وسلم الى جنب بعير وأخذ
وبرة من سنامه فرفعها ثم قال للناس والله مالى من فيئكم أى غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا
الخمس والخمس مردود عليكم أى لان أكثره كان يصرفه صلى الله عليه وسلم فى مصالح المسلمين
ثم بعد تمام قسمة الغنائم اعتمر صلى الله عليه وسلم من الجعرانة الخمس ليال خلون من ذى
القعدة وقيل لثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلة الاربعاء وقيل ليلة الخميس ودخل
مكة وطاف وسعى وحلق ورجع الى الجعرانة من ليلته فكأنه كان بائتا بها والجعرانة
بالتخفيف أفصح من التشديد وهو موضع بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا سمى باسم امرأة
تلقب بالجعرانة وكانت مدة اقامته بها ثلاث عشرة ليلة وجاء فى الحديث انه اعتمر من الجعرانة
سبعون نبيا ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد أى
تركه باقيا على عمله وترك معه معاذ بن جبل وأبا موسى الاشعرى رضى الله عنهما يعلمان
الناس القرآن والفقه فى الدين وكان قدومه المدينة لثلاث بقين من ذى القعدة وقيل لست
بقين منه قال الحافظ ابن حجر كانت مدة غيبته أكثر من ثمانين يوما قال كثير من أهل
المغازى ان غزوة بدر وغزوة حنين كسر الله بهما سورة الكفر وأطفأ جمرة العرب
وأنفد نابهامهم وأذل تاجهم حتى لم يجدوا بدا من الدخول فى دين الله وجبر الله أهل مكة
بغزوة حنين وفرحهم بما نالوا من النصر والمغنم فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم وأنجز
الله بها الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه وعده اذا فتح مكة أن يدخل الناس فى دين الله
أفواجا وتدين له العرب بأسرها فلما تم له الفتح اقتضت حكمته تعالى أن يمسك قلوب هوازن
ومن تبعها عن الاسلام وأن يجمعوا من قدروا على جمعه ويتأهبوا لحربه صلى الله عليه وسلم
ليظهر الله أمره واعزازه لرسوله صلى الله عليه وسلم ونصره لدينه ولتكون غنائمهم جبرانا لاهل
الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده المؤمنين ويعلى دينهم على سائر الاديان بقهره هذه
الشوكة العظيمة التى لم يلق المسلمون قبلها مثلها حتى لا يقاومهم بعدها أحد من العرب
واقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان أذاق المسلمين أولا مرارة الهزيمة مع كثرة عددهم
وعددهم وقوة شوكتهم ليخفض بذلك رؤسا رفعت بالفتح لمكة والنصر على أهلها فابتلاهم الله
بقصة حنين منعا لهم عن الترفع وتنبيها على ان المطلوب منهم التواضع واظهار الشكر كما فعل
صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فانه دخل منحنيا على ناقته متواضعا خاضعا لربه وليبين سبحانه
لمن قال لن نغلب اليوم عن قلة ان النصر انما هو من عند الله وان من ينصره الله فلا غالب له ومن

يخذله

يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه وتعالى هو الذى تولى النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو الذى أنزل سكينته عليه وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان خلع النصر وجوائزه انما تفاض على أهل الانكسار كما قال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وافتتح الله غزو العرب ببدر واختتمه بحنين وهما أعظم غزواته صلى الله عليه وسلم ولهذا يجمع بينهما فى الذكر فيقال بدر وحنين وفى لبسه صلى الله عليه وسلم الدرع والبيضة والمغفر دليل على ان من تمام التوكل استعمال الاسباب التى نصبها الله لمسبباتها قدرا وشرعا فانه صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق توكلا وقوة يقين وقد دخل مكة والبيضة على رأسه ولبس يوم حنين درعين وقد أنزل الله عليه والله يعصمك من الناس ومن تمام العبودية استعمال الاسباب فى مسبباتها مع اعتقاد ان التأثير لله وحده لا شريك له ولولا ان الله تعالى ستر قضاءه وقدره بظواهر الاسباب لما انقسم الناس الى مؤمن وكافر وشقى وسعيد فلو كانت جميع الاشياء تجرى على خرق العادة لما بقى كافر بل يكونون كلهم ملجئين الى الاسلام بظهور الخوارق ولو بقيت الاشياء كلها على ظواهرها من ربطها بأسبابها من غير وجود خارق للعادة لما انقاد أحد للاسلام وربما كانوا كلهم بعتقدون تأثير تلك الاسباب فأظهر الله بعض الاشياء على وفق العادة وخرق فى بعضها العادة ثم انه كشف ذلك لاناس وحجب عنه آخرين ليضل من يشاء ويهدى من يشاء ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وفى صبره صلى الله عليه وسلم على جفاء الاعراب عند قسمة الغنائم دليل لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من المكرم والحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر وغير ذلك من صفاته الحميدة صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بعث قيس بن سعد الى صداء﴾

بعث صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى رضى الله عنهما الى ناحية اليمن بعد انصرافه من الجعرانة فى أربعمائة فارس وأمره أن يقاتل قبيلة صداء بضم الصاد وفتح الدال والمد وهم حى من اليمن فقدم زياد بن الحارث الصدائى فسأل عن ذلك البعث فأخبر به فقال يارسول الله أنا وافد هم اليك فاردد الجيش وأنا أتكفل باسلام قومى وطاعتهم فقال اذهب اليهم فردهم فقال ان راحلتى قد كلت فبعث صلى الله عليه وسلم اليهم خلفهم فردهم ورجع الصدائى الى قومه فقدموا بعد خمسة عشر يوما فأسلموا

﴿البعث الى بنى تميم﴾

وتعرف بسرية عيينة بن حصن الفزارى الى تميم وسببها انه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان العدوى الكلبى الى بنى كعب من خزاعة لاخذ صدقاتهم وكانوا مع بنى تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بنى كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطوهم أموالكم فاجتمعوا

وانتهزوا السلاح ومنعوا شيئا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة فقال بنو تميم والله لا ندع بعيرا واحدا يخرج فلما رأى بشر ذلك قدم المدينة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فأمر بهم صلى الله عليه وسلم فحبسوا في دار رملة بنت الحارث فجاء في أثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد وعمرو بن الاهيم ورباح بن الحارث فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذراري فجاؤا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان دخلوا المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبطؤه فجاؤا من وراء الحجرات فنادوا بصوت جاف اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين يا محمد أخرج الينا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تأذى من صياحهم وفيهم أنزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم فقالوا انا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد ثم قالوا ان مدحنا زين وان شتمنا شين نحن أكرم العرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل مدح الله الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب ثم قالوا فأذن لخطيبنا وشاعرنا قال أذنت فليقم وفي رواية اني لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فقدموا عطارد ابن حاجب وفي رواية قال الاقرع بن حابس لشاب منهم قم يا فلان فاذكر فضلك وفضل قومك فتكلم وخطب فقال * الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق عددا فمن مثلنا في الناس ألسنا رؤس الناس وأولي فضلهم فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا وانا لو شئنا أكثرنا وانما أقول هذا الان يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس وفي رواية انه قال الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير أهل الارض أكثرهم عددا وأكثرهم سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هي أفضل من فعالنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه فقال له قم فأجب الرجل في خطبته فقام ثابت رضي الله عنه فقال * الحمد لله الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم ان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا وأصدقهم قيلا وأفضلهم حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على

خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم
المهاجرون من قومه وذوو رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس
فعالا ثم كان أول الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن
أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه
ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات
والسلام عليكم وفى رواية انه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهد
أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بنى عمه أحسن
الناس وجوها وأعظم الناس أخلاقا فأجابوه والحمد لله الذى جعلنا أنصاره ووزراء
رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله
ومن أباها قاتلناه وكان رغمه فى الله علينا هينا أقول قولى وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم قال
الزبرقان لرجل منهم قم يا فلان قل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقام فقال أبياتا منها

نحن الكرام فلا حى يعادلنا * نحن الرؤس وفينا يقسم الربع
اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بحسان بن ثابت رضى الله عنه فحضر فقال له قم
فأجبه فقال يسمعنى ما قال فاسمعه فقال حسان رضى الله عنه أبياتا منها

نصرنا رسول الله والدين عنوة * على رغم عات من بعيد وحاضر
وأحياؤنا من خير من وطئ الحصا * وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس رضى الله عنه كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لى علمه فقال رجل أنا يا رسول الله فذهب
فوجده فى منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ما شأنك فقال أخشى أن أكون من أهل النار لانى
رفعت صوتى فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وقد أنزل الله لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم
لا تشعرون وكان ثابت بن قيس رضى الله عنه يرفع صوته لثقل فى سمعه فكان يظن ان الناس
لا يسمعونه الا ان رفع صوته فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه بما قال ثابت
فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم
فيه نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ولم يزل رضى الله عنه فى عمل صالح وحسن استقامة حتى
استشهد يوم اليمامة فى خلافة الصديق رضى الله عنه وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من
المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ رآه فى منامه يقول له انى أوصيك بوصية فاياك
أن تقول حلم فتضيعها انى لما قتلت مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس
وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليأخذها فاذا

قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا بكر رضي الله عنه فقل له ان على من الدين كذا وكذا وان فلانا من رقيق عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فاتى بها بعد أن وجدها على ما وصفه ثم لما قدم المدينة أخبر أبا بكر رضي الله عنه برؤياه فاجاز وصيته ولا يعلم أحد أحدث وصيته بعد موته وأجيزت سواه ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان رضي الله عنه كل واحد منهما ذكر قصيدة فيها مفاخرة فمن قصيدة الزبرقان وهو مطلعها

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * من الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضي الله عنه وهو مطلعها

انا أبينا ولن يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

وقال الاقرع بن حابس اني والله يا محمد قلت شعرا فاسمعه فقال هات فانشده

أتيناك كيما تعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عند ذكر المكارم

وانا رؤس الناس من كل معشر * وان ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان فاجبه فقال حسان رضي الله عنه

بني دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيا يا أخا بني دارم أن تذكر ما كنت ترى ان الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم أشد من قول حسان رضي الله عنه وحينئذ قال الاقرع بن حابس لخطيبه يعني النبي صلى الله عليه وسلم أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من أصواتنا ثم دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا روى ان الاقرع بن حابس رضي الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال يا رسول الله ان لي من الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم واسم الاقرع فراس وانما لقب الاقرع لقرع كان في رأسه والقرع انحصاص الشعر وكان شريفا في الجاهلية والاسلام ووقع ان عمرو بن الاهيم مدح الزبرقان للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه لمطاع في أدنيه سيد في عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدني يا رسول الله لشرفي ولقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الحال وفي رواية ان الزبرقان قال يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الاهيم فقال عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في أدانيه فقال الزبرقان والله لقد كذب يا رسول الله وما منعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك والله انك لئيم

الحال حديث المال أحق الوالد مبغض فى القبر فعرف عمر والانكار فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله والله لقد صدقت فى الاولى وما كذبت فى الثانية رضيت فقلت أحسن ماعلمت وسخطت فقلت أقبح ماعلمت فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ثم انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم الاسارى والسبى وأحسن جوائزهم بعد ان أسلموا كلهم وأعطى كل واحد اثنى عشر أوقية من الفضة واختلف فى عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا وقيل ثمانين وقيل تسعين قال ابن عبد البر فى الاستيعاب ان القوم لما أسلموا بقوا فى المدينة مدة يتعلمون القرآن والدين ثم أرادوا الخروج الى قومهم فأعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وقال أمابقى منكم أحد وكان عمرو بن الاهتم فى ركابهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحناله لم يبق منا الاغلام حدث فى ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وقيل بل أعطاه خمس أواق فقط ولما بلغ عمرو بن الاهتم ماقاله قيس بن عاصم فى حقه أنشد أبياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا يقال ان شعره كان حللا منشورة وكان جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

والله سبحانه وتعالى أعلم

بعث الوليد بن عقبة الى بنى المصطلق

بعث النبى صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط لاخذ الصدقات من بنى المصطلق وبنو المصطلق بطن من خزاعة وكان بينهم وبين الوليد عداوة فى الجاهلية وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا بالابل والغنم يؤدونها عن زكاتهم فرحا به وتعظيما لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فخدثه الشيطان انهم يريدون قتله لرؤية السلاح معهم مع انهم انما خرجوا بالسلاح تجملا فرجع من الطريق قبل ان يصلوا اليه وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم مستندا الظنه انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة وفى رواية أخبره انهم ارتدوا فهم صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر خفية فى عسكر معه وأمره أن يخفى عنهم قدومه فلما دنا منهم بعث عيونا ليلا فاذا هم ينادون بالصلاة ويصلون فأتاهم خالد فلم ير منهم الا الطاعة والخير فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فأخبره وفى رواية بعث صلى الله عليه وسلم اليهم بعثا فاستقبلهم الحارث بن ضرار الخزاعى وكان رئيس القوم فقال الى أين بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد فزعم انك منعته الزكاة وأردت قتله فقال لا والذى بعث محمدا بالحق مارأيته ولا أتانى ثم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه صلى الله عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم منعت الزكاة وأردت قتل رسولى قال لا والذى بعثك بالحق وقدم الركب الذين لقوا الوليد

فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان أخا لعثمان رضي الله عنه لأمه وولاه عثمان رضي الله عنه الكوفة ثم عزله ولما مات عثمان رضي الله عنه اعتزل الوليد الفتنة فلم يشهد مع علي رضي الله عنه ولا غيره وأقام بالرقة الى أن توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه

﴿ سرية عبد الله بن عوسجة ﴾

رضي الله عنه الى بني عمرو بن حارثة وقيل جارثة بن عمرو في مستهل صفر وقيل ربيع الاول سنة تسع من الهجرة يدعوهم الى الاسلام فأبوا أن يجيبوا واستخفوا بصحيفة النبي صلى الله عليه وسلم فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم فأخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فدعا عليهم بذهاب العقل فقال مالهم ذهب الله بعقولهم فهم الى اليوم أهل رعدة أي اضطراب في أجسادهم وعجلة في كلامهم وكلام مختلط لا يفهم قال الواقدي رأيت بعضهم ذا عي لا يحسن الكلام

﴿ سرية قطبة بن عامر ﴾

الخزرجي رضي الله عنه الى خثعم قريبا من تربة بضم الفوقية وفتح الراء من أعمال مكة على يومين أو أكثر وكانت في صفر سنة تسع وبعث معه عشرين رجلا وأمره أن يشن الغارة عليهم فجاؤهم واقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى في الفريقين ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة والله أعلم

﴿ سرية الضحاك بن سفيان ﴾

الكلابي رضي الله عنه الى بني كلاب في ربيع الاول سنة تسع بجيش فجاءهم ودعاهم الى الاسلام فأبوا فقاتلهم بمن معه فهزمهم وغنم أموالهم

﴿ سرية علقمة بن مجزز ﴾

بضم الميم وفتح الجيم وبمعجمتين الأولى مكسورة ثقيلة المدلجي رضي الله عنه الى طائفة من الحبشة بساحل البحر قريبا من جدة بعثه في ثلثمائة فانتهى الى جزيرة في البحر فلما خاض البحر ليصل اليهم هربوا فرجع علقمة ومن معه ولم يلقوا كيدا ولما أراد الرجوع علقمة أراد بعض القوم التعجيل والرجوع الى أهلهم قبل بقية الجيش وكان فيهم عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه فأمره علقمة عليهم وكان فيه دعابة أي مزاح فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم عبد الله بن حذافة عزمت عليكم الا تواثبتم في هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال امسكوا أنفسكم فانما كنت أمزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لما قدموا فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وفي رواية أنهم لما أوقدوا النار وهموا بالدخول فيها جعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا من النار أي فكيف نلقي أنفسنا فيها وفي رواية انه غضب فأمرهم بذلك ليرى امتثالهم له فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال لو دخلوها ما خرجوا منها أى ان كانوا مستحلين الدخول وجاء فى بعض الروايات وصف الأمير المذكور بالانصارى قال الحافظ ابن حجر يحتمل حمله على المعنى الاعم أى انه نصر النبى صلى الله عليه وسلم فى الجملة فلا ينافى ان عبد الله بن حذافة من المهاجرين وفى رواية ان الذى أمره عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه أسند اليه صلى الله عليه وسلم فى هذه الرواية لان تأمير أميره كتأميره صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن حذافة هذا رضى الله عنه من قدماء المهاجرين ممن شهد بدرا ومات بمصر فى خلافة عثمان رضى الله عنه ومن مناقبه ما أخرجه البيهقى عن أبى رافع رضى الله عنه قال وجه عمر رضى الله عنه جيشا الى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة رضى الله عنه فقال له ملك الروم تنصر وأشركك فى ملكى فأبى فأمر به أن يصلب ان لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى فقال ردوه فقال له لم بكيت قال تمنيت أن لى مائة نفس تلقى هذا فى الله فعجب منه ثم قال له قبل رأسى وأنا أخلى عنك فقال وعن جميع أسارى المسلمين قال نعم فقبل رأسه فخلى سبيلهم فقدم بهم على عمر رضى الله عنه فقام عمر فقبل رأسه رضى الله عنهما

سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه

لهدم صنم طى بموضع يسمى الفلس بضم الفاء وسكون اللام بعثه صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار وفى رواية كانوا مائتى رجل فغار على أحياء من العرب وشن الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر وحرق الصنم بعد هدمه ووجد فى خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع وغنم سبيا ونعما وشاء وفضة وقدم بذلك المدينة وكان فى السبى سفانة بنت حاتم الطائى وهى بفتح السين وتشديد الفاء بعدها نون مفتوحة فتاء تأنيث فأسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها ومن عليها صلى الله عليه وسلم فدعت له فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم الاو جعلك سببا لردها عليه وكان المن عليها سببا لاسلام أخيها عدى بن حاتم رضى الله عنه وكان رضى الله عنه من فضلاء الصحابة ولم يرتد مع من ارتد من العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بل ثبت على الاسلام وكان يبعث بصدقات قومه الى الصديق رضى الله عنه وحضر فتوح العراق مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين وقيل مائة وثمانين سنة وروى له أصحاب السنن الستة قال ابن اسحاق فى قصة سبى أخت حاتم أصابت خيله صلى الله عليه وسلم ابنة حاتم فى سبايا فجعلت فى حظيرة فى المسجد فمر بها صلى الله عليه وسلم فقامت اليه وكانت جزلة فقالت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فقال ومن وافدك قالت عدى بن حاتم قال الفار من الله ورسوله فمضى حتى كان الغد قالت مر بى فقلت له وقال لى مثل ذلك حتى كان بعد الغد مر بى وقد يئست فأشار الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو خلفه أن قومى اليه فكلميه فقمت فقلت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على من الله عليك قال قد فعلت فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك ثم آذنينى فقدم رهط من

لى قالت فأخبرته أن لى فيهم ثقة و بلاغا فكسانى وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخى فقال ماترين فى هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يك نبيا فللسابق اليه فضيلته وان يكن ملكا فلن تزال فى عز اليمن وأنت أنت فقلت والله هذا هو الرأى فقدم فأسلم والقصة طويلة وروى ابن المبارك فى الزهد عن عدى بن حاتم رضى الله عنه مادخل وقت صلاة قط الا وأنا أشتاق اليها وفى رواية ماأقيمت الصلاة منذ أسلمت الا وأنا على وضوء وكان جوادا وقد روى الامام أحمد أن رجلا سأله مائة درهم فقال تسألنى مائة درهم وأنا ابن حاتم والله لا أعطيك وروى ابن سعد أن الذى سبى أخت حاتم خالد بن الوليد وجمع بعضهم بين الروايتين بأن خالدا كان فى جيش على رضى الله عنهما ونوزع بأن الجيش كله كان من الانصار ويمكن أن يقال المراد أكثر الجيش من الانصار فلا ينافى كون خالد معهم أو يكون منهم نظرا لمعنى النصرة بالمعنى الاعم والله أعلم

﴿ثم سرية عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه﴾

الى الجباب بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف أرض عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة وبلى بفتح الباء وكسر اللام وشد التحتية وهما قبيلتان من قضاعة وقيل ان الجباب أرض فزارة وكلب ولعذرة بها شرك وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الآخر سنة تسع ولم يذكروا سببها ولا عدد من ذهب فيها ولا ماجرى والله أعلم

﴿غزوة تبوك﴾

على وزن تقول لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل للعلمية والتأنيث وجوز بعضهم صرفه على ارادة المكان وهو مكان معروف بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة وبينه وبين دمشق احدى عشرة مرحلة وقيل اثنتا عشرة مرحلة وقيل هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق وهى غزوة العسرة بمهملتين الاولى مضمومة بعدها سكون مأخوذ من قوله تعالى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها قالوا لا تنفروا فى الحر وقد فضحهم الله فى آيات كثيرة فى سورة التوبة كقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لى وكقوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وكانت فى رجب سنة تسع من الهجرة قال الحافظ ابن حجر وذكر البخارى لها بعد حجة الوداع من خطأ النساخ قال بعضهم ولعل البخارى تعمد تأخيرها للاشارة الى أنها آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم وكان الوقت حين خروجه صلى الله عليه وسلم حرا شديدا وقحطا كثيرا ولذلك لم يورعنها كعادته فى سائر الغزوات وقد روى البخارى ومسلم عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وغزا عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوتهم بالوجه الذى يريد * والتورية تذكر

لفظ يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيتوهم السامع ارادة القريب والمتكلم يريد
البعيد وروى عبد الرزاق أنهم خرجوا فى قلة من الظهر مع كثرتهم وفى حر شديد حتى كانوا
ينحرون البعير فيشربون ما فى كرشه من الماء فسميت غزوة العسرة أى الشدة والضيق
واختلف فى سببها فقال بعضهم سببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه من الانباط الذين يقدمون
بالزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل وهو قيصر ملك الروم واجتمعت
معهم لخم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم من متنصرة العرب وجاءت مقدمتهم الى البلقاء فلما
بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك ندب الناس الى الخروج وأعلمهم بالمكان الذى يريد ليتأهبوا لذلك
بما يحتاجونه فى السفر والحرب وروى الطبرانى من حديث عمران بن حصين الخزاعى رضى
الله عنهما قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذى يدعى النبوة هلك
وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم فان كنت تريد أن تلحق دينك فالآن فبعث رجلا من
عظمائهم يقال له قباذ وجهز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن
للناس قوة فى الذهاب لتلك الارض لفقد الظهر والنفقة وكان عثمان رضى الله عنه قد جهز
عيرا الى الشام فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم يحث على النفقة والحملان قال يا رسول الله
هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية قال عمران رضى الله عنه فسمعته صلى الله عليه
وسلم يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وهذا اشارة الى أن الله منعه من وقوع زلة ببركة
انفاقه فى سبيل الله وانه صلح أن يغفر له ما عساه أن يكون ذنبا ان وقع ولا يلزم من الصلاحية
وجوده وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فان عثمان رضى الله عنه لم يزل على أعمال
أهل الجنة حتى فارق الدنيا * وقيل سبب هذه الغزوة ان الله لما منع المشركين من قرب
المسجد الحرام فى الحج وغيره قالت قريش لتقطعن عنا المتاجر والاسواق وليذهبن ما كنا
نصيب منها فعوضهم الله بالامر بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا انما
المشركون نجس الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة فعزم صلى الله عليه وسلم على قتال الروم
لانهم أقرب الناس اليه وأولاهم بالدعوة الى الحق لقربهم الى الاسلام ولما أراد صلى الله
عليه وسلم الخروج حث الناس على النفقة والحملان فجاؤا بصدقات كثيرة فكان أول من جاء
أبو بكر الصديق رضى الله عنه فجاء بماله كله أربعة آلاف درهم فقال صلى الله عليه وسلم
هل أبقيت لأهلك شيئا قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله فسأله
هل أبقيت لهم شيئا قال نعم نصف مالى وجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائتى أوقية
اليه صلى الله عليه وسلم وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقا من تمر وجهز عثمان رضى الله
عنه ثلث الجيش حتى كان يقال ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شنق أسقيتهم قال ابن اسحاق
أنفق عثمان رضى الله عنه فى ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها وروى عن قتادة انه

قال حمل عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وروى الامام أحمد
والبيهقي عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في كمه
حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقلبها في حجره و يقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم وجاء في رواية عن حذيفة بن اليمان
رضي الله عنهما ان الذي جاء به عثمان رضي الله عنه عشرة آلاف دينار قال بعضهم يمكن ان الالف
جاء بها أولا والعشرة بعث بها وجاء في هذه الرواية زيادة أن الدنانير صبت بين يديه صلى الله عليه
وسلم فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده و يقلبها ظهرا لبطن و يقول غفر الله لك يا عثمان
ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالي عثمان بعدها ففيه بشارة عظيمة
بأن الله غفر له الذنوب أي سترها عنه فمنعه منها ببركة دعائه له ونفقته في سبيل الله فليس يبالي
بما عمل اذ لا يقع منه الا الخير وفي بعض الروايات قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان
فاني عنه راض وروى البيهقي عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال خطب صلى الله عليه
وسلم فحث الناس على جيش العسرة فقال عثمان على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ثم نزل
مرقاة أخرى من المنبر فحث الناس فقال عثمان على مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها ثم نزل
مرقاة أخرى فحث فقال عثمان على مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها قال فرأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب وقال ما على عثمان بعد هذا اليوم
أو قال بعدها وأرسل صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة وقبائل العرب يستنفرهم وجاء البكاؤن
يستحملونه أي يطلبون منه ما يركبون عليه فقال ما أجد ما أحملكم عليه وهم سالم بن عمير
الانصاري وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب الانصاري والعرباض بن سارية السلمي وهرم بن
عبد الله بن رفاعة الانصاري وعمرو بن عثمة الانصاري وعبد الله بن مغفل المزني وآخرون غيرهم
وهم الذين قال الله فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا
وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ومنهم قوم أبي موسى الاشعري رضي الله
عنه ففي البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه انه أرسله أصحابه الى النبي صلى الله عليه
وسلم يسأله الحملان فقال والله لا أحملكم وفي رواية وما عندي ما أحملكم عليه فرجع حزينا
الى قومه ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم ذود من الابل فبعث اليه وأعطاه اياها واستخلف صلى
الله عليه وسلم على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخلفه أيضا على أهله وعياله
فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففا منه فأخذ علي رضي الله عنه سلاحه
ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبي الله زعم المنافقون انك انما
خلفتني لانك استثقلتني وتخففت مني فقال كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائي
فارجع في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي
بعدي فرجع الى المدينة وفي رواية فقال علي رضي الله عنه رضيت ثم رضيت

قال أهل السنة ان هارون عليه السلام انما كان خليفة فى حياة موسى عليه السلام حين
ذهب الى الميقات فدل ذلك على تخصيص خلافة على رضى الله عنه بحياة النبى صلى الله عليه
وسلم فقط فلا حجة فيه للشيعة على ان الخلافة لعلى وانه أوصى له بها وكفرت الروافض جميع
الصحابة بتقديم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا لكونه لم يقم لطلب حقه ولا حجة لهم فى
الحديث المذكور ولا متمسك لهم به لانه انما قال هذا حين استخلفه بالمدينة فى هذه الغزوة
فالحديث انما دل على أن عليا رضى الله عنه خليفة على أهل النبى صلى الله عليه وسلم مدة غيبته
بتبوك كما كان هارون عليه السلام خليفة عن موسى عليه السلام فى قومه مدة غيبته عنهم
للمناجاة وقد استخلف صلى الله عليه وسلم فى مرات أخر غير على رضى الله عنه فيلزم أن يكون
مستحقا للخلافة ولما سئل على رضى الله عنه فى زمن خلافته هل أوصى لك النبى صلى الله عليه
وسلم بالخلافة قال لا ولو أوصى لى بها لقاتلت عليها حتى لو لم يبق معى الا سيفى ورداثى ولو أوصى له
بها لما بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وقول الرافضة ان ذلك كان منه تقية كذب
وزور ورفانه كان رضى الله عنه ذا قوة ونجاعة وقد توفرت عشيرته من بنى هاشم فكانوا أهل قوة
ومنعة فيلزم الرافضة نسبته للجبن والذل وحاشاه الله من ذلك ورضى الله عنه وكرم وجهه ولما
ارتحل صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الالوية والرايات فدفع لواءه
الاعظم لابى بكر رضى الله عنه ورايته العظمى للزبير رضى الله عنه ودفع راية الاوس لاسيد
ابن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الانصار وقبائل العرب
لواء أو راية أى لبعضهم لواء ولبعضهم راية وسار بالناس وهم ثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا
وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا ووقع له صلى الله عليه وسلم
فى هذه الغزوة كثير من الاخبار بالغيبات وغيرها من المعجزات وخوارق العادات وسيأتى
ان شاء الله التعرض لكثير منها وتخلف جماعة من المنافقين منهم عبد الله بن أبى بن سلول بعد
ان كان قد خرج بقومه وعسكر بهم أسفل من ثنية الوداع ثم قال يغزو محمد بنى الاصفر أى وهم
الروم مع جهد الحال والحر والبلد البعيد الى ما لا طاقة له به يحسب محمد أن قتال بنى الاصفر
معه اللعب والله لكأنى أنظر الى أصحابه مقرنين فى الحبال يقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله
عليه وسلم وبأصحابه ثم رجع بقومه وتخلفوا واجتمع جمع من المنافقين فى بيت سويلم اليهودى
فقال بعضهم أتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنى بهم يعنى
الصحابة غدا مقرنين فى الحبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضراب بالسيوف
فأوحى الله الى النبى صلى الله عليه وسلم اجتماع القوم وما قالوا فقال لعمار بن ياسر رضى الله
عنهما أدرك القوم فاسألهم عما قالوا فان أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم
عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه وقالوا انما كنا
نخوض ونلعب وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس يا جد هل لك فى جلاد بنى الاصفر قال

يا رسول الله أو تأذن لي في التخلف ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي انه ما من رجل باشد عجبا
بالنساء مني واني أخشى ان رأيت نساء بني الاصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى فيه ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا
في الفتنة سقطوا والفتنة التي سقطوا فيها هي التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والرغبة عنه وفي رواية انه لام الجد على مقالته ولده عبد الله وقال له والله ما منعك الا النفاق
وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجهه فلما نزلت الآية قال له ألم أقل لك فقال له اسكت
يا لكع فوالله لانت أشد علي من محمد وفي رواية ان الجد لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبي
صلى الله عليه وسلم ولكن أعينك بمالي فأنزل الله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل
منكم والمحققون على ان الجد بن قيس تاب من النفاق وحسنت توبته رضي الله عنه وعاش الى
خلافة عثمان رضي الله عنه وقال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا في الحر فأنزل الله تعالى وقالوا
لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون وجاء المعذرون من الاعراب وهم الضعفاء
والمقلون ليؤذن لهم في التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين
بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من
غير عذر وكانوا ممن لا يتهم في اسلامهم وستأتي قصتهم ان شاء الله تعالى وكان ممن تخلف
أبو خيثمة الانصاري رضي الله عنه فلما سار صلى الله عليه وسلم ومضت أيام دخل أبو خيثمة
على أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط قد رشت كل منهما
عريشها وبردت فيها ماء وهيأت طعاما وكان اليوم يومئذ شديد الحر فلما دخل نظر الى امرأتيه
وما صنعتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ
وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم فهيآ لي زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله وأخذ سيفه ورمحه ثم خرج في طلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه نزل بتبوك وقد كان أبو خيثمة أدرك عمير بن وهب
في الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال أبو خيثمة
لعمير ان لي ذنبا فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فلما دنى
أبو خيثمة قال الناس هذا راكب مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فلما دنى
ونظروه قالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى لك يا أبو خيثمة وأولى لك كلمة تهديد وتوعد ثم أخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ولما
مر صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحث راحلته وقال لا تدخلوا بيوت
الذين ظلموا الا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم وانما سجى ثوبه على رأسه لان الغطاء

يتبعه الفكر والاعتبار فكأنه أمرهم بالفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل
على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الارض وامهالهم فيها مدة طويلة ثم ايقاع نقمته بهم
وشدة عذابه وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته مثل ذلك ونهى صلى
الله عليه وسلم الناس أن يشربوا من مائها شيئا وأن يتوضؤا به للصلاة وأن يعجن منه عجين وأن
يحاس به حيس وان يطبخ به طعام والعجين الذي عجن به أو الحيس الذي فعل به يعلفونه الابل
والطعام الذي طبخ به يلقى ولا يأكلوا منه شيئا ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم بالناس ولم يزل
سائرا بهم حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منها الناقة وأخبرهم صلى الله عليه وسلم انها تهب
عليهم الليلة ريح شديدة وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس في تلك الليلة عن أن
يخرج أحد منهم وحده بل معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج آخر في طلب
بعير له فاحتملته الريح حتى ألقته في جبل طي فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم الا ومعه صاحبه ثم دعا للذي خنق فشفي والذي ألقته
الريح بجبل طيء أرسلته طيء له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس واستعمل على حرس
العسكر عباد بن بشر فكان يطوف في أصحابه على العسكر وأصبح الناس يوما ولا ماء معهم وحصل
لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا أكراشها ويشربوا
ماءها فعن عمر رضي الله عنه خرجنا في حر شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ان الرجل
لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده وفي لفظ على صدره فشكوا ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر يا رسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله
لنا فقال أتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة
فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه وذكر بعضهم ان تلك السحابة لم
تجاوز العسكر وان رجلا من الانصار قال لآخر متهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال
انما مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أي وتجعلون بدل شكر رزقكم
تكذيبكم حيث تنسبون المطر للانواء وقيل انه قال له ويحك هل بعد هذا شيء قال سحابة مارة
وفي لفظ انهم لما شكوا اليه شدة العطش قال لعلي لو استقيت لكم فسقيتم قلتم بنوء كذا وكذا
فقالوا يا نبي الله ما هذا بحين أنواء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم قام فصلى
فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثارت سحابة فمطروا حتى سال كل واد فمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم برجل يغترف بقدحه وهو يقول هذا نوء كذا فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم
يوما فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه ان محمدا يزعم أنه نبي وأنه يخبركم بخبر السماء وهو
لا يدري أين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا واني والله لا أعلم الا ما علمني
الله وقد دلني الله عليها انها في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها

فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤا بها * قيل وقع نظير هذا فى غزوة بنى المصطلق وان الواقعة تعددت وقيل انه من الاشتباه على بعض الرواة ولما قال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا الخ جاء بعض الصحابة الى رحله وقال لمن فى الرحل والله لعجب فى شئ حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالة رجل قال كذا وكذا وأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال له بعض من فى الرحل هذه المقالة قالها فلان قبل أن تأتى بيسير يعنى شخصا حاضرا فى رحله فقال يا عباد الله فى رحلى داهية وما أشعر أخرج أى عدو الله من رحلى ولا تصحبنى فيقال انه تاب ويقال انه لم يزل على شر حتى هلك وتباطأ أجمل أبى ذر رضى الله عنه لما به من الاعياء فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فأدركه نازلا فى بعض المنازل وقيل مجيئه قالوا له تخلف أبوذر يارسول الله أبطأ به بعيره فقال دعوه فان يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه ولما أشرف على ذلك المنزل ونظره شخص فقال يارسول الله هذا رجل يمشى على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يارسول الله هو والله أبوذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أباذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان كما قال صلى الله عليه وسلم فقد مات وحده بالربذة رضى الله عنه سكنها فى خلافة عثمان رضى الله عنه بسبب اختلاف وقع بينه وبين بعض الصحابة فى بعض ألفاظ القرآن وتفسير بعض من معانيه فخشى عثمان وأبوذر رضى الله عنهما اتساع الامر فاستأذن أبوذر عثمان رضى الله عنهما أن يسكن الربذة فأذن له فبقى بها حتى توفى وحده كما أخبر صلى الله عليه وسلم وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال لما كنا بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فابطأ حتى أسفر الناس بصلاة الفجر ولم يأتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فصلى بهم فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن توضأ ومسح خفيه الى عبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن ركعة ثم قام وأتى بالركعة الثانية وقال لهم بعد فراغه أحسنتم أو أصبتم ثم قال لم يتوف نبى حتى يؤمه رجل صالح من أمته وهذا لا ينافى أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبى بكر رضى الله عنه بل قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يصل النبى صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته الا خلف أبى بكر والمراد صلاة كاملة فلا ينافى صلاته خلف عبد الرحمن بن عوف ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أحد غير أبى بكر وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يستخلف أبا بكر رضى الله عنه على عسكره يصلى بالناس فلعل ذلك فى بعض الايام فلا ينافى صلاة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بهم فى هذا اليوم أو أنه كان يصلى مع أبى بكر رضى الله عنه بعض القوم ومع النبى صلى الله عليه وسلم بعض لكثرة القوم فلما تأخر صلى الله عليه وسلم فى قضاء الحاجة صلى عبد الرحمن رضى الله عنه بالذين كانوا يصلون مع النبى صلى الله عليه وسلم والله أعلم

ولما نزل لوادي تبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة بيده من
مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وعن حذيفة بن اليمان رضي الله
عنهما قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الماء قلة أي ماء عين تبوك وقد قال لهم انكم
تأتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من
مائها شيئا حتى آتي وأمر مناديا ينادي بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك تبض من ماء وقد
سبق اليها أربعة وقيل رجلان من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما بلغه ذلك ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شيء في شن فغسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفي رواية فجعلوا فيها
سهاما دفعها اليهم فجاشت بالماء وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه يا معاذ يوشك ان طالت
بك حياة ان ترى ما هنا قد ملئ جنانا أي بساتين فرأى ذلك وروى ابن عبد البر عن بعضهم
قال أنا رأيت ذلك الموضع كله حول تلك العين جنانا خضرة نضرة وقبل قدومهم تبوك بليلة نام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح وقد كان قال لبلال رضي
الله عنه اكلأ لنا الفجر فأسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه ثم قال له صلى الله عليه وسلم
ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر وفي رواية ان بلالا قال انهم ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا ولم
يستيقظوا الا بحر الشمس فقال له رسول صلى الله عليه وسلم يا بلال أين ما قلت قال يا رسول الله
ذهب بي مثل الذي ذهب بك وفي رواية أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم
للصديق رضي الله عنه ان الشيطان صار يهدي بلالا للنوم كما يهدي الصبي حتى نام ثم دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فاخبر بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم للصديق
فقال الصديق رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم أشهد أنك رسول الله ثم انتقل صلى الله عليه
وسلم غير بعيد ثم صلى الصبح قضاء وفي منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك قال أبو قتادة
رضي الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وأنا معه اذ خفق
خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال يا أبا قتادة هل لك في
التعريس أي النزول للنوم فقلت ما شئت يا رسول الله قال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان
أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا فعرسنا وفي رواية قال
أبو قتادة فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وأنا الى جنبه فنعس فمال عن
راحلته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا تهور الليل مال ميلة
أخرى فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من
الميلتين الاولتين حتى كاد ينقلب فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان
هذا مسيرك مني قلت ما زال هذا مسيري منذ الليلة قال حفظك الله بما حفظت به نبيه صلى الله
عليه وسلم وذكر بعضهم ذلك عند منصرفه من خيبر فيحتمل تعدد ذلك أو انه من الاشتباه على

بعض الرواة قال أبو قتادة رضي الله عنه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترى من أحد يعني من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة وفي رواية خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فنمنا حتى خرج الوقت وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها وبقي فيها شيء وفي رواية جرعة من ماء ثم قال لي احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس أي بعد أن ارتحلوا ففي رواية ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم وانا نسير حتى كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى للمسافر منها فما أيقظنا الا حر الشمس وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نام لم يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لانا لا ندري ما يحدث له في نومه أي من الوحي فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحي فلما استيقظ عمر رضي الله عنه ورأى ما أصاب الناس أي من فوت صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان الصديق استيقظ أولا ثم لا زال يسبح ويكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذي أصابهم أي من فوات صلاة الصبح فقال صلى الله عليه وسلم لا ضير ارحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصلاة فصلى بالناس وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال وبعد ان صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا من تفريطنا في صلاتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي تهمسون دوني فقلنا يا نبي الله تفريطنا في صلاتنا قال أما لكم في أسوة ثم قال ليس في النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الاخرى وقد اختلفت الروايات في حكاية هذه القصة فرواها بعضهم في غزوة خيبر وبعضهم في الحديبية وبعضهم في تبوك فاختلف العلماء في توجيه ذلك فذهب بعضهم الى تعدد القصة وبعضهم حمل ذلك على الاشتباه من الراوي وجزم بعضهم بأنها في غزوة تبوك واستشكل هذا النوم بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وأجيب بأن القلب انما يدرك المعاني المتعلقة به لا ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر وأجيب أيضا بأنه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط وينبغي أن يكون هذا الثاني أغلب أحواله وان الانبياء مثله في ذلك ثم ان أكثر الجيش كان قد تقدم وما بقي معه صلى الله عليه وسلم الا سبعة أو خمسة كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم لمن كان معه ما ترون الناس يعني الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله أعلم فقال لو أطاعوا أبا بكر وعمر يرشدوا وذلك ان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أرادا أن ينزلا بالجيش

على

على الماء فأتوا ذلك عليهم فنزلوا عند زوال الشمس على غير ماء بفلاة من الارض لاماء بها وقد كادت أعناق الخيل والركاب تقطع عطشا فقال صلى الله عليه وسلم أين صاحب الميضأة قيل هو ذا يارسول الله قال جئني بميضأتك فجاء بها وفيها شئ من ماء وفي رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فأفرغ مافي الاداوة فيها ووضع أصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين أصابعه وأقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا وروت خيلهم وركابهم قال بعضهم والواضح ان هذا العطش غير المتقدم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر وفي كلام بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حصل للقوم العطش أرسل نفرا من أصحابه وفيهم علي والزبير رضي الله عنهما لكن تقدم ان عليا رضي الله عنه تخلف في غزوة تبوك فان صح ارساله مع النفر فلعله لحق النبي صلى الله عليه وسلم أو ان ذلك كان في غزوة أخرى بعث صلى الله عليه وسلم أولئك النفر لطلب الماء وأمرهم أن يستعرضوا الطريق وأعلمهم أن عجوزا تمر بهم في محل كذا على ناقة معها اسقاء فقال لهم اشتروا منها ماءها بما تعزوها وائتوا بها مع الماء فلما بلغوا ذلك المكان اذا بالمرأة ومعها السقاء وفي رواية اذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها عن الماء فقالت أنا وأهلي أحوج اليه منكم فسألوها أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فأبت وقالت هذا الساحر وفي رواية الذي يقال له الصابئ وخير الاشياء أن لا آتيه فشدوها وثاقا وأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم حلوا عنها ثم قال لها أتأذنين لي في الماء ولك مثله كما جئت به قالت شأنكم فقال لابي قتادة رضي الله عنه هات الميضأة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب في الميضأة ماء قليلا ثم وضع يده فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا معهم اناء الا ملأوه وأرووا ابلهم وخيلهم وبقي في الميضأة ثلثاها والميضأة هي الاداوة التي يتوضأ منها وهذا السياق يدل على ان هذا عطش ثالث لان الثاني وضع صلى الله عليه وسلم يده في الركوة التي صب فيها من الميضأة وفي هذا وضع يده في الميضأة بعد أن لم يجد وافي الميضأة شيئا وفي رواية أن تلك المرأة أخبرته صلى الله عليه وسلم انها مؤتمة أي لها أيتام فقال للقوم هاتوا ما عندكم فجمعوا لها من كسر وتمر ثم قال لها اذهبي وأطعمي هذا عيالك وفي رواية أيتامك وصارت تعجب بما رأت ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا فقالت حبسني اني رأيت عجبا أرأيتم مزادتي هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين نفرا وملأوا من القرب والمزاد والمطاهر مالا أحصي ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فما أن يكون ذلك الرجل أسحر أهل الارض أو هو نبي كما يقول فكان الصحابة يغزون على من كان حولها ممن لم يسلم ويتركونها وقومها فكان الناس يقولون ما رأينا امرأة أدخلت على قومها من البركة مثل ما أدخلت هذه المرأة على قومها وفي صحيح مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت التمرة الواحدة تمصها جماعة يتناوبونها فقالوا يارسول الله لو أذنت لنا فنحر نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر

يارسول الله ان فعلت فنى الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعل فى ذلك البركة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل رجل يأتى بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم خذوا فى أوعيتكم فأخذوا حتى ماتركوا فى العسكر وعاء الا ملأوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وفى رواية الا وقاه الله النار وتقدم نظير ذلك فى الرجوع من غزوة الحديبية ولا مانع من التعدد أوهو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد أن ذبح لهم طلحة ابن عبيد الله جزورا فأطعمهم وسقاهم فقال له صلى الله عليه وسلم أنت طلحة الفياض وسماه يوم أحد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر وعن بعض الصحابة قال كنت فى غزوة تبوك على نحى السمن فنظرت الى النحى وقد قل مافيه وهيأت للنبى صلى الله عليه وسلم طعاما فوضعت النحى فى الشمس ونمت فانتبهت بخرير النحى فقمت فأخذت رأسه بيدى فقال صلى الله عليه وسلم ولو رأى ذلك لو تركته لسال الوادى سمنا * وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فقال ليلة لبلال رضى الله عنه هل من عشاء فقال والذى بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا فقال انظر عسى أن تجد شيئا فأخذ الجراب ينفضها جرابا جرابا فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت فى يده سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده على التمرات وقال كلوا باسم الله فأكلنا ثلاثة أنفس وأحصيت أربعا وخمسين تمرة أعدها عدا ونواها فى يدى الاخرى وصاحباى يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا أيدينا فاذا التمرات السبع كما هى فقال يابلال ارفعها فانه لايأكل منها أحد الا نهل منها شبعا فلما كان من الغد دعا بالتمرات فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليهن ثم قال كلوا باسم الله فأكلنا حتى شبعنا وانا العشرة ثم رفعنا أيدينا واذا التمرات كما هى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انى أستحى من ربى لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة من آخرنا فأعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن * ولما وصل صلى الله عليه وسلم تبوك أرسل خالد بن الوليد رضى الله عنه فى أربعمائة فارس الى أكيدر بن عبد الملك النصرانى وكان ملكا عظيما من قبل هرقل بدومة الجندل وذلك حصن وقرى بينها وبين الشام خمس ليال وقال له انك ستجده ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه فى ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو وأخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستأسروا أكيدر وقتلوا حسانا وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم فيعجبون منه فقال صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا وهرب من كان معهما فدخلوا الحصن وأغلقوه ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى

يأتى

يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح له الدومة الجندل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ففتح الحصن فدخله خالد وأخذ ما صالحه عليه وخمسه ثم قدم بأكيدر على النبي صلى الله عليه وسلم فحقن صلى الله عليه وسلم دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله وكان هرقل مقيما بحمص وفي هذه الغزوة كتب له صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وسيأتي ذلك ان شاء الله في مكاتباته صلى الله عليه وسلم وأتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صاحب أيلة ومعه أهل جرباء تأنيث أجرب بمدّ ويقصر وهي قرية بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة والراء المضمومة والحاء المهملة مدينة هنالك وأهدى صاحب أيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية بعد ان عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له ولأهل ايلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل ايلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله تعالى ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر * وكتب لأهل أذرح وجرباء ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي صلى الله عليه وسلم لأهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد صلى الله عليه وسلم وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين وصالح أهل مقنا على ربع ثمارهم وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة ولم يلق كيدا وفرّ الناس من أهل الكتاب وغيرهم رعبا منه صلى الله عليه وسلم عند سماعهم بمسيره فكان من الحكمة في هذه الغزوة ما حصل من اغاظة الكفار وظهور عز المسلمين وفضيحة المنافقين واذلالهم واستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه في مجاوزة تبوك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه فقالوا يا رسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى ويحدث الله أمرا وأخرج البيهقي عن عبد الرحمن بن غنم ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يا أبا القاسم ان كنت صادقا انك نبي فالحق بالشام فانها أرض المحشر وأرض الانبياء فصدق ما قالوا فغزا تبوك لا يريد الا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بني اسرائيل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الآيتين فأمره الله بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث فرجع صلى الله عليه وسلم فقال جبريل سل ربك فان لكل نبي مسألة وكان جبريل له ناصحا وكان النبي صلى الله عليه وسلم له مطيعا قال فما تأمرني ان أسأل فقال جبريل قل رب أدخلني مدخل صدق الآية ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة وبني

فى طريقه عشرين مسجدا وكان فى بعض الطريق ماء قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا
الماء الذى فيه فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيئا فقال من
سبقنا الى هذا الماء فقيل له فلان وفلان فقال أولم أنههم أن يستقوا منه شيئا حتى آتيه ثم لعنهم
ودعا عليهم ثم نزل فى موضع الماء ومسحه بيديه ودعا بما شاء أن يدعو به فجرى الماء وصار له حس
كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن
بقيتم أو بقى منكم أحد لتسمعن بهذا الوادى وقد أخصب ما بين يديه وما خلفه أى وهذا اخلاف
عين تبوك التى تقدم له فيها ما يشبه هذا حيث قال لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى
ما هنا ملئ جنانا الا ان تلك العين كانت عين تبوك وهذا عند منصرفه من تبوك وأجمع رأى
من كان معه من المنافقين وهم اثنا عشر رجلا وقيل أربعة عشر وقيل خمسة عشر رجلا على
أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة التى بين تبوك والمدينة فقالوا اذا أخذ
فى العقبة دفعناه عن راحلته فى الوادى فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فلما وصل
الجيش العقبة نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فلما
سمع المنافقون النداء أسرعوا وتلثموا وسلكوا العقبة وسلك الناس بطن الوادى وسلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم العقبة وأمر عمار بن ياسر رضى الله عنهما يأخذ بزمام ناقته صلى الله عليه
وسلم وأمر حذيفة بن اليمانى رضى الله عنهما أن يسوق من خلفه وفى دلائل النبوة للبيهقى
عن حذيفة رضى الله عنه قال كنت ليلة العقبة آخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم أقودها وعمار بن ياسر يسوقها أو أنا أسوقها وعمار يقودها أى يتناوبان ذلك فبينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى العقبة اذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة
أن يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه محجن
فجعل يضرب وجوه رواحلهم و يقول اليكم اليكم يا أعداء الله فاذا هو بقوم ملثمين وفى
رواية انه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلع على مكرهم به فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع
حذيفة رضى الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت أحدا من الركب الذين
رددتهم قال لا كان القوم متلثمين والليلة مظلمة وفى رواية ان حذيفة رضى الله عنه قال عرفت
راحلة فلان وفلان قال هل علمت ما كان من شأنهم وما أرادوه قال لا قال انهم مكروا وأرادوا أن
يسيروا معى فى العقبة فيزحمونى و يطرحونى منها الى الوادى وان الله أخبرنى بهم و بمكرهم
وسأخبركما بهم فاكتماهم ولما أصبح صلى الله عليه وسلم جاء اليه أسيد بن حضير فقال يا رسول

الله مامنعك البارحة من سلوك الوادي فقد كان أسهل من العقبة فقال أتدري ما أراد المنافقون وذكر له القصة فقال يارسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بهذا وان أحببت فبين أسماءهم والذي بعثك بالحق لاأبرح حتى آتيك برؤسهم فقال انى أكره أن يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم فقال يارسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليسوا يظهرون الشهادة ثم جمعهم صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ماقالوا ولا أرادوا الذي ذكر فأنزل الله يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا الآية * وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافهم من تبوك ان بالمدينة أقواما ماسرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يارسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ولما قرب صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وقد كان المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار السوء يقولون ان محمدا وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا فلما بلغهم سلامة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبان كذبهم ساءهم ذلك وأنزل الله ان تصبك حسنة تسؤهم الآية وخرج مع الناس لتلقيه صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان والولائد وصعدت المخدرات على الاسطحة يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعى
أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

وقد ذكر بعضهم هذا عند مقدمه الى المدينة ولا مانع من تعدد ذلك ولما أشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه والمحققون على ان ذلك حقيقة ولا مانع منه بأن يخلق له المحبة كتسبيح الحصى وحنين الجذع وقيل المراد يحبنا أهله ونحبهم ولما دخل المدينة قال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أتأذن لى يارسول الله ان أمتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لابشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما * فى صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق

ولما دنا من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلموا

رجلا منهم فأعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وقد كان تخلف من المنافقين بضعة وثمانون رجلا وتخلف أيضا كعب بن مالك رضى الله عنه وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضى الله عنهما وكانا من الاوس ولم يكن الثلاثة من أهل النفاق فأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرهم وعلانيتهم واستغفر لهم ووكل سريرتهم الى الله تعالى وأما الثلاثة فأرجاهم وأخر أمرهم ينتظر أمر الله فيهم وأنزل الله فيهم وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم نزلت هذه الآية فى أول أمرهم ونزل فى آخر أمرهم عند قبول توبتهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية وكان كعب بن مالك رضى الله عنه يحدث عن تخلفه وصاحبيه فى غزوة تبوك قال كعب رضى الله عنه لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط الا فى غزوة تبوك غير انى تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب صلى الله عليه وسلم أحدا ممن تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الاسلام وما أحب ان لى بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر فى الناس وكان من خبرى حين تخلفت عنه فى غزوة تبوك انى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل صلى الله عليه وسلم سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم وأخبر الناس بوجههم الذى يريدون والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الا ظن ان ذلك يخفى ما لم ينزل فيه وحى من الله تعالى وغزا صلى الله عليه وسلم حين طابت الثمار والظلال فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا وأقول فى نفسى أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل يتمادى بى ذلك حتى استمر الناس بالجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض شيئا فهممت ان أرتحل فأدركهم فيا ليتنى فعلت ثم لم يقدر لى ذلك فطفقت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى ان لا أرى لى أسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذره الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يا رسول الله حبسه حب برديه والنظر فى عطفيه فقال له معاذ بن جبل رضى الله عنه بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلا من تبوك طفقت أتذكر الكذب وأقول

بما أخرج من سخط الله غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لم أنج منه بشيء أبدا فأجمعت
على الصدق فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع
فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون له فقبل منهم
علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فتبسم تبسم المغضب
ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قلت
يا رسول الله اني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعذر لقد
أعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشك ان
الله يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لي
من عذر ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما
هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني وقالوا ما علمناك
أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالوا يؤنبونني
حتى كدت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي
هذا معي أحد فقالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم
مثل ما قال لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فذكروا رجلين صالحين
قد شهدا بدرا فقلت لي فيهما اسوة ومضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه وتغير علينا الناس حتى أنكرت في نفسي
الارض فما هي بالارض التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا
في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف
في الاسواق فلا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد
الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر فان
أقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه أعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة
المسلمين مشيت حتى تسورت حائطا لابي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس الي فسلمت عليه فوالله
ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله قال فسكت
فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت فبينا أنا أمشي في سوق المدينة
اذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك
فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني فدفع لي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه
أما بعد فانه بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك
قال فقلت حين قرأته وهذه الرسالة أيضا من البلايا فالقيتها في التنور فسجرتها حتى اذا مضت

أربعون من الخمسين واستلبث الوحي فاذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت ألحقي بأهلك فكوني عندهم
حتى يقضي هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يارسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان أخدمه قال لا ولكن
لا يقربنك فقالت والله ما به حركة الى شئ فوالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه
هذا قال كعب فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهلك قال قلت
وما يدريني ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت
بعد ذلك عشر ليال حتى كمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت الفجر صباح
خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحالة التي ذكرها الله تعالى عنا قد
ضاقت على الارض بما رحبت وضاقت على نفسي اذ سمعت صارخا أوفى على سلع يقول بأعلى
صوته يا كعب بن مالك أبشر فقد تاب الله عليك فخررت ساجدا لله تعالى وعلمت انه قد جاءني
فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله تعالى علينا حين صلاة الفجر
فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا ومعه ساع من
أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمي رضي الله عنه وأوفى رجل على الجبل وكان الصوت أسرع الى من
الفرس وجاء في رواية ان الذي ركض الفرس هو الزبير بن العوام رضي الله عنه وفي رواية
فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبي له فكسوته اياهما ببشارته والله ما أملك غيرهما
يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاني الناس
فوجا فوجا يهنوني بالتوبة يقولون يهنيك الله بالتوبة عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وتلقاني والله ما قام
لي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يبرق وجهه من السرور قال أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك
يارسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه
حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله انما
نجاني الله بالصدق وان من توبتي أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما زلت في صدق
الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو أن
يحفظني الله فيما بقي وجاء في رواية قلت يارسول الله ان من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة الى
الله ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فأنزل الله
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف
رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم
أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ياأيها

الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن
هداني للاسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين
كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين نزل الوحي شر ما قال لاحد فقال سبحانه وتعالى
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم
جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين وفي رواية عن كعب رضي الله عنه فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال
على الامر فما من شئ أهم الى من أن أموت فلا يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلى
ولا يسلم على قال وأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضي الله عنها وكانت أم سلمة محسنة في شأني معتنية
في أمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب فقالت يا رسول الله
أفلا أرسل اليه أبشره قال اذن يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن صلى الله عليه وسلم بتوبة الله
علينا وذكر بعضهم فيمن تخلف عن غزوة تبوك أبا لبابة رضي الله عنه وانه ربط نفسه
بسارية المسجد وأنزل الله توبته في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والصحيح ان قصة أبي لبابة انما كانت
في غزوة بني قريظة لما استشاروه في النزول على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فأشار لهم الى
عنقه يعني أنه الذبح قال فما برحت قدماي من موضعهما حتى علمت اني خنت الله ورسوله فذهب
وربط نفسه بسارية من سواري المسجد حتى نزلت توبته وتقدمت القصة بتمامها في غزوة
بني قريظة وان الله أنزل في ذنبه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم
وأنتم تعلمون الآية وأنزل في توبته وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية ولما رجع صلى الله عليه وسلم
من تبوك قبل أن يدخل المدينة جاءه جماعة من المنافقين وسألوه أن يأتي مسجدهم ليصلي فيه
وهو مسجد الضرار الذي بنوه لاضرار المسلمين وتفريق كلمتهم وجماعاتهم فدعا صلى الله عليه وسلم
بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله عليه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية الى قوله والله يشهد
انهم الكاذبون لا تقم فيه أبدا فدعا صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشن ومعن بن عدي بن عامر
ابن السكن ووحشيا وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه فخرجوا
مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشن فقال مالك أنظروني حتى
آتيكم بنار فدخل عند أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا
المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يتخذوا ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامات وقدم صلى الله عليه وسلم من تبوك

فى رمضان سنة تسع و بعد قدومه صلى الله عليه وسلم وجد عويمر العجلانى امرأته حبلى فقذفها بشريك بن سحما فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم فى المسجد بعد العصر وقصتهما المروية فى الصحيحين وغيرهما

﴿سرية أبي سفيان والمغيرة بن شعبة﴾

رضى الله عنهما وكانت هذه السرية بعد أن رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك أنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف مسلمين بعد رجوعه من تبوك وستأتى قصة وفدهم فأرسل صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم اللات بالطائف فذهبا فى بضعة عشر رجلا فهدموها حتى سووها بالارض وفى رواية أن المغيرة أراد أن يقدم أبا سفيان فى هدمها فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال ادخل أنت على قومك فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول أى الفأس العظيم التى يقطع بها الصخر وقام قومه دونه يحمونه خشية أن يرميه أحد بسهم وخرج نساء ثقيف من الحجال حسرا أى مكشوفات يبكين على الطاغية وكانوا يظنون أنه لا يمكن هدمها لانها تمتنع من ذلك وفى رواية وأراد المغيرة أن يسخر بثقيف فقال لأصحابه لأضحكنكم من ثقيف فلما علا على الطاغية ليهدمها ألقى نفسه وفى لفظ أخذ يرتكض فصاحوا صيحة واحدة فقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لا يستطيع هدمها فوثب وقال لهم قبحكم الله انما هى لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم أخذ فى هدمها فهدمها الى أن كسر بابها وهدم أساسها وأخرج ترابها لما سمع سادنها يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم ثم أخذوا حليتها وكسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة وأقبلوا حتى دخلوا عليه صلى الله عليه وسلم فحمد الله على نصره واعزاز دينه والله أعلم

﴿سرية جرير بن عبد الله البجلى﴾

رضى الله عنه الى ذى الخلصة بفتح المعجمة واللام بعدها مهملة وذو الخلصة اسم بيت كان فيه صنم لقوم جرير وكانت هذه السرية قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بنحو شهرين قال جرير رضى الله عنه قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ألا تريحنى من ذى الخلصة فقلت بلى فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فضرب فى صدرى وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا فما وقعت عن فرس بعد وكان ذو الخلصة بيتا فى اليمن لخثعم و بجيلة يقال له الكعبة فانطلق اليها فكسرها وحرقها ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول جرير والذى بعثك بالحق ماجئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب فبارك فى خيل أحمس ورجالها خمس مرات وروى الطبرانى عن جرير قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن أقاتلهم وأدعوهم أن يقولوا لا اله الا الله قال الحافظ ابن حجر والذى يظهر أنه غير بعثه الى الصنم ويحتمل أنه بعثه الى

الجهتين

الجهنين على الترتيب ويؤيده ماوقع عند ابن حبان في حديث جرير أنه صلى الله عليه وسلم قال له
يا جرير انه لم يبق من طواغيت الجاهلية الا بيت ذي الخلصة فانه يشعر بتأخير هذه القصة
جدا وقد شهد جرير حجة الوداع فكان ارساله بعدها فهدمها ثم توجه الى اليمن ولما رجع
بلغه وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وحكى بعضهم أن موضع ذي الخلصة صار مسجدا جامعا
لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم والله أعلم

﴿ سرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما ﴾

الى أبنى بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح النون فألف مقصورة وهي ناحية بالبلقا
من أرض الشام وهي آخر السرايا كما أن غزوة تبوك آخر الغزوات * لما كان يوم الاثنين
لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة أمر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ
لغزو الروم فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال سر الى موضع مقتل أبيك فأوطئهم
الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق
الاخبار فان أظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع
معك فلما كان يوم الاربعاء بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس
عقد صلى الله عليه وسلم لاسامة لواء بيده ثم قال اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر
بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من المهاجرين
الاولين والانصار الا اشتغل لذلك وتهيأ للخروج منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح
وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم فتكلم قوم وقالوا يستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
المهاجرين الاولين والانصار هذا الغلام وكان سن أسامة سبع عشرة سنة وقيل تسع عشرة
سنة وقيل عشرين فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم فغضب غضبا شديدا فخرج
وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها
الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في امارته فلقد طعنتم في امارة
أبيه من قبله وأيم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بالامارة وان كان من
أحب الناس الي وانهما لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته
وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين
يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى المعسكر بالجرف
وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أنفذوا بعث أسامة واستثنى أبا بكر وأمره
بالصلاة بالناس فلا منافاة بين من روى ان أبا بكر رضي الله عنه كان من ذلك الجيش ومن روى
انه تخلف لانه كان من جملة الجيش أولا ثم تخلف لما استثناه صلى الله عليه وسلم وأمره
بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول بعض الرافضة طعنا في أبي بكر رضي الله عنه انه تخلف عن

جيش أسامة وانه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن جيش أسامة لما علمت أن تخلفه كان بأمر منه صلى الله عليه وسلم لأجل صلاته بالناس وفيه اشارة الى أنه الخليفة بعده وأما اللعن الذى ذكروه فلم يرد فى حديث فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فجاء أسامة رضى الله عنه فطأطأ فقبله صلى الله عليه وسلم وهو لا يتكلم ثم جعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعهما على أسامة قال أسامة فعرفت أنه يدعو لى ثم رجع أسامة الى معسكره ثم دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له اغد على بركة الله فودعه أسامة وخرج الى معسكره وأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب وفى رواية سار حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول لا تعجل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما وانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توفى حين زاغت الشمس فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة معقودا حتى أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لأبى بكر رضى الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء الى بيت أسامة وأن يمضى أسامة لما أمر ولما اشتهرت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت شوكة أهله وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية ومن كان يرغب فيهم وصارت المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلى ولا ندفع الزكاة وكل ذلك ظهر قبل أن يتوجه جيش أسامة فعند ذلك كلم الناس أبا بكر رضى الله عنه أن يمنع أسامة من السفر وقالوا كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فأبى أبو بكر رضى الله عنه أن يمنع أسامة من الخروج وقال والله الذى لا اله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرد جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده وفى لفظ والله لأن تخطفنى الطير أحب الى من أن أبدأ بشئ قبل تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى تنفيذ جيش أسامة وفى رواية ان أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال لعمر ارجع الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسأله يأذن لى أن أرجع بالناس فان معى وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون وقالت الانصار لعمر رضى الله عنه فان أبى أبو بكر رضى الله عنه الا أن يمضى الجيش فأبلغه منا السلام واطلب اليه أن يولى أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة فقدم عمر الى أبى بكر رضى الله عنهما وأخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر رضى الله عنه والله لو تخطفتنى الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر رضى الله عنه فان الانصار أمرونى أن أبلغك انهم يطلبون أن تولى رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبو بكر رضى الله عنه وكان جالسا فأخذ بلحية عمر رضى الله عنه وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه فخرج عمر رضى الله عنه

الى الناس فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا واعل الذين قالوا ذلك من الانصار لم يكونوا سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم الانكار على من طعن في ولاية أسامة رضي الله عنه ولا بلغهم أو جوّزوا ان الصديق يوافق على ذلك حيث رأى فيه مصلحة وسيدنا عمر رضي الله عنه يكون جوّز ذلك أيضا ثم كلم أبو بكر رضي الله عنه أسامة في عمر رضي الله عنه أن يأذن له في التخلف ليستعين به الصديق رضي الله عنه في مشورته وأمر الخلافة ففعل وكان استئذان أبي بكر لاسامة رضي الله عنهما تطييبا لقلبه فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج أسامة رضي الله عنه في ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وودعه أبو بكر رضي الله عنه بعد ان سار الى جانبه ساعة ماشيا وأسامة رضي الله عنه راكب وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقود براحلة الصديق رضي الله عنه فقال أسامة يا خليفة رسول الله اما أن تركب واما أن أنزل فقال والله است بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ثم ان أسامة رضي الله عنه سار الى أهل أبنى فشن عليهم الغارة أى فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور أمت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرث أرضها فأزال نخلها وأجال الخيل في عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد وكان أسامة رضي الله عنه على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه وأسهم للفارس سهمين وللراجل سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما أمسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر في المهاجرين والانصار ممن لم يكن في تلك السرية يتلقون أسامة ومن معه وسروا بسلامتهم ودخل أسامة واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف الى بيته وكان في خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما خرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد أن ولي الخلافة اذا رأى أسامة رضي الله عنه قال السلام عليك أيها الامير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا فيقول لا أزال أدعوك ما عشت الامير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت على أمير وقد كان أسامة رضي الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ أسامة والحسن رضي الله عنهما فيقول اللهم أحبهما فاني أحبهما وفي حديث المخزومية التي سرقت وأراد صلى الله عليه وسلم قطع يدها فلم يجسر أحد أن يكلمه صلى الله عليه وسلم غير أسامة بن زيد رضي الله عنهما فكلمه فقال صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ومناقبه رضي الله عنه كثيرة توفي بالمدينة أو بوادي القرى سنة خمس أو أربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة والله أعلم ومما ينبغي أن يلحق بالغزوات والسرايا بعوثه صلى الله عليه وسلم

بعث الصديق رضي الله عنه

بعث صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه في السنة التاسعة يحج بالناس وأما في السنة الثامنة فأمر عتاب بن أسيد رضي الله عنه أن يحج بالناس وكان أميرا على أهل مكة كما تقدم في قصة فتح مكة فخرج أبو بكر رضي الله عنه في ثلثمائة رجل من المدينة وبعث صلى الله عليه وسلم معه بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضي الله عنه خمس بدنات ثم تبعه علي رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر فقال له أبو بكر رضي الله عنه استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال لا ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس وأنبذ الى كل ذي عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عاما وخاصا فالعام أن لا يصد أحد من البيت اذا جاء ولا يخاف أحد في الاشهر الحرم والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب الى آجال مسماة وكانت عادة العرب أن لا ينبذ العهد الا من كان قريبا لمن أراد النبذ فلذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ولم يكتف بأبي بكر رضي الله عنه فمضى أبو بكر رضي الله عنه فحج بالناس قيل كان الحج ذلك العام في ذي القعدة للنسيء الذي كانوا يصنعونه والصحيح انه كان في ذي الحجة وجاء في رواية انه بعد أن توجه أبو بكر رضي الله عنه من المدينة نزلت سورة براءة فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها أبا بكر فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل من أهل بيتي ثم دعا عليا رضي الله عنه فقال اخرج بصدر براءة واذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه براءة يوم النحر وقال لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان لانهم كانوا يحجون مع المسلمين ويرفعون أصواتهم بقولهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكانوا يطوفون عراة بالليل وليس على رجل منهم ثوب ويقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم وكان لا يطوف من أراد الثياب منهم الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره أو يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يمسه وقيل كانت المرأة تلبس درعا مفرجا وقد كانت امرأة تطوف وهي عارية ويدها على قبلها وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

وفي ايجاب ستر العورة أنزل الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم الآية وفي رواية لما لحق علي أبا بكر رضي الله عنه قال له أمير أو مأمور قال بل مأمور فكان علي رضي الله عنه في تلك السفرة يصلي خلف أبي بكر الى أن رجع الى المدينة وفي ذلك رد على الرافضة قبحهم الله فانهم زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر رضي الله عنه عن امارة الحج بعلي وقد تواتر أن أبا بكر رضي الله عنه لم يعزل وانه حج بالناس وكان علي من جملة رعيته في تلك السفرة ويصلي خلفه الى أن

رجعوا الى المدينة وفي حديث جابر رضي الله عنه في هذه القصة قام أبو بكر رضي الله عنه فخطب
الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي رضي الله عنه فقرأ على الناس براءة وجاء
في رواية انه فعل ذلك بمكة يوم التروية وفعل مثله يوم عرفة ثم يوم النحر ثم يوم النفر فيحمل على
تعدد وقوع ذلك وبذلك يجمع بين الروايات وكان هلاك رأس المنافقين عبد الله بن أبي
ابن سلول السنة التاسعة في ذي القعدة وجاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أبي
احتضر فأحب أن تشهده وتصلي عليه قال ما اسمك قال الحباب فقال بل أنت عبد الله الحباب اسم
الشيطان وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وكان يحمل أمر أبيه على ظاهر الاسلام وقد
ورد ما يدل على انه انما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه
بعهد من أبيه بل جاء في رواية الطبراني وعبد الرزاق عن قتادة قال أرسل عبد الله بن أبي
الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال أهلكك حب يهود فقال يا رسول الله انما
أرسلت اليك لتستغفر لي ولم أرسل اليك لتوبخني ثم سأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه فأجابه
وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما مرض ابن أبي جاءه صلى الله عليه وسلم فكلمه
فقال قد فهمت ما تقول فامنن علي فكفني في قميصك وصل علي فأعطاه القميص ثم لما أراد
صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه وثب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال يا رسول الله أتصلي
عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا وعدد عليه أشياء من قوله لا تنفقوا على من عند رسول
الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وفي رواية فقام عمر رضي الله عنه فأخذ
بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن
تصلي عليه وكان عمر رضي الله عنه فهم ذلك من قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن
يستغفروا للمشركين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله بين الاستغفار وتركه فقال
استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين
قال عمر رضي الله عنه انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم ينزل عليه نهي
صريح بترك ذلك ولم يأخذ بقول عمر رضي الله عنه اجراء له على ظاهر حكم الاسلام واستصحابا
لظاهر الحكم ولاكرام ولده الذي تحقق صلاحه واستئلافا لقومه فانه جاء انه رجع جملة منهم
من النفاق ذلك اليوم لما رأوا عبد الله يسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفنه في قميصه وأن
يصلي عليه وصلى عمر مع النبي صلى الله عليه وسلم وترك رأي نفسه وأطال صلى الله عليه وسلم
في تلك الصلاة وأكثر من الاستغفار لعبد الله بن أبي * وعن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال
ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال على جنازة قط ما أطال على جنازة عبد الله بن أبي
من الوقوف وفي حديث ابن عباس ومشى معه صلى الله عليه وسلم حتى قام على قبره حتى فرغ منه
وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب
قلب ولده الرجل الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم فلو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل

ورود النهي لكان سببه على ابنه وحراعلى قومه فاستعمل صلى الله عليه وسلم أحسن الامرين في السياسة الى أن كشف الله الغطاء وقيل انما أعطاه قميصه مكافأة له فان عبد الله بن أبي أعطى قميصه للعباس رضي الله عنه حين أسر يوم بدر كما تقدم ثم أنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فكان في ذلك تأييد لرأي عمر رضي الله عنه فهي من الآيات التي جاءت موافقة لرأيه رضي الله عنه وكان نزولها بعد فراغه صلى الله عليه وسلم من أمره على الصحيح وقيل بعد فراغ الصلاة وفي الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت * وروى الطبراني عن قتادة قال ذكر لنا انه صلى الله عليه وسلم قال وما يغني عنه قميصي من الله واني لأرجو بذلك أن يسلم ألف من قومه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق بعده حتى قبضه الله وفي شرح القسطلاني على البخاري أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يستشفع بثوبه صلى الله عليه وسلم ويتوقع اندفاع العذاب عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿البعث الى اليمن﴾

بعث صلى الله عليه وسلم أبا موسى الاشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما الى اليمن قبل حجة الوداع في السنة العاشرة وقيل في التاسعة عند منصرفه من تبوك وقيل عام الفتح سنة ثمان كل واحد منهما على مخلاف واليمن مخلافان والمخلاف بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة بلغة أهل اليمن الناحية ويقال له الكورة بضم الكاف والاقليم والرستاق وكان جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمله الجند بفتح الجيم وفتح النون بلدة باليمن وله بها مسجد مشهور الى اليوم وكانت جهة أبي موسى السفلى وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا * وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ انك ستأتي قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وروى الامام أحمد عن معاذ رضي الله عنه قال لما بعثني صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال قد بعثتك الى قوم رقيقة قلوبهم فقاتل بمن أطاعك من عصاك وروى الامام أحمد أيضا وأبو يعلى أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن خرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت ظل راحلته فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري فبكى معاذ رضي الله عنه لفراقه

وروى ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم مشى معه ميلا ومعاذ رضى الله عنه راكب لأمره صلى الله عليه وسلم له بذلك قال الحافظ ابن حجر واتفقوا على ان معاذا رضى الله عنه لم يزل على اليمن الى ان قدم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ثم توجه الى الشام فمات بها واختلفوا هل كان معاذ واليا أو قاضيا فقال ابن عبد البر انه كان قاضيا وقال الغسانى انه كان أميرا على المال وحديث ابن ميمون فيه التصريح بأنه كان أميرا على الصلاة وهذا يرجح انه كان واليا وقد جاءت أحاديث كثيرة فى فضله رضى الله عنه منها أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل ومنها معاذ بن جبل امام العلماء يوم القيامة ضبطه بعضهم بكسر همزة امام وبعضهم بفتحها وأما أبو موسى رضى الله عنه فقدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع والتقى به بمكة واستدل العلماء بارساله على انه كان عالما فطنا حاذقا ولولا ذلك لم يوله صلى الله عليه وسلم الامارة ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم وأما الخوارج والروافض فنسبوه الى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه فى التحكيم بصفين والحق انه لم يصدر منه ما يقتضى وصفه بذلك وغاية ما وقع منه انه أداه اجتهاده الى أن يجعل الامر شورى بين من بقى من الصحابة من أهل بدر لما شاهده من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفين فآل الامر الى ما آل اليه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بعث خالد بن الوليد﴾

بعث النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه الى اليمن قبل حجة الوداع فى ربيع الاول سنة عشر وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الأولى سنة عشر الى بنى عبد المدان بفتح الميم بوزن سحاب اسم صنم وعبد المدان الذى نسبت القبيلة اليه هو جدهم الاعلى واسمه عمرو بن يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث ويقال لتلك القبيلة بنو الحارث وهم بنجران موضع باليمن سمى باسم نجران بن زيد بن سبا فأمره صلى الله عليه وسلم خالدا أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا قال فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس أسلموا تسلموا فاسلموا ودخلوا فيما دعوا اليه فأقام خالد يعلمهم الاسلام والكتاب والسنة ثم كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يعلمه بذلك فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يقدم اليه وفدهم فقدموا وأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم فى بقية شوال أو صدر ذى القعدة وسيأتى فى الوفود خبر بذلك ان شاء الله تعالى

﴿بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه الى اليمن﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه الى اليمن فى شهر رمضان سنة عشر وعقد له لواء وعممه بيده وقال له امض ولا تلتفت فقال على رضى الله عنه يارسول الله ما أصنع قال اذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم الى قول لا اله الا الله فان قالوا

نعم فمرهم بالصلاة فان أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك والله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت ورروى أبو داود وغيره من حديث على رضى الله عنه قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يارسول الله تبعثنى الى قوم أسن منى وأنا حديث السن لا أبصر القضاء قال فوضع يده صلى الله عليه وسلم فى صدرى وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال ياعلى اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء قال على والله ماشككت فى قضاء بين اثنين فخرج على رضى الله عنه فى ثلثمائة فارس فلما انتهى الى تلك الناحية فرق أصحابه فأتوا بنهب غنائم ونساء وأطفال وكانت الغنائم نعما وشاء ثم لقى جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج منهم رجل من مذحج يدعو الى المبارزة فبرز اليه الاسود بن خزاعى فقتله الاسود وأخذ سلبه ثم صف على رضى الله أصحابه ودفع لواءه الى مسعود بن سنان الاسلمى فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم قليلا ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله وجمع على الغنائم فجزأها خمسة أجزاء فكتب فى سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم على أصحابه بقية المغنم ثم قفل على رضى الله عنه فوافى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا رضى الله عنه الى اليمن وذلك فى رمضان سنة عشر فأسلمت همدان كلها فى يوم واحد فكتب بذلك اليه صلى الله عليه وسلم فخر ساجدا لله ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن على الاسلام لكن قوله فى التاريخ سنة عشر وهم لان بعث على الى همدان لم يكن سنة عشر انما كان سنة عشر بعثه الى بنى مذحج وأما بعثه الى همدان فكان سنة ثمان بعد فتح مكة فيكون بعث على رضى الله عنه الى اليمن حصل مرتين وفى البخارى عن البراء رضى الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد الى اليمن ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه فقال مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل فكنت فيمن عقب معه فغنمت أواقى ذوات عدد زاد الاسماعيلى فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا على وصفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان جميعا فكتب على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرئ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان وكان البعث بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة فهذا صريح فى ان البعث الاول كان فى أواخر سنة ثمان وانه الى همدان وأما الثانى فكان فى رمضان سنة عشر الى مذحج

حجة الوداع

وفى سنة عشر من الهجرة حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وسميت بذلك لانه ودع

الناس فهاو بعدها وما عرف وداعه حتى توفى بعدها بقليل فعرفوا المراد وأنه ودع الناس بالوصية التى أوصاهم بها أن لا يرجعوا بعده كفارا وأكد التوديع باشهاد الله عليهم بأنهم شهدوا أنه بلغ ما أرسل اليهم به وتسمى حجة الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة بعد فرض الحج غيرها وحجة البلاغ لانه بلغ الناس الشرع فى الحج قولا وفعلا وتسمى حجة التمام والكمال لنزول قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وكان صلى الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة قد أقام بالمدينة يضحى كل عام ويغزو المغازى ويبعث السرايا والبعوث من حين أذن له فى القتال فلما كان فى ذى القعدة سنة عشر من الهجرة أجمع على الخروج الى الحج فتجهز وأمر الناس بالجهاز ولم يحج بعد أن هاجر غيرها هذه الحجة قال أبو اسحاق السبيعى وحج وهو بمكة أخرى لكن قوله أخرى يوهم انه لم يحج قبل الهجرة الا واحدة وليس كذلك بل حج قبلها مرارا وقيل حج وهو بمكة حجتين وقيل ثلاث حجج والحق الذى لا ارتياب فيه كما فى شرح الزرقانى على المواهب أنه لم يترك الحج بمكة قط لان قريشا فى الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج وانما يتأخر منهم من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف واذا كانوا هم على غير دين يحرصون على اقامة الحج ويرونه مفاخرهم التى امتازوا بها على غيرهم من العرب فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم أن يتركه وقد ثبت حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه أنه فى الجاهلية رأى النبى صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة وأنه من توفيق الله له وكانت قريش تقف بجمع ولا تخرج من أرض الحرم وكان صلى الله عليه وسلم يخالفهم ويصل الى عرفة فيقف بها مع بقية العرب وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو قبائل العرب الى الاسلام بمنى ثلاث سنين متوالية قال العلامة الزرقانى فلا يقبل نفى ابن سعد أنه لم يحج بعد النبوة الا حجة الوداع لان المثبت مقدم على النافى خصوصا وقد صحبه دليل اثباته ولم يصحب النافى دليل نفيه ولذلك قال ابن الجوزى حج صلى الله عليه وسلم حججا لا يعرف عددها وقال ابن الاثير فى النهاية كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر وكان خروجه صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع من المدينة يوم السبت بين الظهر والعصر لخمس بقين من ذى القعدة سنة عشر واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى رضى الله عنه وقيل سباع ابن عرفطة الغفارى وكان نساؤه كلهن معه وقد طاف عليهن كلهن ليلة خروجه واغتسل ثم اغتسل ثانيا لاحرامه غير غسل الجماع وكان دخوله مكة صبح رابعة من ذى الحجة يوم الاحد وخرج معه صلى الله عليه وسلم تسعون ألفا ويقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ويقال أكثر من ذلك وهذه عدة من خرج معه وأما الذين حجوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكة والذين أتوا من اليمن مع على وأبى موسى رضى الله عنهما وجاء فى حديث أن الله وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله بالملائكة والكلام على مباحث حجة الوداع طويل مذكور فى كتب السنة شهير شائع فلا حاجة الى الاطالة به

﴿باب يذكر فيه ما يتعلق بالوفود﴾

التي وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ما تقدم قد تقدم أنه وفد عليه وفد هوزان بالجعرانة وكذا وفد عليه مالك بن عوف النصري وذلك في أواخر سنة ثمان وكذا وفد عليه بنو تميم في سرية عيينة بن حصن وكان ذلك في المحرم سنة تسع

﴿وفد نصارى نجران﴾

وفد عليه نصارى نجران بالمدينة بعد الهجرة وكانوا ستين راكبا جاؤه يجادلونه في شأن عيسى عليه السلام ونجران بلدة كبيرة على سبع مراحل من مكة الى جهة اليمن تشتمل على ثلاث وسبعين قرية وكان وصولهم المدينة ودخولهم المسجد النبوي بعد دخول وقت العصر فقاموا يصلون فيه فأراد الناس منعهم لما فيه من اظهار دينهم الباطل فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم تألفا لهم ورجاء لاسلامهم ولدخولهم بالامان فأقرهم على كفرهم سياسة فليس فيه اقرار على الباطل بل جعل ذلك وسيلة لدخولهم في الحق فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا لما دخلوا المسجد النبوي عليهم ثياب الحبرات وأردية الحرير مختمين بخواتم الذهب ومعهم هدية وهي بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس ينظرون للتماثيل فقال صلى الله عليه وسلم أما هذه البسط فلا حاجة لي فيها وأما هذه المسوح فان تعطونيها آخذها فقالوا نعم نعطيكها ولما رأى فقراء المسلمين ما على هؤلاء من الزينة والزي الحسن تشوفت نفوسهم الى الدنيا فأنزل الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ولما فرغوا من صلاتهم عرض صلى الله عليه وسلم عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم الخنزير وزعمكم أن لله ولدا وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رهطا من نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما شأنك تذكر صاحبنا قال من هو قالوا عيسى تزعم أنه عبد الله قال أجل قالوا فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل فقال له قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى قوله الممترين وفي رواية أن واحدا منهم قال له المسيح ابن الله لانه لا أب له وقال آخر المسيح هو الله لانه أحيا الموتى وأخبر عن الغيوب وأبرأ من الادواء كلها وخلق من الطين طيرا وقال له أفضلهم فعلام تشتمه وتزعم أنه عبد فقال هو عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم فغضبوا وقالوا انما يرضينا أن تقول هو اله وقالوا ان كنت صادقا فأرنا عبد الله يحيي الموتى ويشفي الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فينفخ فيه فيطير فسكت عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد

ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ثم قال لهم ان الله أمرني ان لم تنقادوا للاسلام أباهلكم أى ندعو ونجتهد فى الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له يا أبا القاسم نرجع فننظر فى أمرنا فخلا بعضهم ببعض فقال بعضهم والله قد علمتم ان الرجل نبى مرسل وما لاعن قوم قط نبيا الا استؤصلوا أى أخذوا عن آخرهم وان أنتم أبيتم الا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا الى بلادكم وفى لفظ انهم ذهبوا الى بنى قريظة وبنى قينقاع واستشاروهم أى شاوروا من منهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه وفى لفظ انهم واعدوه على الغد فلما أصبح صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلى رضى الله عنهم وعند ذلك قال لهم الاسقف انى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل لهم جبلا لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى فقالوا له صلى الله عليه وسلم لا نباهلك وعن عمر رضى الله عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لولاعنتهم يارسول الله بيد من كنت تأخذ قال آخذ بيد على وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة وهذه زيادة موافقة لقوله تعالى ونساءنا ونساءكم ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أما والذى نفسى بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولو لاعنونى لمسخوا قردة وخنازير ولأضرم الوادى عليهم نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولا حال الحول على النصارى حتى يهلكوا ثم انهم صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم على الجزية على ألف حلة فى صفر وألف فى رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة وكتب لهم كتابا وقالوا أرسل معنا أمينا فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه وقال لهم هذا أمين هذه الامة وفى رواية هذا القوى الامين وكان لذلك يدعى فى الصحابة بذلك وفى أهل نجران وفى الرد عليهم أنزل الله أكثر آيات سورة آل عمران وافتتحها بالتوحيد وبقوله يصوركم فى الارحام كيف يشاء أى بأن يجعلكم من أم وأب أو من أم بلا أب فيكون فى أول الكلام اشارة الى الرد عليهم وذلك براعة استهلال وهى من المحسنات البديعية

﴿وفد تميم الدارى وأصحابه﴾

وفد عليه صلى الله عليه وسلم الداريون أبو تميم الدارى وأخوه نعيم وأربعة آخرون وكانوا على دين النصرانية فأسلموا وحسن اسلامهم رضى الله عنهم وكان وفدهم عليه مرتين مرة بمكة قبل الهجرة ومرة بعدها وفى المرة الاولى سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم أرضا من ارض الشام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم قال أبو هند وهو من أصحاب تميم فنهضنا من عنده نتشاور فى أى الاراضى نأخذ فقال تميم نسأله بيت المقدس وكورتها فقال له أبو هند هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فأخاف أن لا يتم لنا فقال تميم نسأله بيت جيرون وكورتها فنهضنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فدعا

بقطعة من أدم وكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين أعطاه الله الارض فوهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم الى الابد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتابا وقال انصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت قال أبو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى محمد رسول الله لتميم الدارى وأصحابه انى أعطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد أبو بكر بن أبى قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وكتب * ومن فضائل تميم الدارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم روى عنه حيث خطب فقال فى خطبته حدثنى تميم الدارى وذكر خبر الجساسة أى لان تميما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه ركب البحر فتاهت بهم سفينتهم فسقطوا الى جزيرة فخرجوا اليها يلتمسون الماء فاتى انسانا يجر شعره فقال له من أنت قال انا الجساسة قالوا فأخبرنا قال لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فاذا رجل مقيد فقال من أنتم قلنا ناس من العرب قال ما فعل هذا النبى الذى خرج فيكم قلنا قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه قال ذلك خير لهم قال أفلا تخبرونى عن عين زغر ما فعلت فأخبرناه عنها فوثب وثبة ثم قال ما فعل نخل بيسان هل أطعم بعد فأخبرناه انه قد أطعم فوثب مثلها ثم قال أما لو قد أذن لى فى الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة قال فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس فقال هذه طيبة وذاك الدجال قال ابن عبد البر وهذا أولى ما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار قال أهل السير ولما فتحت مكة ودانت له صلى الله عليه وسلم قريش عرفت العرب انهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعداوته لان قريشا كانت قادة العرب فلما أسلموا دخل الناس فى دين الله أفواجا وتتابعت الوفود عليه صلى الله عليه وسلم

﴿ وفد كعب بن زهير رضى الله عنه وقد تقدمت قصته فى فتح مكة ﴾

﴿ وفد ثقيف ﴾ ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان قدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من خبرهم انه لما انصرف صلى الله عليه وسلم من محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل ان يصل الى المدينة فأسلم رضى الله عنه وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع الى قومه يأمرهم بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك فقال عروة يا رسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم أى أولادهم وفى رواية من أبصارهم فخرج يدعو قومه الى الاسلام رجاء ان لا يخالفوه لمرتبته فيهم لانه كان محببا مطاعا

وفيه كانوا يقولون كما حكى الله عنهم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
فالقريتان مكة والطائف والرجلان الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف
فتوجه الى قومه فلما أشرف لهم على علية دعاهم الى الاسلام وأظهر دينه فرموه بالنبل من كل
جانب فأصابه سهم فقتله وفي لفظ انه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم الى
الاسلام ونصح لهم فعصوه وأسمعوه من الاذى مالم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده فلما كان
السحر وطلع الفجر قام على غرفة في داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقيل له
قبل ان يموت ماترى في دمك قال كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله الي فليس في الا ما
في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يرتحل عنكم فادفنوني معهم
فدفنوه معهم وقال في حقه صلى الله عليه وسلم ان مثله في قومه كمثل صاحب يس انه قال لقومه
اتبعوا المرسلين الآيات فقتله قومه والمراد المذكور في سورة يس وقد قال صلى الله عليه وسلم
مثل هذه المقالة في حق شخص آخر يقال له قرة بن حصين أو ابن الحارث بعثه صلى الله عليه
وسلم الى بني هلال بن عامر يدعوهم الى الاسلام فقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم مثله مثل
صاحب يس ثم ان ثقيفا أقامت بعد قتل عروة اشهرا ثم انهم ائتمروا بينهم فرأوا انهم لا طاقة
لهم بحرب من حولهم من العرب فاجمعوا ان يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا
فكلموا في ذلك عبد ياليل بن عمرو وكان في سن عروة بن مسعود فأبى لانه خشي ان يفعل به كما
فعل بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبد ياليل فقال لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا فبعثوا معه
خمسة انفار منهم شرحبيل بن غيلان أحد أشراف ثقيف ويقال وفد عليه صلى الله عليه وسلم
تسعة عشر رجلا هم اشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وفيهم عثمان
ابن أبي العاص وهو أصغرهم فلما قربوا من المدينة رآهم المغيرة بن شعبة الثقفي فذهب مسرعا
ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقي أبا بكر رضي الله عنه فاخبره فقال له
أبو بكر رضي الله عنه أقسمت عليك لا تسبقني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكون
أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فابوا الا تحية
الجاهلية وهي عم صباحا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة في ناحية
المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل يوم ويخلفون عثمان بن ابي العاص عند متاعهم فكان عثمان رضي الله عنه اذا رجعوا
ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الدين ويستقرئه القرآن واذا وجد النبي صلى الله
عليه وسلم نائما ذهب الى أبي بكر رضي الله عنه وكان يكتم ذلك من أصحابه فاعجب ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحبه وروى ابن منده وغيره عن عثمان بن أبي العاص رضي
الله عنه قال استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أصغر الذين وفدوا عليه من ثقيف

لانى كنت قرأت سورة البقرة فى مدة اقامتهم وعنه رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ان القرآن
تفلت منى فوضع يده على صدرى وقال ياشيطان اخرج من صدر عثمان فما نسيت شيئا بعده
أريد حفظه وعنه رضى الله عنه قلت يارسول الله ادع الله ان يفقهنى فى الدين و يعلمنى قال ماذا
قلت فاعدت عليه القول فقال لقد سألتنى عن شئ ماسألنى عنه أحد من أصحابك اذهب فأنت
أمير عليهم وعلى من تقدم عليه من قومك وفى صحيح مسلم عن عثمان بن أبى العاص قال قلت
يارسول الله ان الشيطان حال بينى و بين صلاتى فقال ذاك الشيطان يقال له خنزب
فاذا أحسست به فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت فأذهبه الله عنى وكان
فى هذا الوفد رجل مجذوم فأرسل صلى الله عليه وسلم يقول له انا بايعناك فارجع وفى الخبر
المرفوع لاتديموا النظر الى المجذوم ومن وجاء كلم المجذوم و بينك و بينه قيد رمح أورمحين وهذا
معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولاطيرة و بما جاء فى احاديث اخر انه صلى الله
عليه وسلم أكل مع المجذوم طعاما وأخذ بيده وجعلها معه يده فى القصعة وقال كل بسم الله ثقة
بالله وتوكلا عليه وأجيب بان الامر باجتناب المجذوم ارشادى وموا كلته لبيان الجواز وجواز
المخالطة فى حق من قوى ايمانه وعدم جوازها فى حق من ضعف ايمانه ومن ثم باشر صلى الله عليه
وسلم الصورتين ليقتدى به فيأخذ قوى الايمان بطريق التوكل وضعيف الايمان بطريق التحفظ
والاحتياط ولا تأثير الالله ومايتخيل من العدوى فى أمثال ذلك من جملة الاسباب العادية التى
لاتأثيرلها بل يحصل الشئ عندها لابها والفعل لله وحده الله خالق كل شئ * وعند انصراف
وفد ثقيف قالوا يارسول الله أمر علينا رجلا يؤمنا فأمر عليهم عثمان بن أبى العاص لما رأى
من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين وقال الصديق للنبى صلى الله عليه وسلم
يارسول الله انى رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن وفى رواية
ان عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه قال قلت يارسول الله اجعلنى امام قومى قال أنت امامهم
وقال له اذا أممت فاخف بهم الصلاة واتخذ مؤذنا لا يأخذ على اذانه اجرا وكان خالد بن سعيد
بن العاص رضى الله عنه هو الذى يمشى بينهم و بينه صلى الله عليه وسلم حتى كتب لهم كتابا
وكان الكاتب له خالد المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لايعضد من وجد يفعل ذلك فانه يجلد
وتنزع ثيابه ووج واد بالطائف وقيل هو الطائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضة
كشفة وشفاه وروى أبوداود وغيره ألا ان صيد وج وعضاهه حرام محرم والقول بأخذ
سلب المتعرض لصيد وج والمدينة هو أحد قولين للشافعى رضى الله عنه والمشهور عنه فى وج
وحرم المدينة انه يحرم التعرض لصيدهما من غير جزاء وهذا مذهب الجمهور من العلماء وكان
هؤلاء الوفد لايطعمون طعاما يأتيهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكل منه خالد حتى
أسلموا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يترك لهم الصلاة فقال لا خير فى دين لاصلاة فيه

وفى لفظ لاركوع فيه وان يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك وسألوه ان يترك لهم الطاغية التى هى صنمهم لا يهدمها الا بعد ثلاث سنين من مقدمهم وهى اللات وكانوا يقولون لها الربة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يتركها سنة فأبى حتى سألوه شهرا واحدا وأرادوا بذلك ليدخل الاسلام فى قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم وذراريهم بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند خروجهم قال لهم كنانة أنا أعلمكم بثقيف اكتموا اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم ان محمدا سألنا أمورا عظيمة فأبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وان نترك الزنا والربا وشرب الخمر فلما رجعوا وجاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلا فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا أمورا شدادا وذكروا ما تقدم قالوا والله لا نعطيه ولا نقبل هذا أبدا فقالوا لهم أصلحوا السلاح وتهيئوا للقتال ورموا حصونكم فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب فى قلوبهم وقالوا والله ما لنا به من طاقة فارجعوا اليه وأعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا لهم قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لهم لم كتمتمونا قالوا أردنا ان ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا ومكثوا أياما فقدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم الطاغية فهدماها كما تقدم وأخذا ما فيها من المال والحلى فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صلى الله عليه وسلم أبا سفيان ان يقضى دين عروة وأخيه الاسود من مال الطاغية فقضاه وذلك ان أبا مليح بن عروة ابن مسعود وابن عمه قارب بن الاسود أخو عروة بن مسعود سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وكانا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين لما قتلت ثقيف عروة بن مسعود قبل ان تسلم ثقيف كما تقدم فأجابهما لذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

وفد بنى عامر بن صعصعة

وفيهم عدو الله عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وفتحها وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل سيدهم كان ينادى مناديه بسوق عكاظ هل من راجل فنحمله أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه وكان من أجمل الناس وكان مضمرا الغدر بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال لأربد وهو أخو لبيد الشاعر اذا قدمنا على الرجل فانى شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف وقد قال له قومه يا عامر ان الناس قد أسلموا فأسلم فقال والله لقد كنت آليت على نفسى أى حلفت ان لا أنتهى حتى تتبع عقبى فانا أتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يا محمد خالنى أى اجعلنى خليلا وصديقا لك قال صلى الله عليه وسلم لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال يا محمد خالنى وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم و ينتظر من أربد ما كان أمره

به فجعل أربد لا يأتي بشئ ويبست يده على السيف فلم يستطع سله وفي رواية لما جاء عامر وسده أي ألقى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له أسلم يا عامر فقال عامر لي اليك حاجة قال اقرب مني فقرب منه حتى حنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتجعل لي الامر بعدك ان أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك أي انما ذلك الى الله يجعله حيث شاء ولكن لك أعنة الخيل قال أنا الآن في أعنة خيل نجد أتجعل لي الوبر ولك المدر قال لا وفي رواية قال له يا محمد مالي ان أسلمت فقال له لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا وفي رواية خيلا جردا ورجالا مردا ولأربطن بكل نخلة فرسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعك الله عز وجل ومكث صلى الله عليه وسلم أياما يدعو الله ويقول اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله واهد قومه ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أسلم وأسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على منابرها فحينئذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا قوم آمنوا ثم قال اللهم اهد بني عامر وأشغل عني عامر بن الطفيل كيف شئت وأنى شئت وفي البخاري انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ولي أهل الوبر أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك من غطفان بألف أشقر وألف شقراء فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد ويلك يا اربد أين ما كنت أمرتك به وما كان على وجه الارض رجل أخافه على نفسي غيرك وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا فقال لا أبالك لا تعجل علي والله ماهممت بالذي أمرتني به الا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف وفي رواية الا رأيت بيني وبينه سورا من حديد وفي رواية لما وضعت يدي على السيف يبست فما أستطيع أحركها وفي رواية لما أردت فصل سيفي نظرت فاذا فحل من الابل فاغر فاه بين يدي يهوي الي فوالله لو سللته لخفت أن يبلع رأسي ولا مانع من تكرير عزمه على الفعل وعند كل مرة يرى واحدا مما ذكره ثم خرج عامر بن الطفيل ومن معه راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فأوى الى بيت امرأة من بني سلول وكانوا موصوفين باللؤم فصار يتأسف على مجيء الموت له في بيتها ويمس الطاعون ويقول يا بني عامر غدة كغدة البعير في بيت امرأة من بني سلول ائتوني بفرسي ثم ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى سقط عن فرسه ميتا وكان يقول وهو يجول ابرز يا ملك الموت وفي لفظ يا موت ابرز لي لأقاتلك فلم يزل كذلك حتى أماته الله وهذا دليل على فرط حماقته وقد وهم بعضهم فادعى بقاء عامر بن الطفيل على الاسلام الى أن مات وذلك انما هو عامر بن الطفيل الاسلمي فانه صحابي رضي الله عنه قال يا رسول الله زودني كلمات أعيش بهن قال يا عامر أفش السلام وأطعم الطعام واستحي من الله كما تستحيي من رجل من أهلك واذا أسأت فأحسن فان الحسنات يذهبن السيئات وأما عامر بن الطفيل العامري فهو الكافر وقد مات على كفره

وقدم صاحباه بعد موته على قومهما فقالوا الأربد ما وراءك يا أربد قال لاشئ والله لقد دعانا الى شئ لوددت أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جمله يتبعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة أحرقتهما وكان ذلك في يوم صحو قائظ وأنزل الله قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وأما جبار بن سلمى الذى هو ثالثهم فقد أسلم مع من أسلم من بنى عامر وحسن اسلامه رضى الله عنه

﴿وفد ضمام بن ثعلبة رضى الله عنه﴾

قيل انه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم في سنة خمس والصواب كما قاله الحافظ ابن حجر انه سنة تسع قال ابن عباس رضى الله عنهما ما سمعنا بوافد وفد كان أفضل من ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه متكئا جاءه رجل من أهل البادية على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله وقال أيكم ابن عبد المطلب وفى رواية أيكم محمد قالوا هذا المتكئ فقال انى سائلك فمشدد عليك فلا تجد على فقال سل عما بدا لك فقال يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا أنك تزعم ان الله أرسلك قال صدق فقال أنشدك برب من قبلك ورب من بعدك وفى رواية أنشدك بالذى خلق السموات والارض ونصب هذه الجبال آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيأ وان نخلع هذه الانداد التى كان آباؤنا يعبدونها قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن نأخذ من أموال أغنيائنا فنرده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهرا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن نحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال آمنت وصدقت وأنا ضمام ابن ثعلبة ولما رجع الى قومه كان أول شئ تكلم به انسب اللات والعزى فقال له قومه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون فقال ويلكم انهما والله لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه وانى أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فلم يبق من القوم رجل ولا امرأة الا وأسلم

﴿وفد عبد القيس﴾

وكانت منازلهم بالبحرين وكان ممن وفد فيهم الجارود وكان نصرانيا قد قرأ الكتب فقال أبياتا يخاطب بها النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله

يا نبى الهدى أتاك رجال * قطعت فدفدا وآلا فآلا
تتقى وقع يوم عبوس * أوجل القلب ذكره ثم هالا

والفدفد المفازة والآل ما يرفع الشخوص فى أول النهار وفى آخره وقيل السراب قيل كان مجيئهم سنة عشر فعرض صلى الله عليه وسلم الاسلام على الجارود بعد انشاده الابيات فقال

يا محمد انى كنت على دين وانى تارك دينى لدينك فتضمن لى ذنبى فقال النبى صلى الله عليه وسلم
نعم أنا ضامن أن قد هداك الى ما هو خير منه فأسلم وأسلم أصحابه وجاء فى رواية انه كان مع
الجارود سلمة بن عياض الاسدى وان الجارود قال لسلمة ان خارجا خرج يزعم انه نبى فهل لك
أن نخرج اليه فان رأينا خيرا دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبى الذى بشر به عيسى ابن
مريم لكن يضمر كل واحد منا ثلاث مسائل يسأله عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمرى ان أخبرنا
بها انه لنبى يوحى اليه فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك ربك يا محمد قال
بشهادة أن لا اله الا الله وانى عبد الله ورسوله والبراءة من كل ند يعبد من دون الله وباقام
الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها وصوم رمضان وحج البيت بغير الحاد من عمل صالحا فلنفسه
ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد قال الجارود يا محمد ان كنت نبيا أخبرنا عما أضمرنا
عليه فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه والعرق يتحدر
عنه فقال أما أنت يا جارود فانك أضمرت أن تسألنى عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية
وعن المنيحة ألا وان دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف فى الاسلام ألا وان أفضل
الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاة وأما أنت يا سلمة فانك أضمرت أن تسألنى عن عبادة
الاوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين فأما عبادة الاوثان فان الله تعالى يقول انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وأما يوم السباسب فقد أعقب الله ليلة
خيرا من ألف شهر فاطلبوها فى العشر الاخير من رمضان فانها ليلة بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع
الشمس فى صبيحتها لا شعاع لها وأما عقل الهجين فان المؤمنين اخوة تتكافأ دماؤهم يجير
أقصاهم على أدناهم وأكرمهم عند الله أتقاهم فقالا نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له
وانك عبده ورسوله وذكر بعضهم ان وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة ويمكن ان وفادتهم
تكررت وجزم بذلك فى المواهب وجاء فى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بينما هو يحدث أصحابه
اذ قال لهم سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق وفى رواية يسبق ركب من المشرق
لم يكرهوا على الاسلام قد أنضوا أى أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس
فقام عمر رضى الله عنه فتوجه نحو مقدمهم فلقى ثلاثة عشر راكبا وقيل كانوا عشرين راكبا
وقيل كانوا أربعين رجلا فقال من القوم قالوا من بنى عبد القيس فقال أما ان النبى صلى الله عليه
وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا ثم مشى معهم حتى أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم
هذا صاحبكم الذى تريدون فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد ودخلوا بثياب سفرهم
وتبادروا يقبلون يده صلى الله عليه وسلم ورجله وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وهو رأسهم
وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وذلك بمرأى من النبى صلى
الله عليه وسلم وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشى حتى أخذ يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقبلها وكان رجلا دميما ففطن لنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دمامته فقال

يارسول الله انه لايستقى أى لا يشرب فى مسوك الرجال أى جلودهم انما يحتاج من الرجل
الى أصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيك خلتين وفى رواية
خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يارسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلنى عليهما
قال بل الله تعالى جبلك عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله ورسوله
والاناة كقناة التؤدة أى التأنى فى الامر وقد جاء فى الحديث التؤدة والاقتصاد والسمت
الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة وفى رواية انهم لما قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لهم من القوم قالوا من ربيعة فقال مرحبا بالقوم وفى رواية بالوفد غير
خزايا ولا ندامى فقالوا يارسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة أى لان مساكنهم بالبحرين أى وما
والاهما من أطراف العراق وانه يحول بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر وانا لا نصل
اليك الا فى شهر حرام وصرح فى بعض الروايات بأنه رجب فمرنا بأمر نأخذ به ونخبر به من
وراءنا وندخل به الجنة فقال آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا الخمس
من المغنم وفى مسند الامام أحمد ذكر الحج فيما أمرهم به وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير
وفى رواية والمقير والمراد النهى عن انتباذ النبيذ فى هذه الاشياء لانها تسرع بالتخمر الذى
هو سبب الاسكار والدباء القرع والحنتم جرار مدهونة بدهان أخضر والنقير أصل النخلة ينقر
وينبذ فيه التمر والمقير ما طلى بالقار وهو الزفت وجاء فى رواية بدل المقير والمزفت وفى
رواية قال واشربوا فى أسقية الادم أى الجلود يعنى انتبذوا فيها بدل تلك الاوانى فقالوا
يارسول الله ان أرضنا كثيرة الجرذان أى الفيران أى لا تبقى بها أسقية الادم قال وان
أكلها الجرذان قال ذلك مرتين أو ثلاثا فقال له الاشج يارسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة
وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا فى مثل هذه وأومأ بكفه فقال صلى الله
عليه وسلم يا أشج ان أرخصت لك فى مثل هذه شربته فى مثل هذه وفرج يديه وبسطهما يعنى
أعظم منها حتى اذا ثمل أحدكم من شرابه أى سكر قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وكان
فى القوم رجل قد وقع له ذلك وهو جهم بن قثم قال فلما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه
وسلم جعلت أسدل ثوبى لأغطى الضربة وقد أبداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وفى رواية
انهم سألوه عن النبيذ فقالوا يارسول الله ان أرضنا أرض وخمة لا يصلحنا الا النبيذ قال فلا
تشربوا فى النقير فكأنى بكم اذا شربتم فى النقير قام بعضكم الى بعض بالسيوف فضرب
رجل منكم ضربة لا يزال يعرج منها الى يوم القيامة فضحكوا فقال ما يضحككم قالوا والله لقد
شربنا فى النقير فقام بعضنا الى بعض بالسيوف فضرب هذا ضربة بالسيف فهو أعرج كما ترى
ثم ذكر لهم أنواع تمر بلدهم فقال لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل
من القوم بأبى أنت وأمى يارسول الله لو كنت ولدت فى جوف هجر ما كنت بأعلم منك

الساعة أشهد انك رسول الله فقال ان أرضكم رفعت لى منذ قعدت فنظرت من أدناها الى أقصاها وقال لهم خير تمركم البرني يذهب بالداء ولا داء معه وانما اقتصر فى المناهي على شرب الانبذة فى الاوعية المذكورة مع ان فى المناهي ما هو أشد فى التحريم لكثرة تعاطيهم لها ثم ان النهى عن الانتباذ فى هذه الاوانى انما كان فى أول تحريم الخمر حين كانت نفوسهم راغبة فى شربها معتادة لها ثم لما استقر أمر التحريم وتوطنت نفوسهم على تركها والتباعد عنها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الانتباذ فى هذه الاوانى فانتبذوا فى كل اناء واجتنبوا المسكر فالنهى عن الانتباذ فيها منسوخ والقصد اجتناب المسكر فقط والله أعلم

﴿وفد بنى حنيفة﴾ ابن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم وكانوا سبعة عشر رجلا ومعهم مسيلمة الكذاب قيل جاء بنو حنيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم مسيلمة يسترونه بالثياب تعظيما له وكانت تلك عادتهم فيمن يعظمونه وكان أمره عند قومه كبيرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى أصحابه معه عسيب من سعف النخل فى رأسه خويصات فلما انتهى مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلم النبى صلى الله عليه وسلم وسأله ان يشركه معه فى النبوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه وقيل ان بنى حنيفة جعلوه فى رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبا فى رحالنا يحفظها لنا فأمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر لواحد من القوم وقال أما انه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا وانتهوا الى اليمامة ادعى مسيلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم أشركه معه فى النبوة وقال لمن وفد معه ألم يقل لكم حين ذكرتمونى اما انه ليس بشركم مكانا ما ذاك الا لما كان يعلم انى اشركت معه فى الامر أى وهو صلى الله عليه وسلم انما أراد بذلك انه حفظ ضيعة أصحابه وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه وفى يد النبى صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه وقد بلغه صلى الله عليه وسلم ان مسيلمة قال ان جعل لى محمد الامر من بعده اتبعته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها وانى لأراك الذى رأيت منه ما رأيت وهذا قيس يجيبك عنى ثم انصرف عنه صلى الله عليه وسلم والذى رأى منه صلى الله عليه وسلم هو انه رأى فى المنام ان فى يده سوارين من ذهب قال فأهمنى شأنهما فأوحى الله الى فى المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى أى وهما الاسود العنسى صاحب صنعاء ومسيلمة صاحب اليمامة فان كلا منهما ادعى النبوة فى حياته صلى الله عليه وسلم وكان العنسى يقول ان ملكا يقال له ذو النون يأتينى كما يأتى جبريل محمدا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لقد ذكر ملكا عظيما فى السماء يقال له ذو النون وجمع بعضهم بين هذا الذى فى الصحيحين وما هنا بأنه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان فيها تابعا ومن ثم جاؤا به مستورا حتى انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم

أو قام في حفظ الرحل كما تقدم والثانية كان متبوعا لم يحضر أنفة واستكبارا وعامله صلى الله عليه وسلم معاملة الكرام تألفا له فأتاه الى قومه وهو فيهم ولما خرج الاسود العنسي بصنعاء وادعى النبوة غاب عامل النبي صلى الله عليه وسلم على صنعاء وهو المهاجر بن أبي أمية ويقال انه مر به فلما حاذاه عثر حمار المهاجر فادعى الاسود انه سجد له ولم يقم الحمار حتى قال له شيئا فقام وكان مع الاسود شيطانان يقال لاحدهما سحيق بمهملتين وقاف مصغرا والآخر شقيق بمعجمتين وقافين مصغرا وكانا يخبرانه بكل شئ يحدث من أمور الناس وكان باذان عاملا للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا بصنعاء فمات فجاء شيطان الاسود فأخبره فخرج في قومه حتى ملك صنعاء وتزوج المرزبانة زوجة باذان فواعدت فيروز الديلمي وغيره فدخلوا عليه ليلا وقد سقته الخمر صرفا حتى سكر وكان على بابه ألف حارس فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى دخلوا فقتله فيروز واحتز رأسه وأخرجوا المرأة وما أحبوا من متاع البيت وأرسلوا الخبر الى المدينة فوافاهم عند وفاته صلى الله عليه وسلم قال أبو الاسود عن عروة أصيب الاسود قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة فأتاه الوحي فأخبر أصحابه ثم جاء الخبر الى أبي بكر وقيل وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي صلى الله عليه وسلم وقصة أبي مسلم الخولاني مع الاسود العنسي مشهورة رواها جملة من أصحاب السنن عن جملة من الصحابة حتى قال بعضهم انها من المشهور المستفيض وحاصلها ان الاسود العنسي بعث الى أبي مسلم الخولاني لما ادعى الاسود النبوة بصنعاء اليمن فلما جاءه قال له أتشهد أني رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فردد ذلك عليه مرارا وهو يقول كما قال أولا فأمر بنار عظيمة فأججت ثم ألقي فيها أبو مسلم فلم تضره فقيل له انفه عنك والا أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فأتى المدينة وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأناخ راحلته بباب المسجد ودخل يصلي الى سارية فبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ممن الرجل قال من أهل اليمن قال ما فعل صاحبنا الذي أحرقه الكذاب قال أنا هو قال أنشدك الله أنت هو قال اللهم نعم فاعتنقه عمر رضي الله عنه ثم بكى وأتى به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما ثم قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا أدركت أمدادا خولان يقولون للامداد من بني عبس صاحبكم الكذاب أحرق صاحبنا بالنار فلم تضره ونقلة هذا الحديث مشهورون ومجراه مجرى الاستفاضة ثم ان مسيلمة حين ادعى النبوة صار يتكلم بالهذيان ليضاهي به القرآن فمن ذلك قوله قبحه الله لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا وصنع الاعين سجعا ومراده أن يكون على منوال سورة الكوثر فقال انا أعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل فاجر وفي رواية انا أعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر وفي رواية انا أعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر أن تحرص أو تكاثر

فظن اللعين المخذول أن الجواهر تعادل الكوثر لجهل اللغة مع أن الكوثر الخير الكثير فليت شعري ما الذي جاء به فإنه أخذ لفظ القرآن وحرف الكلم عن مواضعه وأبدل شانئك بمبغضك والكونه هو الفاجر أتى الفجور في لسانه وصرف عن الاتيان بمثله ولم يعرف المخذول انه محروم عن الوصول الى المطلوب فما أقبح هذا التسجيع الركيك الذي لا يساوي أقل كلام من كلام الفصحاء فضلا عن كلام رب العالمين ثم ان اللعين وضع عن قومه الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا ترغيبا لهم في اتباعه وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة ويدعي أنه مشارك له وهذا من سخافة عقله اذ النبي لا يبيح المحرمات وكانت دعوى مسيلمة النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لكن لم تظهر شوكته ولم تقع محاربته الا في زمن الصديق رضي الله عنه وكان مسيلمة أقوى أسباب الفتنة على بني حنيفة فجمع جموعا كثيرة ليقاتل بها الصحابة فجهز له الصديق رضي الله عنه جيشا أمر عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتل أصحاب مسيلمة ثم كان الفتح بقتل مسيلمة قتله عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري المازني وقيل عدي بن سهل وقيل أبو دجانة رضي الله عنه وقيل وحشي والاول أشهر ولعل عبد الله بن زيد هو الذي ضربه أولا وكمل عليه الآخرون وفي البخاري عن وحشي لما خرج مسيلمة قلت لأخرجن اليه لعلي أقتله فأكافئ به حمزة فخرجت مع الناس فاذا رجل قائم كأنه جمل أورق ثائر الرأس فرميته بحربتي فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه وضربه رجل من الانصار بالسيف على هامته وكان عمره حين قتل مائة وخمسين سنة وقال رجل من بني حنيفة يرثيه

لهفي عليك أبا ثمامه * لهفي على ركن اليمامه
كم آية لك فيهما * كالشمس تطلع من غمامه

قال السهيلي وكذب أي هذا القائل بل كانت آياته منكوسة ذكر بعضهم انه دعا لابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد أحدهما قد سقط في بئر والآخر أكله الذئب وتفل مرة في بئر فملح ماؤها ومسح رأس صبي فقرع قرعا فاحشا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿وفد طيء﴾ وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفد طيء وفيهم قبيصة بن الاسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك لخمسة أفراس كانت له وكان زيد أعظم قومه جودا وخلقا وأحسنهم وجها وشعرا وكان يركب الفرس الطويل العظيم فتخط رجلاه في الارض كأنه راكب حمارا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه الحمد لله الذي أتى بك من حزنك وسهلك وسهل قلبك للايمان ثم قبض على يده فقال من أنت فقال أنا زيد الخيل بن مهلهل أشهد أن لا اله الا الله وانك عبد الله ورسوله فقال له بل أنت زيد الخير وعرض الاسلام على من معه فأسلموا وحسن اسلامهم وقال صلى الله عليه وسلم في حق زيد الخيل ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ ما قيل فيه كل ما فيه وسماه زيد الخير وأجاز كل واحد منهم خمس أواق وأعطى زيد الخيل اثني عشر أوقية ونشا وأقطعه محلين من أرضه

وكتب

وكتب له بذلك كتابا ولما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى قومه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينجو زيد من حمى المدينة أى ما ينجو منها ففى أثناء الطريق
أصابته الحمى وفى لفظ قال له يا زيد تقتلك أم ملدم يعنى الحمى ولما مات أقام قبيصة بن الاسود
النائحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أقطعه
فيه محلين بأرضه فلما رأت امرأته الراحلة أضرمتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب وقيل ان
زيد الخير بقى الى خلافة عمر رضى الله عنه وانه لما ارتدت العرب عند موت النبى صلى الله عليه
وسلم ثبت على الاسلام وكتب الى أبى بكر بهذين البيتين

أمتخشين الله بيت أبى نصر * فقد قام بالامر الجلى أبو بكر
نجى رسول الله فى الغار وحده * وصاحبه الصديق فى معظم الامر

﴿وفد عدى بن حاتم الطائى رضى الله عنه﴾ قال عدى بن حاتم رضى الله عنه كنت امرأ شريفا
فى قومى آخذ الربع من الغنائم كما هو عادة سادات العرب فى الجاهلية فلما سمعت برسول الله
صلى الله عليه وسلم كرهته ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم حين سمع به منى فقلت لغلام كان راعيا لابلى لا أبا لك اعزل لى من ابلى اجمالا ذللا سمانا
فاحبسها قريبا منى فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذنى ثم انه أتانى ذات يوم فقال
يا عدى ما كنت صانعا اذا غشيتك محمد فاصنعه الآن فانى قد رأيت الرايات فسألت عنها فقالوا
هذه جيوش محمد فقلت له قرب لى أجمالى فقربها فاحتملت أهلى وولدى والتحقت بأهل دينى
من النصارى بالشأم وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر فأصيبت فيمن أصيب من الحاضر أى سبيت
فلما قدمت فى السبايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ رسول الله هربى الى الشأم منّ
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها وحملها وأعطاها نفقة وخرجت الى ان قدمت
على الشأم فوالله انى لقاعد فى أهلى اذ نظرت الى ظعينة تؤمنا فقلت ابنة حاتم فاذا هى هى فلما
وقفت على قالت القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت
أى أخية لا تقولى الا خيرا فوالله مالى من عذر ولقد صنعت ما ذكرت ثم نزلت وأقامت عندى
فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين فى أمر هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا
فان يكن نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فأنت أنت فقلت والله ان هذا للرأى قال
فخرجت حتى جئت المدينة فدخلت عليه فقال من الرجل فقلت عدى بن حاتم فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانطلق بى الى بيته فوالله انه لقائدنى اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة
فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقلت ما هذا بملك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى اذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أدم حشوها ليف فقدمها الى وقال اجلس على هذه
فقلت بل أنت فاجلس عليها قال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالارض فقلت والله ما هذا بأمر ملك ثم قال له ايه ايه يا عدى بن حاتم ألست من القوم الذين

لهم دين لانه كما تقدم كان نصرانيا فقلت بلى فقال ألم تكن تسير في قومك بالمرباع أى تأخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الاشراف من أخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة قلت بلى قال فان ذلك لم يكن يحل لك في دينك قلت أجل والله وعرفت انه نبي مرسل يعلم ما يجهل ثم قال لعلك ياعدى انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ماترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لايوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ماترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية وهي قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتى تزور البيت أى الكعبة لاتخاف ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال عدى وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وأيم الله لتكونن الثانية ليفيض المال حتى لايوجد من يأخذه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ وفد عروة المرادى ﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة مفارقا الملوك كندة وكان بين قومه مراد وبنى همدان قبيل الاسلام وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا في يوم يقال له الردم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أساءك ما أصاب قومك يوم الردم قال يارسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان ذلك لم يزد قومك في الاسلام الا خيرا واستعمله على مراد وبعث معه خالد بن سعيد ابن العاص رضى الله عنهم على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ وفد بنى زبيد ﴾ بضم الزاى وفتح الموحدة وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم عمرو ابن معدى كرب الزبيدى وكان فارس العرب مشهورا بالشجاعة شاعرا مجيدا قال لابن أخيه قيس المرادى انك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول انه نبي فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لايخفى عنك اذا لقيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فأسلم فلما بلغ ذلك قيسا توعد عمرا فقال عمرو في قيس أبياتا منها

فمن ذا عاذرى من ذى سفاه * يرد بنفسه شد المرادى
أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مرادى

أى وبعد موته صلى الله عليه وسلم أسلم قيس فليس له صحبة وقيل بل أسلم قبل موته صلى الله عليه وسلم فله صحبة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ وفد كندة ﴾ وكندة قبيلة باليمن ينسبون الى كندة لقب جدهم ثور بن عفير وله صلى الله عليه وسلم جدة منهم وهى أم جده كلاب وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثمانون من كندة وقيل ستون فيهم الاشعث بن قيس وكان وجيها مطاعا في قومه وهو أصغرهم فلما أرادوا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم سرحوا شعورهم وتكحلوا ولبسوا جبب الحبرة قد كففوها بالحرير فلما

دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أبيت اللعن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ملكا أنا محمد بن عبد الله قالوا لا نسميك باسمك قال أنا أبو القاسم فقالوا يا أبا القاسم انا خبأنا لك خبيئا فما هو وكانوا خبؤا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عين جرادة في ظرف سمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والكهانة والتكهن في النار فقالوا كيف نعلم انك رسول الله فأخذ كفا من حصباء فقال هذا يشهد أني رسول الله فسبح الحصى في يده فقالوا نشهد انك رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني بالحق وأنزل علي كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصافات صفا حتى بلغ ورب المشارق ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن بحيث لا يتحرك منه شيء ودموعه تجري على لحيته فقالوا انا نراك تبكي أمن مخافة من أرسلك قال خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك الآية ثم قال لهم ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير فعند ذلك شقوه وألقوه وأهل سهفهم جاوزت الحد الجائز شرعا وكان على النبي صلى الله عليه وسلم حين دخلوا عليه حلة يمانية يقال انها حلة ذي يزن وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مثلها وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم عليه وفد لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك وقال الاشعث بن قيس له صلى الله عليه وسلم نحن بنو آكلة المرار وأنت ابن آكلة المرار و يعنون جدته أم كلاب لما تقدم أنها من كندة وآكل المرار هو الحارث بن عمرو ولقب بذلك لا كله شجرا يقال له المرار في غزوة غزاها ولما قال له الاشعث ما ذكر قال صلى الله عليه وسلم لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا أي لا ننتسب الى الامهات ونترك النسب الى الآباء فقال الاشعث بن قيس يا معشر كندة والله لا أسمع رجلا يقولها الا ضربته ثمانين والاشعث هذا ممن ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى الاسلام في خلافة الصديق رضي الله عنه فانه حوصر وجيء به أسيرا فقال للصديق حين أراد قتله استبقني لحروبك وزوجني أختك فزوجه أخته أم فروة وعاد الى الاسلام فدخل سوق الابل بالمدينة واخترط سيفه فجعل لا يرى جملا الا عرقبه فصاح الناس كفر الاشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال والله ما كفرت الا ان الرجل يعني أبا بكر رضي الله عنه زوجني أخته ولو كنا ببلادنا كانت لي وليمة غير هذه ثم قال يا أهل المدينة انحروا وكلوا وأعطى أصحاب الابل أثمانها وقال صلى الله عليه وسلم للاشعث هل لك من ولد فقال لي غلام ولد عند مخرجي اليك لوددت أن لي به سبعة قال انهم لمجبنة مبخلة وانهم لقرة العين وثمرة الفؤاد وقد شهد الاشعث اليرموك بالشأم ثم القادسية وحروب العراق وسكن الكوفة وشهد صفين مع علي رضي الله عنه ومات بعد ذلك بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل مات سنة ثنتين وأربعين

﴿وفد أزد شنوءة﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الازد وفيهم صرد بن عبد

الله الازدي وكان أفضلهم فأمره على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة وهي مدينة بها قبائل اليمن فحاصرها المسلمون قريبا من شهر ثم رجعوا عنها حتى اذا كانوا بجبل يقال له شكر بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين فلما وصلوا ذلك المحل ظن أهل جرش أن المسلمين انما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا في طلبهم حتى اذا أدركوهم عطف المسلمون عليهم فقتلوهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان أي ينظران الاخبار فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال صلى الله عليه وسلم بأي بلاد الله شكر فقام الرجلان فقالا يارسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شأنه يارسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده الآن يعني قتل قومهم أطلق البدن عليهم على سبيل الاستعارة أو التشبيه البليغ والمعنى أن قومكم الذين هم كالبدن في عدم الادراك حيث لم يؤمنوا وحاربوا المسلمين ينحرون نحر البدن فجلس الرجلان الى أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما فقالا لهما ويحكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينعي لكما قومكما أي يخبر كما بموتهم فقوما اليه فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما فسألاه ذلك فقال اللهم ارفع عنهم ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا في اليوم والساعة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال ثم بعد ذلك وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفد جرش فأسلموا فقال لهم صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم أحسن الناس وجوها أنتم مني وأنا منكم وحمى لهم حول بلادهم

﴿وفادة رسول الحارث بن كلال وأصحابه﴾ وذلك أن الحارث بن كلال بضم الكاف والنعمان ومعافر بالفاء مكسورة وهمدان باسكان الميم وفتح الدال المهملة وهي قبيلة كتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلامهم فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو أما بعد فانه وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم أي رجوعنا من غزوة تبوك فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبي أرسل الى زرعة ذي يزن وفي رواية أبي زرعة بن سيف ذي يزن أن اذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلي وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا ولا تخونوا ولا تخاذلوا فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته انما هي زكاة يزكى

بها على فقراء المسلمين وابن السبيل والسلام عليكم ورحمة الله

﴿ وفادة رسول فروة بن عمرو الجذامي ﴾ وفد رسول فروة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره باسلامه وأهدى فروة له صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء يقال لها فضة وحمارا يقال له يعفور وفرسا يقال لها الظرب وثيابا وقباء مرصعا بالذهب فقبل صلى الله عليه وسلم الهدية وأعطى الرسول اثنتي عشرة أوقية من فضة وكان فروة عاملا للروم على مايليهم من العرب وكان منزله معان وماحولها من أرض الشام ومعان بفتح الميم وضمها اسم جبل فلما بلغ الروم اسلامه أخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه بعد أن قال له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك الى ملكك قال لا أفارق دين محمد فانك تعلم أن عيسى بشر به ولكنك تضن بملكك

﴿ وفد الحارث بن كعب ﴾

قد تقدم بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه اليهم فلما رجع أقبل وفدهم معه وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زيد بن حصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم الى قومهم الا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ وفد رفاعة بن زيد الخزاعي ﴾

بالخاء المعجمة والزاي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد اني بعثته الى قومه عامة ومن دخل منهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففي حزب الله ورسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا رضي الله عنهم

﴿ وفد همدان ﴾

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات بكسر الحاء ثياب مخططة من برود اليمن والعمائم العدنية نسبة الى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لان تبعا كان يحبس فيها أرباب الجرائم ووفدوا عليه على الرواحل المهرية والارحبية والمهرية نسبة الى قبيلة يقال لها مهرة باليمن والارحبية نسبة الى أرحب وصار مالك بن نمط يرتجز أي يقول الرجز بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

اليك جاوزنا سواد الريف * في هبوات الصيف والخريف * مخطمات بحبال الليف

ومن شعره

حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد

بأن رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذى العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد

وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وتقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث خالد ابن الوليد اليهم ثم بعث عليا رضى الله عنه وأمر خالدا بالرجوع وان من كان مع خالد ان شاء بقى مع على وان شاء رجع وأنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه خبر اسلامهم خر ساجدا ثم رفع رأسه ثم قال السلام على همدان وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحى همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد الاسلام

﴿وفد تجيب﴾

بضم المثناة فوق وهى قبيلة من كندة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأكرم مثواهم وقالوا يا رسول الله انا سقنا اليك حق الله فى أموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوها فاقسموها على فقرائكم قالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد الله به خيرا شرح صدره للدين وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة فيهم وأرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل لهم ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وملاقاتنا له وكلامنا اياه وما رد علينا ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه فأرسل اليهم بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم هل بقى منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا فقال أرسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أنا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتى قال وما حاجتك فقال يا رسول الله ان حاجتى ليست كحاجة أصحابى وان كانوا راغبين فى الاسلام والله ما أخرجنى الا أن تسأل الله أن يغفر لى ويرحمنى وأن يجعل غناى فى قلبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه فى قلبه وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد الله به خيرا جعل غناه فى نفسه وتقاه فى قلبه واذا أراد الله بعبد شرا جعل فقره بين عينيه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ثم انهم بعد ذلك وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فى الموسم الا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الغلام الذى أتانى معكم قالوا يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله انى لأرجو أن يموت جميعا فقال رجل منهم

أو ليس يموت الرجل جميعا قال صلى الله عليه وسلم تتشعب أهواؤه وهمومه فى أودية الدنيا فلعل
أجله أن يدركه فى بعض تلك الاودية فلا يبالى الله عز وجل فى أيها هلك قالوا فعاش ذلك الرجل
فينا على أفضل حال وأزهده فى الدنيا وأقنعه بما رزق فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورجع من رجع من أهل اليمن عن الاسلام قام فى قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم
أحد وجعل الصديق رضى الله عنه يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به فكتب الى زياد
ابن الوليد يوصيه به خيرا وكان زياد واليا على حضرموت

وفد بنى ثعلبة

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بنى ثعلبة مقرين
بالاسلام فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء قال بعضهم فرمى
ببصره الينا فاسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا وقلنا يا رسول الله انا رسل من خلفنا من
قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اسلام لمن
لا هجرة له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم ثم صلى بنا
الظهر ثم انصرف الى بيته فلم يلبث ان خرج الينا فدعانا فقال كيف بلادكم فقلنا مخصبون
فقال الحمد لله فأقنا أياما وضيافته تجرى علينا ثم لما جاؤا يودعونه قال لبلال أجزهم فأعطى
كل واحد منهم خمس أواقى فضة والا وقية أربعون درهما

وفد بنى سعد هذيم من قضاعة

عن النعمان رضى الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا فى نفر من قومى
وقد أوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد أى جعلها موطوءة قهرا وغلبة واستولى عليها
والناس صنفان اما داخل فى الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم
خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على جنازة
فى المسجد وهى سهيل بن بيضاء فقمنا خلفه ولم ندخل مع الناس فى صلاتهم وقلنا حتى يصلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الينا فدعانا فقال
ممن أنتم فقلنا من بنى سعد هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم فقلنا
يا رسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينما
أسلمتم فأنتم مسلمون قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم انصرفنا
الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبنا فأتى بنا اليه
فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال أصغر القوم
خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم له ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمنا فلما أردنا الانصراف أمر

بلالا فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام

﴿وفد بني فزارة﴾

وفد عليه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر رجلا من بني فزارة فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن وابن أخيه الحر بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون أي توالت عليهم السنون والجدب على ركائب عجاف أي هزال فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال رجل منهم أي وهو خارجة يارسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا أي ماحولنا وجاعت عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر ورفع يديه حتى رئي بياض ابطيه ودعا وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلادك غيثا مغيثا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لاسقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام أبو لبابة رضي الله عنه فقال يارسول الله ان التمر في المربد ثلاث مرات فقال عليه السلام اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره قال فلا والله مافي السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت السماء وقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فوالله مارأوا الشمس سبعا ثم قام الرجل يعني الذي سأله أن يستسقي لهم فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رئي بياض ابطيه فقال اللهم حوالينا ولا علينا على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب * وفي السيرة الحلبية ان هذا المطر كان عام المدينة وما حولها الى محل هؤلاء الوفد وأن أحاديث الاستسقاء تعددت وتكررت فهذه القصة غير قصة الاعرابي الذي سأله السقيا وهو صلى الله عليه وسلم على المنبر وقد أشار صاحب الهمزية الى قصة حصول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم حيث يقول

ودعا للانام اذ دهمتهم * سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة أيام عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعي والسقي وحيث العطاش توهى السقاء
وأتى الناس يشتكون أذاها * ورخاء يؤذي الانام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل في * وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم أثرى الثرى فقرت عيون * بقراها وأحييت أحياء
فترى الأرض غبة كسماء * أشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نور رباها البيضاء والحمراء

وحديث

وحديث الاعرابي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يخطب على المنبر يوم الجمعة اذ قام أعرابي فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قزعة فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابي أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال ادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيده الى ناحية من السماء الا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي شهرا فلم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود أي المطر الكثير وجاء في أحاديث أنه صلى الله عليه وسلم خرج مرة أخرى الى المصلى بعد أن وعد الناس يوما أن يخرج فيه ونصب له منبر واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر وجاء اليه مرة أعرابي فقال يارسول الله أتيناك ومالنا بعير يئط ولا صغير يغط ثم أنشد أبياتا منها قوله

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقوا ثم قال لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي فقال يارسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال صلى الله عليه وسلم أجل وفي رواية لما جاءه المسلمون وقالوا يارسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الاعلى وفي الركعة الثانية بالفاتحة وهل أتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط الى الخصب ثم جثا على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا واسعا طبقا مغدقا عاما هنيئا مريئا مريعا مربعا وابلا شاملا مجللا دائما دررا نافعا غير ضار عاجلا غير آجل اللهم غيثا تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم أنزل في أرضنا زينتها وأنزل علينا سكينتها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيي به بلدة ميتا وتسقيه مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا فما برحوا حتى أقبل قزع من السماء فالتأم بعضه الى بعض ثم أمطرت سبعة أيام بلياليهن لا يقلع عن المدينة فأتاه المسلمون وهو على المنبر فقالوا قد غرقت الارض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفه عنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على

رؤس الظراب ومنبت الشجر وبطون الاودية وظهور الآكام فتقشعت عن المدينة ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من الذي ينشدنا قوله فقام علي رضي الله عنه فقال يارسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال أجل فهذه الاحاديث كلها تدل على تعدد الاستسقاء وتكرره منه صلى الله عليه وسلم وفي كل مرة يسقون ففي ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم ثم أجاز صلى الله عليه وسلم بني فزارة بما يجيز به الوفود ورجعوا الى قومهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿وفد بني أسد﴾

وفد عليه صلى الله عليه وسلم جماعة من بني أسد منهم حضرمي بن عامر فدخلوا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم يارسول الله صلى الله عليك وسلم أنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله ثم أسلم الباقون وقالوا جئناك يارسول الله ولم تبعث الينا بعثا ونحن على من وراءنا وفي رواية ان حضرمي بن عامر قال أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء أي ذات قحط ولم تبعث الينا وفي رواية يارسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلتك العرب فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وسألوه عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من القيافة وهي زجر الطير والكهانة وهي الاخبار عن الكائنات في المستقبل فنهاهم عن ذلك فقالوا يارسول الله خصلة بقيت قال وما هي قالوا الخط أي خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه فقال علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم وفي رواية فمن وافق خطه خطه فذاك أي مباح له فلا يباح الا بتيقن الموافقة وفي شرح مسلم أن محصل مجموع كلام العلماء الاتفاق على النهي عنه أي لانه لا طريق لنا الى العلم اليقيني بالموافقة وكأنه صلى الله عليه وسلم قال لو علمتم موافقته لكن لا علم لكم بها وأقاموا أياما يتعلمون الفرائض ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم

﴿وفد بني عذرة﴾ قبيلة باليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من بني عذرة وسلموا اسلام الجاهلية أي من قولهم عم صباحا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القوم فقال قائل منهم نحن من بني عذرة أخو قصي لامه نحن الذين عضدوا قصيا وأزاحوا خزاعة وبني بكر من بطن مكة فلنا قرابات وأرحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم وأهلا ما أعرفني بكم أي لقيتم مكانا رحبا وأتيتم أهلا فاستأنسوا ولا تستوحشوا ثم قال فما منعكم من تحية الاسلام قالوا يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لانفسنا ولقومنا ثم قالوا الام تدعو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن

تشهدوا أني رسول الله الى كافة الناس فقال متكلمهم فما وراء ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات تحسن طهورهن وتصليهن لمواقيتهن فانه أفضل العمل ثم ذكر لهم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج فأسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ونهاهم عن سؤال الكاهنة لانهم قالوا له يارسول الله ان فينا امرأة كاهنة وقريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور فقال لا تسألوها عن شيء ونهاهم عن الذبائح التي كانوا يذبحونها لاصنامهم وقالوا نحن أعوانك وأنصارك ثم انصرفوا وقد أجيزوا وكسى أحدهم بردا

﴿وفد بلي﴾ على وزن علي مكبرا وهم حي من قضاعة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من بلي منهم وهو شيخهم أبو الضبيب تصغير الضب الدابة المعروفة فنزلوا على رويفع بن ثابت البلوي فقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هؤلاء قومي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وبقومك فأسلموا وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات منكم على غير الاسلام فهو في النار وفي رواية عن رويفع قال قدم وفد قومي فانزلتهم علي ثم خرجت بهم حتى انتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه فسلمنا فقال رويفع فقلت لبيك قال من هؤلاء قلت قومي قال مرحبا بك وبقومك قلت يارسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالاسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يهده للاسلام فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا قدمنا عليك لنصدقك ونشهد أنك نبي حق ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار وقال له أبو الضبيب يارسول الله ان لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك أجر قال نعم وكل معروف صنعته الى غني أو فقير فهو صدقة قال يارسول الله ما وقت الضيافة قال ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك أي يضيق عليك وفي لفظ فيؤثمك أي يعرضك للاثم بأن تتكلم بسيء القول قال يارسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الارض قال لك أو لأخيك أو للذئب قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجده صاحبه قال رويفع ثم قاموا فرجعوا الى منزلي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي منزلي يحمل تمرا فقال استعينوا بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره فأقاموا ثلاثة ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم ورجعوا الى بلادهم

﴿وفد بني مرة﴾

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا من بني مرة ورأسهم الحارث بن عوف

فقال يارسول الله انا قومك وعشيرتك نحن قوم من بني لؤي بن غالب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أين تركت أهلك قال بسلاح وماوالاها قال فكيف البلاد قال والله انا المسنتون وما في المال صوت يردده فادع الله لنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث فأقاموا أياما ثم أرادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم مودعين له فأمر بلالا أن يجيزهم فأجاز كل واحد بعشر أواق فضة وفضل الحارث بن عوف فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ورجعوا الى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا قومهم متى مطرتم فاذا هو ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخصبت بعد ذلك بلادهم

﴿وفد خولان﴾

وهي قبيلة من اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من خولان فقالوا يارسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله قد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها وحزون كفلوس جمع حزن وهو ماغلظ من الارض والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ماذكرتم من مسيركم الي فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة وأما قولكم زائرين لك فان من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة ثم سألهم عن صنم لخولان اسمه عم أنس كانوا يعبدونه فقالوا ابشر ابدلنا الله ما جئت به وقد بقيت منا بقايا شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى فقد كنا منه في غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم ما رأيتم من فتنته قالوا لقد أصابتنا سنة سنية حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لذلك الصنم قربانا في غداة واحدة وتركناها فأكلتها السباع ونحن أحوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا العشب يواري الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم وأنعامهم وحرثهم فقالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا آخر حجرا أي ناحية لله فاذا مالت الريح بالذي سميناه له أي لله جعلناه لعم أنس يعنون الصنم ولم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل عليه في ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وقالوا كنا نتحاكم اليه فيتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم وسألوه صلى الله عليه وسلم عن فرائض الدين فأخبرهم بها وأمرهم بالوفاء بالعهد وحسن الجوار لمن جاوروا وان لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة ثم ودعوه بعد أيام وأجازهم أي أعطى كل واحد اثنتي عشرة أوقية ونشا أي نصفا ورجعوا الى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا

صنمهم

صغهم المسمى عم أنس

﴿وفد بني محارب﴾

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من بني محارب وفيهم خزيمة بن سواد وكانوا أغلظ العرب وأشدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام عرضه نفسه على القبائل في المواسم يدعوهم الى الله تعالى فخلوا عنده يوما من الظهر الى العصر وأدام صلى الله عليه وسلم النظر لرجل منهم وقال له قد رأيتك يعني قبل هذا اليوم فقال له ذلك الرجل انك والله لقد رأيتني وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال يارسول الله ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الاسلام مني فأحمد الله الذي جاء بي حتى صدقت بك ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب بيد الله عز وجل فقال يارسول الله استغفر لي من مراجعتي اياك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يجب ماقبله من الكفر ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء وأجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى أهلهم

﴿وفد صداء﴾ وهم حي من عرب اليمن وفد عليه صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا من صداء وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم هيأ بعثا أربعمائة من المسلمين واستعمل عليهم قيس ابن سعد بن عبادة رضي الله عنه ودفع له لواء أبيض وراية سوداء وأمره أن يطأ ناحية اليمن التي كان فيها صداء فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم وعلم بالجيش فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله جئتك وافدا عمن ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد وخرج الصدائي الى قومه ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة يارسول الله دعهم ينزلون علي فنزلوا عليه فأعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا فرجعوا الى قومهم ففشا الاسلام فيهم فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة في حجة الوداع ويسمى ذلك الرجل الذي كان سببا في رد الجيش ومجيء الوفد زياد بن الحارث الصدائي وقال له صلى الله عليه وسلم يا أخا صداء انك لمطاع في قومك قال فقلت بل من الله عز وجل ومن رسوله وفي رواية بل الله هداهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أؤمرك عليهم فقلت بلى يارسول الله فكتب لي بذلك فقلت يارسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم قال نعم فكتب لي كتابا آخر قال زياد وكنت معه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وكنت رجلا قويا فلزمت غرزه أي ركابه وجعل أصحابه يتفرقون عنه فلما كان السحر قال أذن يا أخا صداء فأذنت على راحلتي ثم سرنا حتى نزلنا

فذهب لحاجته ثم رجع فقال يا أخا صداء هل معك ماء قلت معي شيء في أداوتي أي وهي اناء من جلد صغير وفي رواية الاشيء قليل لا يكفيك قال هاته فجئته به قال صب فصببت ما في الاداوة في القعب أي وهو القدح الكبير وجعل أصحابه يتلاحقون ثم وضع كفه على الاناء فرأيت من بين كل أصبعين عينا تفور ثم قال يا أخا صداء لولا أني أستحيي من ربي عز وجل لسقينا وأسقينا أي من غير نهاية ثم توضأ وقال أذن في أصحابي من كانت له حاجة بالوضوء بفتح الواو فليرد قال فورد الناس من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم قال فأقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا فلما سلم من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يا رسول الله انه آخذنا بكل شيء كان بيننا وبينه في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في الامارة لرجل مسلم ثم قام رجل آخر فقال يا رسول الله أعطني من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يكل قسمها الى ملك مقرب ولا نبي مرسل جزأها على ثمانية أجزاء فان كنت جزأ منها أعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هو صداع في الرأس وداء في البطن ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على رجل من قومك أستعمله فدللته على رجل منهم فاستعمله قلت يا رسول الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء كفانا ماؤها وان كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والاسلام اليوم فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولني سبع حصيات فناولته فعركهن بيده الشريفة ثم دفعهن الي وقال اذا انتهيت اليها فالق فيها حصاة حصاة وسم الله قال ففعلت فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة

﴿وفد غسان﴾ اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه ومنهم بنو حنيفة وقيل غسان قبيلة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا لا ندري هل يتبعنا قومنا أم لا لانهم يحبون بقاء ملكهم وقربهم من قيصر فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وانصرفوا راجعين الى قومهم فلما قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا اسلامهم

﴿وفد سلامان﴾ بفتح السين وتخفيف اللام وفي العرب بطون ثلاثة ينسبون اليه بطن من الازد وبطن من طيء وبطن من قضاعة ومنهم هؤلاء وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان فيهم خبيب بن عمرو السلاماني فأسلموا قال خبيب رضي الله عنه صادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد الى جنازة دعي اليها فقلنا السلام عليك يا رسول الله فقال وعليكم من أنتم قلنا نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الاسلام ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت الى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء قال خبيب قلت يا رسول الله ما أفضل الاعمال قال الصلاة في وقتها وصلوا معه يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا اليه جدب بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اللهم أسقهم الغيث في دارهم فقلت يا رسول الله ارفع يديك فانه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم

قام وفدنا معه وأقمنا ثلاثة أيام وضيافته تجرى علينا ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فاعطانا لكل واحد منا خمس أواق فضة واعتذر الينا بلال رضى الله عنه وقال ليس عندنا اليوم مال فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رحلنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت فى اليوم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿وفد بنى عبس﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من بنى عبس فقالوا يارسول الله قدم علينا قراؤنا فاخبرونا أنه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواش هى معاشنا فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا عن آخرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أى ينقصكم من أعمالكم شيئا وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فأخبروه بأنه لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان وقال انه نبى ضيعه قومه لكن ورد ليس بينى و بين عيسى نبى و يمكن الجمع بأن معنى هذا ليس بينى و بينه نبى مرسل فلا ينافى ان خالدا نبى غير مرسل

﴿وفد مزينة﴾

وهى قبيلة تنسب الى مزينة امرأة عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وروى البيهقى عن النعمان بن مقرن المزنى رضى الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة رجل وفى رواية غير النعمان ان فيهم رجالا من جهينة فلما أردنا أن ننصرف قال القوم يارسول الله مالنا من طعام نتزوده فقال ياعمر زود القوم قال ما عندى ما أزودهم به الا شئ من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعا قال انطلق فزودهم فانطلق بهم فأدخلهم منزله ثم أصعدهم الى علية قال عمر رضى الله عنه فلما دخلنا اذا فيها أمثال الجمل الاورق فأخذ القوم منه حاجتهم قال النعمان وكنت فى آخر من خرج فنظرت وما أفقد موضع تمرة من مكانها وفى هذا معجزة له صلى الله عليه وسلم فان التمر كان قليلا فزاد القليل حتى أخذوا منه كفايتهم واستمر على زيادته وفى رواية وقد احتمل منه أربعمائة وكأنا لم نرزأه أى ننقصه

﴿وفد الاشعريين﴾

قوم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه وهم منسوبون الى أشعر بن أدد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم قيل وكان معهم بعض أهل اليمن من حمير بن سبأ وفيهم اياس بن عمرو الحميرى فقالوا يارسول الله أتيناك لنتفقه فى الدين والمحققون على ان قدوم الاشعريين كان مع أبى موسى سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كان فى سنة تسع وهى سنة الوفود ولذا اجتمعوا مع بنى تميم وروى يزيد بن هارون عن حميد عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا فقدم الاشعريون فجعلوا يرتجزون قائلين

غدانلقى الاحبه * محمدا وحزبه * وروى الامام أحمد عن جبير بن مطعم رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب وهم خيار من فى الارض فقال رجل من الانصار إلا نحن فسكت صلى الله عليه وسلم ثم قال إلا نحن فسكت ثم قال إلا نحن يارسول الله قال إلا أنتم ولما اقوار سول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا وبايعوا فقال صلى الله عليه وسلم الاشعريون كصرة فيها مسك وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية والسكينة فى أهل الغنم والفخر والخيلاء فى الفدادين بالتشديد جمع فداد وهو من يعلو صوته وهم المكثرون من الابل أهل الوبر قبل مطلع الشمس وقوله الايمان يمان أى منسوب لاهل اليمن لان صفاء القلب ورقته ولين جوهره تؤدى الى عرفان الحق والتصديق به وهو الايمان والانقياد وقال أبو عبيدة وغيره معناه أن مبدأ الايمان من مكة لأن مكة من تهامة وتهامة من اليمن وقيل مكة والمدينة لصدور هذا الكلام من النبى صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك فتكون المدينة حينئذ بالنسبة الى المحل الذى هو فيه يمانية وقيل المراد الانصار لانهم يمنيون فى الاصل فنسب الايمان اليهم لكونهم أنصاره وقيل غير ذلك ومعنى الحديث وصف الذين جاؤا بقوة الايمان وكماله ولا مفهوم له فلا يدل على ان المخاطبين من الصحابة ليسوا كذلك ثم المراد الموجودون حينئذ منهم لا كل أهل اليمن فى كل زمان والحديث يشمل من ينسب الى اليمن بالسكنى وبالقبيلة فغالب من يوجد من جهة اليمن رقاق القلوب والابدان بخلاف أهل الشمال فانهم غلاظ القلوب والابدان وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما وعنا بهما ان نفرا من بنى تميم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا يابنى تميم فقالوا بشرتنا فأعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء نفر من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى اذلم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يارسول الله جئنا لنتفقه فى الدين ونسألك عن أول هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ وروى البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذ قال الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن نقية قلوبهم حسنة طاعتهم الايمان يمان والحكمة يمانية وروى الطبرانى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعيينة بن حصن أى الرجال خير قال أهل نجد قال كذبت بل هم أهل اليمن الايمان يمان الحديث والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿وفد دوس﴾ وهم قوم أبى هريرة رضى الله عنه ينتهى نسبهم الى الازد وكان قدومهم بخيبر سنة سبع قال ابن اسحاق كان الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها قبل الهجرة فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا كثير الضيافة فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين الرجل وزوجته

وانا نخشى عليك وعلى قومك ماقد دخل علينا من الكلام فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله
مازالوا بى حتى عزمت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت فى أذنى حين غدوت اليه كرسفا
أى قطنا فرقا من أن يبلغنى شئ فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى
عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبى الله الا أن يسمعنى بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت
واثكل أمى والله انى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى ان أسمع من هذا
الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت قال فمكثت حتى أتى
عليه الصلاة والسلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد ان قومك قد
قالوا لى كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفونى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لأجل أن لا أسمع
قولك ثم أبى الله الا أن يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فرد الله كيدهم فى نحورهم وقلب مكرهم
عليهم فاعرض على أمرك فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا على القرآن
قال فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق
وقلت يا رسول الله انى امرؤ مطاع فى قومى وانى راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله أن
يجعل لى آية فقال اللهم اجعل له آية وفى رواية اللهم اجعل له نورا قال الطفيل فخرجت
الى قومى حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر وقع نور بين عينى مثل المصباح فقلت اللهم
فى غير وجهى انى أخشى ان يقولوا انها مثلة وقعت فى وجهى لفراقى دينهم فوقع فى رأس
سوطى فكان يضىء كالقنديل فى الليلة المظلمة فكان الطفيل يسمى ذا النور فرأى قومه ذلك
النور وهو مقبل عليهم قال فلما أصبحت فيهم جاءنى أبى وكان شيخا كبيرا فقلت اليك عنى يا أبت
فلست منى ولست منك قال ولم يا بنى قلت أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قال يا بنى
فدينى دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال أعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل
وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فأسلم ثم أتتنى صاحبتى يعنى زوجته فقلت لها اليك عنى
فلست منى ولست منك قالت ولم قلت فرق الاسلام بينى وبينك أسلمت وتابعت محمدا قالت
فدينى دينك ثم أمرها فذهبت فاغتسلت وجاءت فعرض عليها الاسلام فاسلمت ثم دعا دوسا الى
الاسلام فأجابه أبو هريرة رضى الله عنه وأبطأ الباقون قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة وقلت يا رسول الله قد غلبنى على دوس الزنا أى حبهم له وعلمهم بانهم ان أسلموا منعوا منه فادع
الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اهد دوسا وائت بهم ثم قال ارجع الى قومك فادعهم الى
الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم أزل بأرض دوس ادعوهم الى الله حتى هاجر النبى صلى الله عليه
وسلم الى المدينة ثم قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين
بيتا وكانوا فى العدد أربعمائة ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فلما رآهم النبى صلى
الله عليه وسلم قال مرحبا بأحسن الناس وجوها وأطيبهم افواها أى كلاما وأعظمهم امانة
وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس

فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفارى فقرأ فى الركعة الاولى بسورة مريم وفى الاخيرة ويل للمطففين فلما قرأ اذا اكتالوا على الناس يستوفون قلت تركت عمى له مكيالان اذا اكتال اكتال بالاوفى واذا كال كال بالناقص فلما فرغنا من صلاتنا قال قائل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وهو قادم عليكم فقلت لا أسمع به فى مكان أبدا الا جئته فزودنا سباع وجئنا خيبر فنجده قد فتح النطاة وهو محاصر الكتيبة فأقمنا حتى فتح الله علينا فأسهم لنا مع المسلمين
ويروى ان الطفيل بن عمرو رضى الله عنه قال لم أزل مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا فتح الله عليه مكة قلت يارسول الله ابعثنى الى صنم عمرو بن حممة يعنى صنم دوس حتى أحرقه فبعثه فهدمه ثم أوقد النار عليه وهو يقول

ياذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا * انى حشوت النار فى فؤادكا

ثم رجع فكان مع المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى قبض فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين حتى فرغوا من قتال أهل الردة من أهل اليمامة وغيرهم وكان وهو متوجه الى اليمامة ومعه عمرو رأى رؤيا فقال لاصحابه انى رأيت رؤيا فاعبروها انى رأيت ان رأسى قد حلق وانه خرج من فمى طائر ولقيتنى امرأة فأدخلتنى فى فرجها وان ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عنى قالوا خيرا قال أما أنا والله فقد أولتها قالوا ماذا قال أما حلق رأسى فوضعه وأما الطائر الذى خرج من فمى فروحى وأما المرأة التى ادخلتنى فى فرجها فالارض تحفر لى فاغيب فيها وأما طلب ابنى اياى ثم حبسه عنى فانى أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابنى فاستشهد الطفيل باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ثم شفى منها ثم استشهد عام اليرموك زمن عمر رضى الله عنه وقال بعض أهل المغازى ان الطفيل استشهد باليرموك وجزم بهذا ابن حبان وقال موسى بن عقبة انه استشهد باجنادين وأخرج البغوى عن الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه قال اقرأنى أبى بن كعب القرآن فأهديت له فرسا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ وفد طارق بن عبد الله المحاربى رضى الله عنه ﴾ روى البيهقى عن جامع بن شداد المحاربى قال حدثنى رجل يقال له طارق بن عبد الله المحاربى قال انى لقائم بسوق ذى المجاز وكان على فرسخ من عرفة بناحية كبكب اذ أقبل رجل فسمعته وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وقد أدمى كعبيه يقول يا أيها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا قالوا غلام من بنى هاشم يزعم انه رسول الله قلت من هذا الذى يفعل به هذا الاذى قالوا عمه عبد العزى أبو لهب قال فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة وهى موضع معروف به قبر أبى ذر رضى الله عنه نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه فاذا رجل فى طمرين له فسلم وقال من اين أقبل القوم قلنا من الربذة قال وأين تريدون قلنا نريد المدينة قال ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال طارق بن عبد الله ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل أحمر مخطوم فقال أتبيعونى جملكم

هذا قلنا نعم بكذا وكذا صاعا من تمر فأخذ بخطام الجمل فانطلق به فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا فعرضناه للضياع قال طارق فقالت المرأة التي معنا والله لقد رأيت رجلا كان وجهه قطعة القمر ليلة البدر أنا ضامنة لثمن جملكم وفي رواية قالت الظعينة فلا تلاوموا أي لا يلم بعضكم بعضا لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيأ أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه فلما كان العشي أتانا رجل فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم هذا تمركم الذي بعتم به جملكم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا أي فلا تسامحوا في الكيل في مقابلة أكلكم قال فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد اذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا فان الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول أمك فأباك وأختك وأخاك وأدناك فأدناك فقام رجل من الانصار فقال يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلوا فلانا في الجاهلية فخذ لنا بثأرنا فرفع صلى الله عليه وسلم يده حتى رأيت بياض ابطه فقال لا تجني أم على ولد مرتين وأسلم القوم على يديه صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى أهلهم والله أعلم

﴿وفد بهراء﴾ بالمد قبيلة من قضاعة روى الواقدي عن كريمة بنت المقداد قالت سمعت أمي ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول قدم وفد بهراء من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلا فأقبلوا يقودون رواحلهم فلما انتهوا الى باب المقداد ونحن في منازل الانصار خرج اليهم المقداد فرحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس وهو تمر يعجن بسمن وأقط فأكلوا منها حتى نهلوا وردت القصعة وفيها شئ فجمع في قصعة صغيرة فأرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سدرة مولاة ضباعة وهو في بيت أم سلمة رضي الله عنها فأصاب منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا ثم قال اذهبي بما بقي الى ضيفكم فرجعت بها فأكل منها الضيف ما أقاموا أي مدة اقامتهم يرددون ذلك عليهم وما تنقص فجعلوا يقولون للمقداد يا أبا معبد انك لتنهلنا من أحب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا الا في الحين فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أكل منها وردها فان هذه بركة أصابعه عليه الصلاة والسلام فجعل القوم يقولون نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا وذلك الذي أراد صلى الله عليه وسلم فاظهروا الاسلام ونطقوا بالشهادتين وتعلموا الفرائض وأقاموا أياما ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر لهم بجوائز وانصرفوا الى أهلهم باليمن

﴿وفد غامد﴾ قبيلة من الأزد باليمن قدم عليه صلى الله عليه وسلم سنة عشر عشرة من غامد فنزلوا في بقيع الغرقد وفيه يومئذ أثل وطرفاء ثم انطلقوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وخلفوا أصغرهم في رحالهم فأقروا بالاسلام وسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكتب لهم كتابا فيه شرائع الاسلام وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم من خلفتم في رحالكم قالوا أحدثنا سنا قال

فانه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت فأخذ عيبة أحدكم فقال أحدهم مالأحد عيبة غيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذت وردّت الى موضعها فخرجوا حتى أتوا رحالهم فسألوا الذى عنده فقال فزعت من نومى ففقدت العيبة فقمت فى طلبها فاذا رجل كان قاعدا فثار يعدو منى فانتهيت الى حيث انتهى فاذا أثر حفر واذا هو قد غيب العيبة فاستخرجتها فقالوا نشهد انه رسول الله فانه قد أخبرنا خبرها وانها قد ردّت فرجعوا وأخبروه صلى الله عليه وسلم وجاء الغلام الذى خلفوه فأسلم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أبى بن كعب أن يعلمهم قرآنا ثم أجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى بلادهم

﴿وفد الازد﴾ قدم عليه صلى الله عليه وسلم قوم من الازد ينسبون الى جدهم الاعلى وهو الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان روى أبو نعيم عن سويد بن الحارث الازدى رضى الله عنه قال وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال ما أنتم أى ما صفتكم قلنا مؤمنون فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية فنحن عليها الا أن تكره شيأ منها فنتركه فقال صلى الله عليه وسلم ما الخمس التى أمرتكم بها رسلى أن تؤمنوا بها قلنا أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التى أمرتكم رسلى أن تعملوا بها قلنا أمرتنا أن نقول لا اله الا الله أى مع محمد رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا قال وما الخمس التى تخلقتم بها فى الجاهلية قلنا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمر القضاء والصدق فى مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء فقال صلى الله عليه وسلم حكماء علماء أى هم حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ثم قال وأنا أزيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون أى متصفين بالخمس عشرة التى ذكرتم فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فى شئ أنتم عنه غدا زائلون واتقوا الله الذى اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام وعملوا بها توفيقا من الله تعالى ببركته صلى الله عليه وسلم

﴿وفد بنى المنتفق﴾ وهى قبيلة من عامر بن صعصعة قدم عليه صلى الله عليه وسلم جماعة من بنى المنتفق وفيهم لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق قال فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة أى الصبح فقام فى الناس خطيبا فلما فرغ قلت يارسول الله علام نبايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن لا تشركوا بالله شيأ قال قلت يارسول الله وأن لنا ما بين المشرق والمغرب فقال تحل منها حيث شئت ولا يجنى عليك

الا نفسك فلما انصرفنا عنه قال انهم من أتقى الناس لله فى الدنيا والآخرة فقال له بعض أصحابه من هم يارسول الله قال بنو المنتفق قالها ثلاثا

﴿ وفد النخع ﴾ بفتح النون والخاء المعجمة قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفودهم سنة احدى عشرة فى النصف من المحرم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا رجل من النخع مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضى الله عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يارسول الله انى رأيت فى سفرى هذا عجبا وفى رواية رأيت رؤيا هالتنى قال وما رأيت قال رأيت أتانا تركتها فى الحى ولدت جديا أى وهو ولد المعز أسفع أحوى والاسفع الذى سواده مشرب بحمرة والاحوى الذى ليس شديد السواد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لك أمة مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك فقال يارسول الله فماله أسفع أحوى قال ادن منى فدنا منه فقال هل بك برص تكتمه قال فوالذى بعثك بالحق ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك قال هو ذلك قال يارسول الله ورأيت النعمان بن المنذر أى وهو ملك العرب وعليه قرطان والقرط ما يكون فى شحمة الاذن ودملجان بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها ومسكتان بفتح الميم والسين المهملة قال ذلك ملك العرب يرجع الى أحسن زيه وبهجته قال يارسول الله رأيت عجوزا شمطاء أى يخالط شعر رأسها الابيض شعر أسود خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمرو وهى تقول لظى لظى بصير وأعمى أطعمونى آكلكم وأهلكم ومالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون فى آخر الزمان قال يارسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس امامهم ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس أى يشتبكون فى الفتنة اشتباك أطباق الرأس وخالف رسول الله بين أصابعه يحسب المسىء فيها انه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل وفى رواية أحلى من شرب الماء وان مات ابنك أدركت الفتنة وان مت أنت أدركها ابنك قال يارسول الله ادع الله أنى لا أدركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تدركها فمات وبقى ابنه عمرو ولم يجتمع به صلى الله عليه وسلم فهو تابعى وكان ممن خلع عثمان رضى الله عنه وفى رواية أن النخع بعثوا رجلين أرطاة بن شرحبيل من بنى حارثة والارقم من بنى بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الاسلام فقبلاه فبايعاه على قومهما وأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما وحسن هيئتهما وقال لهما أحلفتما وراءكما من قومكما مثلكما قالا يارسول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا وكلهم يقطع الامر وينفذ من الاشياء ما يشاء فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير وقال اللهم بارك فى النخع وعقد لأرطاة لواء على قومه فكان فى يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ لكن قوله وكان فى يده يوم الفتح لا يناسب ما تقدم ان وفد النخع كان قدومه فى المحرم سنة احدى عشرة الا

أن يقال ان هذين وفدا قبل وفود النخع والله سبحانه وتعالى أعلم

باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم التي أرسلها الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام

أي في الغالب والا فبعضها ماليس كذلك ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يكتب للملوك قيل له يارسول الله انهم لا يقرؤن كتابا الا اذا كان مختوما أي ليكون في ذلك اشعار بأن الاحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه ان هذا واضح اذا كان الختم عليها بعد طيها ويجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك والظاهر أن ذلك لم يكن وحينئذ يكون الغرض من ذلك أمن التزوير لبعده مع الختم فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة أي بعد أن اتخذ خاتما من ذهب فاقتدى به ذوو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لبس أصحابه خواتيمهم فأخبره جبريل عليه السلام من الغد بأن لبس الذهب حرام على ذكور أمتك فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخاتم فطرح أصحابه خواتيمهم وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر والاسطر الثلاثة تقرأ من أسفل الى فوق محمد آخر الاسطر ورسول في الوسط والله فوق وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء اذا ختم بها فكان ذلك الخاتم في يده صلى الله عليه وسلم ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله عنهم حتى وقع في بئر أريس في السنة التي توفي فيها عثمان رضي الله عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه واختلفت الروايات في موضع الخاتم من يده صلى الله عليه وسلم فقيل في خنصر اليسار وهو المروي عن عامة الصحابة وقيل في خنصر اليمين وهو المروي عن طائفة منهم ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وجمع البغوي بأن النبي صلى الله عليه وسلم فعل كلا من الامرين تختم في يمينه وفي يساره لكن قال التختم في اليسار كان آخر الامرين وروى أشعب الطامع عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في اليمين قال الامام النووي التختم في اليمين أو اليسار كلاهما صح نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه في اليمين أفضل لانه زينة واليمين به أولى ونقل ابن أبي حاتم عن أبي زرعة أنه صلى الله عليه وسلم كان في يمينه أكثر منه في يساره وكان يجعل فصه مما يلي كفه وعند عزمه صلى الله عليه وسلم على ارسال الكتب وتكلمه مع أصحابه في ذلك خرج على أصحابه يوما فقال أيها الناس ان الله بعثني رحمة وكافة فأدوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلفت الحواريون على عيسى بن مريم فقال أصحابه وكيف اختلفت الحواريون على عيسى يارسول الله قال دعاهم لمثل ما دعوتكم له فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وأبى فشكا ذلك عيسى الى ربه فأصبحوا وكل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى قيصر

المدعو هرقل وهو ملك الروم وقيصر معناه البقير لانه بقر أي شق عنه لان أم قيصر ماتت

فى المخاض فشق عنه وأخرج فسمى قيصر وكان يفتخر بذلك و يقول لم أخرج من فرج
ثم صار قيصر اسما لكل من ملك الروم وكان ارسال الكتاب لقيصر سنة ست من الهجرة
بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية وكان وصوله اليه فى المحرم سنة سبع وكان
ارساله مع دحية الكلبى رضى الله عنه وأمره صلى الله عليه وسلم أن يدفع الكتاب الى
قيصر وكان صلى الله عليه وسلم قال قبل ذلك من ينطلق بكتابى هذا قيصر الى هرقل وله الجنة فقال
دحية أنا يارسول الله فأعطاه ذلك الكتاب وقيل انه صلى الله عليه وسلم أمر دحية رضى الله عنه
أن يدفعه الى عظيم بصرى وهو الحارث ملك غسان ليدفعه الى قيصر فلما انتهى دحية الى
الحارث أرسل معه عدى بن حاتم رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ليوصله الى قيصر فذهب به
اليه فقال قومه لدحية اذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك قال دحية
رضى الله عنه لا أفعل هذا أبدا ولا أسجد لغير الله تعالى قالوا اذا لا يؤخذ كتابك فقال له رجل
منهم أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له فقال دحية وما هو فقال ان له على كل عتبة
منبرا يجلس عليه فدع صحيفتك تجاه المنبر فان أحدا لا يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها
ففعل فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذى يقرأ
بالعربية ثم قال انظروا لنا من قومه أحدا نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه بالشام قبل
اسلامه أى كان بغزة مع رجال من قريش فى تجارة لهم زمن هدنة الحديبية وكان أول الهدنة
فى ذى القعدة سنة ست وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب لقيصر من تبوك فى السنة
التاسعة و جمع بينهما بأنه كتب لقيصر مرتين قال أبو سفيان فأتانا رسول قيصر وهو والى
شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه فى بيت المقدس فاذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم
حوله فقال لترجمانه أيهم أقرب نسبا لهذا الذى يزعم أنه نبى وفى رواية لهذا الرجل الذى
خرج بأرض العرب يزعم أنه نبى فقال أبو سفيان أنا أقربهم نسبا أى لانه لم يكن فى الركب
يومئذ من بنى عبد مناف غيره وعبد مناف هو الاب الرابع له صلى الله عليه وسلم وكذا لأبى
سفيان زاد فى رواية ما قرابتك منه قلت هو ابن عمى فقال لترجمانه ادنه منى ثم أمر بأصحابى
فجعلوا خلف ظهرى ثم قال لترجمانه قل لأصحابه انى قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل
الذى يزعم أنه نبى وانما جعلتكم خلف كتفيه لتردوا عليه الكذب ان قاله أى حتى لا تستحيوا
أن تشافهوه بالتكذيب اذا كذب قال أبو سفيان فوالله لولا الحياء يومئذ أن يأثروا على كذبا
لكذبت ولكنى استحييت فصدقت وأنا كاره وفى رواية لولا مخافة ان ينقلوا عنى الكذب
الى قومى و يتحدثوا به فى بلادى لكذبت عليه و به يعلم أن الكذب من القبائح جاهلية واسلاما
ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال قل له هل قال هذا
القول أحد منكم قبله قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أن يقول
ما قال قلت لا وفى رواية هل كان حلافا كذابا مخادعا لمتنه لا قال هل كان من آبائه ملك قلت لا

زاد في رواية كيف عقله ورأيه قال لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط قال فأشراف الناس يتبعونه أم
ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم والمراد بأشراف الناس أهل النخوة والتكبر فلا يرد مثل أبي بكر
وعمر وحمزة رضي الله عنهم ممن أسلم قبل هذا السؤال فانهم من ذوي الانساب الكريمة لكنهم
ليسوا من أهل النخوة والتكبر فجعلهم من الضعفاء بهذا الاعتبار وفي رواية عند ابن اسحاق
تبعه منا الضعفاء والمساكين والاحداث وأبي ذووا الانساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو
محمول على الاكثر الاغلب أي الاكثر والاغلب ان أتباعه الضعفاء قال فهل يزيدون أو ينقصون
قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه أي كراهية له وعدم رضى به بعد ان دخل
فيه قلت لا قال فهل يغدر اذا عاهد قلت لا ونحن الآن منه في ذمة ماندري ماهو فاعل فيها قال فهل
قاتلتموه قلت نعم قال فكيف حربكم وحربه قلت دول وسجال ندال عليه مرة أي كما في أحد
ويدال علينا الأخرى أي كما في بدر وقد تقدم في غزوة أحد ان أبا سفيان قال في يوم أحد يوم أحد
يوم بدر والحرب سجال أي نوب وفي لفظ قال أبو سفيان لقيه مرة علينا مرة يوم بدر وأنا غائب
ثم غزوتهم في بيوتهم نبقر البطون ونجدع الآذان والانوف والفروج وأشار بذلك ليوم أحد
قال فبما يأمركم به قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا وينهانا عما كان يعبد
آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف أي ترك المحارم وخوارم المروءة والوفاء بالعهد
واداء الامانة فقال لترجمانه قل له اني سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل
تبعث في نسب قومها وسألتك هل هذا القول قاله منكم أحد قبله فزعمت ان لا فلو كان أحد
منكم قال هذا القول قبله لقلت هو يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل أن يقول ماقال فزعمت ان لا فعرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله
وسألتك هل كان من آبائه ملك فقلت لا فقلت لو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه
وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل أي لان الغالب
ان أتباع الرسل أهل الخضوع والاستكانة لا أهل التجبر والاستكبار وسألتك هل يزيدون
أو ينقصون فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه
بعد ان يدخل فيه فزعمت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب أي اذا حصل به
انشراح الصدور وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان حربكم وحربه دول وسجال يدال عليكم مرة
وتدالون عليه أخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك ماذا يأمركم به فزعمت
أنه يأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد واداء الامانة وسألتك هل يغدر فذكرت
ان لا وكذلك الرسل لا تغدر لانها لا تطلب حظ الدنيا الذي لا يناله طالبه الا بالغدر فعلمت أنه
نبي وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه فيكم وان كان ماحدثتني به حقا فيوشك أي
يقرب أن يملك موضع قدمي هاتين وهذه الاشياء التي سأل عنها هرقل كانت مذكورة عنده
في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ثم قال قيصر ولو أعلم أني

أخلص اليه أى أصل لتجشمت أى تكلفت مع المشقة لقيه وفى رواية لا أستطيع أن أفعل ان فعلت ذهب ملكى وقتلنى الروم * قال الامام النووى ولا عذر له فى هذا لانه قد عرف صدق النبى صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك وطلب الرياسة وآثرها على الاسلام ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشى فانه لما أسلم ما زالت عنه الرياسة قال الحافظ ابن حجر لو تفطن هرقل لقوله صلى الله عليه وسلم فى الكتاب أسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه فى الدنيا والآخرة وأسلم اسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله ثم قال هرقل ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه أى مبالغة فى خدمته والتعبد له ولا أطلب منه ولاية ولا منصبا قال أبو سفيان ثم دعا قيصر بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرئ فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أى بالكلمة الداعية للاسلام وهى كلمة التوحيد أى أدعوك اليها أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أى لايمانك بعيسى ثم بمحمد عليهما الصلاة والسلام فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين أى الفلاحين فى القرى وفى رواية اثم الاكارين والاكار هو الفلاح والمراد اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لامرك وخص هؤلاء بالذكر لانهم أسرع انقيادا من غيرهم لان الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين والمراد عليك مع اثمك اثم رعاياك لانه اذا أسلم أسلموا واذا امتنع امتنعوا فهو متسبب فى عدم اسلامهم ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قال أبو سفيان فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم أى أصواتهم التى لا تفهم فلا أدرى ماقالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرجت أنا وأصحابى وخلصنا قلت لهم لقد أمر أمر ابن أبى كبشة أى عظم أمره هذا ملك بنى الاصفر يخافه فما زلت موقنا انه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام أى فأظهرت ذلك اليقين وفى رواية ما زلت مرعوبا من محمد حتى أسلمت وقوله ابن أبى كبشة قيل انه جد لآمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة وجاء فى رواية ان أبا سفيان قال لقيصر لما سأله هل تتهمونه بالكذب فقال لا ولكن سأخبرك عنه أيها الملك خبرا تعرف به أنه قد كذب قال وما هو قال يزعم أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فى ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا فى تلك الليلة قبل الصباح فقال بطريق أى قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر صدق أيها الملك أى فى انه جاء مسجدنا فنظر اليه قيصر وقال وما أعلمك بهذا قال انى كنت لا أنام ليلة ابدا حتى اغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبنى فاستعنت عليه بعمالى ومن يحضرنى فلم أستطع ان نحركه كانما نزاول جبلا فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا لا نستطيع ان نحركه حتى نصبح فلما أصبحت جئت المسجد فاذا الحجر الذى فى زاوية مثقوب

واذا فيه مربط الدابة فقلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة الا لهذا الامر فقال قيصر
لقومه يا قوم ألستم تعلمون ان بين يدي الساعة نبيا بشركم به عيسى بن مريم ترجون ان يجعله
الله فيكم قالوا بلى قال فان الله قد جعله في غيركم وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء ثم
أمر بانزال دحية واكرامه وجاء في رواية ان ابن أخي قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه
ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم أتى به يعني الكتاب فقال له والله انك لضعيف الرأي أترى
أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر وأحق ان يبدأ بنفسه ولقد صدق انا صاحب
الروم والله مالكي ومالكه وفي لفظ ان أخا قيصر لما سمع الترجمان يقرأ من محمد رسول الله الى
قيصر صاحب الروم ضرب في صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده وأراد ان
يقطعه فقال قيصر ما شأنك فقال تنظر في كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب
الروم وما ذكر ملك الروم فقال له قيصر انك أحمق صغير أو مجنون كبير أتريد ان امزق
كتابا قبل أن أنظر ما فيه ولعمري لئن كان رسول الله كما يقول فنفسه أحق ان يبدأ بها مني ولئن
سماني صاحب الروم فلقد صدق ما أنا الا صاحبهم ولا املكهم ولكن الله سخرهم لي ولو شاء
اسلطهم علي كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ولما جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر عن قيصر
قال ثبت ملكه وفي رواية سيكون لهم بقية وقد صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر
الحافظ ابن حجران الملك المنصور قلاوون أرسل بعض امرائه الى ملك المغرب بهدية فأرسل
ملك المغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبله واكرمه وقال له لأتحفنك بتحفة سنية ثم أخرج
صندوقا مصفحا بالذهب وأخرج منه قصبة من الذهب فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر
حروفه وقد ألصق عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن
وذكر لنا آباؤنا عن آبائهم انه ما زال هذا الكتاب عندنا لايزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية
الحفظ ونعظمه ونكتمه من النصارى ليدوم الملك فينا ولا ينافيه ما صح عنه صلى الله عليه وسلم
اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لان المراد اذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك
وملكهم لم يبق الا ببلاد الروم * روي ان قيصر لما ظهر على الفرس وأخرجهم من بلاده نذر ان
يأتي بيت المقدس ماشيا شكرا لله فلما أراد الذهاب الى بيت المقدس ماشيا بسطت له البسط
وطرح عليها الرياحين ولا زال يمشي على ذلك حتى وصل الى بيت المقدس فلما رجع الى حمص
كان له فيها قصر عظيم فأغلق أبوابه وأمر مناديا ينادي ألا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه
فدخلت الاجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله فأرسل اليهم اني أردت ان اختبر صلابتكم
في دينكم فقد رضيت فرضوا عنه والذي في البخاري ان قيصر لما سار الى حمص أذن لعظماء
الروم في دسكرة له ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد
وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد
أغلقت وقالوا أتدعونا أن نترك النصرانية ونصير عبيد الاعرابي فلما رأى نفرتهم وأيس من

اعيانهم قال ردوهم على وقال انى قلت مقالتى أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا
له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وأرسله مع دحية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول فيه انى مسلم ولكنى مغلوب وأرسل بهدية فلما قرأ صلى الله عليه وسلم الكتاب قال كذب
عدوّ الله ليس بمسلم وقبل هديته وقسمها بين المسلمين وفى صحيح ابن حبان عن أنس رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب اليه أيضا من تبوك يدعوه وانه قارب الاجابة ولم يجب والله
سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك فارس﴾ كتب اليه صلى الله عليه وسلم
كتابا وبعث به مع عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه لانه كان يتردد على كسرى كثيرا
وفى الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من
اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده
ورسوله أدعوك بدعاية الله فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول
على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس أى الذين هم أتباعك * قال عبد الله بن
حذافة رضى الله عنه فأتيت الى بابه وطلبت الاذن عليه حتى وصلت اليه فدفعت اليه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فأخذه فمزقه وفى رواية ان كسرى لما أعلم بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لحامل الكتاب أن يدخل عليه فلما وصل أمر كسرى
أن يقبض منه الكتاب فقال لا حتى أدفعه اليه كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كسرى ادنه فدنا فناوله الكتاب فدعا من يقرؤه فقرأه فاذا فيه من محمد رسول الله الى
كسرى عظيم فارس فأغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح ومزق
الكتاب قبل أن يعلم ما فيه وأمر باخراج حامل ذلك الكتاب فأخرج فلما رأى ذلك قعد على
راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث يطلب حامل الكتاب فلم يجده فلما وصل
اليه صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال صلى الله عليه وسلم مزق ملك كسرى وفى رواية مزق
الله ملكه وفى رواية اللهم مزق ملكه كل ممزق وكتب كسرى الى أميره باليمن يقال له باذان
انه بلغنى ان رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبى فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الى
برأسه يكتب الى بهذا الكتاب أى الذى بدأ فيه بنفسه وهو عبدى وفى رواية قال له ان لم تكفنى
رجلا خرج بأرضك يدعونى الى دينه والا فعلت فيك كذا يتوعده فابعث اليه رجلين جلدين
فليأتيا به فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبى صلى الله عليه وسلم مع قهرمانه وبعث معه رجلا
آخر من الفرس وبعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معهما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى فخرجا وقدما الطائف فوجدا رجلا
من قريش فى أرض الطائف فسألوه عنه فقال هو بالمدينة فلما قدما عليه المدينة قالا له
شاهنشاه ملك الملوك كسرى بعث الى الملك باذان أن يبعث اليك من يأتى بك وقد بعثنا اليك فان

أبيت أهلكك وأهلك قومك وخرب بلادك وكانا على زي الفرس من حلق لحاهم واعفاء شواربهم فكره صلى الله عليه وسلم النظر اليهما ثم قال لهما ويلكما من أمركما بهذا قالا أمرنا ربنا يعنيان كسرى فقال صلى الله عليه وسلم ولكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي ثم قال لهما ارجعا حتى تأتياني غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بأن الله سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا في ليلة كذا أي ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الاولى سنة سبع فلما كان الغد دعاهما وأخبرهما الخبر وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى باذان ان الله قد وعدني أن يقتل كسرى يوم كذا في شهر كذا فلما أتى باذان الكتاب توقف وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد ولده شيرويه قيل قتله ليلا بعد ما مضى من الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم في هذه الرواية مجرد الوقت وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لرسول باذان اذهب الى صاحبك وقل له ان ربي قد قتل ربك الليلة ثم جاء الخبر بأن كسرى قتل تلك الليلة فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فلما جاءه صلى الله عليه وسلم هلاك كسرى قال لعن الله كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لتفتحن عصابة من المسلمين أو من المؤمنين أو رهط من أمتي كنوز كسرى التي في القصر الابيض فكنت أنا وأبي فيهم وأصبنا من ذلك ألف درهم وقدم على باذان كتاب شيرويه فيه أما بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس فانه قتل أشرافهم فتفرق الناس فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه فبعث باذان باسلامه واسلام من معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الله المسلمين ملك كسرى وخزائنهم وأموالهم في خلافة عمر رضي الله عنه ومزقهم الله كل ممزق تحقيقا لدعوته صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للنجاشي ملك الحبشة﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه الى النجاشي سنة ست وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت أي أنت سالم لان اسلم يأتي بمعنى السلامة فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول أي المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها الطيبة الحصينة حملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى * فلما وصل اليه

الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم أسلم ودعا بحق من عاج وهو
عظم الفيل فجعل فيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا
الكتاب بين أظهرهم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى النجاشي مع عمرو بن أمية كتابين
يدعوه في أحدهما الى الاسلام وفي الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة فأخذ الكتابين
ووضعهما على رأسه وعينيه ونزل عن سريره تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكتب الجواب
للنبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة السلام
عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا اله الا هو الذي هداني للاسلام أما بعد فقد
بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى لا يزيد
على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه يعني جعفر بن أبي طالب
رضي الله عنه ومن معه من المسلمين فأشهد انك رسول صادق مصدق وقد بايعتك وبايعت ابن
عمك أي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأسلمت على يده لله رب العالمين وفي رواية وقد
بعثت اليك يا نبي الله وان شئت أتيتك بنفسي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم انه أرسل ابنه
في ستين نفسا في أثر من أرسلهم مع جعفر بن أبي طالب عند خروجه من عنده فلما كانوا
في وسط البحر غرق ابنه والستون الذين معه ووافى جعفر وأصحابه وكانوا سبعين وعند وصول
كتابه قال النبي صلى الله عليه وسلم اتركوا الحبشة ما تركوكم وفي رواية ان عمرو بن أمية
قال للنجاشي عند اعطائه الكتاب يا أصحمة ان علي القول وعليك الاستماع كأنك منا أي
في الرقة علينا وكأنا منك أي في الثقة بك لانا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه ولم نخفك على شرقط
الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من قبل الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك
توقع الجد واصابة الفصل والا فأنت في هذا النبي "الامي" كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق
النبي صلى الله عليه وسلم رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه
لخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشي أشهد بالله انه لانبي الذي ينتظره أهل الكتاب وان
بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وانه ليس الخبر كالعيان ولكن
أعواني من الحبشة قليل فأنظرني حتى أكثر الاعوان وألين القلوب وفي رواية ولو أستطيع
ان آتيه لأتيته وتوفي النجاشي سنة تسع وقيل سنة ثمان وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه فهذا النجاشي هو الذي أسلم وأكرم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأما النجاشي
الذي ولي الامر بعده فكان كافرا لم يعرف اسلامه ولا اسمه وجاء في بعض الروايات انه صلى الله
عليه وسلم كتب له حين كتب لقيصر وكسرى يدعوه الى الاسلام فقد روى البيهقي عن ابن اسحاق
قال هذا كتاب من النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى
وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا
عبده ورسوله وادعوك بدعاية الله فاني رسوله فأسلم تسلم يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء

بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فان أبيت فعليك اثم النصارى من قومك قال فى المواهب وقد خلط بعضهم فلم يميز بينهما أى بين النجاشيين فظنهما واحدا وفى صحيح مسلم مايدل على انهما اثنان فان فيه عن قتادة عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى والى قيصر والى النجاشى والى كل جبار يدعوهم الى الله وليس بالنجاشى الذى صلى عليه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمقوقس﴾

ومعناه المطوّل البناء وهو لقب لكل من ملك القبط وهم أهل مصر والاسكندرية وليسوا من بنى اسرائيل بعث صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبى بلتعة اللخمى رضى الله عنه الى المقوقس وذلك أنه صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابى هذا الى صاحب مصر وأجره على الله فوثب اليه حاطب وقال أنا يارسول الله قال بارك الله فيك ياحاطب فأخذت الكتاب وودعته صلى الله عليه وسلم وسرت الى منزلى وشددت على راحلتى وودعت أهلى وسرت وفى رواية أنه أرسل مع حاطب جبرا مولى أبى رهم الغفارى والكتاب مع حاطب وفيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله وفى رواية عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط أى الذين هم رعاياك ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ثم ان حاطبا رضى الله عنه سار بالكتاب حتى قدم على المقوقس بالاسكندرية بعد أن ذهب الى مصر فلم يجده فذهب الى الاسكندرية فأخبر أنه فى مجلس مشرف على البحر فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جىء به اليه نظر الى الكتاب وفضه وقرأه وقال لحاطب مامنعه ان كان نبيا أن يدعو على من خالفه من قومه وأخرجه من بلده الى غيرها فقال له حاطب ألست تشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله فماله حيث أذاه قومه وأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه اليه قال أحسنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب انه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الاعلى يعنى فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك ان هذا النبى صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمرى مابشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم ومادعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبى أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه

فأنت ممن أدرك هذا النبي واستنا نهاك عن دين المسيح واسكتا تأمرك به فقال انى قد نظرت فى أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه أى بل يأمر بما تفرح وترغب فيه القلوب النيرة والعقول السليمة و ينهى عما ترغب عنه ولم أجده بالساحر الضار ولا بالكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبأ أى الشئ الغائب والاخبار بالنجوى أى يخبر بالمغيبات وسأنظر وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم و جعله فى حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ودعا كاتباله يكتب بالعربية فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا اليه وقد علمت أن نبيا قد بقى وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك أى فانه دفع له مائة دينار وخمسة أثواب و بعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم فى القبط وهما مارية وسيرين و بثياب وهى عشرون ثوبا من قباطى مصر وفى رواية وأرسل له عمائم وقباطى وطيبا وعودا وندا ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير فكان صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ثم قال وأهديت لك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد على ذلك ولم يسلم وفى رواية أنه أهدى له مع الجاريتين جارية أخرى اسمها قيس وهى أخت مارية وفى رواية ذكر جارية رابعة اسمها بريرة وكانت سوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم اهدى واحدة من تلك الجوارى لابى جهم بن حذيفة العدوى وهى أم ابنه زكريا الذى كان خليفة عمرو بن العاص رضى الله عنه على مصر وأهدى صلى الله عليه وسلم أخرى لحسان بن ثابت رضى الله عنه وهى أم عبد الرحمن بن حسان وفى رواية أن المقوقس أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مع الجوارى غلاما أسود خصيا يقال له مأبور وفى رواية أنه أهدى مع البغلة حمارا أشهب يقال له يعفور وأما البغلة فتسمى الدلدل وكانت شهباء ولم يكن يومئذ فى العرب بغلة غيرها وأهدى له فرسا وهو اللزاز ففى رواية أن المقوقس قال لحاطب ما الذى يحب صاحبك من الخيل فقال له حاطب الاشقر وقد ترك عنده فرسا يقال له المرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه الميمون وأهدى له عسلا من عسل بنها بكسر الموحدة قرية من قرى مصر فأعجب به صلى الله عليه وسلم ودعا فى عسل بنها بالبركة ولما أكل منه قال ان كان عسلكم أشرف فهذا أحلى وأهدى له مربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والسواك ومكحلة من عيدان شامية ومرآة ومشطا وفى رواية أنه أرسل مع الهدية طبيبا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع ثم ان المقوقس قال لحاطب ارجع الى صاحبك وارحل من عندى ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا قال حاطب فرحلت من عنده و بعث معى جيشا يحرسنى الى أن دخلت جزيرة العرب و وجدت قافلة من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفقت بالقافلة وفى بعض كتب السير أن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه وفد على المقوقس ومعه رهط من ثقيف وكان ذلك قبل

اسلام المغيرة فلما دخلوا على المقوقس قال ما صنعتم فيما دعاكم اليه محمد قالوا ما تبعه منا رجل واحد قال كيف صنع قومه قالوا اتبعه أحداثهم وقد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة قال فالى ماذا يدعو قالوا الى أن نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ويدعوا الى الصلاة والزكاة وصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزنا والربا والخمر فقال المقوقس هذا نبي مرسل الى الناس كافة ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه وقد أمرهم بذلك عيسى وهذا الذي تصفون منه نعت الانبياء من قبله وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ويظهر دينه الى منتهى الخف والحافر فقالت ثقيف لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا معه فهز المقوقس رأسه وقال أنتم في اللعب ثم سأله عن أشياء مثل سؤال هرقل لابي سفيان ثم قال لهم ما فعلت يهود يثرب قلنا خالفوه فأوقع بهم فقال هم حسدا ما انهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف وذكر الواقدي وابن ابي الحكم من طريق أبان بن صالح قال أرسل المقوقس الى حاطب أي حين جاءه بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أسالك عن ثلاث فقال لا تسألني عن شيء الا صدقتك قال الام يدعو محمد قلت الى أن يعبد الله وحده ويأمر بخمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم الى أن قال صفه لي فوصفته فأوجزت قال بقيت أشياء لم تذكرها أفي عينيه حمرة قلت ما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة ويركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت أعلم أن نبيا قد بقي وكنت أظن أن مخرجه من الشام وهناك كانت تخرج الانبياء قبله فاراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعني على اتباعه وأنا أضن بملكي أن أفارقه وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهر على ما ههنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا ولا أحب أن تعلم بمحاورتي اياك أحدا قال حاطب رضي الله عنه فذكرت قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه فكان كما قال ولم يزد على هذا ولم يسلم بل استمر على نصرانيته حتى فتح المسلمون منه مصر في خلافة عمر رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى التميمي﴾

وكان بالبحرين بعث صلى الله عليه وسلم اليه العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ومعه كتاب يدعوه فيه الى الاسلام * قال في شرح المواهب ولم أر أحدا ذكر لفظ ذلك الكتاب فلما وصل اليه الكتاب آمن وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه وبأرضي يهود ومجوس أي باقين على كفرهم فأحدث الي أمرك في ذلك فكتب اليه في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى

سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله
أما بعد فانى أذكرك الله فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وأنه من يطع رسلى و يتبع أمرهم
فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وان رسلى قد أثنوا عليك خيرا أى من قبولك للحق
وانقيادك للايمان وانى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه أى من مال وزوجات
أربع يحل نكاحهن وعفوت عن أهل الذنوب أى المتقدمة منهم فى الكفر وانك مهما تصلح
فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية وجاء فى رواية أنه كتب
اليه أن افرض على كل رجل ليس له أرض أربعة دراهم وعباءة وفى رواية كتب اليه أن
اعرض عليهم الاسلام فان أبوا أخذت منهم الجزية على أن لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم
وذكر السهيلى فى الروض أن العلاء لما قدم على المنذر قال له يا منذر انك عظيم العقل فى الدنيا
فلا تقصرن من الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب
ينكحون ما يستحيا من نكاحه و يأكلون ما يتكرم عن أكله و يعبدون فى الدنيا نارا تأكلهم
يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأى فانظر هل ينبغى لمن لا يكذب أن لا تصدقه ولمن لا يخون
أن لا تأمنه ولمن لا يخلف أن لا تثق به فان كان هكذا فهذا هو النبى الامى الذى والله لا يستطيع
ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به أو ليته زاد فى عفوه أو نقص من
عقابه اذ كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر فقال المنذر قد نظرت فى هذا
الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت فى دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعنى من
قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله و عجبت اليوم ممن يرده
وان من اعظام ما جاء به أن يعظم رسوله وسأنظر أى سأنظر فيما أصنع من الذهاب اليه أو مكاتبته
وروى الطبرانى وابن قانع عن سليمان بن نافع العبدى عن أبيه قال وفد المنذر بن ساوى من
البحرين ومعه ناس وأنا معهم أمسك جمالهم فذهبوا بسلاحهم فسلموا على النبى صلى الله عليه
وسلم و وضع المنذر سلاحه ولبس ثيابا كانت معه ومسح لحيته بدهن فأتى نبى الله صلى الله عليه
وسلم وأنا مع الجمال أنظر الى نبى الله صلى الله عليه وسلم قال المنذر قال لى النبى صلى الله
عليه وسلم رأيت منك ما لم أر من أصحابك فقلت أشئ جبلت عليه أو أحدثته قال لا بل جبلت
عليه فأسلموا انتهى قال بعض أهل السير ان ذلك اشتباه وان هذا الوفد معروف للأشج واسمه
المنذر بن عائذ وان المنذر بن ساوى لم تعرف له وفادة وذكر أبو جعفر الطبرى أن المنذر بن
ساوى مات بالقرب من وفاته صلى الله عليه وسلم وكان قد قدم عليه عمرو بن العاص رضى الله عنه
وحضر وفاته فقال المنذر لعمرو كم جعل صلى الله عليه وسلم للميت من ماله عند الموت فقال الثلث
قال فما ترى أن أصنع فى ثلث مالى قال ان شئت قسمته فى سبيل الخير وان شئت جعلت غلته
تجرى بعدك على من شئت قال ما أحب أن أجعل شيئا من مالى كالسائبة ولكنى أقسمه
والله سبحانه وتعالى

﴿ ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملكي عمان ﴾

بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة باليمن سميت باسم عمان بن سبا وأما عمان بفتح العين وشد الميم فبلدة بالشام وليست مرادة هنا روى مسلم عن أبي برزة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا الى قوم فسبوه وضربوه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك وروى الامام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لأعلم أرضا يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحر لو أتاهم رسولي مارموه بسهم ولا بحجر وكان بعث كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملكي عمان في ذي القعدة سنة ثمان مع عمرو بن العاص رضي الله عنه وكتب له فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر وعبد ابني الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما أن تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وكتب الكتاب أبي بن كعب وختمه صلى الله عليه وسلم قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا فقلت انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى أخيك بهذا الكتاب أي وبالدعاء الى ماتضمنه من الايمان فقال عبد أخي جيفر هو المقدم علي بالسن والملك وأنا أوصلك اليه حتى تقرأ كتابك عليه ثم قال وماتدعوا اليه قلت أدعوك الى عبادة الله وحده لاشريك له وأن تخلع ماعبد من دونه وأن تشهد أن محمدا عبده ورسوله قال ياعمرو انك كنت ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فان لنا فيه قدوة قلت لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام فسألني أين كان اسلامك قلت عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم قال كيف صنع قومه بملكه قلت أقروه واتبعوه قال والاساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم فاستعظم وقوع ذلك فقال انظر ياعمرو ماتقول فانه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب قلت وما كذبت وما نستحله في ديننا ثم قال ماأرى هرقل علم باسلامه أي النجاشي قلت بلى قال بأي شئ علمت ذلك قلت كان النجاشي يخرج له خراجا فلما أسلم وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله ولو سألني درهما واحدا ماأعطيته فبلغ هرقل قوله فقال أخوه أتدع عبدك لايخرج لك خراجا ويدين دينا محدثا فقال هرقل رجل رغب في دين واختاره لنفسه ماأصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال انظر ماتقول ياعمرو قلت والله صدقتك قال عبد فاخبرني ماالذي يأمر به وينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال ماأحسن هذا الذي يدعو اليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا

حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن أي أبخل بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا أي
طرفا وتابعا بعد ان كان رأسا ومتبوعا قلت ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه
يأخذ الصدقات من غنيهم ويردها على فقرائهم قال ان هذا الخلق حسن أي لما فيه من مواساة
الفقراء قال وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات
في الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر
وترد المياه قلت نعم قال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا قال فمكثت
ببابه أياما وهو يصل الى أخيه فيخبره كل خبري ثم انه دعاني يوما لادخل معه على أخيه فدخلت
عليه فأخذ أعوانه بضبعي فقال دعوه فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس على عادة ملوك
العجم في أن رسول شخص ولو ملكا لا يجلس عند الملك فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت
اليه الكتاب مختوما ففض ختمه فقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته
الا اني رأيت أخاه أرق منه فقال جيفر ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما
راغب في الدين واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه
على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا في ضلال فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه
الحرجة وهي الشجر الملتف والمراد التجوز وان لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك
أي جماعتك فأسلم تسلم ويستعملك على قومك فتبقى على ملكك مع الاسلام ولا تدخل عليك الخيل
والرجال وفي هذا مع سعادة الدارين راحة من القتال وفي هذا دليل على قوة نفس عمرو رضي الله
عنه وشدة شكيمته حيث خاطبه بهذا الخطاب وأنذره بالحرب والهلاك في محل ملكه بحضرة
أعوانه مع انه واقف بين يديه لم يتمكن من الجلوس ومع ذلك حمى الله رسول نبيه ببركته صلى الله
عليه وسلم فلم يؤذه جيفر ولا بكلمة بل خاطبه باللين حيث قال دعني يومي هذا وارجع الي
غدا قال عمرو فرجعت الى أخيه فقال يا عمرو اني أرجو أن يسلم أخي ان لم يضن بملكه حتى اذا
كان الغد أتيت اليه فأبى أن يأذن لي فانصرفت الى أخيه فأخبرته اني لم أصل اليه فأوصلني اليه
فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ
خيله ههنا أي لبعد الدار وان بلغت خيله ههنا وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى قال عمرو
قلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فقال له ما نحن فيما ظهر عليه وكل من
أرسل اليه أجابه فأصبح فأرسل الي فأجاب للاسلام هو وأخوه جميعا وصدقا النبي صلى الله عليه
وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا عونا على من خالفني وأسلم معهما
خلق كثير ووضعت الجزية على من لم يسلم قال بعضهم ثم ان عمرا لم يزل بعمان حتى توفي النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابن سعد ولعل اقامته كانت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه
أو با[illegible] منها ذلك أو باجتهاد حتى جمع الصدقة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر [illegible] صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن علي الحنفي﴾

صاحب اليمامة وهي بلاد بالشرق كثيرة النخيل على نحو ست عشرة مرحلة من مكة كتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن على الحنفي وأرسل الكتاب مع سليط بن عمرو العامري رضي الله عنه وكان ممن أسلم قديما وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد بدرا وغيرها واستشهد باليمامة في قتال أهل الردة وفي الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما أنزله وحياه وقرأ عليه الكتاب فرد ردا فيه لطف قال السهيلي وقال له سليط ياهوذة انك سودتك أعظم حائلة أي بالية وأرواح في النار وانما السيد من متع بالايمان ثم زود بالتقوى ان قوما سعدوا برأيك فلا يشقون به واني آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهي عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك من عبادة الشيطان فان في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت وان أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطلع فقال هوذة ياسليط سودني من لو سودك شرفت به وقد كان لي رأي أختبر به الامور ففقدته فوضعه من قلبي هواء فاجعل لي فسحة يرجع الى فيها رأيي فأجيبك به ان شاء الله وذكر الواقدي أن أركون دمشق الرومي من عظماء النصارى كان عند هوذة فقال له هوذة جاءني كتاب من النبي يدعوني الى الاسلام فلم أجبه فقال الاركون لم لا تجيبه قال ضننت بديني وأنا ملك قومي ولئن تبعته لن أملك قال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخير لك في اتباعه وانه للنبي العربي الذي بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وانه لمكتوب عندنا في الانجيل محمد رسول الله وأركون هذا أسلم على يد خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ثم ان هوذة كتب للنبي صلى الله عليه وسلم جواب كتابه وقال فيه ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر أتبعك وكانه أراد الشركة في النبوة أو الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم وأجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر فقدم بكتابه على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبره فلما قرأ الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم قال لو سألني سيابة من الارض أي قطعة منها ما فعلت باد وباد ما في يديه أي هلك وهو خبر أو دعاء فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بأن هوذة قد مات على كفره فقال صلى الله عليه وسلم أما ان اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي فكان كذلك فظهر بها مسيلمة لعنه الله وقتل وفي رواية فقال قائل يارسول الله من يقتله قال أنت وأصحابك قال بعضهم والظاهر أن المخاطب من الذين اشتركوا في قتله أو هو خالد بن الوليد أي فانه رضي الله عنه كان أمير الجيش الذي قاتل مسيلمة لعنه الله والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن أبي شمر الغساني﴾

وكان أميرا بدمشق من جهة قيصر وكانت اقامته بغوطتها وهي ... بالشام كثيرة الماء والشجر

و بعث صلى الله عليه وسلم اليه شجاع بن وهب الاسدى من أسد بن خزيمة رضى الله عنه وكان من السابقين الاولين واستشهد باليمامة ومعه كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن أبى شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق فانى أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وختم الكتاب قال شجاع فانتهيت فوجدته مشغولا بتهيئة الضيافة لقيصر وقد جاء من حمص الى ايليا حيث كشف الله عنه جنود فارس شكرا لله تعالى قال شجاع فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حاجبه لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه يسألنى عنه صلى الله عليه وسلم وما يدعو اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول انى قرأت فى الانجيل وأجد صفته هذا النبى بعينه وكنت أظنه يخرج بالشام فأراه خرج بأرض القرظ فأنا أومن به وأصدقه وأنا أخاف من الحارث بن أبى شمر أن يقتلنى وكان هذا الحاجب رومياً اسمه مرى قال شجاع وكان يكرمنى و يحسن ضيافتى و يخبرنى باليأس من الحارث و يقول هو يخاف قيصر قال فخرج الحارث يوما فوضع التاج على رأسه فأذن لى عليه فدفعت اليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال من ينتزع منى ملكى أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته على بالناس فلم يزل جالسا حتى الليل وأمر بالخيل أن تنعل ثم قال أخبر صاحبك بما ترى وكتب الى قيصر يخبره بخبرى فصادف قيصر بايليا وعنده دحية رضى الله عنه وقد بعثه صلى الله عليه وسلم فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب اليه أن لا تسر اليه واله عنه و وافنى بايليا قال و رجع اليه جوابه وأنا مقيم فدعانى وقال متى تريد أن تخرج الى صاحبك قلت غدا فأمر لى بمائة مثقال ذهبا و وصلى حاجبه مرى بنفقة وكسوة وقال اقرأ على رسول الله منى السلام وأخبره بأنى متبع دينه فقدمت فأخبرته صلى الله عليه وسلم بخبر الحارث فقال باد ملكه وأقرأته من مرى السلام وأخبرته بما قال فقال صلى الله عليه وسلم صدق وفى كلام بعض أهل السير أن الحارث أسلم ولكن قال أخاف أن أظهر اسلامى فيقتلنى قيصر وذكر ابن هشام وغيره أن شجاع بن وهب انما توجه الى جبلة بن الايهم و يقال أرسل الى الحارث والى جبلة وأن شجاعا قال له يا جبلة ان قومك يعنى الانصار نقلوا هذا النبى الامى من داره الى دارهم فآووه ومنعوه ونصروه وان هذا الدين الذى أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس فان أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع والاذان بالناقوس والجمع بالشعانين وكان ما عند الله خيرا وأبقى فقال جبلة والله انى لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبى اجتماعهم على من خلق السموات والارض وقد سرنى اجتماع قومى به وقد دعانى قيصر الى قتال أصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه ولكنى لست أرى حقا رلا باطلا وسأنظر * وذكر بعضهم أنه أسلم خفية ورد جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه باسلامه وأرسل له

هدية وكان ثابتا على اسلامه لزمن خلافة عمر رضى الله عنه فكتب الى عمر رضى الله عنه يستأذنه
فى القدوم عليه فسر عمر رضى الله عنه بذلك وأذن له فخرج فى خمسين ومائتين من أهل بيته حتى
اذا قارب المدينة عمد الى أصحابه فحملهم على الخيل وقلدها قلائد الفضة والذهب وألبسها الديباج
والحرير ووضع تاجه على رأسه فلم تبق بكر ولا عاتق الا خرجت تنظر اليه والى زيه وزينته فلما
دخل على عمر رضى الله عنه رحب به وأدنى مجلسه وأقام عنده بالمدينة مكرما فخرج عمر حاجا
فخرج معه وحين أطوف بالبيت وطئ رجل من فزارة ازاره فغضب فلطم الفزارى لطمة هشم
بها أنفه وكسر ثناياه وفى رواية فقأ عينه فشكى الفزارى الى عمر رضى الله عنه فاستدعاه وقال
له لم هشمت انفه أو قال له لم فقأت عينه فقال يا أمير المؤمنين وطئ على ازارى ولولا حرمة البيت
لضربت عنقه بالسيف فقال له عمر رضى الله عنه أما أنت فقد أقررت اما أن ترضيه والا أقدته
منك وفى رواية قال والحكم اما بالعفو أو بالقصاص فقال جبلة فيصنع بى ماذا قال مثل
ما صنعت به فقال أتقتص له منى سواء وأنا ملك وهذا سوقى فقال له عمر رضى الله عنه الاسلام
سوى بينكما ولا فضل لك عليه الا بالتقوى قال ان كنت أنا وهذا الرجل فى الدين سواء فانا
أتنصر فانى كنت يا أمير المؤمنين أظن انى أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية فقال له عمر
رضى الله عنه اذا تنصرت أضرب عنقك قال أمهلنى لليلة حتى أنظر فى أمرى قال ذلك الى
خصمك فقال الرجل أمهلته يا أمير المؤمنين فأذن له عمر فى الانصراف ثم ركب فى بنى عمه وهرب
الى قسطنطينية فدخل على هرقل وتنصر هناك وكان مع الروم فى قتالهم المسلمين حتى هلك على
النصرانية وقيل عاد الى الاسلام ومات مسلما ولم يصح وكان جبلة رجلا طوالا طوله اثنا عشر شبرا
وكان يمسح الارض برجله وهو راكب فسر هرقل به وزوجه ابنته وقاسمه ملكه وجعله من
سماره وجعل له مدينة بين طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه قيل فيها قبر ابراهيم بن أدهم
والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى بنى نهد﴾

وهم قبيلة باليمن كانوا يتكلمون بألفاظ غريبة وحشية لا تعرفها أكثر العرب وكان صلى الله
عليه وسلم يخاطب كل قوم ويكلمهم بلغتهم وذلك من أنواع بلاغته صلى الله عليه وسلم فكان
يتكلم مع كل ذى لغة غريبة بلغته ومع كل ذى لغة بليغة بلغته اتساعا فى الفصاحة واستحداثا
للألفة والمحبة فكان يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن وأرق من المزن ويخاطب أهل
البدو بكلام أرسى من الهضب وأرهف من العضب فانظر الى دعائه صلى الله عليه وسلم لاهل
المدينة حين سألوه ذلك * فقال اللهم بارك لهم فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم ومدهم وفى رواية
اللهم بارك لنا فى تمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فى صاعنا وبارك لنا فى مدنا اللهم
انى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ثم انظر دعاءه لبنى نهد وقد وفدوا عليه فى جملة الوفود

فقام طهفة بن رهم النهدى يشكو الجدب اليه فقال يارسول الله أتيناك من غورى تهامة بأكوار الميس ترتمى بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام من أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى برئنا اليك يارسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة الاسلام وشرائع الاسلام ما طمى البحر وقام تعار ولنا نعم همل اغفال ما تبل ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتها سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعاء لهم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة ثم كتب معه كتابا الى بنى نهد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بنى نهد بن زيد السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله لكم يا بنى نهد فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم مالم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر بما فى هذا الكتاب فله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة وروى العسكرى عن على رضى الله عنه قلنا يانبى الله نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك تكلم بلسان العرب مالا نعرف أكثره قال ان الله عز وجل أدبنى فأحسن تأديبى أى علمنى رياضة النفس ومحاسن الاخلاق الظاهرة والباطنة ونشأت فى بنى سعد بن بكر أى فجمع لى بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها وخلوص ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها قال فى المواهب وتحتاج هذه الالفاظ البالغة أعلى أنواع البلاغة الى التفسير فغورى تهامة ما انحدر منها والاكوار الرحل والميس بفتح الميم وسكون التحتية شجر صلب يعمل منه رحال الابل ونستحلب بالحاء المهملة الصبير بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة سحاب أبيض متراكب متكاثف أى نستدر السحاب ونستخلب الخبير بالخاء المعجمة فيهما والخبير هو العشب فى الارض شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلابه احتشاشه بالمخلب وهو المنجل وقيل نستخلب الخبير أى نقطع النبات ونأكله ونستعضد البرير أى نقطعه والبرير ثمر الاراك وكانوا يأكلونه فى الجدب لقلة الزاد ونستخيل الرهام بكسر الراء وهى الامطار الضعيفة واحدها رهمة أى نتخيل الماء فى السحاب القليل ونستجيل بالجيم الجهام أى نراه جائلا يذهب به الريح ههنا وههنا والجهام بفتح الجيم السحاب الذى فرغ ماؤه ويروى ونستخيل بالخاء المعجمة الجهام من خلت اخال اذا ظننت أراد لا نتخيل فى السحاب الا المطر وان كان جهاما لشدة حاجتنا اليه فنظن

مالا وجود له موجودا ويروى ونستحيل بالحاء المهملة والمراد لا ننظر من السحاب فى حال
الا الى جهام من قلة المطر وقوله من أرض غائلة النطا بكسر النون أى المهلكة للبعد يقال
بلد نطى أى بعيد والدهن بالضم نقرة فى الجبل ومستنقع الماء وكل موضع حفره السيل وآلة
الدهن وقار وزنه وهذا كناية عن جفاف الماء فى جميع نواحيهم والجعثن بالجيم والمثلثة
المكسورتين بينهما مهملة ساكنة آخره نون أصل النبات والاملوج بضم الهمزة واللام
وبالجيم ورق شجر يشبه الطرفا والعسلوج بضم العين وبالسين المهملتين آخره جيم
هو الغصن اذا يبس وذهبت طراوته يريد ان الاغصان يبست وهلكت من الجدب وقوله
وهلك الهدى بفتح الهاء وكسر الدال المهملة وشد الياء كالهدى بسكون الدال وتخفيف
الياء ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لينحر فأطلق على جميع الابل وان لم تكن هديا
لصلوحها له تسمية للشئ ببعضه وقوله ومات الودى بشد الياء هو فسيل النخل يريد
هلكت الابل ويبست النخيل وبرئنا اليك من الوثن أى الصنم يعنون انهم تركوا عبادة
الاصنام والالتجاء اليها والعنن أى الاعتراض يقال عن لى الشئ اذا اعترض كأنه
قال برئنا اليك من الشرك والظلم وقيل أراد به الخلاف والباطل وقوله ما طما البحر
بالطاء المهملة أى ارتفع بأمواجه وتعار بكسر المثناة الفوقية بعدها عين مهملة
وألف فراء بزنة كتاب اسم جبل يصرف ولا يصرف باعتبار المكان والبقعة وقوله ولنا نعم همل
بفتحتين أى مهملة لا رعاة لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهى كالضالة والابل الاغفال
التى لا لبن فيها والوقير القطيع من الغنم وقوله كثير الرسل بفتح الراء أى شديد
التفرق فى طلب الرعى قليل الرسل بكسر فسكون اللبن وقوله سنية بالتصغير للتعظيم
وقوله حمراء أى شديدة أى أصابها جدب شديد وقوله مؤزلة أى آتية بالأزل أى القحط
ليس لها علل هو الشرب ثانيا ولا نهل هو الشرب أولا أى لشدة القحط وقوله صلى الله عليه
وسلم اللهم بارك لهم فى محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة أى خالص لبنها ومخضها
بالمعجمتين ما مخض من اللبن وهو الذى حرك فى السقاء حتى يتميز زبده فيؤخذ منه ومذقها
وهو اللبن الممزوج بالماء والضمائر لأرضهم أو أنعامهم المذكورة فى كلام طهفة فدعا
النبى صلى الله عليه وسلم لهم فى ألبانهم بأقسامها والقصد الدعاء لهم بخصب أرضهم
وسقيها فكأنه قال اللهم اسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة وابعث راعيها فى الدثر
بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ويجوز فتحها ثم الراء المال الكثير وقيل الخصب
والنبات الكثير لانه من الدثار وهو الغطاء لانه يغطى وجه الارض وافجر له الثمد بفتح
المثلثة واسكان الميم وتفتح الماء القليل أى صيره كثيرا وقوله ودائع الشرك قيل المراد بها
العهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار ووضائع الملك بكسر الميم هى
الوظائف التى تكون على الملك وهو ما يلزم الناس فى أموالهم من الزكاة والصدقة أى لكم

الوظائف التي تلزم المسلمين لا نتجاوز عنكم ولا نزيد عليكم فيها شيأ بل أنتم فيها كسائر المسلمين
وقوله لا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاءين الأولى مكسورة والثانية
ساكنة أي لا تمنع الزكاة يقال لط الغريم إذا منعه حقه ولا تلحد بضم المثناة الفوقية وإسكان
اللام وكسر الحاء المهملة آخره دال مهملة أي لا تمل عن الحق مادمت حيا والخطاب لطهفة
ابن زهير ويروى ولا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة بصيغة التفعل ولا تتثاقل عن الصلاة
أي لا تتخلف عنها وعن أدائها في وقتها وقوله في الكتاب في الوظيفة الفريضة الوظيفة
الحق الواجب والفريضة هي الهرمة المسنة التي انقطعت عن العمل والانتفاع بها أي لا نأخذ
في الصدقات هذا الصنف كما لا نأخذ خيار المال والفارض بالفاء والضاد المعجمة المريضة
أي فهي لكم لا نأخذها في الزكاة أيضا والفريش بالفاء وكسر الراء وتحتية ساكنة آخره شين
معجمة وهي من الإبل الحديثة العهد بالنتاج كالنفساء من بني آدم أي لكم خيار المال
كالفريش لأنها لبون نفيسة ولكم شراره أيضا كالفريضة والفارض وإنا وسط بينهما
بالفريقين وذو العنان بكسر العين ونونين بينهما ألف سير اللجام والركوب بفتح الراء أي
الفرس الذلول أي المذلل المركوب أي لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعد للركوب أي بخلاف
المعد للتجارة والفلو بفتح الفاء وضم اللام وشد الواو المهر الصغير والضبيس بفتح المعجمة
وكسر الموحدة آخره سين مهملة المهر العسر الركوب الصعب امتن عليهم بترك الصدقة
في الخيل جيدها وهو ذو العنان الركوب ورديئها وهو الفلو الضبيس أي أظهر المنة عليهم في
ذلك لأن الله ما أوحى إليه بأخذ الزكاة في ذلك فهي غير واجبة فيه لا عليهم ولا على غيرهم
وقوله لا يمنع سرحكم بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء
وبالحاء المهملة ما سرح من المواشي أي لا يدخل عليكم احد في مراعيكم والمراد أن مطلق
الماشية لا تمنع عن مرعاها وقوله ولا يعضد طلحكم أي لا يقطع شجركم الذي لا ثمر له فغيره من
باب أولى وقوله ولا يحبس دركم أي لا تحبس ذوات اللبن عن المرعى الى أن تجتمع الماشية ثم
تعد أي يعدها الساعي لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها والقصد الرفق بمن تؤخذ
منهم الزكاة أو المعنى لا نأخذ ذات الدر لما في ذلك من الاضرار وقوله مالم تضمروا الاماق أي
مالم تخافوا وتكتموا الاماق أي الغدر والبغض وهو بكسر الهمزة وميم ساكنة وهمزة
ممدودة تليها قاف بزنة الاكرام وفي رواية الرماق وهو الغدر أيضا وقال الزمخشري في تفسير
الاماق المراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار في دين الله وقوله وتأكلوا الرباق
بكسر الراء وبالموحدة المخففة جمع ربق أصله الحبل الذي يجعل فيه عرى وتشد به البهمة لتتخلص
من الرباط أي الا أن تنقضوا العهد فاستعار الاكل لنقض العهد استعارة تصريحية
أو تمثيلية وشبه ما يلزم من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقضه والمعنى هذا أمر مقدر عليكم
منا مالم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام فان فعلتم فعليكم ما على الكفرة وقوله فعليه

الربوة بكسر الراء وفتحها وضمها أى الزيادة يعنى من تقاعد عن اعطاء الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة عقوبة له وهو صادق بأى زيادة كانت أى يزاد فى عقوبته ولو بقتاله فان مانع الزكاة يقاتل قال فى المواهب فانظر الى هذا الدعاء والكتاب الذى انطبق على لغتهم أى من حيث المماثلة فى غرابة الالفاظ مع انه زاد عليها فى الجزالة أى حسن النظم والتأليف وقد كان من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها فلما كان كلام من تقدم على هذا الحذو بلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم لهذه الالفاظ استعملها معهم فاستعمالها مع من هى لغته لا يخل بالفصاحة بل هو من أعلى طبقاتها وان كان فيها ما هو غريب وحشى بالنسبة لغيرهم حتى ان كلام البادية الوحشى فصيح بالنسبة لهم وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الناس سودا وحمرا فعلمه الله جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أى لغتهم فلما بعثه الله للجميع علمه الجميع ليحدث الناس بما يعلمون فكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم وقد خاطب بعض الحبشة بكلامهم وبعض الفرس بكلامهم وغيرهم مما هو ثابت فى كتب السنة وفى شرح الشهاب الخفاجى على الشفاء ان جماعة وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا لا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغته من أبون أسران أى أيكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله فقال النبى صلى الله عليه وسلم اشكد أو روه منى اشكد تعال وأقبل وهلم وأور معناه هنا أو اليناوجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيبه بلغته ولا يفهم القوم فأسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أخبر الصحابة بقدومه ولغته فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب فلا توازى فصاحة ولا تبارى بلاغة فلا حاجة الى الاطالة بها وفى المواهب والشفاء وشروحهما كثير من ذلك

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لذى المشعار الهمدانى﴾

المشعار بكسر الميم واسكان الشين المعجمة وعين مهملة وألف فراء اسم موضع باليمن لقب به مالك ابن نمط الهمدانى وهمدان شعب عظيم أى قبيلة من همدان ويكنى مالك بأبى ثور وفد على النبى صلى الله عليه وسلم مقدمه من تبوك فقال يارسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلاص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم فى الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفير ماقام لعلع وماجرى اليعفور بصلع فكتب لهم النبى صلى الله عليه وسلم أى أمر بكتابة ماصورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب

من

من محمد رسول الله لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحفاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن النمط ومن أسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح (فقوله) نصية من كل حاضر وباد بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة وتحتية ثقيلة مفتوحة من ينتصى من القوم ويختار وهم الرؤس والاشراف ويقال للاشراف نواص كما يقال للاتباع أذناب وقوله أتوك على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص وهى الناقة الشابة ولا تزال قلوصا حتى تصير بازلا وهى ما تم لها ثمان سنين ودخلت فى التاسعة والنواجى السراع جمع ناجية وقوله متصلة بحبائل الاسلام أى عهوده ومواثيقه وخارف بالخاء المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والفاء ويام بالمثناة التحتية فألف فميم ويقال ايام قبيلتان من همدان وقوله ولا ينقض عهدهم عن سنة ماحل أى لا ينقض بسعى ساع بالنميمة والافساد والسنة الطريقة ويروى عن وشية ماحل والماحل هو الواشى والساعى بالافساد والعنقفير بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف على الفاء بعدها تحتية فراء الداهية أى لا ينقض عهدهم بسعى الواشى ولا بداهية تنزل وقوله سوداء أى شديدة فهو من اضافة الصفة للموصوف أى لا ينقض عن داهية شديدة والعلع بلامين وعينين جبل وماجرى اليعفور بفتح التحتية واسكان المهملة وضم الفاء فواو فراء ولد الظبية وقوله بصلع بضم الصاد المهملة وتشديد اللام الأرض التى لا نبات فيها فالمراد ان عهدهم لا ينقض أصلا لان العلع مقيم واليعفور لا ينفك عن جريانه بالارض القفراء وقوله صلى الله عليه وسلم لمخلاف هو الناحية وطرف الاقليم وقوله خارف اسم موضع وأهل جناب الهضب بكسر الجيم والهضب بفتح الهاء وسكون المعجمة وموحدة جمع هضبة مركب تركيب مزج اسم موضع أيضا وحفاف الرمل بحاء مهملة مكسورة ففاءين بينهما ألف اسم موضع أيضا وهذه المواضع بلادهم وفراعها بكسر الفاء وبراء وعين مهملة جمع فرعة بفتح فسكون أى ما علا من الجبال أو الارض ووهاطها بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط كسهم وسهام والوهط اسم أعناب كانت لعمرو بن العاص رضى الله عنه بالطائف على ثلاثة أميال من وج وكان يعرشها على ألف ألف خشبة وقيل الوهط قرية بالطائف وعزازها بفتح العين المهملة ثم زاءين مخففتين ما صلب من الارض وخشن مما لا ملك لاحد فيه وقوله يأكلون علافها بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ما تأكله الماشية ففيه مجاز الحذف أى تأكل ماشيتهم أو أن يأكلون بمعنى يملكون وعفاءها بفتح المهملة وتخفيف الفاء وبالمد أى المباح الذى ليس لاحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشئ اذا اندرس ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمز نتاج الابل وألبانها والانتفاع بها وسماها دفئا لانه يتخذ من أصوافها وأوبارها ما يتدفأ به وصرامهم بكسر

الصاد المهملة وتخفيف الراء أى لنا من نخلهم ما يصرم أى يقطع وما يخرج منه وهو التمر والثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وبباء موحدة ما هرم بكسر الراء من ذكور الابل وتكسرت أسنانه والانثى ثلبة والناب بالنون والموحدة الناقة الهرمة التى طال نابها والفصيل بالمهملة الذى انفصل عن أمه من أولاد النوق والفارض بالفاء والراء المسن من البقر والداجن الدابة التى تألف البيوت والكبش الحورى بحاء مهملة فواو مفتوحتين وقد تسكن الواو فراء مكسورة الذى فى صوفه حمرة منسوب الى الحورة وهى جلود تتخذ من الضأن وقيل ما دبغ من الجلود بغير القرظ والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من صلغت الشاة ونحوها اذا تم سنها وذلك اذا دخلت فى السادسة وقيل السابعة والقارح بالقاف والراء والحاء المهملة وهو من الخيل الذى دخل فى السنة الخامسة او السادسة وفى النهاية القارح والصالغ من البقر والغنم الذى كمل وانتهى سنه وذلك فى السنة السادسة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لقطن بن حارثة العليمى ﴾

وقطن بفتح القاف والطاء المهملة ونون والعليمى بمهملة مصغر نسبة لبنى عليم الكلبى وفد قطن مع قومه على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وأنشد النبى صلى الله عليه وسلم قوله

رأيتك يا خير البرية كلها * نبت نضارا فى الارومة من كعب
أغر كأن البدر سنة وجهه * اذا ما بدا للناس فى خلل العضب
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجها * ودنت اليتامى فى السغابة والجدب

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم خيرا وكتب له كتابا وخاطب فيه قومه بما يعرفون من لغتهم وهذا صورته هذا كتاب من محمد لعمائر كلب وأحلافها ومن ظأره الاسلام من غيرهم من قطن بن حارثة العليمى باقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها فى شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبى وسعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس عليهم من الهمولة الراعية البساط الظئار فى كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المائرة لهم لاغية وفى الشوى الورى مسنة حامل أو حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر وفى العثرى شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق عهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس * وتفسير ذلك ان العمائر جمع عمارة بالفتح أصغر من القبيلة والاحلاف المحالفون لهم ومن ظأره الاسلام بالظاء المعجمة والهمزة المفتوحة آخره هاء على وزن منعه أى ومن جمعه الاسلام عليهم من غيره والهمولة بفتح الهاء هى التى ترعى بأنفسها بأن تكون سائمة فى كلأ مباح والبساط التى معها أولادها والظئار أن تعطف الناقة على غير ولدها فهو اسم جمع ظئر بمعنى مرضعة وقوله ناقة بالرفع فاعل ليجب مقدرا وهذه الصفات ليست للتخصيص لما علم من غير هذا الحديث من عموم الحكم لجميع اصناف الابل حتى

لو تمخضت من بنات المخاض لوجبت فيها الزكاة وقوله عوار بفتح العين وضمها والمراد منه العيب وقوله والحمولة المائرة لهم لاغية الحمولة بفتح الحاء والمائرة التي تحمل الميرة وهي الطعام والمعنى ان الابل التي تحمل لهم الميرة لا تؤخذ منها زكاة لانها عوامل وبه قال قوم وقوله وفي الشوي بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع للشاة والوري بفتح الواو وكسر الراء وشد الياء السمينة والمسنة ما لها سنتان لكن الذي في الفروع أن الواجب في الغنم جذعة ضأن لها سنة أو أجذعت مقدم أسنانها أو ثنية معز لها سنتان ويمكن حمل ما هنا عليه واقتصر لهم على زكاة الغنم والابل لانهما غالب أموالهم والجدول النهر الصغير والعين المعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض بلا تعب والعثري الزرع الذي لا يسقيه الا ماء المطر وقوله بقيمة الامين أي بتقويم الخراص العدل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر﴾

بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة فراء الحضرمي رضي الله عنه ونسبه ينتهي الى مالك بن مرة بن حمير بن زيد الحضرمي كان أبوه من أقيال اليمن ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم واستقطعه أرضا فأقطعه اياها وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم معه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم ليسلمه اياها وكان معاوية رضي الله عنه حافيا فأحرقه حر الشمس فسأله أن يردفه خلفه فأبى ورأى أنه لا يكون كفؤا الان يكون رديفه فقال له لست ممن يردفه الملوك فسأله نعليه أن يلبسهما فأبى وقال دونك ظل ناقتي فامش فيه وذلك كافيك فنال حر الشمس من معاوية غايته وشق عليه ذلك فعاش وائل بن حجر حتى أدرك خلافة معاوية فوفد عليه فتلقاه وأكرمه قال وائل فوددت لو كنت حملته بين يدي وكان له قبل الاسلام صنم من عقيق يعبده ويسجد له فنام عنده يوما في الظهيرة فسمع صوتا هائلا فأتى فسجد له فسمع هاتفا يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا ترجي من نحيت صخر * ليس بذي عرف ولا ذي نكر
ولا بذي نفع ولا ذي ضر * لو كان ذا حجر أطاع أمري

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرني فقال

ارحل الى يثرب ذات النخل * وسر اليها سير مستقل
فدن بدين الصائم المصلي * محمد الرسول خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فقام اليه فجعله رفاتا ثم سار حتى أتى المدينة ودخل المسجد فأدناه النبي صلى الله عليه وسلم وبسط له رداءه وأجلسه معه ثم صعد المنبر وقال أيها الناس هذا وائل بن حجر سيد الاقيال أتاكم من أرض بعيدة راغبا في الاسلام فقال يا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده ثم انه نزل

الكوفة في آخر عمره وتوفي بها في خلافة معاوية رضي الله عنه وله بها عقب ووقع في الشفاء أنه صلى الله عليه وسلم وصفه بالكندي فقيل انه غلط والصواب الحضرمي وقال ابن الجوزي الحضرمي أو الكندي فلا مانع من كونه حضرميا كنديا ثم كتب له صلى الله عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال * وتفسيره الاقيال هم الرؤساء دون الملوك وقيل الملوك والعباهلة بالموحدة المفتوحة الذين أقروا على ملكهم لا يزالون من عبهلت الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت والارواع بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذوو الهيئات الحسنة الحسان الوجوه والمشابيب بفتح الميم والشين المعجمة وباءين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الرؤس الحسان الوجوه فهم مع اتصافهم بالحسن متصفون بأنهم رؤساء سادات فلا يرد أنه مساو لمفهوم الارواع وقوله وفي التيعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة أربعون من الغنم وفي القاموس التيعة أدنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان أي غير البقر وقوله ولا مقورة بضم الميم وبفتح القاف وشد الواو والالياط بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها تحتية فألف آخره طاء مهملة أي لا مسترخية الجلود لكونها هزيلة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا ألصقه وقيل المقورة المقطوعة والمعنى بها الناقصة فالتفاسير متقاربة وقوله ولا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضد ما قبلها وهي الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها وقوله وأنطوا بقطع الهمزة بعدها نون أي أعطوا بلغة اليمن أو بني سعد وقرئ شاذا انا أنطيناك الكوثر وروى في الدعاء لا مانع لما أنطيت والثبجة بمثلثة فموحدة فجيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة أي أعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار المال ولا من دنيئه وفي السيوب بضم المهملة والمثناة التحتية وواو آخره موحدة جمع سيب وهو الركاز أو المعدن ومن زنى مم بكر بكسر الراء بلا تنوين لان الاصل من البكر لكن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما وهي ساكنة فأدغمت النون فيها وحذفوا همزة الوصل في الرسم تخفيفا فلذلك اتصلت النون بالميم لفظا وخطا فأدغمت اذ لم يبق مانع من الادغام بخلاف ما لو رسمت فانها تكون فاصلة وقوله فاصقعوه بهمزة وصل واسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة أي اضربوه وأصله الضرب على الرأس وقيل الضرب ببطن الكف ويروى فاصفعوه بالفاء بدل القاف يقال صفعت فلانا أصفعه اذا ضربت قفاه واستوفضوه بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة ثم واو ساكنة فضمير النصب أي غربوه وانفوه وقوله فضرجوه بالضاد المعجمة المفتوحة وشدة الراء المكسورة وبالجيم المضمومة من التضريج وهو التدمية أي ارجموه حتى يسيل دمه ويموت وقوله بالاضاميم بفتح الهمزة

والصاد

والضاد المعجمة وميمين أولاهما مكسورة بينهما تحتية ساكنة أي بالحجارة وقوله ولا توصيم
في الدين بصاد مهملة مكسورة تفعيل من الوصم وهو العيب والعار أي لا عار في اقامة الحدود
أي لا تحابوا فيها أحدا وهذا بمعنى قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله ولا غمة
في فرائض الله بضم الغين المعجمة وشد الميم أي لا تستتر ولا تخفى بل تظهر و يجهر بها اقامة
والظهار لشعائر الدين ويروى ولا عمه في الدين بفتح العين المهملة والميم المخففة والهاء أي
لا حيرة ولا تردد فيه وقوله يترفل بشد الفاء المفتوحة أي يتسود و يترأس استعارة من ترفيل
الثوب وهو اسباغه أي تطويله واسباله للفخر والعظمة فاستعير أو هو كناية عن جعله رئيسا عليهم
محكما فيهم * فهذه نبذة من مكاتباته صلى الله عليه وسلم ومخاطباته يعلم منها أنه كان يكلم كل ذي
لغة بلغته من العرب أو العجم وذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كان أفصح خلق الله
وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب وكأنه
يسلب الارواح ففصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يداني
منتهاها ولذا قال بعضهم كلامه صلى الله عليه وسلم معجز قال الزهري قال رجل من بني سليم
يارسول الله أيدالك الرجل امرأته قال نعم اذا كان ملفجا فقال له أبو بكر رضي الله عنه
يارسول الله ما قال لك وما قلت له فقال صلى الله عليه وسلم قال أيماطل الرجل أهله قلت نعم اذا
كان مفلسا قال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما
سمعت أفصح منك قال أدبني ربي ونشأت في بني سعد رواه ابن عساكر وغيره قال في القاموس
دالكه أي ماطله والملفج بضم الميم واسكان اللام وفتح الفاء وبالجيم اسم فاعل من ألفج الرجل فهو
ملفج اذا كان فقيرا وهو على غير قياس والقياس كسر الفاء ومثله في الخروج عن القياس
أحصن فهو محصن بفتح الصاد المهملة وأسهب الرجل اذا أكثر الكلام فهو مسهب بفتح الهاء
والقياس الكسر في الجميع وقيل ان الكلام كناية عن مماطلة الرجل امرأته في الايلاج عند
ارادة الوقاع أي أيداعب الرجل امرأته قبل الجماع فقال صلى الله عليه وسلم نعم اذا كان ملفجا
أي مفلسا كناية عن كونه عاجزا ضعيف الشهوة ليكون ذلك محركا لشهوته ولعجزه سمي مفلسا
تشبيها بمن لا يملك مالا لعجزه وقيل معناه أيماطلها بمهرها اذا كان فقيرا فقد أجاب صلى الله
عليه وسلم السائل بجواب محتمل لتلك المعاني كما أن سؤاله كان كذلك فهذا من بلاغته صلى الله
عليه وسلم ومن جوامع كلمه التي اختص بها صلوات الله وسلامه عليه وفي حديث عطية السعدي
رضي الله عنه قال قدمت وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومي فكلمنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغتنا وذكر من كلامه ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا فان اليد العليا
هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة وقال الله مسؤل ومنطى وفي شرح الشهاب على الشفاء روى
باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم بينما هو ذات يوم جالس مع أصحابه اذ نشأت سحابة فقالوا
يارسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال وكيف

ترون رحاها قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها قال وكيف ترون برقها أوميضا أم خفقا أم يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال وكيف ترون جونها قالوا ما أحسنه وأشد سواده فقال صلى الله عليه وسلم الحياة قالوا يا رسول الله ما رأينا أفصح منك قال وما يمنعني من ذلك وانما أنزل القرآن بلسان عربي مبين وقواعد السحابة أساسها واحدتها قاعدة وأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد وهي التي تقعد عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار القوم وقال الجوهري مستدارها وبواسقها ما علا منها وارتفع وكل شئ علا فقد بسق والوميض اللمع الخفي يقال أومض ايماضا وأومض بعينه غمز والخفق برنة الضرب البرق الضعيف قال الجوهري خفق اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا في نواحي الغيم فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض والذي يشق شقا هو الذي يستطيل في الغمام وجونها أسودها وهو من الاضداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه أحياء * وبعد أن بث صلى الله عليه وسلم كتبه في الآفاق أمر أمراء في كل قطر دخل في طاعته وانقاد لشريعته فمن أمرائه صلى الله عليه وسلم باذان بن ساسان كان نائبا لكسرى على اليمن فلما هلك كسرى باخبار النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم أسلم باذان اظهور صدق النبي صلى الله عليه وسلم له في اخباره بهلاك كسرى مع ما بلغه عنه من المعجزات وأرسل للنبي صلى الله عليه وسلم باسلامه واسلام من معه فأمره صلى الله عليه وسلم على اليمن وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم لرسولي باذان حين أرادا الرجوع اليه قولا له ان أسلمت أقرك على ملكك وهو أول أمير في الاسلام على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم ثم مات واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم ابنه شهر بن باذان وقيل ان باذان خرج للوفود على النبي صلى الله عليه وسلم فلحقه العنسي الكذاب الذي ادعى النبوة باليمن فقتله وقيل ان الذي قتله الاسود انما هو ابنه شهر لا هو وأن العنسي تزوج زوجته بعد قتله وكانت مسلمة فأعانت فيروز الديلمي على قتل الاسود فانها مكنته من الدخول عليه ليلا فقتله وأمر صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه وولى زياد بن لبيد الانصاري رضي الله عنه حضرموت وهو مخلاف باليمن وولى أبا موسى الاشعري رضي الله عنه زبيد وعدن وولى معاذ ابن جبل رضي الله عنه الجند ومخاليفها وولى أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه نجران وهو موضع باليمن قال بعضهم انه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان أبو سفيان بمكة فلعل مدة تلك الولاية لم تطل وولى ابنه يزيد تيماء بلدة بناحية تبوك ثم ان أبا بكر لما جهز الجيوش للشام كان أول أمير عقد رايته يزيد بن أبي سفيان ثم ولي الشام في خلافة عمر رضي الله عنه بعد أبي عبيدة رضي الله عنه وقيل أخيه معاوية وتوفي يزيد رضي الله عنه بالشام وهو أكبر من معاوية قال بعضهم ان يزيد بن أبي سفيان أفضل آل أبي سفيان وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضي الله عنه مكة وولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه القضاء

باليمن

باليمن وولى عمرو بن العاص رضى الله عنه عمان الى غير ذلك مما بسطه أهل السير وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿باب فى ذكر شئ من معجزاته صلى الله عليه وسلم﴾

اعلم أن معجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة لا يمكن حصرها ولنقتصر على المشهور منها وقد يذكر شئ مما تقدم فى أول بعثته أو مما اندرج فى غزواته وسراياه فلا ينبغى الملال والسآمة عند ذكر شئ من ذلك لان بتكراره تزداد الفائدة

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

والمعجزة هى الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى أى بطلب المعارضة كانشقاق القمر ونبع الماء من بين الاصابع وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها لانها لا تنسب لكسبهم لكونها خارقة للعادة وهى تدل على صدق من ظهرت على يديه وشرط تسميتها معجزة أن تظهر على يد مدعى الرسالة على طبق دعواه وتقسيم الامر الخارق للعادة الى المعجزة والكرامة وغيرهما مذكور فى كتب الكلام فلا حاجة الى الاطالة به ثم ان دلائل رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار عن شأنه شهيرة فمن ذلك ما وجد فى التوراة والانجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته بالصفات المميزة له وخروجه بأرض العرب وما خرج بين يدى مولده ومبعثه من الامور الغريبة العجيبة كقصة الفيل وما أحل الله بأصحابه فان تلك القصة مؤيدة لشأن العرب منوهة بذكرهم مشيرة الى أنه سيصير لهم نبأ عظيم وذلك بظهور هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وكخمود نار فارس عند ميلاده عليه الصلاة والسلام وكانوا يعبدونها وكان لها ألف عام لم تخمد وسقوط أربع عشرة من شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وكانت متسعة أكثر من ستة فراسخ يركب فيها السفن ويسافر فيها الى ما حولها من البلاد والمدن فأصبحت ليلة المولد ناشفة كأن لم يكن بها شئ من الماء ورؤيا الموبذان وهو قاضى المجوس رأى ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى البلاد فقال له كسرى أى شئ يكون هذا قال حدث يكون من ناحية العرب ومن ذلك ما سمع من هواتف الجن الصارخة بنعوته وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع لها من أمكنتها الى غير ذلك مما روى ونقل فى الاخبار المشهورة من ظهور العجائب فى ولادته وأيام حضانته وبعدها الى أن بعثه الله نبيا ومن تأمل فى جميل مآثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجميع خصاله لم يشك فى صحة نبوته وقد اكتفى كثير ممن عاصره صلى الله عليه وسلم بتلك الأشياء فآمن وانقاد له صلى الله عليه وسلم وعلم أن تلك الصفات لا يمكن أن يتصف بها غير نبى فقد أخرج الترمذى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه وكان من علماء اليهود قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت

أن وجهه ليس بوجه كذاب فصدقه وآمن به وقال لليهود يامعشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون أنه رسول الله الذى تجدونه عندكم مكتوبا فى التوراة اسمه وصفته وانى أومن به وأصدقه وعن أبى رمثة التميمى رضى الله عنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأيته قلت هذا نبى الله أى لما شاهدته من عظمته ونور نبوته فأوقع الله فى قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله عليه وسلم وروى مسلم أن ضماد بن ثعلبة الازدى كان صديقا للنبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يغيب فى قومه ثم يقدم وافدا الى مكة فقدم مرة فى أول بعثته صلى الله عليه وسلم وسمع الناس يقولون فيه ما قالوا أى من نسبته للسحر أو الكهانة أو الجنون وكان ضماد عاقلا يطبب ويرقى فى الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمد المجنون جاءه وقال انى راق فهل بك من شئ فأرقيك فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغت قاموس البحر أى وسطه أولجته ثم قال هات يدك أبايعك فآمن به وصدقه وأسلم وانقاد من غير تردد واكتفى بهذه الكلمات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم البالغة من الفصاحة والبلاغة غايتهما مع ما شاهده من نور وجهه الشريف وحسن سمته وقال بعضهم فى قوله تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يقرأ قرآنا أى وان لم يظهر معجزة كما قال ابن رواحة رضى الله عنه

لو لم يكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

ومع ذلك لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوة فيقهر بها الرجال ولا أعوان على الدين الذى أظهره ودعا اليه وكانوا يجتمعون على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عادة الجاهلية فى العصبية والحمية والتعادى والتباغى وسفك الدماء وشن الغارات لا تجمعهم ألفة دين ولا يمنعهم من سوء أفعالهم نظر فى عاقبة ولا خوف عقوبة ولا لوم لائم فألف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الاراء وتناصرت القلوب وتتابعت الايدى فى التعاون والتناصر على اظهار الحق فصار واجمعا واحدا فى نصرته ناظرين الى طلعته ليذبوا عنه ما يكره ويعاونوه على ما يريد وهجروا بلادهم وأوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم فى محبته وبذلوا أرواحهم فى نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف والسهام والرماح ووطنوا أنفسهم على اصابة ذلك لوجوههم وصدورهم لاجل اعزاز كلمته واعلاء دينه واظهاره بلا دنيا بسطها لهم ولا أموال أفاضها عليهم ولا غرض فى العاجل أطمعهم فى نيله فيرغبون بسببه أو ملك أو شرف فى الدنيا يحوزونه بل كان من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يجعل الغنى فقيرا لانه كان يحمل الاغنياء على صرف أموالهم فى الجهاد ونحوه من أنواع القرب ويجعل الشريف مثل الوضيع بتهذيب النفس وعدم الفخر والاعراض عن الاسباب

المشعرة بنحو السكبر فهل يلتئم مثل هذه الامور أو يتفق مجموعها لاحد ذا سديد له بالاختيار
العقلي والتدبير الفكري لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الامور ما يشك عاقل في شئ من
ذلك وانما هو أمر الهي وشئ غالب سماوي ناقض للعادات تعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر
عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم أكثرها
متواتر رواها جمع عن جمع وكانت تظهر في مواطن اجتماعهم كيوم الخندق وبقية
الغزوات وفي محافل المسلمين ومجمع العساكر والجند ولم ينقل عن أحد من الصحابة مخالفة
ولا انكار على من روى ذلك مع شدة تحريهم فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق
لانهم منزهون عن السكوت على باطل وعن المداهنة في الكذب كلهم عدول لا يخافون في الله
لومة لائم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما أنكر بعضهم على
بعض أشياء رواها من السنن والسير وبعض ألفاظ في القرآن ثم نقلت الى من بعدهم قرنا
بعد قرن تأخذها طائفة عن طائفة وجماعة عن جماعة قال القاضي عياض في الشفاء فمن اعتنى
بطرق النقل لم يشك في صحة هذه القصص المشهورة أي من المعجزات وخوارق العادات
كالاخبار بالمغيبات ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان أكثر
الناس يعلمون بالخبر المتواتر وجود بغداد وانها مدينة عظيمة وانها دار الامامة والخلافة وآحاد
من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها أي فجهل الجاهل بذلك لا ينفي التواتر فكذا ما نحن
فيه ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم انه كان اميا لا يخط كتابا بيده ولا يقرؤه ولد في قوم
أميين ونشأ بينهم في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار الماضين ولم يخرج في سفر قاصدا الى عالم
يعكف عليه ليتعلم منه فجاءهم بأخبار التوراة والانجيل والأمم الماضية وقد كانت ذهبت
تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها وأهل المعرفة
بصحيحها الا القليل واقلهم لم يجتمع صلى الله عليه وسلم بأحد منهم حتى يظن انه أخذ منهم ثم
انه جادل كل فريق من أهل الملل المخالفة له بآيات وبراهين لو اجتمع لردها حذاق المتكلمين
وجهابذة النقاد المتقنين لم يتهيأ لهم نقض ذلك وهذا أدل شئ على انه أمر جاء من عند الله
تعالى لا صنع لاحد فيه ومن أعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم فقد
تحداهم بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة من مثله فعجزوا عن
الاتيان بشئ منه فكان هذا القرآن الذي أعجزهم أوضح في الدلالة على الرسالة من احياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان
والمقدمين في اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد
المسيح عليه السلام عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الاكمه والابرص
وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة وانشاء الكلام البليغ ارتجالا في المحافل
جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة فيأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب

فيخطبون بديهة في المقامات وفي كل موضع شديد الخطب ويرتجزون بين الطعن والضرب ويتوصلون بذلك الى مطالبهم ويرفعون من مدحوه بمدحهم ويضعون من ذموه بقدحهم فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوّقون الاعناق بأحسن من عقد اللآل فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرّئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرّف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق فكل من البدوى والحضرى لهما الحجة البالغة والقوة الدامغة لا يرتابون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فجاءهم الرسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبادرت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه جاءهم وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر في السجع والشعر ارتجالا وأوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم من الاعوام بضعا وعشرين على رؤس الملأ أجمعين فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فلم يزل يقرّعهم أشدّ التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا عاجزون عن معارضته وماذاك الا صير علما على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح وهو باق دون غيره من المعجزات ومنه تستنبط الاحكام الشرعية والعلوم العقلية ولم تستنبط من معجز سواه فمعجزات الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن باقية الى يوم الى يوم القيامة وقد قطع صلى الله عليه وسلم بأنهم لا يقدرون على معارضة القرآن حيث تحداهم به وقال لهم كما أمره الله تعالى فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار فلولا علمه صلى الله عليه وسلم بأن ذلك من عند الله علام الغيوب وانهم لا يقدرون لما قال لهم ولن تفعلوا لانه كان أعقل الرجال من أهل زمنه بل هو أعقل خلق الله على الاطلاق فلكمال عقله لم يحصل له ريب في خبر الله بل قطع القول فيما أخبر به عن ربه بأنهم لا يأتون بشئ من مثله وهذا من أحسن ما يكون في هذا المجال وأبدعه وأبينه فانه نادى عليهم بالعجز عن معارضته ونفى قدرتهم في المستقبل حيث قال ولن

تفعلوا فلو قدروا فعلوا فصار رخا بعجزهم على رؤس الاشهاد فلم يستطع أحد منهم الالمام به مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد وهم في كل حين ناكصون عن معارضته يخادعون أنفسهم بالتكذيب والافتراء يقولون ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه وأساطير الاولين ورضوا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر أي صمم ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وتمعوا بادعاء القدرة مع عجزهم كما قال تعالى حكاية عنهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذه وقاحة ومكابرة لفرط عنادهم فلو استطاعوه ما منعهم أن يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز بضعا وعشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في الفصاحة وقال تعالى اظهارا لعجزهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معينا فهذا نزل ردا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وانما ذكر سبحانه وتعالى الجن تعظيما لاعجاز القرآن والا فالتحدي انما وقع للانس دون الجن لانهم ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد واذا فرض اجتماع الثقلين واعانة بعضهم بعضا ومع ذلك عجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز فرضيت همهم الشريفة وأنفسهم الابية بسفك الدماء وهتك الحرم عجزا عن الاتيان بمثله وعنادا فلو قدروا على المعارضة لدفعوا ما حل بهم بالمعارضة فهذا برهان على عجزهم وابطال لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فان هذا قاطع بعجزهم وعدم قدرتهم فلا عبرة بقولهم وقد اعترف كثير منهم من أهل الفصاحة والبلاغة بانه لا يقدر أحد على معارضته وانه ليس من كلام البشر فممن اعترف عتبة بن ربيعة وذلك انه ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي ان كنت تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا أو تطلب الشرف فنحن نسودك علينا وان كان الذي يأتيك رئيا بذلنا أموالنا في طلب الطب لك فلما فرغ قال صلى الله عليه وسلم اسمع مني بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته حتى انتهى صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوضع عتبة يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وقال له لا تدع علينا ثم رجع فقالت له قريش ما وراءك فقال والله لقد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ وتقدمت قصته مبسوطة بعد ذكر قصة اسلام حمزة رضي الله عنه عند ذكر ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية وروى من حديث اسلام أبي ذر رضي الله عنه كما رواه مسلم انه حين بلغه بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعث أخاه انيسا ينظر له في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو ذر يصف أخاه بقوله والله ما سمعت باشعر من أخي أنيس قد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أي عارضهم في قصائدهم أي فيدل ذلك على فصاحته ومعرفته بالشعر قال فانطلق انيس الى مكة ثم رجع الى أبي ذر فخبر النبي

صلى الله عليه وسلم فقال رأيت رجلا بمكة يزعم ان الله أرسله قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أنواع الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد وانه لصادق وانهم لكاذبون ❁ وروى البيهقى فى قصة الوليد بن المغيرة وكان سيد قريش فى الفصاحة انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم اقرأ على شيئا لانظر فيه فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون فقال الوليد أعد على قراءتك فاعاد صلى الله عليه وسلم الآية فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما يقول هذا بشر ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل أعلم بالاشعار منى ولا باقوال الجن منى والله ما يشبه الذى يقول شيئا من ذلك والله ان لقوله الذى يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته وقد سبق عند ذكر استهزاء المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ان الوليد بن المغيرة هذا قال فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ما هو بكاهن ولا مجنون ولا بشاعر ولكن أقرب القول فيه انه ساحر كما تقدم مبسوطا ❁ وروى أبو نعيم من طريق ابن اسحاق عن رجل من بنى سلمة بكسر اللام بطن من الانصار قال لما أسلم فتيان بنى سلمة قال عمرو ابن الجموح لابنه معاذ أخبرنى ما سمعت من كلام هذا الرجل وكان معاذ أسلم قبل أبيه فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال عمرو لابنه ما أحسن هذا وأجمله أو كل كلامه مثل هذا قال يا أبت وأحسن من هذا ❁ قال فى المواهب نقلا عن بعضهم ان هذا القرآن لو وجد مكتوبا فى مصحف فى فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله تعالى وان البشر وغيرهم لا قدرة لهم على تأليف ذلك فكيف اذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقد قال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم ان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك

﴿ ذكر وجوه اعجاز القرآن ﴾

اعلم ان وجوه اعجاز القرآن لا تنحصر فمنها الايجاز أى قلة اللفظ وكثرة المعانى والبلاغة الخارقة لعادة العرب حتى كان فى الحد الاعلى مثل قوله ولكم فى القصاص حياة فجمع فى كلمتين عدد حروفهما عشرة أحرف معانى كثيرة ❁ وحكى أبو عبيد أن اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام أى انما كان سجوده لانه هزه العجب لفصاحته ولدهشته من بلاغته حتى ذل ومرغ وجهه فى التراب وسمع اعرابى آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام أى لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر وحكى الاصمعى انه رأى جارية صغيرة السن بلغت خمس سنين أو ستا وهى تقول أستغفر الله من ذنوبى كلها قال الاصمعى فقلت لها مم تستغفرين وأنت صغيرة

لم يجر عليك قلم أى لم تبلغى الحلم فقالت

أستغفر الله لذنبي كله * قتلت انسانا لغير حله

مثل غزال ناعم فى دله * انتصف الليل ولم أصله

فقلت لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين فالامران أرضعيه وألقيه والنهيان ولا تخافى ولا تحزنى والخبران وأوحينا وفاذا خفت وقيل الخبران والبشارتان انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فهو خبر من جهة وبشارة من جهة وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما فى المسجد فاذا برجل على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأخبره انه من بطارقة الروم وهم قواد الروم وأهل الرياسة فيهم وكان ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم ايها المسلمون قال فتأملتها فاذا هى قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى بن مريم عليه السلام من أحوال الدنيا والآخرة وهى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون فكان ذلك سببا لاسلامه وقد أراد جماعة من أهل الزيغ والطغيان ممن أوتوا الحرفا من البلاغة وحظا من البيان أن يضعوا شيئا يلبسون به على الناس يزعمون انه يشبه القرآن فعجزوا عن ذلك ورأوه مكان النجم من يد المتناول ومنهم من أراد أن يصنع كلاما قليلا يحاكى به نحو سورة الكوثر ليدخل الشبهة على الجهال القاصرة عقولهم عن تمييز الحسن من القبيح فجاء بما يدل على سخافة عقله وجمود قريحته وسوء فعله وظهر لاهل التمييز انه ليس من نمط فصاحتهم ولا من جنس بلاغتهم فولوا عنه مدبرين وعترفوا بحقية القرآن مذعنين فمن ذلك قول مسيلمة الكذاب لعنه الله ياضفدع كم تنقين أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين لا الماء تكدرين ولا الشرب تمنعين ولما سمع مسيلمة لعنه الله قوله تعالى والنازعات غرقا قال والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات حفرا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وماسبقكم أهل المدر الى غير ذلك من الهذيان الدال على سخافة عقله بل كلامه هذا مسلوب عنه أدنى الفصاحة التى ألفوها فيكون حجة على خزيه ومن كلامه وقيل من كلام غيره ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وأحشا وقال بعض الحمقاء الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل أى ممتد ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل ففى هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة مالا يخفى على من لاديه علم فضلا عمن يعلم اذ كل من سمعه يمجه ويعلم ضرورة هجانته وركاكته * ومن وجوه اعجازه الوصف الذى صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والسجع فلا يشبه نظما ولا نثرا ولا خطبة ولا رسالة ولا سجعا مع أنه يشاركها فى أنه مؤلف من كلماتهم ونزل على أساليب

كلامهم في البلاغة وقد اشتمل على حسن التأليف والتئام الكلمات وفصاحتها وغير ذلك من وجوه الاعجاز الخارقة لعادة العرب في عجائب تراكيبهم وغرائب أساليبهم وبدائع انشائهم وروائع اشاراتهم الذين هم فرسان الكلام ومن صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب الوضع المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء به القرآن ووقفت عليه مقاطيع آياته وانتهت اليه فواصل كلماته لم يوجد قبله ولا بعده نظير ولذلك تحيرت عقولهم ودهشت أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله في حسن كلامهم فلا ريب أنه في فصاحته تدقرع القلوب ببديع نظمه وفي بلاغته قد أصاب المعاني بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ودليله القاهر وبرهانه الباهر مارام معارضته شقي الا تهافت تهافت الفراش في الشهاب وذل ذل الغنم بين الليوث الغضاب وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه أصابته روعة وهيبة منعته عن ذلك كما يحكى عن يحيي بن حكيم الاندلسي وكان بليغ الاندلس في زمانه قيل انه بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائتين أنه رام شيئا من المعارضة للقرآن فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج على منوالها فاعترته خشية ورقة في قلبه حملته على التوبة مما كان رامه وعلم أنه أمر لا يقدر عليه البشر ويحكى أن المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبل العين المهملة وكان أفصح أهل وقته وكان في عصر التابعين طلب المعارضة ورامها فنظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرأ في المكتب قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين فقال أشهد أن هذا ما هو من كلام البشر وأن هذا لا يعارض أبدا ثم رجع ومحا ما جمعه وأبطله وعلم أنه لا مناسبة بينه وبين كلام الله في شئ وبالتأمل في القرآن المجيد يظهر لك من عجائبه ما لا يمكن حصره فتأمل في مثل قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقوله تعالى ويا أرض ابلعي ماءك الآية وقوله تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وأشباه هذه الآيات بل جميع آيات القرآن اذا دققت النظر فيها تبين لك أن تحت كل لفظة جملا كثيرة وفصولا جمة وجدت فيها علوما زاخرة مع اعجاز الالفاظ وكثرة المعاني ولطائف العبارات والدعاء الى التوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها كل شئ في موضعه بحيث لا ترى محلا أولى من محل واذا تأملت أيضا القرآن وجدته مودعا فيه مثلات أخبار القرون الماضية منبئا بالحوادث المستقبلة جامعا للحجج والمحتج له واسقا فأهذه الامور متسقة أحسن نسق لا يمكن لغير الله عز وجل فادعاء أنه من عند النبي صلى الله عليه وسلم وأنه تقوله على الله معلوم البطلان بالضرورة بل المعلوم بالضرورة أنه جاء على لسانه من عند الله فان عجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم بالضرورة وتحديهم به معلوم بالضرورة كما أن كونه خارقا

للعادة معلوم بالضرورة كل ذلك معلوم بعجز المنكرين عن معارضته مع اعترافهم باعجاز بلاغته
ثم هو آية معجزة في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء
نطقهم ببيانها مع ما اشتمل عليه من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناسق وجوهه
وتشابه أطرافه وانظر الى قصة يوسف عليه السلام على طولها فقصها الله تعالى على أعجب ترتيب
وأبدع تهذيب مرتبطا أولها بآخرها لم ينضب ماء بيانها ولم يحل عقد نظامها ثم ان قصصه اذا
كررت فيه وذكرت مرة بعد أخرى اختلفت فيها العبارات وذكرت في كل مكان لمعنى ضربت
له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا حتى
تكاد كل واحدة من القصص المكررة تنسى في البيان صاحبتها فيكون سامعها كأنه انما
سمعها الآن ولم يسبق له ذكر ولا نفور للنفوس من تكريرها ولا معاداة لمعادها قال في الشفا
ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف خاطره وفكره ولسانه لم يخف عليه جميع ما تقدم وأن كل
واحد من تلك الوجوه معجز على حدته فهو كاحياء الموتى وقلب العصا حية وتسبيح الحصى بل
أعظم من ذلك لان هذا من جنس ما يتعاطونه ومع ذلك لم يأتوا فيه بمثال بل صبروا على الجلاء
والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا أشمخ الانوف أباة الضيم بحيث لا يرضون ذلك
الذل اختيارا ولا يؤثرونه الا اضطرارا فالمعارضة لو كانت من قدرتهم فالشغل بها أهون
عليهم وأسرع للنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم أهل القدرة والمعرفة بالكلام من
جميع الانام وما منهم أحد الا جهد جهده واستفرغ ما في وسعه في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما
أظهروا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الأمد وكثرة
العدد وتظاهر الوالد والولد فما نطقوا بل انقطعوا ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ ما انطوى عليه
من الاخبار بالمغيبات مما سبق ومما كان في وقت نزوله ومما سيقع بعد ذلك مما لا يعلم علمه
الا الله فجاء كما أخبر على الوجه الذي به أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء
الله آمنين أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بدخولهم المسجد الحرام وهو بالمدينة قبل
عام الحديبية فظنوا أنه ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك فأنزل
الله سورة الفتح عند منصرفهم من الحديبية وفيها هذه الآية فأخبرهم بأنه سيقع بعد ذلك فكان
كما أخبر فلما وقع ذلك قال لهم صلى الله عليه وسلم ذلك الذي قلت لكم وكقوله تعالى غلبت
الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فأخبر الله تعالى أن الروم تغلب
فارس في بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع فكان كما أخبر الله وذلك أن الروم كانوا أهل
كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون
غلبة فارس للروم ويفرحون بها تفاؤلا بغلبتهم للمسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا
بأذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فأنزل الله الم غلبت
الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وأخبر أبو بكر رضي الله عنه

المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد أخبر الله نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له أمية بن خلف وقيل أبي بن خلف كذبت فقال له أبو بكر بل أنت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بيني وبينك أجلا على عشر قلائص يأخذها الصادق منا فراهنه على ذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار وجعلوا الموعد بينهما ثلاث سنين وأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد في الرهان فان الله قال في بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع ففعل فجعلا القلائص مائة والاجل الى تسع سنين فوقع ذلك أي غلبة الروم لفارس عام الحديبية وهو لم يخرج عن مدة التسع سنين فأخذ القلائص أبو بكر رضي الله عنه من ورثة أمية أو أبي لان أمية قتل يوم بدر وأبي قتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد فتمام الاجل انما وقع بعد موتهما فالقلائص انما أخذت من ورثتهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه تصدق بها وانما أمره بالتصدق بها وان كان هذا قبل تحريم القمار شكرا لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم. *ومن الاخبار بالغيب الواقع في القرآن قوله تعالى ليظهره على الدين كله فهذا وعد من الله بأن دين رسوله صلى الله عليه وسلم سيظهر ويغلب سائر الاديان وتقهر أمته صلى الله عليه وسلم جميع الامم وقد وقع ذلك كما أخبر ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا أي ليجعلنهم خلفاء في أرضه ما لكين لها منصورين على أعدائهم والآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومن كان معه من الصحابة رضي الله عنهم فكانت الغلبة لهم على أهل الردة في خلافة الصديق رضي الله عنه وعلى الروم وفارس في خلافة عمر ومن بعده وهكذا حتى مكن الله لهم في البلاد وأبدلهم بعد خوفهم أمنا كما أخبر سبحانه وتعالى ومكن دينهم في مشارق الارض ومغاربها وملكهم اياها وصاروا خلفاء فيها كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وكقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره فالآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس بكى عمه العباس رضي الله عنه فقال ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول ففتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا أي جماعات كثيرة بعد جماعات كثيرة فلما أعز الله الدين ونشر أعلامه في الخافقين فما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام بل كلهم أسلموا ثم انتقل صلى الله عليه وسلم الى الدار الآخرة فكان الامر كما أخبر الله وكقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فأخبر سبحانه وتعالى بأنه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الازمان بدليل التعبير بالجملة الاسمية المؤكدة بالمؤكدات فكان

في المستقبل كما أخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها الى الامم
المنزلة عليهم كما قال تعالى بما استحفظوا من كتاب الله أي طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل
والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها فالمراد بالذكر في قوله انا نحن نزلنا الذكر القرآن
وقد اجتهد كثير من الملحدة في ادخال شيء من التبديل في القرآن بعد أن أجمعوا كيدهم وحواسهم
وقوتهم في هذه المدة الطويلة فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا على تغيير كلمة من كلامه
ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه فكان الحفظ حاصلا بالله كما أخبر الله تعالى فالحمد لله
على حفظه لكلامه وبقاء رونقه ونظامه وخيبة سعي من سعى في اطفائه وافتضاح جهلة أعدائه
(ومما أخبر الله) به من المغيبات في القرآن العزيز قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر نزلت
هذه الآية بمكة والمسلمون مستضعفون فلم يدروا ما هذا الجمع الذي سيهزم ولا المراد من الآية
فلما كان يوم بدر وكان بعد سبع سنين من نزولها لبس صلى الله عليه وسلم درعه وخرج اليهم وهو
يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر رضي الله عنه فعلمت المراد منها حينئذ أي سيهزم كفار
قريش ويولون المسلمين أدبارهم أي يجعلون المسلمين متوالين على أدبارهم بالطعن والضرب فعبر
عن شدة انهزامهم بأبلغ عبارة ففيها الاعجاز لفظا ومعنى وكقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم
ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ففيها اخبار بالغيب وذلك أن ناسا من اليمن
وبني خزاعة أسلموا وبقوا بمكة بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكثير من أصحابه فلقوا من
المشركين أذى شديدا فأرسلوا وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبروا وأبشروا
بفرج قريب وأذن الله للمسلمين في الجهاد وأنزل آيات في الامر بالجهاد ومنها هذه الآية
قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الى آخرها فكان بعدها ما أوقع الله بهم من القتل ونصرة المؤمنين
التي شفيت بها صدورهم حتى خربوا ديار المشركين بالسبي والجلاء وسلب النعم وكقوله تعالى
لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون أخبر سبحانه وتعالى عن اليهود
انهم لا يقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالتهديد بالالسنة وأنهم ان يقاتلوكم يخذلوا ويكون لكم
النصر عليهم فكان الامر كذلك * ومما في القرآن من الاخبار بالمغيبات ما فيه من كشف
أسرار المنافقين مما كانوا يخفونه في قلوبهم مما لا يعلمه الا الله وكشف أسرار اليهود واظهار
كذبهم وما قالوه فيما بينهم وهم يظنون أنه لا يشعر به غيرهم وتقريع الله لهم وتوبيخهم فكانوا
يحلفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقالتهم أنها صادقة فينزل الله تكذيبهم كقوله
تعالى والله يعلم انهم لكاذبون ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول أي يقول اليهود فيما
بينهم وفي تناجيهم في خلوتهم هلا يعذبنا الله في قولنا في حق محمد لو كان نبيا لدعا علينا حتى نعذب
ففضح الله مقالتهم وأظهر مناجاتهم وزاد ذلك بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال
تعالى يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يعني انهم يسرون في ضمائرهم غير ما يظهرونه لك اذا
أتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذي أخفوه هو قول بعضهم لبعض في الخلوة يوم

أحد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا فأعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فأخبرهم بما قالوه فهو من جملة الاخبار بالمغيبات وكقوله تعالى سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه وكقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين أي بالتكذيب والسخرية فأخبر الله تعالى بتحريفهم كتابهم وبمقالتهم وعدم طاعتهم وبما يقصدونه بقولهم راعنا من الاستهزاء به صلى الله عليه وسلم ووصفه بالحماقة والرعونة ويظهرونه في صورة التماس نظره ورعايته مكرا منهم وليا بألسنتهم وهو من الاخبار بالغيب فضيحة لهم ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم فهذا اخبار عن المؤمنين بأمر وقع في نفوسهم وودوه وأحبوه وهو مغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه به جبريل عليه السلام حين نزل عليه بهذه الآية وذلك ان الله وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بأحد الامرين الظفر بالعير القافلة من الشام بأموال قريش أو قتل النفير وهم قريش الذين خرجوا من مكة لتخليص تلك العير وكانت الصحابة رضي الله عنهم يودون في أنفسهم أخذ العير لما فيها من المال ولقلة ما عندهم من السلاح والرجال فقدر الله انهم يلقون العدو ويقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وأيد الله المؤمنين وأعز الدين * ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم خمسة أو سبعة من الكفار كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم أشد الاذى ويسخرون به فأخبره الله تعالى بهلاكهم قبل وقوعه فكان كما قال فلما نزلت هذه الآية عليه صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه بهلاكهم وقد تقدم الكلام عليهم في مباحث البعثة * ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى والله يعصمك من الناس أي يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوأ وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرسونه صلى الله عليه وسلم في اسفاره فلما نزلت هذه الآية منعهم من الحراسة وما أصابه يوم أحد لا ينافي هذا لان الآية نزلت بعدها أو المراد من هذه الآية حفظه من القتل فكان محفوظا مع كثرة من رام ضرره وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة منها ما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلوا بالشجر فأتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فأخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف مصلت في يده فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فسقط السيف من يده ووقعت له روعة فأخذ السيف صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفا عنه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم للصحابة ها هو جالس وهو ملك قومه فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا أكون في قوم هم حرب لك وأمثال هذا كثير وتقدم في الغزوات شيء من ذلك * ومن وجوه اعجازه القرآنية * ما أخبر الله به من أخبار

القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ الشاذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فأورد الله ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم على أتم حال يليق به وينبغي له وأتى به على غاية مرتبة من كماله ورفعته فاعترف العالمون بذلك بصحته وصدقه مع أنه لم يتأله بتعليم ومع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يشتغل بمدارسة ومداومة طلب ومجالسة مختلف فيها الركب بالركب ولم يغب عن قومه غيبة يحتمل أنه تعلم فيها ما أخبرهم به ولا جهل حاله أحد منهم من ولادته الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من أهل الكتاب وقد كان أهل الكتاب من أحبار اليهود والنصارى كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أخبار الامم السالفة فينزل عليه من القرآن ما يتلوه عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء عليهم السلام مع أممهم فيذكرها لهم صلى الله عليه وسلم مفصلة بأبلغ عبارة وألطف اشارة كخبر موسى والخضر وخبر يوسف واخوته وكقصة أصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الانباء والقصص المذكورة في القرآن عمن مضى من الامم السالفة وكبيان ابتداء الخلق وما جرى في ذلك وخلقه للسموات والارض وآدم وحواء وما في التوراة والانجيل من الاحكام والشرائع والتوحيد وما في الزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها من أهل الكتاب ولم يقدروا على تكذيب شيء منها بل أذعنوا لذلك واعترفوا به فمنهم من وفقه الله وهداه فآمن لما سبق له من العناية الازلية ومنهم من خذله الله فكفر عنادا وحسدا ومع هذا العناد والحسد الذي أظهروه لم يذكر عن واحد من النصارى واليهود تكذيب شيء من ذلك مع شدة عداوتهم له صلى الله عليه وسلم وحرصهم على تكذيبه في شيء من كلامه ومع طول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام وتعنيتهم اياه في طلب أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم فكان يعلمهم بمكتوم شرائعهم وما تضمنته كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى عليه السلام وكبيان حكم الرجم لما سألوه عن حكم الرجم للزاني المحصن وكانوا قد أنكروه في شريعتهم فبينه صلى الله عليه وسلم لهم وأخبرهم بأنه مذكور في التوراة وكبيان ما حرّم اسرائيل على نفسه واسرائيل هو يعقوب عليه السلام وكان اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم امتحانا له عما حرّم اسرائيل على نفسه فقال لهم لحوم الابل وألبانها فصدقوه وذلك أن يعقوب عليه السلام نذر أنه ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات أن يذبح آخر أولاده فلما سار اليه وقرب منه بعث الله له ملكا وكزه فخذه فمرض بعرق النسا حتى كان من وجعه ما كان وذلك لطف من الله به لئلا يلزمه ذبح ولده لانه اشترط في النذر الدخول الى بيت المقدس سليما من الامراض والآفات فلم يحصل الشرط فحرم على ما مر لانه يضر عرق النسا وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح وسألوه صلى الله عليه وسلم أيضا عما حرّم على بني اسرائيل من الطيبات والانعام التي كانت أحلت لهم فحرمها الله عليهم

أى عقوبة لهم بسبب ظلمهم وأنزل الله فى ذلك وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فحرم الله عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذى مخلب من الطيور وكل ذى حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه فى سورة الانعام وقوله ببغيهم أى بقتل أنبيائهم وأخذهم أموال الناس بالباطل وكانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم لم يحرم الله علينا شيئا فان حرّم علينا شيئا فبينه فأنزل الله هذه الآية الصريحة فى تكذيبهم فافتضحوا وجاء أن اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم تزعم أنك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحم الابل وألبانها وذلك محرّم فى شرعه فأنزل الله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فبكتهم الما لم يجدوا فيها ما ادعوه * ومن الاخبار بما فى الكتب السابقة قوله تعالى فى وصف أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل الآية والاشارة لقوله تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ولم يذكر عن أحد منهم انه كذبه فى شئ من ذلك بل كثير منهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته وبا قيهم اعما جحدوا نبوته حسدا وعنادا كأهل نجران وعبد الله بن صوريا وحيى بن أخطب وغيرهم من أحبار اليهود والنصارى حتى ان نصارى نجران لما طلب مباهلتهم امتنعوا وخافوا من نزول العذاب عليهم واعترفوا بنبوته فيما بينهم وامتنعوا من اتباعه ظاهرا بغيا وعنادا وصالحوه وانصرفوا كما سيأتى وعن صفية أم المؤمنين رضى الله عنها وكانت بنت حيى بن أخطب قالت كان عمى أبو ياسر أحسن رأيا من أبى كان يقول لابى أليس هو الذى نجده فى كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما فى نفسك منه فيقول معاداته وقد فضح الله أهل الكتاب الذين حسدوه صلى الله عليه وسلم وأظهر كثيرا مما أخفوه قال تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير أى لحلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله تعالى ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ ما ذكره تعالى من عجز قوم فى قضايا واعلامه أنهم لا يفعلونها فما فعلوا وما قدروا على ذلك كاليهود لما ادعوا دعاوى باطلة وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أى ان كنتم صادقين انكم من اهل الجنة وانها مخصوصة بكم فتمنوا الموت لان من تيقن دخول الجنة اشتاق اليها وأحب التخلص من هذه الدار وأكدارها ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه قال الله تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم فنفى عنهم تمنى الموت فى جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وأبدا وما قدمت أيديهم هو كفرهم بالله وتحريفهم التوراة ففى هذه

الآية من المعجزات الاخبار بالغيب وهو انتفاء تمنيهم الموت في المستقبل فكان كما أخبر اذ لم يتمنوه ولو تمناه أحد منهم لمات ولم يقع التمني من أحد منهم مع توفر الدواعي على نقله لو وقع والتمني وان كان من اعمال القلب الخفية الا ان النطق بقولهم تمنينا ممكن وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما أوحي اليه ولم يتمنه أحد منهم لخوفهم الموت ولحرصهم على الحياة وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا على تكذيبه بأن يتمنوا ولا يموتوا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته * وفي الشفا من أعجب أمر اليهود انه لا يوجد منهم أحد يقدم على تمني الموت ولا يجيب اليه من يوم نزول هذه الآية لشدة خوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة وهذا المذكور من امتناعهم من التمني موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنهم به * ومثل ما تقدم في الاخبار بالغيب عن المستقبل قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار فقوله ولن تفعلوا اخبار بالغيب وتعجيز لهم ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا لما فيه من الروعة التي تهد الجبال فما بالك بالرجال وهذه الروعة على المكذبين به أعظم منها على المؤمنين حتى كانوا يستثقلون سماعه لصعوبته لما فيه عليهم ويزيدهم سماعه نفورا عن الحق والاصغاء اليه ويودون انقطاعه لكراهتهم له لخبث طباعهم قال تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحاكم الفاصل بين الحق والباطل والبر والفاجر وأما المؤمن فلا تزال روعته به أي فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه اجلالا وهيبة توليه عند تلاوته انجذابا فيميل قلبه وسمعه لحب استماعه ويزداد هشاشة ونشاطا لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله أي يعرض للجلد الذي الخشية عند القرآن قشعريرة من الخوف من هيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا ترى الصالحين اذا تلا القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى الغشي وشق الثياب ونحوه ومثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف وانما لم يقع مثل هذا من الصحابة رضي الله عنهم لان مقامهم مقام تمكين ومما يدل على ان ما يحدث للقلوب من الروعة والمهابة شيء خص به القرآن دون غيره من الكلام انه أمر يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره ومذاك الا لسر فيه وأمر رباني ولذلك يذاب قارئه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف

غيره * وفي الشفا للقاضي عياض ان نصرانيا مر بقارئ يتلوا القرآن جهرا فوقف ليسمع قراءته
وهو يبكي فقيل له مم بكيت فقال للشجا والنظم والمراد بالشجا الطرب وبالنظم رونق انتظامه
وحسن انسجامه فاثر ذلك في نفسه وهو لا يفهم حتى أبكاه وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل
الاسلام عند سماعهم القرآن فمنهم من أسلم لهذه الروعة لاول وهلة وآمن به وصدق ومنهم من
كفر روى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرأ في صلاة المغرب بالطور وذلك قبل اسلامه حين جاء الى المدينة ليكلم النبي صلى الله عليه
وسلم في أسارى بدر قال فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السموات
والارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون كاد قلبي أن يطير أي حدث
عنده فزع وخوف شديد حتى ظن أن قلبه يفنى ويطير زاد في رواية وذلك أول ما وقر الايمان
في قلبي أي لانه لما سمعها وفهمها علم ما فيها من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر لدلالتها على
ان لا خالق يستحق العبادة الا الله فسكن الايمان في قلبه بعد اضطرابه وفي رواية فصدع
قلبي وفي رواية انه لما سمع قوله تعالى والطور وكتاب مسطور في رق منشور تغير واندهش
فلما سمع ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع جلس وخاف ان العذاب ينزل به فلما سمع يوم تمور
السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين أخذه خوف شديد فلما وصل الى قوله
ام هم المسيطرون قال كاد قلبي يطير الخ الحديث ففيه دليل لروعة القرآن لمن سمعه وان تلك
الروعة سبب لاسلامه رضي الله عنه ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ ان قارئه لا يمله ولو أعاده مرارا مع
ان القلوب جبلت على معاداة المعادات وسامعه لا يعرض عنه ولا يكره تكراره على سمعه
بل الملازمة لتلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وحسنا وبهجة ورقة ولا يزال غضا طريا
لا تتغير بهجته ونضارته فكأنه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ولو بلغ في
الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس
بتلاوته عند نزول المكربات وسواه من الكتب لا يوجد فيه ذلك حتى أحدث لها أصحابها
لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها والمراد ان غير القرآن يخترع له
اسباب تحمل الناس على الرغبة فيه والاقبال عليه ولاختصاص القرآن بعدم ملل قارئه وصفه
صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من
بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى
في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي
لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الالسن ولا يخلق على الرد ولا تنقضي
عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من
قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم

﴿ومن وجوه اعجازه﴾ جمعه لعلوم ومعارف لم تعرفها العرب ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي عليه بل ولا يحيط أحد من علماء الامم بها ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الامم ببراهين قوية بينة سهلة الالفاظ رام المتحذلقون أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا كقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وكقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وكقوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وكقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفيه من دقائق علم النجوم كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ومن دقائق علم الطب كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومن دقائق علم الهندسة انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب فقيه اشارة الى شكل مثلث مع بعض أحكامه التي لا يعرفها الا الراسخون في علم الهندسة وفيه جمل من علوم السير والاخلاق الحميدة وتزكية النفس وأنباء الامم والمواعظ والحكم وجوامع الكلم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم والامثال والاشياء التي دلت على البعث وآياته والاخبار بما كان وما يكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وما فيه من صلة الارحام الى غير ذلك قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل واخرج ابن أبي شيبة ان الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة أي كتابا يشبه التوراة لكثرة ما اشتمل عليه تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب الاحبار عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى فجمع الله فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ ان الله جمع فيه بين الدليل والمدلول وذلك ان الله احتج بنظم القرآن البديع المعجز وبحسن تأليفه وايجازه وبلاغته فهو دليل وفي اثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده وغير ذلك من المقاصد العظيمة فهي مدلول فالقارئ يفهم الحجة والتكليف من كلام واحد وسورة منفردة ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ تيسير الله تعالى حفظه لمتعلمه قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وكانت سائر الامم لا يحفظ كتبها الا الواحد النادر مع طول اعمارهم وامتداد أزمنتهم قال سعيد بن جبير ان بني اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التوراة فكانوا لا يقرؤنها الا نظرا في صحفها غير موسى وهارون ويوشع ابن نون وعزير وقد من الله تعالى على هذه الامة بأن يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى ويسر حفظه للغلمان في أقرب مدة ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة الى أخرى والخروج

من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة الى أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير لبعض ماشرع وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده كضرب الامثال وذكر القصص للاعتبار بها دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر فيها من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن انطلاق الملأ منهم واجماعهم على الكفر وما ظهر من الحسد فى كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزى الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبيرا لنبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ماتقدم ذكره ثم أخذ فى ذكر داود عليه السلام وقصص الانبياء كسليمان وأيوب عليهما السلام وكل هذا فى أوجز كلام وأحسن نظام على أتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقل فصاحته ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ ان الله وسع على الامة بقراءته على أوجه متنوعة وطرق متعددة وهى طرق القراآت المشهورة ومع ذلك لا يختل شئ من بلاغته وجميع انواع اعجازه كل طريق من طرق قراءته مشتمل على تلك الوجوه وهذا لا يمكن مثله فى كلام البشر فان الشاعر البليغ اذا اجتهد فى انشاء قصيدة بليغة فانها تختل لو غير شئ من كلماتها ولا تبقى على بلاغتها لو أريد قراءتها على أوجه متنوعة بخلاف القرآن العزيز قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلم يقدر احد أن يأتى بمثل القرآن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده الى زمننا هذا بل الى يوم الدين وكيف يقدر عليه أحد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء والبلغاء من قريش وغيرها فعجز غيرهم أولى وهم قد عرفوا انه صلى الله عليه وسلم من قبل نبوته باربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولم يتعلم شيئا ولم ينشد شعرا لغيره فضلا عن انشائه ولا يحفظ خبرا ولا يروى أثرا حتى أكرمه الله بالوحى المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه وحاجهم به قال تعالى قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وشهد له سبحانه وتعالى فى كتابه بذلك قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ووجوه اعجاز القرآن كثيرة وعجائبه لا تنقضى ولا تتناهى واذا عرفت ماتقدم عرفت انه لا يحصى عدد معجزات القرآن بألف ولا ألفين ولا أكثر لانه صلى الله عليه وسلم قد تحداهم بسورة منه فعجزوا عنها وأقصر السور انا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها معجزة ثم فيها نفسها معجزات كما تقدم وجاء فى حديث قدسى من شغله القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلوبنا وشفاء همومنا وغمومنا ونور أبصارنا واجعلنا من المنتفعين به العاملين بما فيه التالين له حق تلاوته انك على شئ قدير والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر﴾

اعلم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم ترجع الى ثلاثة أقسام ماض وجد قبل وجوده ومستقبل وجد بعد وفاته ومقارن له من حين حمله الى ان نقله الله الى محل فضله فأما القسم الماضي وهو ما كان قبل وجوده فكثير كقصة الفيل وتبشير الانبياء والكهان به وغير ذلك مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته وهذا القسم سماه بعضهم ارهاصا وجوز بعضهم تسمية ذلك معجزة وأما القسم الثاني وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص أمته من الكرامات وخوارق العادات بسببه ما لا يحصى فكرامات الاولياء من تتمات معجزاته صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيري حيث يقول

والكرامات منهم معجزات * حازها من نوالك الاولياء

وأما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته الى حين وفاته فما وجد قبل البعثة يسمى أيضا ارهاصا وذلك كالنور الذي خرج معه حتى أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأت أمه قصور بصرى وروى ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان آمنة قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب وغير ذلك مما شوهد حال ولادته وفي رضاعه وكتظليل الغمام فانه انما كان قبل البعثة وكذا كل ما كان قبل بعثته وما وجد بعد البعثة فكثير جدا منه انشقاق القمر وقد نطق القرآن به قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وروى أحاديثه أهل السنن كالبخاري ومسلم والامام أحمد والبيهقي وبقية أهل السنن ورووا ذلك عن جمع من الصحابة منهم علي وابن مسعود وابن عمر وجبير بن مطعم وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان وغيرهم ورواه عنهم جمع عن جمع حتى بلغ مبلغ التواتر قال العلامة عبد الوهاب بن السبكي ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق ولم ينشق لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته صلى الله عليه وسلم قال في المواهب وقد أجمع أهل السنة والمفسرون على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم قال الخطابي انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الانبياء ولذا اختص بها سيدهم وذلك انه ظهر في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر من غيره وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية عن أنس رضي الله عنه ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وكان انشقاق القمر قبل الهجرة بخمس سنين وكان أنس بالمدينة صغيرا فروايته كانت عن ابن مسعود رضي الله عنه وكذا رواية ابن عباس رضي الله عنهما لانه اذ ذاك لم يولد وفي رواية

للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل أي فوقه
كما في الحديث قبله فقال صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية للامام أحمد عن جبير بن مطعم
رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا
الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا أي الكفار سحرنا محمد فقال رجل منهم أي وهو أبو جهل
ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه فقال
كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر فانه لم يبلغ سحره
أن يسحر الارض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وفي
رواية لابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
كفار قريش هذا سحر ابن أبي كبشة ثم قالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع أن
يسحر الناس كلهم فجاء السفار فأخبروهم بذلك رواه أبو داود الطيالسي وفي رواية للبيهقي
عن ابن مسعود رضي الله عنه انشق القمر بمكة فقالوا سحركم ابن أبي كبشة فسلوا السفار
فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم وان لم يكونوا رأوا
ما رأيتم فهو سحر فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رأيناه فقال الكفار هذا
سحر مستمر وفي رواية لابي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اجتمع المشركون الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل والاسود بن المطلب
والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر
فرقتين فانشق وفي رواية فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق
القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا ورواه البخاري
مختصرا عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابن عباس رضي الله عنهما وان لم يشاهد القصة كما تقدم ففي بعض طرقه أنه حمل الحديث
عن ابن مسعود رضي الله عنه وجاء في رواية لعبد الرزاق والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه
رأيت القمر منشقا شقتين شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء والسويداء بالمد والتصغير
ناحية خارج مكة عندها جبل وفي شرح المواهب أن التعبير بأبي قبيس من تغيير بعض
الرواة لان الغرض ثبوت رؤيته منشقا احدى الشقتين على جبل والأخرى على جبل آخر
ولا يغاير ذلك قول الراوي الآخر رأيت الجبل بينهما أي بين الفرقتين لانه اذ ذهبت فرقة
عن يمين الجبل وفرقة عن يساره صدق أنه بينهما وأي جبل آخر كان في جهة يمينه أو يساره
صدق عليه أنها عليه أيضا ووقع في بعض روايات ابن مسعود رضي الله عنه أن انشقاق
القمر كان والنبي صلى الله عليه وسلم بمنى وفي روايات أنس أن ذلك كان بمكة ولا تعارض
لان مراد أنس رضي الله عنه أن ذلك كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا الى المدينة ويصدق

على

على منى أنهما من جملة مكة بل جاءت رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انشق القمر على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمكة قبل أن يصير الى المدينة فظهر أن المراد بذكر مكة
فى رواية أنس الاشارة الى أن ذلك وقع قبل الهجرة وقيل ان الشق تعدد فمرة كان وهم بمنى
ومرة وهم بمكة وقيل ان مدة الشق كانت بقدر ما بين العصر الى الليل فيحتمل أنهم
كانوا بمنى ثم رجعوا الى مكة فمرة ذكروا حراء ومرة ذكروا أبا قبيس فقد روى أبو
نعيم فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما انشق القمر ليلة أربع عشرة نصفا على
الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل وجاء أنه تباعد ما بين الفرقتين فأراهم
النبى صلى الله عليه وسلم احدى الفرقتين وقال اشهدوا ثم أراهم الفرقة الاخرى وقال اشهدوا
وعلى هذا حمل بعضهم الرواية التى فيها أنه أراهم انشقاق القمر مرتين وجزم بعضهم بتكرير
الانشقاق وأنه وقع مرتين فلا تنافى بين الروايات قال القاضى عياض فى الشفاء وحيث أجمع
المفسرون وأهل السنة على وقوعه وتواترت أحاديثه فلا التفات الى اعتراض مخذول بأنه
لو كان هذا الانشقاق ثابتا لم يخف على أهل الارض اذ هو شئ ظاهر لجميعهم وحاصل
الرد عليه أنه لم ينقل لنا عن أهل الارض أنهم رصدوه تلك الليلة وترقبوه ونظروا الى مطلعه
فلم يروه انشق بل لو فرض أنهم فعلوا ذلك لما كانت بهم حجة علينا به اذ ليس القمر فى حد واحد
لجميع أهل الارض لاختلاف أحواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد
يطلع فى ليلة فى بعض البلاد دون بعض وقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد
يكون من قوم بضد ما هو من مقابلهم من أقطار الارض أو يحول بين قوم وبينه سحاب ولهذا
توجد الكسوفات فى بعض البلاد دون بعض وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية وفى بعضها
لا يعرفها الا ذو المعرفة ذلك تقدير العزيز العليم وانشقاق القمر وقع بالليل والعادة من الناس
فى الليل السكون واغلاق الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا الا
من رصد ذلك واعتنى به غاية الاعتناء وكثيرا ما يكون خسوف القمر فى البلاد وأكثر الناس
لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع وأمور
عظام تظهر بالليل فى السماء ولا يعلم بها كثير من الناس ومع ذلك فقد سألت قريش كثيرا من
أهل الآفاق فأخبروهم بأنهم شاهدوا ذلك فقالوا سحر مستمر أى عام وكان المخبرون هم السفار
لان المسافرين فى الليل غالبا يكونون فى ضوء القمر ولا يخفى عليهم ذلك بخلاف غيرهم فان الغالب
عليهم أن يكونوا نياما ويكفى ذلك فى ثبوت التواتر وان خفى على كثير من أهل الآفاق
وقال بعض الملحدة من الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام
وكذا قالوا فى فتح أبواب السماء ليلة الاسراء الى غير ذلك من انكارهم ما يكون يوم القيامة من
تكوير الشمس وغير ذلك وأجيب بأنه لا انكار للعقل فى ذلك فان القمر مخلوق فلله أن يفعل
فيه ما يشاء * يحكى أن أبا بكر بن الطيب لما أرسله صاحب الدولة لملك الروم بقسطنطينية

وأخبر ملك الروم بأن هذا أجل علماء الاسلام أحضر بعض بطارقته ليناظره فقال له تزعمون أن القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال له وهل بينكم وبين المائدة أخوة ونسب اذ رأيتموها ولم ترها اليهود واليونان والمجوس الذين أنكروها وهم في جواركم فأفحم ولم يحر جوابا ﴿تنبيه﴾ ما يذكره بعض القصاص أن القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له أصل وسئل النووي عن رجلين تنازعا في انشقاق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما انشق فرقتين دخلت احداهما في كمه وخرجت من الكم الآخر وقال الآخر بل نزل الى بين يديه فرقتين ولم يدخل في كمه فأجاب الاثنان مخطئان بل الصواب أنه انشق وهو في موضعه من السماء وظهرت منه احدى الشقتين فوق الجبل والأخرى دونه هكذا أثبت في الصحيحين من رواية ابن مسعود رضي الله عنه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم رد الشمس له روت أسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها وهي زوج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ثم تزوجها أبو بكر رضي الله عنه بعد استشهاد جعفر رضي الله عنه ثم تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم يصل علي رضي الله عنه العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر رواه الامام أبو جعفر الطحاوي وقال ان أحمد بن صالح المصري كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لانه من علامات النبوة وأحمد بن صالح من كبار أئمة الحديث الثقات وحسبه أن البخاري روى عنه في صحيحه ولا عبرة باخراج ابن الجوزي لهذا الحديث في الموضوعات فقد أطبق العلماء على تساهله في كتاب الموضوعات حتى أدرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة قال السيوطي

ومن غريب ما تراه فاعلم * فيه حديث من صحيح مسلم

قال في المواهب في حديث رد الشمس قد صححه الطحاوي والقاضي عياض قال الزرقاني وناهيك بهما وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها باسناد حسن ورواه ابن مردويه من حديث أبي هريرة باسناد حسن أيضا ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ الاسلام قاضي القضاة ولي الدين العراقي في شرح التقريب عن أسماء ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا رضي الله عنه في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في حجر علي رضي الله عنه فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فاستيقظ فسأله أصليت قال

لا فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس كي يصلي قالت أسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس وذلك بالصهباء ورواه الطبراني أيضا عن أسماء رضي الله عنها بلفظ آخر قالت اشتغل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا علي أصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ صلى الله عليه وسلم وجلس في المجلس فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقال لعلي توضأ وصلى العصر ثم تكلم صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب وفي لفظ آخر عند الطبراني أيضا في الكبير كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فأنزل عليه يوما وهو في حجر علي رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما سري عنه صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله بكلمتين أو ثلاث فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت أسماء فرأيت الشمس طلعت بعدما غابت حتى صلى العصر علي رضي الله عنه ومن القواعد أن تعدد الطرق يفيد أن للحديث أصلا قال الزرقاني في شرح المواهب ومن لطائف الاتفاقات الحسنة أن أبا المظفر الواعظ ذكر يوما قرب الغروب فضائل علي رضي الله عنه ورد الشمس له والسماء مغيمة غيما مطبقا فظنوا أنها غربت وهموا بالانصراف فأصحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراق فأشار اليهم بالجلوس وقال ارتجالا

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي * مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك ان أردت ثناءهم * أنسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله ولرجله

وروى الطبراني في معجمه الاوسط باسناد حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس أن لا تغرب حتى تقدم عير قريش التي رآها ليلة الاسراء وأخبرهم أنها تقدم يوم كذا وولى النهار ولم تجئ فتأخرت ساعة من نهار الى أن قدمت وروى يونس بن أبي بكر عن ابن اسحاق امام المغازي قال لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا له متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار أي قارب ذلك اليوم أن يتم ويدخل الليل بغروب الشمس ولم تجئ العير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة حبست عليه الشمس أي أمسكها الله بقدرته حتى قدمت العير قبل غروبها وأما حديث لم تحبس الشمس على أحد الا ليوشع بن نون عليه السلام فهو محمول على أن المعنى لم تحبس على أحد من الانبياء غيري الا ليوشع وقال الحافظ ابن حجر الحصر محمول على الماضي للانبياء قبل نبينا وليس فيه أنها لا تحبس بعد الماضي وحديث حبسها على يوشع لا يعارض حديث علي رضي الله عنه لانه في قصة يوشع كان

حبسها قبل الغروب وفى قصة على كان حبسها بعد الغروب وقوله الا ليوشع بن نون يعنى حين قاتل
الجبارين بعد وفاة موسى وهارون عليهما السلام وكان يوشع خليفة موسى عليه السلام وهو
القائم بالرسالة بعده فدعا الله تعالى أن يدنيه من الارض المقدسة رمية حجر وقاتلهم يوم الجمعة فلما
قاربت الشمس الغروب خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم
فيه فدعا الله تعالى فردّ عليه الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم قيل كان علم النجم صحيحا قبل
ذلك فلما وقفت الشمس ليوشع عليه السلام بطل أكثره ولما ردّت لعلى رضى الله عنه بطل جميعه
﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم كلام الشجر له وانقياده له وشهادته له بالرسالة وأحاديث
كلام الشجر له كثيرة شهيرة رواها أهل السنن عن كثير من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وعلى
ابن أبى طالب وعبد الله بن عباس وعائشة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وجابر بن
عبد الله وأسامة بن زيد وأنس بن مالك ويعلى بن مرة وغيرهم ورواها عنهم أضعافهم من
التابعين قال القاضى عياض فى الشفا فصارت فى انتشارها من القوة حيث هى قال الشهاب
الخفاجى يعنى أنها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حتى بلغت التواتر المعنوى وصارت فى
مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء روى البيهقى والبزار والدارمى عن ابن عمر رضى الله
عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فدنا منه أعرابى فقال له النبىّ صلى الله عليه
وسلم أين تريد يا أعرابى قال أهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه السمرة وهى بشاطئ
الوادى فأقبلت تخدّ الارض أى تشقها بعروقها حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم
فاستشهدها ثلاثا أى طلب منها أن تشهد له بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت له بأنه
رسول الله حقا ثم رجعت الى مكانها ورجع الاعرابى الى قومه وقال يا رسول الله ان يتبعونى
آتك بهم والا رجعت اليك وكنت معك وروى البزار عن بريدة بن الحصيب رضى الله عنه قال
سأل أعرابى النبىّ صلى الله عليه وسلم آية أى علامة تدل على أنه رسول فقال له قل لتلك الشجرة
رسول الله يدعوك فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها
ثم جاءت تخدّ الارض تجرّ عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت
عروقها فاستوت فقال الاعرابى ائذن لى أسجد لك أى بعد أن آمن به كما صرح به فى رواية فقال له
صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها فقال
الاعرابى فأذن لى أقبل يديك ورجليك فأذن له وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه قال آذنت أى أعلمت النبىّ صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وان
الجن قالوا له من يشهد لك أى بأنك رسول الله فقال هذه الشجرة ثم دعاها للشهادة فجاءت تجر
عروقها لها قعاقع وتقدم فى مباحث البعثة قبيل باب ذكر تعذيب قريش للمستضعفين قصة ركانة

رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وفيها أنه صلى الله عليه وسلم لما طلب منه أن يسلم قال لا الا أن تريني آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلي باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم وبين ركانة فقال أريتني أمرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له أسلم فأبى وبقي على كفره حتى كان عام الفتح فأسلم رضى الله عنه وتوفى بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه سنة اثنين وأربعين وروى البيهقى عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه فى أوائل البعثة قبل قوة الاسلام وأهله وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فأوحى الله اليه أن ائت وادى كذا من أودية مكة فان فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ماشاء الله أى جعله مدة قائما عنده ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال علمت ان لا مخافة على ورواه بنحو هذا البزار وأبو يعلى والبيهقى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم قال أرنى آية لا أبالى من كذبنى فذكر نحوه وروى البخارى فى تاريخه والبيهقى والدارمى والترمذى بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال بم أعرف انك رسول الله فقال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتؤمن بى قال نعم فدعاه فجعل ينقز أى يثب حتى أتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه فأسلم الاعرابى وفى رواية فجعل ينزل من النخلة شيئا فشيئا حتى سقط على الارض فأقبل وهو يسجد ويرفع حتى انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال له ارجع فعاد فأسلم الاعرابى وقال أشهد انك رسول الله والمراد من العذق العرجون بما فيه من الشماريخ وروى الامام أحمد عن جابر رضى الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة حين كذبوه فقال له مالك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بى هؤلاء وفعلوا فقال له جبريل أتحب أن أريك آية أى تزيل حزنك فقال نعم فنظر الى شجرة من وراء الوادى أى الذى كان فيه مع جبريل فقال ادع تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فأمرها فرجعت الى مكانها فقال صلى الله عليه وسلم حسبى حسبى وفى رواية لا أبالى من كذبنى من قومى بعد هذا أى لان الجماد اذا أطاع دعوته دل ذلك على أن الناس تطيعه لكن تأخير ذلك لحكم خفية ورواه الدارمى من حديث أنس والبيهقى من حديث عمر رضى الله عنهما وروى الامام أحمد والطبرانى والبيهقى عن يعلى بن مرة الثقفى رضى الله عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير فذكر الحديث الى أن قال ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبى صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته وفى رواية طافت به ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ صلى الله عليه وسلم ذكرت له ذلك فقال هى شجرة استأذنت ربها فى أن تسلم على فأذن لها وروى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله

رضي الله عنهما قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة حتى نزلنا واديا أفيح أي واسعا فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي معي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده والمخشوش الذي وضع له الخشاش وهو عود يجعل في أنف البعير لينقاد بسهولة ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا والمنصف بفتح الميم والصاد بينهما نون ساكنة آخره فاء الموضع الوسط بين الموضعين والالتئام الاجتماع وفي رواية أنه لما أخذ بغصن احداهما قال لجابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحق بصاحبتك حتى أجلس خلفكما فزحفت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر أي أعدو وأجري وجلست أحدث نفسي بهذا الامر الغريب العجيب فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وهو حديث واحد طوله بعض الرواة واختصره بعضهم وروى البيهقي وأبو يعلى عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي تقصده وتعينه فقلت ان الوادي ما فيه موضع خال عن الناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يأمركن أن تقاربن وقل للحجارة مثل ذلك فقلت لهن ذلك فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما فقضى حاجته ثم قال لي قل لهن يفترقن والذي نفسي بيده لرأيتهن يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وروى الامام أحمد والبيهقي والطبراني بسند صحيح عن يعلى بن سيابة رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وقال في رواية فأمر وديتين أي نخلتين صغيرتين فانضمتا وعن غيلان بن سلمة الثقفي رضي الله عنه مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزوة حنين ولله در الابوصيري حيث يقول

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشي اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم

(أي الطريق) ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم تسليم الحجر والشجر عليه وسجودهما له وطاعتهما له روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث واني لاعرفه الآن قال بعضهم هو الحجر الاسود وقال آخرون هو غيره بزقاق يعرف بزقاق الحجر وبزقاق المرفق بمكة والناس يتبركون بلمسه

ويقولون انه هو الذى كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتازبه ذكر ذلك فى المواهب ثم نقل عن ابن رشد وجماعة من أئمة المالكية منهم الامام أبو حفص الميانشى قال أخبرنى كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر المبنى فى الجدار المقابل لدار أبى بكر رضى الله عنه المشهور هو الذى كلم النبي صلى الله عليه وسلم وروى الترمذى والدارمى والحاكم وصححه عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه قال كنت أمشى مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله قال العلماء وانما كان هذا فى بدء نبوته تطمينا لقلبه وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعد ذلك واجابتهم لدعوته وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلنى جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وروى أبو نعيم عن بريرة رضى الله عنها قالت لما أراد الله كرامة نبيه صلى الله عليه وسلم كان يمضى الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله وكان يرد عليهم وعليكم السلام قال بعضهم فهذا أمر يقر به الحجر فكيف ينكره البشر رواه البزار وأبو نعيم وروى البيهقى عن جابر رضى الله عنه قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم أى فى ابتداء البعثة يمر بحجر ولا شجر الا سجد له ومن ذلك تامين أسكفة الباب أى عتبته وحوائط البيت على دعائه صلى الله عليه وسلم روى البيهقى وابن ماجه عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه يا أبا الفضل لا ترم بكسر الراء أى لا تبرح من منزلك أنت وبنوك حتى آتيك فان لى فيكم حاجة فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف أصبحتم قالوا أصبحنا بخير بحمد الله تعالى فقال لهم تقاربوا تقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا أمكنوه أى اتصلوا به اشتمل عليهم بملاءته فقال يارب هذا عمى وصنو أبى أى مثله وهؤلاء أهل بيتى أى من أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه قال فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين وبنو العباس هؤلاء هم الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن وسعيد واختهم أم حبيبة رضى الله عنهم وفيهم يقول عبد الله الهلالى

ماولدت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه أو سهل
كستة من بطن أم الفضل * أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذى الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

وروى الامام أحمد والبخارى والترمذى وابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان رضى الله عنهم أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وروى مسلم مثل هذا عن أبى هريرة

رضى الله عنه فى حرا وزاد وقال ومعه على وطلحة والزبير وفى رواية وسعد بن أبى وقاص
رضى الله عنهم وقال فانما عليك نبى أو صديق أو شهيد وأو للتقسيم وروى مسلم أيضا والترمذى
والنسائى فى حراء أيضا عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال ومعه عشرة من أصحابه وزاد فيهم
عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وفى رواية انه وقع مثل ذلك وهم على ثبير ويجمع بين
الروايات بتعدد القصة وتكررها ولا مانع من ذلك ورجف الجبل هذا وتحركه طربا
بصعودهم عليه أو خوفا وهيبة واجلالا وليست رجفة غضب كرجفته ببنى اسرائيل لما حرفوا
الكلم وروى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر
وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وروى البخارى ومسلم والبزار والطبرانى وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله
وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم قال كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل
بالرصاص فى الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب
فى يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فما أشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه
الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم وفى رواية لابن مسعود رضى الله عنه فجعل يطعنها ويقول
جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ولا تنافى بين الروايتين لاحتمال أن يفسر قوله يطعنها بأنه
يشير اليها من غير مس ليوافق ما قبله أو انها لكثرتها كان يشير الى بعضها من غير مس ويطعن
بعضها بمس لطيف لا يقتضى سقوطها عادة ففعل الحالين يكون سقوطها معجزة له صلى الله عليه
وسلم وروى الترمذى والبيهقى فى حديث بحيرا الراهب وهو بفتح الباء مقصورا فى ابتداء
أمره صلى الله عليه وسلم وهو صغير السن لم يبعث حين خرج مع عمه أبى طالب فى تجارة وكان
الراهب لا يخرج الى أحد فخرج تلك المرة فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش من أين عرفت
هذا فقال لانه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبى ولانه أقبل وعليه غمامة
تظله ولما دنا من القوم وقد سبقوه الى فىء الشجرة جلس صلى الله عليه وسلم فمال الفىء اليه
ومما يلتحق بذلك تأثير قدمه صلى الله عليه وسلم فى الحجارة والانة الصخر له قال الشهاب الخفاجى
فى شرح الشفاء وهذا مما شاع فى الاقطار ونظمه الشعراء فى فصيح الاشعار فمن ذلك انه صلى الله
عليه وسلم كان فى بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه فى الحجارة بحيث بقى ذلك الى الآن وارتسم
فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما فى القدس ونقل منه لمصر أماكن
متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباى اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى بجعله عند قبره وهو
موجود الى الآن وانه صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الرمل أحيانا لا يكون لقدمه أثر وقال
الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه
فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء فى قصائدهم النبوية والبلغاء

ورهم مع اعتضاده بوجود أثر قدمي الخليل عليه الصلاة والسلام في حجر المقام المنوّه به
التنزيل في قوله تعالى فيه آيات بينات البالغ تعيينه وأنه أثره مبلغ التواتر وفيه يقول أبو
الب

وموطئ ابراهيم في الصخر وطؤه * على قدميه حافيا غير ناعل

ما في البخاري من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بتأثير ضربه في الحجر ستا أو سبعا لما فر بثوبه
حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبي الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثله او يؤيده وجود
أثر حافر بغلته صلى الله عليه وسلم في مسجد بطيبة عرف بمسجد البغلة الى الآن وما ذاك الا من
سره صلى الله عليه وسلم الساري في البغلة ليكون أوضح في الدلالة على انه أوتي مثل ما أوتي الخليل
صلى الله عليه وسلم على وجه أعلى منه وفي شرح المواهب للعلامة الزرقاني ان أثر قدمه صلى الله
عليه وسلم وأثر أصابعه موجود على صخرة بيت المقدس وذكر السيوطي في الخصائص انه من
خصائصه صلى الله عليه وسلم انه ما وطئ على صخر الا وأثر فيه قال بعضهم كان ذلك قبل البعثة
وبالجملة فهذه المعجزة ثابتة متحققة عند الائمة الجهابذة من أهل الحديث فلا وجه لانكار بعض
القاصرين اياها وفي فتاوى الجلال السيوطي من جملة أسئلة رفعت اليه فأجاب عنها بأنها باطلة
ان أبا جهل قال يا محمد ان أخرجت لنا طاوسا من صخرة في داري آمنت بك فدعا النبي صلى الله
عليه وسلم ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن كأنين المرأة الحبلى ثم انشقت عن طاوس صدره
من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه من جوهر فلما رأى ذلك أبو جهل
لعنه الله أعرض ولم يؤمن انتهى قال بعض المحققين وفي معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ما يغني
عن حكاية مثل هذه القصة التي لم يرد بها حديث صحيح ولا ضعيف فهي باطلة كما قال الجلال
السيوطي رحمه الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم تسبيح
الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم وحديثه قد اشتهر ورواه كثير من أهل السنن منهم
البيهقي والبزار والطبراني وابن عساكر من حديث ابي ذر وأنس بن مالك رضي الله عنهما
ففي رواية عن أبي ذر رضي الله عنه قال كنت أتتبع خلوات النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته
يوما خاليا فاغتنمت خلوته فأتيته وهو جالس عنده أحد من الناس وكاني أرى انه في وحي فسلمت
عليه فرد على السلام ثم قال ما جاء بك قلت الله ورسوله أي حبهما فأمرني أن أجلس فجلست
الى جنبه لا أسأل عن شئ ولا يذكره لي فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر رضي الله عنه يمشي مسرعا
فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ما جاء بك قال الله ورسوله فأشار بيده أن اجلس فجلس الى ربوة
مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل ذلك وجلس الى جنب أبي بكر رضي الله عنه ثم جاء عثمان رضي الله عنه كذلك
وجلس الى جنب عمر رضي الله عنه ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع
أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم وضعهن بالارض فخرسن ثم أخذهن وناولهن أبا بكر رضي الله عنه فسبحن

فى كف أبى بكر رضى الله عنه حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن عنه فوضعهن فى الارض فخرسن ثم تناولهن وناولهن عمر رضى الله عنه فسبحن فى كفه كما سبحن فى كف أبى بكر رضى الله عنه وفى رواية حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن عنه فوضعهن فى الارض فخرسن ثم تناولهن من الارض وناولهن عثمان رضى الله عنه فسبحن فى كفه كنحو ما سبحن فى كف أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وفى رواية حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن فوضعهن فى الارض فخرسن ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع واحد منا وفى رواية أنس رضى الله عنه ثم وضعهن فى أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن واستشكل قوله ثم وضعهن أيدينا بأن ما تقدم يقتضى انه لم يحضر غير أبى بكر وعمر وعثمان وأبى ذر رضى الله عنهم واجيب بأنه يحتمل تكرر القصة أو أن ما تقدم باعتبار أول الامر ثم حضر جماعة من الصحابة منهم أنس رضى الله عنه خصوصا وقد كان خادم النبى صلى الله عليه وسلم فتقل مفارقته له ولم يذكر على رضى الله عنه لانه لم يكن حاضرا معهم فى ذلك المجلس وذلك لا يشين مقامه رضى الله عنه مع ماله من المناقب ولو كان حاضرا لسبحت فى كفه قطعا (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم تسبيح الطعام وهو يؤكل روى البخارى والترمذى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى الشفا للقاضى عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه قال مرض النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وروى أبو الشيخ عن أنس رضى الله عنه قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بطعام ثريد فقال ان هذا الطعام يسبح قالوا أوتفقه تسبيحه قال نعم ثم قال لرجل أدن هذه القصعة من هذا الرجل فأدناها فقال نعم يارسول الله هذا الطعام يسبح ثم قال ردها فردها وظاهر هذا انه كان يسبح وهو فى الاناء وظاهر حديث البخارى انه كان يسبح بعد وضعه فى الفم ولا مانع منهما وفى قوله كنا دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة وهو آية للنبى صلى الله عليه وسلم أعظم من تسبيح الجبال مع داود وفهم نطق الطير لسليمان عليهما السلام وكذا تسبيح الحصى لان الجبال لم تسبح وهى بيد داود عليه السلام بخلاف الحصى فانها سبحت بيده صلى الله عليه وسلم وبيد من أراد من أمته وتسبيح الطعام أعظم منهما اذلم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وانما كان أعظم من فهم سليمان عليه السلام منطق الطير لان الطير ناطق فى الجملة بخلاف الطعام وروى البيهقى ان أبا الدرداء وسلمان الفارسى رضى الله عنهما كانا اذا كتب أحدهما للآخر قال له بآية الصحفة وذلك أنهما بينا هما يأكلان فى صحفة اذ سبحت وما فيها والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم حنين الجذع والمراد بحنينه شوقه وانعطافه الى النبى صلى الله عليه وسلم مع ظهور صوت دال على ذلك الشوق والجذع واحد جذوع النخل وهو بالذال المعجمة وقد روى حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك حتى صار متواترا قال القاضى عياض والتاج

السبكي والحافظ ابن حجر وغيرهم ان حنين الجذع وانشقاق القمر كل منهما أحاديثه متواترة
نقلت نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له
في ذلك وهذه الآية من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال
الشافعي رضي الله عنه ما أعطى الله نبيا مثل ما أعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقيل له أعطى
عيسى عليه السلام احياء الموتى فقال أعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع حين سمع
صوته فهي أكبر من ذلك وقال القاضي عياض في الشفا حديث حنين الجذع مشهور
منتشر والخبر به متواتر أي لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة عن جماعة له يستحيل تواطؤهم على
الكذب أخرجه أهل الصحيح أي الذين التزموا اخراج الأحاديث الصحيحة في كتبهم كالشافعي
والامام أحمد والبخاري وابن خزيمة وابن حبان والترمذي وابن ماجه وأبي يعلى والطبراني
والحاكم والدارمي ورواه من الصحابة جمع كثير منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس
ابن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري
وبريدة بن الحصيب الاسلمي وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة السهمي فما رواه الشافعي
في مسنده حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي مستندا
الى جذع اذ كان المسجد عريشا أي مسقوفا بالجريد وكانت الجذوع له كالأعمدة وكان يخطب
الى ذلك الجذع فقال رجل من أصحابه أي وهو تميم الداري رضي الله عنه هل لك أن نجعل منبرا
تقوم عليه يوم الجمعة ويسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع له ثلاث درجات هي التي على المنبر أي
في خلافة معاوية رضي الله عنه لأن مروان زاد فيه ست درجات وقال انما زدت فيه حين كثر
الناس واستمر على ذلك الى أن احترق مسجد المدينة سنة أربع وخمسين وستمائة فاحترق
ذلك المنبر فلما صنع له صلى الله عليه وسلم المنبر وكان من أثل الغابة وضعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم موضعه الذي هو فيه فكان اذا بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطب فتجاوز
الجذع الذي يخطب عليه خار فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه
بيده فسكت ثم رجع الى المنبر وفي رواية للبخاري عن جابر رضي الله عنه فجعلوا له منبرا فلما
كان يوم الجمعة رفع أي النبي صلى الله عليه وسلم الى المنبر فصاحت النخلة زاد في رواية صياح
الصبي حتى كادت أن تنشق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمها أي النخلة وفي رواية
فضمه أي الجذع اليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن قال عليه الصلاة والسلام كانت
تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها وفي رواية للبخاري عن جابر أيضا رضي الله عنه
كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع
منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم
فوضع يده عليها فسكنت والعشار بكسر العين النوق الحوامل التي انتهت في حملها الى عشرة
أشهر وفي رواية للنسائي في السنن الكبرى عن جابر رضي الله عنه اضطربت تلك السارية

كحنين الناقة الخلوج بفتح الخاء وضم اللام الله الخفيفة آخره جيم الناقة التي انتزع ولدها وفي رواية لابن خزيمة عن أنس رضي الله عنه فحنت الخشبة حنين الواله وفي رواية للامام أحمد والدارمي وابن ماجه عن أبي بن كعب رضي الله عنه فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق يعني انه بالغ في الصياح فأخذ أبي ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلي وصار رفاتا وهذا لا ينافي انه جاء في رواية فأمر به نبي الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر لاحتمال انه ظهر بعد الهدم عند التنظيف فأخذه أبي بن كعب رضي الله عنه وفي رواية لابي يعلى عن أنس رضي الله عنه خار كخوار الثور وارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية سهل بن سعد وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكن وقال والذي نفسي بيده لولم ألتزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة وفي رواية للدارمي عن بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله عنه فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم للجذع حين سمع حنينه ان شئت ان أردك الى الحائط أي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر وان شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له يستمع مايقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اختار دار البقاء أي وهي الجنة على دار الفناء أي وهي الدنيا قال القاضي عياض في الشفا وكان الحسن البصري رحمه الله اذا حدث به بكى وقال ياعباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه قال في المواهب ان الله خلق في الجذع حياة وعقلا حتى صوت واشتاق وقد عامله النبي صلى الله عليه وسلم معاملة الحي فالتزمه كما يلتزم الغائب أهله وأعزته يبرد شوقهم اليه وأسفهم عليه ولله در القائل

وحن اليه الجذع شوقا ورقة * ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته * لكل امرئ من دهره ما تعودا

قال العلامة الزرقاني يعني أنه أمر مسطر في كل من اعتاد أمرا وانقطع عنه فانه يتألم لذلك ويحزن فاذا رجع اليه فرح واطمأن وهذا الجذع لما ألف مقامه صلى الله عليه وسلم عنده اعتاد ذلك فصار يتألم لفراقه تألم من فارقته أحبته فلما ضمه سكن وفرح كمقيم ورد عليه أحبته المسافرون سفرا طويلا لاسيما اذا ظن المقيم أن لا يرجع المسافر اليه ولله در القائل

وألقى حتى في الجمادات حبه * فكانت لاهداء السلام له تهدى
وفارق جذعا كان يخطب عنده * فأن أنين الأم اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع ياقوم هكذا * أما نحن أولى أن نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق فقد ساعة * فليس وفاء أن نطيق له بعدا

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم سجود الجمل له وشكواه كثرة العمل وقلة العلف روى

الامام أحمد والنسائي باسناد جيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان أهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون أي يسقون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره أي الانتفاع به فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسني عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فدخل الحائط أي البستان والجمل في ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يارسول الله قد صار مثل الكلب الكلب أي العقور وانا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على منه بأس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه أي واضعا مشفره بالارض كما بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه يارسول الله هذه بهيمة لاتعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق بالسجود لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وروى الامام أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال بينما نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر أي صوت كثيرا فوضع جرانه وهو بالكسر مقدم العنق فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال أين صاحب هذا البعير فجاء فقال صلى الله عليه وسلم له بعنيه فقال بل نهبه لك يارسول الله وانه لاهل بيت مالهم معيشة غيره فقال أما اذ ذكرت هذا من أمره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا اليه أي بقلة العمل وكثرة العلف وروى الدارمي والبزار والبيهقي باسناد جيد عن جابر رضي الله عنه أن جملا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان قريبا منه خر الجمل ساجدا فقال صلى الله عليه وسلم ياأيها الناس من صاحب هذا الجمل فقال فتية من الانصار هو لنا قال فما شأنه قالوا سنونا عليه عشرين سنة فلما كبرت سنه أردنا نحره فقال صلى الله عليه وسلم تبيعونيه قالوا هو لك يارسول الله فقال أحسنوا اليه حتى يأتي أجله فقالوا يارسول الله نحن أحق أن نسجد لك من البهائم فقال لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر ولو كان النساء لازواجهن وفي رواية انه قال لصاحب الجمل ما لبعيرك يشكوك زعم أنك شنأته حين كبر تريد أن تنحره فقال صدقت والذي بعثك بالحق لا أفعل وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا من الانصار كان له فحلان فاغتلما فأدخلهما حائطا فسد عليهما الباب ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يدعو له والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد معه نفر من الانصار فقال يارسول الله اني جئت في حاجة وانه كان لي فحلان فاغتلما واني أدخلتهما حائطا وسددت عليهما الباب فأحب أن تدعو لي أن يسخرهما الله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا معنا فذهب حتى أتى الباب فقال افتح فشفق الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افتح ففتح فاذا أحد الفحلين قريب من الباب

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد له فقال صلى الله عليه وسلم ائتني بشئ أشده به رأسه وأمكنه منه فجاء بخطام فشده به رأسه وأمكنه منه ثم مشى الى أقصى الحائط اذا الفحل الآخر فلما رآه وقع له ساجدا فقال ائتني بشئ أشده به رأسه وأمكنك منه فجاء بخطام فشده به رأسه وأمكنه منه وقال اذهب فانهما لا يعصيانك وروى الامام أحمد وأبو داود وابن شاهين عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما قال أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فأسر الىّ حديثا لا أحدث به أحدا من الناس قال وكان أحب ما استتر به النبي صلى الله عليه وسلم أي عند قضاء الحاجة هدف وهو كل شئ مرتفع على الارض أو حائش نخل أي وهو النخل المجتمع فدخل حائط رجل من الانصار أي لحاجته فاذا جمل فلما رأى الجمل النبي صلى الله عليه وسلم حن فذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفره أي وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند أذنه فسكن ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هو لي يا رسول الله فقال ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه أي تتعبه بكثرة العمل وفي رواية وكان لا يدخل أحد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع شفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمه أي وضع زمامه الذي يقاد به في رأسه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والارض شئ الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم سجود الغنم وطاعتها له صلى الله عليه وسلم روى الامام أحمد والبزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا أي بستانا لانصاري ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له أي تعظيما له لما شاهدت نور نبوته وألهمها الله معرفته فقال أبو بكر يا رسول الله نحن أحق بالسجود لك من الغنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد أن يسجد لاحد وروى البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن وهو على بعض حصون خيبر وكان الرجل في غنم يرعاها لأهل خيبر فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك أمانتك وردها الى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها معجزة له صلى الله عليه وسلم فهذا من طاعات الحيوانات له ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم كلام الذئب واقراره برسالته صلى الله عليه وسلم روى الامام أحمد باسناد جيد والترمذي والحاكم باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه وقال ألا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله الىّ فقال الراعي يا عجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق وفي رواية رسول الله في النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبإ ما قد سبق وما يكون بعد ذلك وفي لفظ يدعو الناس الى

الهدى والى الحق وهم يكذبونه قال أبو سعيد فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة ثم
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بالصلاة
جامعة ثم خرج فقال للاعرابى اخبرهم أى بما شاهدته ليسروا ويزدادوا ايمانهم فأخبرهم وفى
رواية وكان الرجل يهوديا فجاء وأسلم وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم وصدقه ثم قال صلى الله عليه
وسلم انها أمارات بين يدى الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه
نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده وفى رواية أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال الذئب
للراعى أنت أعجب منى واقف على غنمك وقد تركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه قدرا
عنده وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك و بينه
الا هذا الشعب فتصير فى جنود الله قال الراعى من لى بغنمى قال الذئب أنا أرعاها حتى
ترجع فأسلم الرجل اليه غنمه ومضى فذكر قصته واسلامه ووجوده النبى صلى الله عليه
وسلم يقاتل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها أى لم ينقص منها شئ
فعاد فوجدها كذلك فذبح للذئب شاة منها وروى قصة كلام الذئب أيضا الامام أحمد عن
أبى هريرة رضى الله عنه والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما وأبو نعيم عن أنس رضى الله عنه
وروى سعيد بن منصور عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء الذئب فأقعى بين يدى النبى صلى الله
عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه أى يحركه فقال صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء
يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيأ قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا ورماه به
فأدبر الذئب وله عواء فقال صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب وهذا الاستفهام مفخم أمره
قال القاضى عياض فى الشفاء وقد روى ابن وهب أن الذئب كلم أبا سفيان بن حرب وصفوان
ابن أمية قبل اسلامهما وذلك انهما وجدا ذئبا يريد أخذ ظبى فجرى الذئب خلف الظبى من
الحل فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب عنه فعجبا من ذلك فقال الذئب لما سمع تعجبهما أوعلم
من حالهما أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال أبو
سفيان لصفوان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة أى لأهلها ليتركنها خلوفا بضم الخاء
المعجمة أى فاسدة متغيرة يعنى يقع الفساد والتغير فى أهلها باسلامهم وهجرتهم الى المدينة
وسمى ذلك فسادا باعتبار زعمهم الذى كانوا يعتقدونه قبل اسلامهم ﴿ومن معجزاته﴾ صلى
الله عليه وسلم حديث الحمار أخرج ابن عساكر عن ابن منظور رضى الله عنه قال لما فتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حمارا أسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحمار فكلمه الحمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج
الله من نسل جدى ستين حمارا كل منهم لا يركبه الا نبى وقد كنت أتوقعك أن تركبنى لانه لم يبق
من نسل جدى غيرى ولا من الانبياء غيرك وقد كنت قبلك لرجل يهودى وكنت أتعثر به عمدا
وكان يجيع بطنى و يضرب ظهرى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور وهو اسم ولد

الظبي كأنه سمي به لسرعته فكان عليه الصلاة والسلام يبعثه الى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج اليه صاحب الدار أومأ اليه أن أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى بئر كانت لابي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الواقدي مات يعفور منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع وبه جزم النووي عن ابن الصلاح فيكون موته قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى حديث الحمار أبو نعيم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه وأخرجه ابن حبان وغيره وأنكره بعضهم وقال انه موضوع وقال بعضهم انه ضعيف وقد تعددت طرقه قال العلامة الزرقاني وليس فيه ما ينكر شرعا فلا بدع في وقوعه له صلى الله عليه وسلم فنهايته الضعف لا الوضع

﴿ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم﴾ حديث الضب بفتح المعجمة وموحدة ثقيلة حيوان بري يشبه الورل قال ابن خالويه لا يشرب الماء ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا ويقال انه يبول كل أربعين يوما قطرة ولا يسقط له سن ويقال ان اسنانه قطعة واحدة ليست متفرقة وحديثه مشهور على الالسنة وقد رواه البيهقي والطبراني وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدي والدارقطني كلهم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه اذ جاءه اعرابي من بني سليم قد صاد ضبا جعله في كمه ليذهب به الى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة أي الصحابة قال من هذا قالوا نبي الله وفي رواية الدارقطني فقال على من هؤلاء الجماعة فقيل له على هذا الذي يزعم انه نبي فأتاه فقال يا محمد ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك فلولا أن تسميني العرب عجولا لقتلتك ولسررت الناس أجمعين بقتلك فقال عمر يا رسول الله دعني أقتله فقال صلى الله عليه وسلم أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان بين وفي رواية فكلمه الضب بلسان طلق فصيح عربي مبين يسمعه وفي رواية يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الاعرابي زاد الدارقطني وابن عدي فقال الاعرابي أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد هو أبغض الى منك والله لأنت الساعة أحب الى من نفسي وولدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقرآن قال فعلمني فعلمه صلى الله عليه وسلم الفاتحة والاخلاص فقال يا رسول الله ما سمعت

فى البسيط ولا فى الوجيز أحسن من هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا كلام رب العالمين وليس بشعر واذا قرأت قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأت ثلث القرآن وان قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلثى القرآن وان قرأتها ثلاثا فكأنما قرأت القرآن كله فقال الاعرابى نعم الاله الهنا يقبل اليسير و يعطى الكثير ثم قال صلى الله عليه وسلم ألك مال فقال ما فى سليم قاطبة أفقر منى فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اعطوه فأعطوه حتى أثروه فقال عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه انى أعطيه يارسول الله ناقة عشراء أهديت الى يوم تبوك تلحق ولا تلحق أتقرب بها الى الله دون البختى وفوق العرابى فقال صلى الله عليه وسلم لقد وصفت ما تعطى فأصف لك ما يعطيك الله قال نعم قال لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من زمرد أخضر وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق تمر بك على الصراط كالبرق الخاطف فخرج الأعرابى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه ألف اعرابى من بنى سليم على ألف دابة بألف رمح وألف سيف فقال لهم أين تريدون فقالوا هذا الذى يكذب ويزعم أنه نبى فقال الاعرابى انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا صبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فتلقاهم بلارداء فنزلوا عن ركائبهم يقبلون ما ولوا منه وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وقالوا يارسول الله مرنا بأمرك فقال كونوا تحت راية خالد بن الوليد قال ابن عمر رضى الله عنهما فلم يؤمن فى أيامه صلى الله عليه وسلم من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم وهذا الحديث قد ضعفه بعضهم وادعى بعضهم انه موضوع وذلك مردود كيف وقد رواه الائمة الحفاظ الكبار كابن عدى وتلميذه البيهقى وهو لا يروى موضوعا والدارقطنى وناهيك به ولحديث ابن عمر طرق ورواه أبو نعيم وورد مثله عند ابن عساكر عن على رضى الله عنه ورواه ابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما ومن حديث عائشة وأبى هريرة رضى الله عنهما غاية الامر أن بعض الطرق ضعيفة لكنها يقوى بعضها بعضا والله أعلم

﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم حديث الغزالة أى كلامها له روى حديثها البيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه من طرق يقوى بعضها بعضا فيعلم أن له أصلا فيكون حسنا لغيره وذكره القاضى عياض بلا سند عن أم سلمة رضى الله عنها بدون تمريض فيدل على قوته فلا عبرة بتضعيف بعضهم له و رواه أبو نعيم فى الدلائل النبوية عن أنس وعن أم سلمة أيضا رضى الله عنهما قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحراء من الارض اذا هاتف يهتف يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة فى وثاق واعرابى منجدل فى شملة نائم فى الشمس فقال لها ما حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان أى ولدان فى ذلك الجبل فأطلقنى حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت عذبنى الله عذاب العشار أى المكاس ان لم أرجع فأطلقها فذهبت فأرضعتهما ورجعت عن قرب فأوثقها

النبي صلى الله عليه وسلم كما كانت فانتبه الاعرابي من نومه فقال يارسول الله ألك حاجة قال
أطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجلها الارض وتقول
أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وفي رواية زيد بن أرقم رضي الله عنه قال فأنا والله
رأيتها تسبح في البرية وهي تقول لا اله الا الله محمد رسول الله ورواه الطبراني بنحو هذا وساق
الحافظ المنذري لفظ الطبراني في الترغيب والترهيب من باب الزكاة وأنكر السخاوي
حديث تكليم الغزالة ثم قال لكنه في الجملة وارد في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض أوردها
شيخنا شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج أحاديث المختصر
الكبير في الاصول لابن الحاجب وقال العلامة ابن السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب وحديث
تسبيح الحصى وتكليم الغزالة وان لم يكونا اليوم متواترين لعلهما تواترا اذ ذاك وقال الحافظ
ابن حجر والذي أقوله انها كانت مشهورة بين الناس انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم * ومن
معجزاته صلى الله عليه وسلم تعظيم داجن البيوت له وانقياده وطاعتها له وشهادتها عنده صلى
الله عليه وسلم والداجن ما ألف البيوت من الحيوانات كالطير والشاة والناقة وقد روى ذلك
الامام أحمد والبزار وقاسم بن ثابت السرقسطي الاندلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت
عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر أي سكن وثبت مكانه فلم يجيء
ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب أي مشى في البيت وتردد فيه لانه
ليس ثمة من يهابه وقيل معناه لم يقر لعدم رؤيته صلى الله عليه وسلم شوقا له وكلاهما أي الف
الحيوان الذي لا يعقل له صلى الله عليه وسلم ومهابته عنده آية ظاهرة وذكره القاضي عياض
في الشفاء بسنده الى قاسم بن ثابت أيضا وعن عبد الله بن قرط رضي الله عنه قال قرب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أوست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه
بأيتهن يبدأ أي تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله عليه وسلم رغبة في أن يذبحها وانقيادا له
بالهام من الله تعالى رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم وروى الطبراني عن زيد بن ثابت
والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا
بمجمع طرق المدينة بصرنا باعرابي أخذ بخطام بعير حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
السلام عليك يانبي الله فرد عليه السلام فجاء رجل وقال ان هذا الاعرابي سرق هذا البعير فرغا
البعير وهو صلى الله عليه وسلم منصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير يشهد بأنك كاذب
وعبارة الشفاء ومن معجزاته حديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها
أنه ما سرقها وانها ملكه وفي الشفا أيضا ومن هذا القبيل ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال
لفرسه وقد قام الى الصلاة في بعض أسفاره والفرس غير مربوط لاتبرح بارك الله فيك حتى
نفرغ من صلاتنا وجعله في قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ففيه معجزة له
حيث فهم الحيوان كلامه ومما اندرج في تسخير الحيوانات له صلى الله عليه وسلم ما رواه

البخاري

البخاري في تاريخه والبيهقي في سننه من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فقال له أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي كتابه فألهمه الله تعالى أن فهم كلامه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه من اليمن مثل ذلك وفي رواية للبزار والبيهقي صححها السيوطي أن سفينة رضي الله عنه كان في سفينة في البحر فانكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد قال فقلت له أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ صلى الله عليه وسلم مرة باذن شاة أي مسكها باصبعيه ثم خلاها فصار ذلك ميسما فيها وفي نسلها ويلتحق بهذا المبحث ما روى الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك خرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم والواقدي امام جليل من أئمة السير وثقه بعضهم وتكلم فيه بعضهم قال الشهاب الخفاجي وكفى برواية الشافعي عنه دليلا على صحة ما رواه وقد ترجمه الذهبي وابن سيد الناس وغيرهما بترجمة جليلة قال القاضي عياض في الشفا والاحاديث في هذا الباب كثيرة وقد جئنا منها بالمشهور والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم نبع الماء الطهور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قال القرطبي قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي وقال القاضي عياض هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير والجم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجامع العساكر ولم يرد عن أحد منهم انكار على الراوي ذلك فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته صلى الله عليه وسلم وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق وعن جابر عندهم من أربعة طرق وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي وعن ابن عباس عند الامام أحمد والطبراني من طريقين فقول ابن بطال لم يرد الا من طريق أنس مردود وهذه المعجزة لم يسمع انها وقعت لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهي أعظم من نبع الماء من الحجر الذي وقع لموسى عليه الصلاة والسلام حين ضرب الحجر بعصاه فتفجرت منه اثنتا عشرة عينا لان خروج الماء من الحجارة معهود في الجملة بخلاف نبع الماء من بين لحم ودم فانه ليس بمعهود وما أحسن قول بعضهم

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر * فان في الكف معنى ليس في الحجر

قال في المواهب وقد روى حديث نبع الماء جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود وابن عباس وأبو ليلى رضي الله عنه فأما حديث أنس ففي الصحيحين قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر زاد في رواية وهو بالزوراء موضع بسوق المدينة فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فأمر

الناس أن يتوضؤوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم وكانوا سبعين أو ثمانين وفي رواية فقلنا لأنس كم كنتم قال كنا زهاء ثلثمائة وحمل على تعدد القصة وانهم كانوا مرة ثمانين أو سبعين ومرة ثلثمائة فهما كما قال النووي قضيتان جرتا في وقتين حضرهما جميعا أنس رضي الله عنه وقوله حتى توضؤوا من عند آخرهم مبالغة في التعميم حتى كأن الآخر هو الذي ابتدئ به اشارة الى أن الآخر أسبغ الوضوء من غير نقص مثل اسباغ الاول بل كأنه هو الاول وروى ابن شاهين عن أنس رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن أي قربة بالية بشيء من ماء فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء قال أنس رضي الله عنه فرأيتها أي الصحفة تتخلل عيونا أي تتخلل أي تنفذ عيونها بين أصابعه فسقينا ابلنا ودوابنا وتزودنا أي حملنا الماء معنا فقال صلى الله عليه وسلم أكفيتم قلنا نعم يا رسول الله فرفع يده من الصحفة فارتفع الماء وأخرج البيهقي عن أنس أيضا رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير فأدخل يده فلم يسعها القدح فأدخل أصابعه الاربعة ولم يستطع أن يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال أنس رضي الله عنه بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا وأما حديث جابر رضي الله عنه ففي الصحيحين من رواية سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها فجهش الناس نحوه أي اسرعوا فقال مالكم قالوا يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا ماء نشرب به الا ما بين يديك فوضع صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قال سالم قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى هذه القصة البخاري أيضا عن البراء بن عازب رضي الله عنهما وقال كنا أربع عشرة مائة وجمع بينهما بأنهم كانوا أكثر من أربع عشرة مائة فبعضهم جبر الكسر وبعضهم ألغاه ويؤيده انه جاء في رواية للبخاري كنا ألفا وأربعمائة أو أكثر واعتمد النووي هذا الجمع قال لصحة الروايات كلها وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه انه كان مثل ذلك في غزوة بواط وهو اسم جبل من جبال جهينة بقرب ينبع ولفظه قال جابر رضي الله عنه قال لي رسول الله ناد الاوضوء فقلت ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء قال ثم قلت يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ماء في أشجاب على حمارة من جريد قال فقال لي انطلق الى فلان الانصاري فانظر هل في أشجابه من شيء فانطلقت اليه فنظرت اليها فلم أجد الا شيئا يسيرا لو أني أفرغه لشربه يابس الاناء فرجعت فأخبرته قال اذهب فأتني به فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ويغمز بيده ثم أعطانيه

فقال

فقال يا جابر نادي بجفنة فقلت يا جفنة الركب فأتي بها تحمل فوضعها بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم بيده هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر فصب علي وقل باسم الله فصببت عليه وقلت باسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء قال فأتى الناس فاستقوا حتى رووا وبقي فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى قال الحافظ ابن حجر وهذه القصة أبلغ من جميع ما تقدم لاشتمالها على قلة الماء وعلى كثرة من استقى منه وقوله في أشجاب جمع شجب وهي القربة البالية وروى حديث جابر رضي الله عنه الامام أحمد في مسنده بلفظ شتكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فدعا بعس وهو القدح الكبير فصب فيه شيأ من الماء ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال استقوا فاستقى الناس فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ عن جابر أيضا قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء ثم قال باسم الله ثم قال أسبغوا الوضوء قال جابر فو الذي ابتلاني ببصري أي بفقده وذهابه لانه عمي آخر عمره رضي الله عنه لقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فما رفعها أي يده حتى توضؤا اجمعون ورواه أيضا عن جابر البيهقي في الدلائل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أي وهو الحديبية فاصابنا عطش فجهشنا أي أسرعنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في تور من ماء وهو بفتح المثناة الفوقية اناء من حجارة أو صفر يشرب فيه قيل انه يشبه الطست فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كانه العيون قال خذوا باسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا قلت لجابر كم كنتم قال كنا ألفا وخمسمائة وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه ففي صحيح البخاري من رواية علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أي في سفر قيل هو الحديبية وجزم أبو نعيم بأن ذلك كان في غزوة خيبر ورجحه الحافظ ابن حجر وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء وفي رواية فجاؤا باناء فيه ماء قليل فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مسعود رضي الله عنه فجعلت أبادرهم الى الماء أدخله في جوفي أي اطلب البركة وفي رواية قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب ماء قليلا ويضع يده فيه ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع اناء تأدبا مع الله تعالى اذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وايجادها من غير أصل ولئلا يظن بعض القاصرين أنه هو الموجد للماء وللاشارة الى أن الله تعالى أجرى

العادة فى الدنيا غالبا بالسبب وحديث ابن مسعود هذا رواه عنه أيضا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال دعا النبى صلى الله عليه وسلم بلالا لطلب الماء فقال بلال لا والله ما وجدت الماء فقال هل من شن فأتى بشن فبسط كفه فيه فانبعثت تحت يده عين فكان ابن مسعود يشرب ويكثر وغيره يتوضأ رواه الدارمى وأبو نعيم ورواه الطبرانى وأبو نعيم من حديث أبى ليلى ورواه أبو نعيم أيضا من طريق القاسم بن عبد الله بن أبى رافع عن أبيه عن جده أبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم تفجر الماء وكثرته ووجوده ببركته صلى الله عليه وسلم وبمسه لحله وبدعوته فمن ذلك ما تقدم ذكره فى غزوة تبوك أنه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه جاؤا عين تبوك فوجدوها تبض بشئ من ماء مثل شراك النعل قال معاذ بن جبل الراوى لهذه القصة فغرفنا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع شئ ثم غسل عليه الصلاة والسلام وجهه ويديه به ثم أعاده فيها فخرت العين بماء كثير وفى رواية فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق فاستقى الناس ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا أى بساتين وعمرانا فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم وفى البخارى فى غزوة الحديبية من حديث المسور بن مخرمة رضى الله عنهما ومروان بن الحكم ان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه والثمد بفتحتين حفرة فيها ماء قليل وفى رواية للبخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم توضأ فمضمض ودعا ومج فى بئر الحديبية منه فجاشت بالماء كذلك وفى مغازى أبى الاسود محمد ابن عبد الرحمن الاسدى المدنى يتيم عروة بن الزبير عن عروة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم توضأ فى الدلو ومضمض فاه ثم مج فى الدلو وأمر أن يصب فى البئر ونزع سهما من كنانته وألقاه فى البئر ودعا الله تعالى ففارت الى أن ارتفعت حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفيرها فجمع فى هذه الرواية بين التوضى والمج والقاء سهم من كنانته ففى رواية البخارى اختصار وفيه معجزات ظاهرة وبركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم وهذه القصة غير القصة السابقة قريبا فى ذكر نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم مما رواه البخارى ومسلم فى المغازى من حديث جابر رضى الله عنه لانه قال فى حديثه فجعل الماء يفور من بين أصابعه وفى حديث البراء انه صب ماء وضوئه فى البئر فالقصة متعددة فحديث جابر فى نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث المسور والبراء كان فى تكثير ماء البئر لارادة ما هو أعم من ذلك كشرب وسقى دواب ويحتمل أن يكون الماء لما تفجر من بين أصابعه ويده فى الركوة وتوضؤا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذى بقى فى الركوة فى البئر فتكاثر الماء فيها قال فى فتح البارى وفى حديث زيد بن خالد أنهم أصابهم مطر بالحديبية

فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما
مما رواه البخاري ومسلم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرهم لا تروي خمسين شاة
فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفيرها قال البراء وأتي صلى
الله عليه وسلم بدلو منها فبصق ودعا الله ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة قال البراء فتركناها غير
بعيد ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا وفي رواية فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وفي الصحيحين
عن عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنهما وعن أبيهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر قيل هو الحديبية وقيل تبوك وقيل غيرهما فاشتكى الناس اليه صلى الله عليه وسلم
العطش فنزل صلى الله عليه وسلم ودعا الزبير وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وقال اذهبا
فابتغيا الماء فانطلقا فلقيا امرأة على بعير سادلة رجليها بين مزادتين فجاءا بها الى النبي صلى الله عليه
وسلم فدعا باناء فأفرغ من أفواه المزادتين وأوكأ أفواههما ثم وضع يده في الماء فجعل يفور ونودي
في الناس اسقوا واستقوا ففعلوا والمرأة قائمة تنظر ما يفعل بمائها ثم قال صلى الله عليه وسلم
لأصحابه اجمعوا لها أي للمرأة أي تطييبا لخاطرها في مقابلة حبسها في ذلك الوقت عن السير الى
قومها وما نالها من خوف أخذ مائها قال بعضهم انما أخذوها واستجازوا أخذ مائها لأنها كانت
حربية وعلى فرض أن يكون لها عهد فضرورة العطش تبيح للمسلم الماء المملوك لغيره على عوض
على ان نفس الشارع صلى الله عليه وسلم تفدى بكل نفس فجمعوا لها ما بين عجوة ودقيقة وسويقة
حتى جمعوا لها طعاما كثيرا فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها وقال
لها صلى الله عليه وسلم تعلمين ما رزأنا من مائك شيأ ولكن الله هو الذي سقانا فأتت أهلها وقد
احتبست عنهم فقالوا ما حبسك يا فلانة فقالت العجب أي حبسني العجب لقيني رجلان فذهبا بي
الى هذا الرجل الذي يقال له الصابي ففعل كذا وكذا وحكت لهم ما فعل ثم قالت فوالله انه
لأسحر الناس كلهم أو انه لرسول الله حقا فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من
المشركين ولا يصيبون الصرم الذي هي منه فقالت المرأة يوما لقومها ما أرى أن هؤلاء يدعونكم
الا عمدا فهل لكم رغبة في الاسلام فأطاعوها فدخلوا في الاسلام وتقدمت هذه القصة في غزوة
تبوك وتقدم فيها أيضا أنه صلى الله عليه وسلم توضأ من ميضأة لأبي قتادة رضي الله عنه وبقي فيها
شيء من ماء ثم قال صلى الله عليه وسلم لأبي قتادة احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ ثم أصابهم
عطش شديد فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا بالميضأة فجعل صلى الله عليه وسلم يصب
في قدحه وقتادة يسقيهم فازدحم الناس على الميضأة بمجرد رؤية الماء لشدة عطشهم فقال صلى
الله عليه وسلم أحسنوا الملء أي لأوانيكم فلا تزدحموا على الاخذ كلكم سيروى ففعلوا أي
تركوا الازدحام قال أبو قتادة رضي الله عنه فجعل صلى الله عليه وسلم يصب في قدحه وأسقيهم
زاد الامام أحمد فشرب القوم وسقوا دوابهم وركابهم وملؤا ما كان معهم من قربة ومزادة
حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب الماء فقال لي اشرب فقلت لا أشرب

حتى تشرب يا رسول الله قال ان ساقى القوم آخرهم شربا قال فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم فى الوفود عند ذكر وفد بنى فزارة أنهم شكوا اليه القحط فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فأمطرت السماء عليهم سبعا حتى قالوا يا رسول الله تهدمت البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وسال الوادى قناة شهرا وقناة بمنع الصرف بدل من الوادى وهو اسم لواد من أودية المدينة بناحية أحد به مزارع ولم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود بفتح الجيم أى المطر الكثير وتقدم فى غزوة تبوك أنهم عطشوا عطشا شديدا فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله لنا أن يسقينا قال أتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه نحو السماء فلم يردهما حتى قالت السماء أى غيمت وظهر فيها سحاب فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر وروى ابن اسحاق فى مغازيه عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن أبيه عن جده عبد الله أن أبا طالب قال كنت بذى المجاز وهو اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه فى الجاهلية فأدركنى العطش فشكوت الى ابن أخى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا ابن أخى عطشت وقلت له ذلك وأنا لا أرى عنده شيأ فثنى وركه ثم نزل عن الدابة وكان صلى الله عليه وسلم رديفا لأبى طالب وقال يا عم عطشت فقلت نعم فأهوى بعقبه الى الارض أى ضرب الارض بقدمه فاذا بالماء فقال اشرب يا عم فشربت ورواه أيضا ابن سعد وابن عساكر والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه روى البخارى ومسلم وغيرهما من جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فى قصة حفر الخندق قال رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا وهو ضمور البطن من الجوع فأخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة بضم الباء مصغرا وهى الصغيرة من أولاد المعز وفى رواية عناق داجن أى لا تخرج الى المرعى فذبحتها وطحنت الشعير وفى رواية فأمرت امرأتى تطحن لنا الشعير وفى رواية عن جابر رضى الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق فقال أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم فقلت يا رسول الله ائذن لى الى البيت فقلت لامرأتى رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم شيئا ما كان فى ذلك صبر فعندك شئ قالت عندى شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ثم جئت النبى صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافى كادت أن تنضج فقالت امرأته لا تفضحنى برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه فجئته فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير فتعال أنت ونفر معك يعنى دون العشرة وفى رواية فقلت طعيم لنا صنعته فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان وكنت أريد أن ينصرف وحده

قال

قال كم هو فذكرت له فقال كثير طيب قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي
فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحيهلا بكم أي هلموا مسرعين
والسور الطعام الذي يدعى اليه وفي رواية فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل
على امرأته قال ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم قالت هل
سألك قلت نعم وفي رواية قال ولقيت من الحياء مالا يعلمه الا الله تعالى وقلت جاء الخلق على
صاع من شعير وعناق فدخلت على امرأتي أقول افتضحت جاءك رسول الله بالجند أجمعين
فقالت هل كان سألك كم طعامك فقلت نعم فقالت الله ورسوله أعلم نحن أخبرناه بما عندنا
وفي رواية أنها خاصمته في أول الامر وقالت بك وبك فلما أعلمها أنه أعلم به النبي صلى الله عليه
وسلم سكن ما عندها وقالت الله ورسوله أعلم لعلمها بامكان خرق العادة ودل ذلك على وفور
عقلها وكمال فضلها رضي الله عنها واسمها سهيلة بنت مسعود الانصارية فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء ثم جاء وفي رواية فجئت وجاء النبي صلى الله
عليه وسلم يقدم الناس فأخرجت المرأة له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق فيها
وبارك أي دعا بالبركة ثم قال يا جابر ادع خابزة فلتخبز معك ثم قال لها واقدحي أي
اغرفي من برمتكم ولا تنزلوها وهم أي القوم الذين جاؤا معه ألف وأقعدهم عشرة عشرة
يأكلون فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا أي مالوا عن الطعام وان برمتنا
لتغط أي تغلي وتفور كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه
ادخلوا ولا تضاغطوا وجعل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال كلي هذا وأهدي
فان الناس أصابتهم مجاعة وفي رواية فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود
التنور والقدر املأ ما كانا فقال كلي وأهدي فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع وفي رواية
فأكلنا وأهدينا لجيراننا فلما خرج صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك وصريح هذا أن الذي باشر
الغرف النبي صلى الله عليه وسلم فيخالف ظاهر قوله واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها الدال على
أن مباشر ذلك المرأة ويمكن الجمع بينهما فانها كانت تساعده في الغرف وروى البخاري
ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال أبو طلحة زيد بن سهل الانصاري رضي الله
عنه وهو زوج أم أنس لام سليم رضي الله عنها وهي أم أنس رضي الله عنهما لقد سمعت صوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع وفي رواية لمسلم قال أبو طلحة جئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عصب بطنه بعصابة فسألت قالوا من الجوع وفي رواية
للامام أحمد أن أبا طلحة رأى النبي صلى الله عليه وسلم طاويا فدخل على أم سليم فقال هل
عندك من شيء يأكله النبي صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم
أخرجت خمارا فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي أي تحت ابطي ولاثتني أي ببعض
الخمار أي أدارت بعض الخمار على رأسي كالعمامة ثم أرسلتني الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومعه الناس فسلمت عليه وفى
رواية فقمت عليهم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أأرسلك أبو طلحة قلت نعم قال لطعام
أى لأجله قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه من أصحابه قوموا فانطلق
وانطلقوا وهم سبعون أو ثمانون رجلا وانطلقت بين أيديهم ولأبى نعيم أخذ صلى الله عليه وسلم
بيدى فشدها ثم أقبل بأصحابه حتى اذا دنوا أرسل يدى فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء معه
حتى جئت أبا طلحة فأخبرته بمجيئهم قال يا أنس فضحتنا وللطبرانى فجعل يرمينى بالحجارة ثم قال
أبو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم أى قدر
ما يكفيهم فقالت الله ورسوله أعلم كأنها عرفت أنه فعل ذلك عمدا ليظهر المعجزة فى تكثير
الطعام ودل ذلك على فضل أم سليم رضى الله عنها ورجحان عقلها فانطلق أبو طلحة حتى اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال انما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى
فقال ان الله مبارك فيه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه حتى دخل على أم
سليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمى يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز الذى كانت
أرسلته مع أنس رضى الله عنه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت أى كسر وعصرت أم
سليم عكة وفى رواية فقال هل من سمن فقال أبو طلحة قد كان فى العكة شئ فجعلا يعصرانها حتى
خرج ثم مسح صلى الله عليه وسلم به سبابته ثم مسح الخبز فانتفخ وقال باسم الله فلم يزل يصنع ذلك
والخبز ينتفخ حتى رأيته فى الجفنة يتسع فأدمته أى صيرت ما خرج من العكة اداما له ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء أن يقول وفى رواية للامام أحمد فقال بسم الله وفى مسلم فمسحها
ودعا فيها بالبركة وفى رواية للامام أحمد فجئت بها ففتح رباطها ثم قال باسم الله اللهم أعظم البركة
فيها ثم قال ائذن لعشرة أى بالدخول لانه أرفق ثم لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا والقوم
سبعون أو ثمانون ثم أكل النبى صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وتركوا سؤرا أى بقية
وفى مسلم وفضلت فضلة فأهدينا لجيراننا ولأبى نعيم حتى أهدت أم سليم لجيرانها وهذه القصة
قيل انها جرت أيام حفر الخندق كقصة جابر المتقدمة فعلى هذا يكون المراد بالمسجد هنا الموضع
الذى أعده النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين حاصره الاحزاب بالمدينة فى غزوة الخندق
ووقع فى هذه القصة اختلاف فى الالفاظ فى روايات كثيرة وفى بعضها أنهم صنعوا له صلى الله
عليه وسلم عصيدة وهو محمول على تعدد القصة وتكرر ذلك وتقدم فى غزوة الحديبية وفى غزوة
تبوك أيضا أن الصحابة أصابتهم مجاعة فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم فى نحر بعض ظهورهم
فأذن فقال عمر رضى الله عنه يا نبى الله لو أمرتهم أن يجمعوا فضل أزوادهم ثم تدعو الله لهم
بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فأمرهم فجمعوا ذلك فدعا لهم فيه بالبركة ثم قال خذوا فى
أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا اناء الا ملأوه فقال صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأنى
رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن

أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب بنت جحش
الاسدية رضى الله عنها فقالت لى أمى ام سليم لو أهدينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية
فقلت لها افعلى فعمدت الى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته فى تور وهو اناء من صفر
أو حجارة وفى رواية للبخارى فى برمة فقالت يا أنس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمى وهى تقرئك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ضعه أى التور ثم قال
اذهب فادع لى فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لى من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت
فاذا البيت غاص بأهله قيل لانس كم كان عددكم قال زهاء ثلثمائة فرأيت النبى صلى الله عليه
وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة من القوم الذين
اجتمعوا يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فأكلوا
كلهم حتى شبعوا ثم قال لى يا أنس ارفع فرفعت فما أدرى حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت
وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال ان أم مالك الانصارية كانت تهدى الى النبى صلى الله
عليه وسلم فى عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الادم وليس عندهم شئ فتعمد الى الذى كانت
تهدى فيه للنبى صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته فأتت النبى
صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أعصرتيها فقالت نعم قال لو تركتيها ما زال قائما وروى
ابن أبى عاصم وابن أبى خيثمة عن أم مالك الانصارية أنها جاءت بعكة سمن الى النبى
صلى الله عليه وسلم فأمر بلالا فعصرها ثم دفعها اليها فاذا هى مملوءة فجاءت فقالت أنزل فى
شئ قال وما ذاك قالت رددت على هديتى فدعا بلالا فسأله فقال والذى بعثك بالحق لقد
عصرتها حتى استحييت فقال هنيئا لك هذه بركة يا أم مالك هذه بركة عجل الله لك ثوابها ثم علمها
أن تقول دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله أكبر عشرا وأخرج الطبرانى عن
أنس بن مالك رضى الله عنه عن أمه رضى الله عنها قالت كانت لى شاة فجعلت من سمنها فى عكة
فبعثت بها مع زينب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أفرغوا لها عكتها ففرغت وجاءت بها
فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر سمنا فقالت يا زينب ألست أمرتك أن تبلغى هذه العكة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأتدم بها قالت قد فعلت فان لم تصدقينى فتعالى معى فذهبت معها
الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال جاءت بها فقلت والذى بعثك بالهدى ودين الحق
انها ممتلئة سمنا تقطر فقال أتعجبين يا أم سليم ان الله أطعمك وروى مسلم عن جابر بن عبد الله
رضى الله عنهما أن رجلا من أهل البادية أتى النبى صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه
أى أعطاه شطر وسق من شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبى صلى الله
عليه وسلم فأخبره فقال له لو لم تكله لأكلتم منه أى دائما ولقام بكم أى مدة حياتكم من غير
نقص وهذا الرجل قال بعضهم هو جد سعيد بن الحارث استعان بالنبى صلى الله عليه وسلم
فى انكاحه فأنكحه امرأة فالتمس صلى الله عليه وسلم ما يسأله فلم يجده فبعث أبا رافع وأبا أيوب

بدرعه فرهنها عند يهودى فى شطر وسق من شعير فدفعه صلى الله عليه وسلم اليه قال فأطعمنا
منه وأكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم
فأخبره فقال له لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم والحكمة فى ذهاب السمن حين عصرت أم مالك
العكة وعدم الشعير حين كاله أن عصرها وكيله مضاد كل منهما للتسليم والتوكل على رزق
الله ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة باسرار حكم الله وفضله فعوقب
فاعله بزواله قاله النووى فى شرح مسلم وقيل انما كان ذلك لافشائه سرا من أسرار الله ينبغى
كتمه ولا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه لأنه فيمن يخشى
الخيانة أو كيلوا ما تخرجوه للنفقة منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط بقاء الباقى
مجهولا أو كيلوا عند الشراء أو ادخاله المنزل وروى الترمذى وشيخه الدارمى عن سمرة بن
جندب رضى الله عنهما قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة فيها لحم من
غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد أى أى شئ كانت تزاد به قال من
أى شئ تعجب ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء والمراد من احسان الله معجزة
له صلى الله عليه وسلم وفى رواية عن سمرة أيضا رواه الترمذى والدارمى وابن أبى شيبة
والحاكم والبيهقى وأبو نعيم قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها أى قعد
عليها عشرة بعد عشرة من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون فقال رجل لسمرة هل كانت
تمد فقال ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء وروى الامام أحمد والترمذى
والنسائى عن سمرة أيضا رضى الله عنه نحو ذلك وروى البخارى ومسلم عن عبد الرحمن بن
أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة فقال النبى
صلى الله عليه وسلم هل مع أحد منكم طعام فاذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن ثم جاء
رجل مشرك مشعان أى ثائر الرأس شعثه طويل جدا بغنم يسوقها فقال النبى صلى الله عليه
وسلم أبيعا أم عطية أو قال أم هبة قال لا بل بيع فاشترى شاة فصنعت وأمر النبى صلى الله عليه
وسلم بسواد البطن أن يشوى وأيم الله ما فى الثلاثين ومائة الا وقد حز له النبى صلى الله عليه وسلم
حزة من سواد بطنها ان كان شاهدا أعطاه اياه وان كان غائبا خبأ له فجعل منها قصعتين فأكلوا
أجمعون وشبعنا ففضلت القصعتان فحملناه على بعير وفيه معجزة ظاهرة وآية باهرة من تكثير
القدر اليسير من الصاع ومن اللحم حتى وسع الجمع المذكور وفضل وروى الامام أحمد
والبيهقى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه قال لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك
الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب أى بمكة فى ابتداء البعثة وكانوا
أربعين رجلا منهم جماعة الواحد منهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق وهو اناء يسع اثنى عشر
صاعا وذلك ستة عشر رطلا فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو ثم دعا بعس
من لبن والعس قدح من خشب يروى الثلاثة والاربعة فشربوا منه حتى رووا وبقى كأنه

لم

لم يشرب منه فلما أراد صلى الله عليه وسلم أن يتكلم قال أبو لهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان الغد أعاد لهم ذلك فكان مثل ذلك فأعاد ذلك ثالثا ثم دعاهم الى الله وحذرهم عقابه فقال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب الى آخر السورة وروى ابن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدعو أهل الصفة لطعام يأكلونه عنده فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فيها طعام فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت أي لم تنقص شيئا الا أن فيها أثر الاصابع قال أبو نعيم في الحلية كان أهل الصفة نيفا ومائة وفي عوارف المعارف أنهم كانوا نحو الاربعمائة وروى الطبراني والبيهقي عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر رضي الله عنه حين قدما المدينة في الهجرة من الطعام زهاء ما يكفيهما أي طعاما يكفي رجلين فقط فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الانصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه أي شبعوا وتركوا الطعام ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج أحد منهم حتى أسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة واطلعوا عليها قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وكأنه حضر معهم جماعة لم يدعهم حتى بلغوا مائة وثمانين والا فالذين دعاهم مائة وستون وخص النبي صلى الله عليه وسلم أشراف الانصار ابتلافهم وليشاهدوا تلك المعجزة فيسلموا وينصروه وقد كان ذلك وسماهم أنصارا لعلمه صلى الله عليه وسلم بأنهم سينصرونه وتفاؤلا بذلك وروى ابن سعد عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن علي زين العابدين رضي الله عنهم أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها صلى الله عليه وسلم فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له ولعلي رضي الله عنه ثم لها ثم رفعت القدر وأنها تفيض أي لكثرة ما فيها من الطعام حتى كان يسيل من جوانبها ببركته صلى الله عليه وسلم فأكلت فاطمة رضي الله عنها منها ما شاء الله وروى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يزود أربعمائة راكب من أحمس من تمر كان في علية فقال يا رسول الله ما هي الا أصوع أي ليس ذلك التمر يكفي هؤلاء القوم لقلته فقال اذهب وافعل ما آمرك به أي ولا تبال بقلة التمر فذهب فزودهم منه وكان التمر قدر الفصيل أي ولد الناقة الصغير الرابض وبقي بحاله بعد اعطائهم لم ينقص منه شيء ورواه البيهقي بسند صحيح من رواية النعمان بن مقرن الا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة فيحتمل تعدد القصة أو أنه كان بعضهم من أحمس وبعضهم من مزينة وروى البخاري حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في قصة قضاء دين أبيه لما استشهد يوم أحد وعليه دين أراد أداءه لغرمائه وكان قد بذل لغرماء أبيه أصل ماله أي بستانا له ونخلا كان يقتات منه فلم يقبلوه ولم يكن في ثمره سنتين كفاف دينهم فكلم رسول الله صلى الله

عليه وسلم في ذلك فكلم الغرماء وكانوا يهودا فلم يرضوا فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره بجذ الثمار وجعلها بيادر في أصولها أي جعلها كوما كوما في أصول النخل فمشى صلى الله عليه وسلم في أرضها ودعا الله تعالى أن يبارك فيها فقضت وزادت فأوفى منها جابر الغرماء وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه ائت أبا بكر وعمر فأخبرهما أي ليسرا بذلك ويزدادا ايمانا وروى البيهقي والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أصاب الناس مخمصة أي جوع زاد في رواية في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم وفي أخرى أنها غزوة تبوك فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فقبض قبضة جاء في رواية أنها بضع عشرة تمرة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع لي عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا ثم قال ادع عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال لي خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت أهلي ومن أردت اطعامه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما الى أن قتل عثمان رضي الله عنه فانتهب مني فذهب وانما قال له خذ ما جئت به لانه بقي بعد أكلهم ما جاء به كماله فأمره برده الى محله وأن يأخذ منه كل ما أراد وفي رواية الترمذي فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله أي جعله معي ولا معي في أسفاري وأنا غاز في سبيل الله وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا هريرة رضي الله عنه أصابه الجوع مرة فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم أي طلب منه أن يتبعه فتبعه فوجد صلى الله عليه وسلم في بيته لبنا في قدح قد أهدى اليه صلى الله عليه وسلم فأمر أبا هريرة رضي الله عنه أن يدعو أهل الصفة قال فقلت ما موقع هذا اللبن منهم أي ما مقداره القليل كاف منهم كنت أحق به منهم لشدة جوعي ولا بد من امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم فدعوتهم اليه صلى الله عليه وسلم فأمرني أن أسقيهم فجعلت أعطي الرجل منهم فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روي جميعهم قال أبو هريرة رضي الله عنه فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة وروى البيهقي من حديث خالد بن عبد العزى وهو خالد بن حزام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصي أسلم قديما وهاجر الى الحبشة فمات في الطريق وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وأخو حكيم بن حزام رضي الله عنه وكان خالد هذا ينزل بناحية الجعرانة فجزر به النبي صلى الله عليه وسلم مرة فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم شاة ليذبحها وبأكلها ضيافة منه له وكان عيال خالد كثيرا ما يذبح الشاة لا جلهم فلا تكفيهم عظاما لكثرتهم فأكل النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة

وفي رواية أنه قال اللهم بارك لأبي خناش فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا ببركته صلى الله عليه وسلم وبركة دعائه قال القاضي عياض في الشفا وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة أي نبع الماء من بين أصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته في الصحيح أي من الاحاديث وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة ورواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يمكن أن يسكت من حضرها على ما أنكره ويلتحق بهذا ما ذكره في الشفا مما أخرجه البيهقي وابن سعد وابن عدي عن سعد مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنهم كانوا في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا زهاء ثلثمائة فنزلوا على غير ماء فأصابهم عطش فجاء تيم عنز فحلبها النبي صلى الله عليه وسلم أي أمر بحلبها فأروى ليها الجند حتى زال ما كان بهم من العطش ثم قال صلى الله عليه وسلم لرافع مولاه املكها وما أراك مالكها فربطها ثم رجع فوجدها قد انطلقت أي انحل وثاقها وغابت وفي رواية قال رافع ثم قمت في بعض الليل فلم أجدها فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رافع ذهب بها الذي جاء بها ﴿ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم احياء الموتى وكلامهم له صلى الله عليه وسلم﴾ روى البيهقي في الدلائل أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرني قبرها فأراه اياه فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترجعي فقالت لا والله يا رسول الله اني وجدت الله خيرا لي من أبوي ووجدت الآخرة خيرا لي من الدنيا وهذه القصة أوردها القاضي عياض في الشفا بلفظ وعن الحسن اي البصري أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة احيي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان أبويك قد أسلما فان احببت أن أردك عليهما فقالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وروى ابن عدي وابن أبي الدنيا والبيهقي وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال كنا في الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته عجوز عمياء مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ فلم يلبث ان أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض فغمضه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر أي أنسا بجهازه فلما أردنا أن نغسله قال يا أنس ائت أمه فأعلمها قال فأعلمتها فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت مات ابني فقلنا نعم فقالت اللهم انك تعلم اني أسلمت اليك طوعا وخلعت الاوثان زهدا وخرجت اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان ولا تحملني في هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحمله فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه وعاش حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم وهلكت أمه وهذا وان كان كرامة لأمه فانما أعطيتها ببركته صلى الله عليه وسلم لدخولها في دينه وكل كرامة لولي فهي معجزة لنبيه وروى الطبري والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن شاهين عن عائشة

رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فأقام به ما شاء الله ثم رجع
مسرورا قال سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها الى الموت وكذا روي من
حديث عائشة رضي الله عنها احياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به وتقدم الكلام على ذلك
في أول السيرة مستوفى فارجع اليه ان شئت ومما يلحق بذلك ما رواه ابن أبي الدنيا وابن منده
والطبراني وأبو نعيم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال كان خارجة بن زيد من سراة
الانصار أي أشرافهم فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر
فتوفي فأعلمت به الانصار فأتوه فاحتملوه الى بيته وسجوه بكساء وبردين وفي البيت نساء من نساء
الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله مسجى لانهم شكوا في موته لكونه مات
فجأة فأخروا تجهيزه ودفنه حتى اذا كان بين المغرب والعشاء اذ سمعوا صوتا قائلا يقول أنصتوا
أنصتوا فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب المسجى بها فحسروا عن وجهه الغطاء فاذا هو
قائل محمد رسول الله النبي الامي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق
صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان
وكأنه رأى روحه صلى الله عليه وسلم حاضرة عنده لانه ذكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم
وفي رواية ذكر أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أي أثنى عليهم بخير بما فعلوه وأيدوا به
الدين ولم يذكر عليا رضي الله عنه لان ذلك كان قبل ولاية علي رضي الله عنه وانما ألحق هذا
بما نحن فيه وان كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لان هذا الكلام بعد الموت كرامة وكرامات
أمته صلى الله عليه وسلم من معجزاته أو يقال انه اذا كان في أمته من يصدر عنه مثل ذلك فكيف
لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك ما رواه البيهقي عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري
قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس رضي الله عنه وكان قتل باليمامة وهو خطيب الانصار وشهد
له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر
الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا اليه فاذا هو ميت وتقدم في غزوة خيبر حديث
الشاة المسمومة وذلك أن يهودية أهدت له صلى الله عليه وسلم شاة مشوية قد سمتها فأكل صلى الله
عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتني أنها مسمومة وفي المواهب عن
سعيد بن المسيب أن رجلا من الانصار توفي فلما كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد
رسول الله أخرجه أبو بكر بن الضحاك وأخرج أبو نعيم أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل القوم وكان صلى الله
عليه وسلم يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه عليه الصلاة والسلام جمع العظام ووضع
يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قد قامت تنفض أذنها فقال خذ شاتك يا جابر بارك الله لك
فيها فأخذتها ومضيت وانها لتنازعني أذنها حتى أتيت بها المنزل فقالت المرأة ما هذا يا جابر
قلت والله هذه شاتنا التي ذبحناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله فأحياها فقالت أشهد

أنه رسول الله ورواه أيضا الحافظ محمد بن المنذر المعروف بشكر في كتاب العجائب والغرائب
﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم كلام الصبيان له وشهادتهم بنبوته صلى الله عليه وسلم
وابراء ذوي العاهات ببركته صلى الله عليه وسلم روى البيهقي والدارقطني والحاكم والخطيب
البغدادي عن معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء الثقيلة ثم ضاد معجمة معيقيب
اليماني قال حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيته صلى الله
عليه وسلم فيها ووجهه مثل دائرة البدر وفي رواية لابن قانع كان وجهه القمر ورأيت منه
عجبا جاء رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا غلام من أنا قال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد
ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة أي لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك
قال الجلال السيوطي رحمه الله في خصائصه الكبرى قد وقعت رواية هذا الحديث من طرق
فهو حديث حسن وقد ذكر السيوطي في نظمه المشهور في عدد الذين تكلموا في المهد مبارك
اليمامة هذا حيث قال

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

أما تكلم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم في أول السيرة انه تكلم حين خرج من بطن أمه وحمد
الله تعالى وكان يناغي القمر ويكلمه وأما بقية هؤلاء الذين تكلموا في المهد فالكلام على
قصصهم شهير فلا حاجة الى الاطالة به وروى البيهقي مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي
بصبي قد شب أي كبر وصار شابا وهو لم يتكلم أي لانه خلق أخرس فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم من أنا قال أنت رسول الله فأنطقه الله معجزة بعدما كان أبكم فهو بمنزلة الميت والجماد
لعدم القدرة على النطق وروى الامام أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال ان امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان
ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره بيده
الشريفة فثع ثعة بفتح المثلثة وشد العين يعني قاء وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود يسعى
وشفاه الله وروى ابن أبي شيبة عن أم جندب رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم أتته امرأة
من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يده وأعطاها اياه وأمرها بسقيه
ومسحه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وتقدم في غزوة أحد أن قتادة بن
النعمان رضي الله عنه لما قلعت عينه أخذها بيده فجاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها فقال يا رسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل

ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة
فأخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن
عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الأخرى وروى البيهقي انه صلى الله عليه
وسلم بصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة وهو الحارث بن ربعي الانصاري السلمي رضي الله
عنه قال رضي الله عنه فما ضرب علي ولا قاح أي ما أوجعني ولا سال منه قيح وروى النسائي
والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا أعمى قال
يارسول الله ادع الله لي أن يكشف عن بصري يعني يزيل عني العمى فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة
يامحمد اني أتوجه بك الى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في فما قام القوم من مجلسهم
الا ورجع الرجل وقد أبصر وكان عثمان بن حنيف وبنوه يعلمونه للناس فيدعون به عند
تعسر قضاء الحاجات فتقضى وقد أخرجه البرهان الحلبي من طرق متعددة قال الشهاب
الخفاجي في شرح الشفاء فلم يبق فيه شبهة فاحفظه وروى أبو نعيم أن ملاعب الاسنة عامر بن
مالك أصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا يلتمس منه الدعاء وان يشفيه الله
ببركته فأخذ صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها
رسوله فأخذها متعجبا يظن أن قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا أي قريب من الموت
فشربها أي بعد أن وضعها في ماء فشفاه الله ببركته صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبي شيبة
والبيهقي والطبراني أن فديك بن عمرو السلاماني جيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه
مبيضتان وهو عبارة عن العمى فسأله عما أصابه فقال كنت أتود جملا لي فوقعت رجلي
على بيض حية فأصيبت في بصري فلا أبصر شيأ فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه
فأبصر فكان يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين سنة وتقدم في غزوة خيبر انه صلى الله عليه
وسلم قال لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه
ثم بعث الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان به رمد فجيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم
فوضع رأسه في حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق في عينيه وفي رواية فتفل في كفه وفتح له عينيه
فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع وروى البخاري في صحيحه عن المكي بن ابراهيم قال
حدثني يزيد بن أبي عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضي الله عنه فقلت ياأبا
مسلم ماهذه الضربة قال هذه ضربة أصابتني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة وهذا من ثلاثيات البخاري
وفي الشفا ورمي كلثوم بن الحصين رضي الله عنه يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيه أي في نحره ومحل جراحته فبرأ وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم تفل على
شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد أي لم يبق فيها مدة وقيح وروى أبو القاسم البغوي باسناده عن

معاوية بن الحكم قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يعني في غزوة الخندق كما قال السيوطي
فأنزى أخي علي بن الحكم فرسا له الخندق فأصاب رجله جدار الخندق فدقها فأتى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو نزل عن فرسه فمسحها له وقال باسم الله فما آذاه شيء وقد عد أبو حاتم البغوي
في الثقات وروى ابن اسحاق وغيره أن معاذ بن عفراء رضي الله عنه قطعت يده يوم بدر فجاء بها
الى النبي صلى الله عليه وسلم فبصق عليها وألصقها فلصقت كما كانت ببركة ريقه الشريف
الذي تفل عليها وروى ابن اسحاق وغيره أيضا أن خبيب بن أساف رضي الله عنه أصيب يوم بدر
بضربة سيف على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح
وروى البيهقي والنسائي والطبراني باسناد صحيح ان قدرا انكفأت على ذراع محمد بن حاطب
الجمحي وهو طفل فمسح عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له وتفل عليه فبرأ لحينه وروى الطبراني
والبيهقي أن شرحبيل الجعفي رضي الله عنه كانت في كفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان
الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فجعل يطحنها أي يدير كفه الشريفة عليها بقوة كما
تدور الرحى حتى أزالها ولم يبق لها أثر ففي قوله يطحنها استعارة لطيفة وروى الطبراني عن أبي
امامة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سألته جارية وهو يأكل فناولها من الطعام الذي
بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن
صلى الله عليه وسلم يسأله أحد شيأ فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقى الله عليها الحياء فلم تكن
امرأة بالمدينة أشد حياء منها والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه
وسلم ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه أو باشره وزوال العلل والعاهات وتبدل الصفات الذميمة
بالصفات الحميدة وانقلاب الاعيان له صلى الله عليه وسلم ببركته وبآثاره صلى الله
عليه وسلم روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان أهل المدينة فزعوا مرة فركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان به بطء في السير فلما رجع صلى الله عليه وسلم
قال لابي طلحة وجدنا فرسك بحرا أي كالبحر في شدة جريه فكان ذلك الفرس لا يجارى وروى
البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم نخس جمل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وكان قد أعيا
فنشط حتى كان لا يملك زمامه قال جابر رضي الله عنه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة أي وهي غزوة ذات الرقاع فأبطأ به جمله ومر به صلى الله عليه وسلم فقال له ما شأنك فقال
له أبطأ بي جملي واعيا فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب فصار لا يقدر على كفه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم اشتراه صلى الله عليه وسلم منه ثم لما قدم المدينة وفاه ثمنه وزاده ثم وهب
له البعير مع الثمن وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم صنع مثل ذلك بفرس لجعيل بن زياد
الاشجعي رضي الله عنه قال كنت في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة في
أخريات الناس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك قلت انها عجفاء ضعيفة فضربها
بمخفقة كانت في يده وقال بارك الله لك فيها فلقد رأيتني أول الناس ما أملك رأسها وبعت من

بطنها عدة كثيرة وفى رواية فخفقها بمخفقة كانت معه قيل انها الدرة وقيل العصا والخفق الضرب وفى رواية انه باع من بطنها باثنى عشر ألفا يعنى من أولادها وأولاد أولادها وروى ابن اسحاق وابن سعد عن عبد الله بن أبى طلحة انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا قطوفا لسعد ابن عبادة الانصارى فرده هملاجا أى سريع السير لا يساير وروى البيهقى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه كانت فى قلنسوته شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فكان لا يشهد قتالا الا رزق النصر وروى مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما انها أخرجت جبة طيالسة أى ذات اعلام خضر وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها فنستشفى بها وروى البيهقى عن أنس بن مالك رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سكب من فضل وضوئه فى بئر قباء فما نزفت بعد أى بعد ما سكب فيها فضل وضوئه وفى رواية انه تفل فيها وروى أبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم بزق فى بئر كانت فى دار أنس بن مالك رضى الله عنه فلم يكن بالمدينة أعذب منها ومر على ماء فى بعض اسفاره فسأل عن اسمه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب ببركته صلى الله عليه وسلم وروى ابن ماجه والبيهقى انه صلى الله عليه وسلم أتى بدلو من ماء زمزم فمج فيه أى ألقى فيه ماء فمه وريقه فصارت رائحته أطيب من المسك وروى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وهما يبكيان عطشا فسكتا وروى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم كان يتفل فى أفواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل وفى رواية انه كان يفعل ذلك بهم يوم عاشوراء وتقدم فى باب ما جاء فى شأنه صلى الله عليه وسلم عن أحبار اليهود عند ذكر قصة سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه مثل بيضة الدجاج من الذهب وقال أدها لغرمائك مما عليك وكان عليه أربعون أوقية فقال سلمان وأين تقع هذه مما على فأخذها صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه وقال خذها فان الله سيؤدى بها عنك قال سلمان فوزنت لهم منها أربعين أوقية وبقى عندى مثل ما أعطيتهم وروى الامام قاسم بن ثابت فى الدلائل عن المسور بن مخرمة رضى الله عنهما عن حنش بن عقيل وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال سقانى رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب صلى الله عليه وسلم أولها وشربت آخرها يعنى أنه صلى الله عليه وسلم شرب منها أولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الاناء فشرب بقيته قال فما برحت أجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وروى الامام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أعطى قتادة بن النعمان رضى الله عنه وقد صلى معه العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال لقتادة انطلق به فانه سيضىء من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق قتادة فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج من بيته كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى أنه

صلى

صلى الله عليه وسلم دفع لعكاشة بن محصن رضي الله عنه جذل حطب وهو عود غليظ أو أصل
من أصول الشجر حين انكسر سيفه يوم بدر وقال اضرب به فعاد في يده سيفا صارما طويل
القامة أبيض اللون شديد المتن أي قوي الجرم صلبا فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف
الى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يقال له العون وروى أهل السير والبيهقي
وابن عبد البر في الاستيعاب أنه صلى الله عليه وسلم دفع لعبد الله بن جحش رضي الله عنه يوم أحد
وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع سيفا * وقصة شاة أم معبد مشهورة رواها أصحاب السنن
والسير وأفردها الحافظ العلائي بالتأليف وملخصها أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على
خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندي غير شاة عجفاء لا لبن
بها فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها فدرت فحلب ما كفاه ومن معه وبقي في الاناء بقية فلما جاء
زوجها أخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله عليه وسلم المدينة بولد لها صغير وأسلمت
رضي الله عنها وتقدم عند ذكر رضاع حليمة له صلى الله عليه وسلم أن حليمة بعد أن أخذته لترضعه
قام زوجها الشارف بها وهي الناقة المسنة فوجدها حافلة بالدر فحلب منها ما أشبعهم كلهم وباتوا
بخير ليلة فقال لحليمة انها نسمة مباركة فقالت اني والله أرجو بركته الى آخر القصة وروى
البيهقي قصة شاة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وملخصها أنه كان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن
أبي معيط فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه
وسلم هل عندك لبن قال نعم لكني مؤتمن فقال ائتني بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بجذعة فاعتقلها
ومسح ضرعها ودعا الله وأتاه أبو بكر رضي الله عنه بصحفة فحلب فيها وقال لأبي بكر رضي الله
عنه اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا هو سبب اسلام عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه وروى مسلم والبيهقي قصة شاة المقداد بن الاسود رضي الله عنه قال كنت أنا
وصاحبان لي قد بلغ منا الجهد أي من الجوع فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاثة أعنز فقال
احتلبوا منها اللبن بيننا فكنا نحتلب ونشرب ونرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه فيجيء من
الليل ويشرب به فوقع في نفسي ذات ليلة أنه صلى الله عليه وسلم يأتيه الأنصار بلبن يشربه فلا
حاجة له بهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية أنه اذا لم يجدها يدعو علي فأهلك فلم أنم ونام
صاحباي فجاء صلى الله عليه وسلم كعادته فكشف الاناء فلم يجد شيأ فرفع بصره الى السماء
فقلت يدعو علي فقال اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني فأخذت الشفرة وانطلقت الى
الاعنز لاذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلهن فحلبت في اناء حتى علت الرغوة وجئت اليه صلى
الله عليه وسلم به فشرب ثم ناولني فلما علمت أنه روي وأصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال
صلى الله عليه وسلم احدى سوآتك يا مقداد يعني انك فعلت سوأة فما هي فقلت يا رسول الله
كان مني كذا وكذا فقال ما هذه الا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحبيك فأصابا منها فقلت

والذي بعثك بالحق ما أبالي اذا أصبتها وأصبت فضلك من أخطأها من الناس وروى ابن
سعد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى بعض أصحابه وقد أرادوا الفرسقاء فيه ماء بعد أن أوكاه
ودعا فيه بالبركة فلما حضرت الصلاة نزلوا فحلوا وكاءه فاذا هو لبن حليب وزبدة في فمه وفي الشفاء
أنه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس عمير بن سعد وضبطه بعضهم عمر بن سعد ودعا له بالبركة
في عمره وصحبته فمات وهو ابن ثمانين كأنه شاب أي ببركة مس يده الشريفة لم يشب رأسه
وشعره ولم يهرم وروى ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم مسح برأس مدلوك الفزاري رضي الله
عنه فكان ما مسته يده اسود وسائر رأسه أبيض يعني أنه لم يشب موضع المس وروى الطبراني
والبيهقي أنه كان يوجد لعتبة بن فرقد رضي الله عنه طيب يغلب طيب نسائه أي أن رائحته
تزيد على رائحة طيب نسائه حتى قالت زوجته أم عاصم كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة الا
وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان أطيب منا
ريحا فقلت له في ذلك فقال أصابني الشرى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية
قال أخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي
فتفل في كفه ودلكها بالاخرى ثم أمرهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون والشرى بثور
صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا وتشتد ليلا وروى الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم
سلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه لما جرح يوم حنين أي مسح صلى الله عليه
وسلم وجهه بيده متكئا عليه حتى أخرج ما عليه من الدم ودعا له فكانت له غرة بيضاء منيرة
كغرة الفرس من أثر يده الشريفة صلى الله عليه وسلم وروى ابن الكلبي أنه صلى الله عليه
وسلم مسح على رأس قيس بن زيد الجذامي رضي الله عنه ودعا له فمات قيس وهو ابن مائة سنة
ورأسه أبيض الا موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه فانه اسود أي لم يشب ببركته
صلى الله عليه وسلم وكان يدعى الأغر لما في وجهه من النور وروى البيهقي مثل هذه الحكاية
لعمرو بن ثعلبة الجهني رضي الله عنه ولا مانع من التعدد وجاء أنه صلى الله عليه وسلم مسح وجه
خزيمة بن سواد بن الحارث فصارت له غرة بيضاء وروى أنه مسح أيضا بناصية طلحة بن أم سليم
فكانت له غرة وما زال على وجهه نور من آثار أنواره صلى الله عليه وسلم ومسح صلى الله عليه وسلم
وجه قتادة بن ملحان رضي الله عنه فكان لوجهه بريق أي لمعان وصفاء بشرة حتى كان ينظر
في وجهه كما ينظر في المرآة أي يقابل الناظر اليه وجهه بوجهه ليرى صورة وجهه فيه كالمرآة
لشدة صفاء بشرته وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأس حنظلة بن حذيم
الحنفي وهو بالحاء المهملة والذال المعجمة بوزن درهم ودعا له بالبركة فكان يؤتى بالرجل قد ورم
وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيضع محل الورم من الوجه والضرع على الموضع الذي مسه
كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم الذي كان أصابه وروى ابن عبد البر
في الاستيعاب أنه صلى الله عليه وسلم نفح في وجه زينب بنت أم سلمة رضي الله عنهما نفحة

فما كان يعرف فى وجه امرأة من الجمال ما كان بها قال ابن عبد البر فى الاستيعاب دخلت زينب رضى الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فنضح فى وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من أفقه أهل زمانها وأعقلهم وفى الشفاء أنه صلى الله عليه وسلم مسح رأس صبى به عاهة فبرأ واستوى شعره ومسح على غير واحد من الصبيان والمجانين فبرأوا وفى الشفاء أيضا وأتاه رجل ذو أدرة وهى انتفاخ فى الخصيتين فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ وروى الطبرى ان المهلب بن يزيد الطائى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه قرع فمسح برأسه فنبت شعره وروى عن طاوس بن كيسان اليمانى لم يؤت النبى صلى الله عليه وسلم بأحد به مس أى جنون فصك فى صدره الا ذهب المس وروى الامام أحمد عن وائل بن حجر أنه صلى الله عليه وسلم مج فى دلو فيه ماء أخرج من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وصح أنه ضرب بصدر جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما أى حقيرا ودعا له بالبركة فى خلقته وسائر أموره ففرع الناس طولا وتماما أى زاد عليهم فى الطول وتمام سائر الاعضاء وكمل الله خلقته بدعائه صلى الله عليه وسلم وفى الصحيحين ان أبا هريرة رضى الله عنه شكى اليه صلى الله عليه وسلم النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه أى فعل فعلا يشبه من يغرف من شئ ما يضعه فى آخر ثم أمره بضمه ففعل فما نسى شيأ قال أبو هريرة رضى الله عنه فما كان أحد أحفظ منى لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عبد الله بن عمرو لتقدم اسلامه ولانه كان يكتب وأنا لا أكتب ﴿ ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ﴾ اجابة دعائه لاناس دعا لهم أو عليهم وهذا باب واسع جدا قال القاضى عياض فى الشفاء اجابة دعوة النبى صلى الله عليه وسلم لجماعة دعا لهم أو عليهم متواترة معلومة ضرورة وقد جاء فى حديث رواه الامام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل أدركت ولده وولد ولده أى وصل أثر الدعوة وبركتها الى ولده وولد ولده وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قالت أمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله خادمك أنس ادع الله تعالى له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته قال أنس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم على نحو المائة أى يزيدون عليها وفى رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدى هاتين مائة من ولدى لا أقول سقطا ولا ولد ولد فقد أجاب الله دعوته صلى الله عليه وسلم وجاء انه مات له فى الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه له وأطل حياته وأن أنسا قال فأكثر الله مالى حتى ان لى كرما يحمل فى السنة مرتين وولد لصلبى مائة وستة وروى مسلم عن انس رضى الله عنه أنه قال دخل رسول الله

صلى الله عليه وسلم علينا وماهو الا أنا وأمي وأم حرام خالتي فقالت أمي يارسول الله خويدمك
أنس ادع الله له فدعا لي بكل خير وكان في آخر ما دعا لي اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه
وفي رواية وأطل عمره واجعله رفيقي في الجنة فكان أنس رضي الله عنه يقول بعد ان طال عمره
وكثر ماله وولده وأنا أرجو هذه يعني كونه رفيقه صلى الله عليه وسلم في الجنة ومن دعائه صلى الله
عليه وسلم كما رواه البيهقي دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالبركة أي بأن يبارك
الله له فيما رزقه قال عبد الرحمن رضي الله عنه فلو رفعت حجرا من مكانه بيدي لرجوت ببركة
دعائه صلى الله عليه وسلم أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله له أبواب الخيرات وكان حين قدم المدينة
فقيرا لا يملك شيأ فآخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع فأراد سعد بن الربيع أن
يطلق احدى زوجتيه ليتزوجها عبد الرحمن وأن يقاسمه ماله فقال لا حاجة لي في ذلك بارك الله
لك في زوجتيك ومالك ثم قال دلوني على السوق فصار يتعاطى التجارة ففي أقرب زمن رزقه الله
مالا كثيرا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم حتى انه لما توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة احدى
وثلاثين أو اثنين وثلاثين حفر الذهب من تركته بالفوس حتى جرحت الايدي من كثرة العمل
وأخذت كل زوجة من زوجاته الاربع ثمانين ألفا وقيل ان نصيب كل واحدة من الاربع
مائة ألف وقيل بل صولحت احداهن على نيف وثمانين ألفا من الدنانير وأوصى رضي الله عنه
بألف فرس وبخمسين ألف دينار في سبيل الله وأوصى بحديقة لامهات المؤمنين رضي الله عنهن
بيعت بأربعمائة ألف وأوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار وكانوا مائة
فأخذوها وأخذ عثمان فيمن أخذ وهذا كله غير صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة
فقد أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير وهي الجمال التي تحمل الميرة وكانت تلك العير
فيها سبعمائة بعير وردت عليه وكان أرسلها للتجارة فجاءت تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما
عليها من طعام وغيره وبأحلاسها وأقتابها وجاء انه تصدق مرة بشطر ماله وكان الشطر
أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألفا ثم بأربعين ألف دينار ثم بخمسمائة فرس في سبيل الله
ثم بخمسمائة راحلة وروى انه رضي الله عنه لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة
جاءه بأربعة آلاف درهم وقال يارسول الله كان لي ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربي
أربعة آلاف وأمسكت لعيالي أربعة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت
وفيما أمسكت فبارك الله له في ماله ومن دعائه صلى الله عليه وسلم دعاؤه لمعاوية بن أبي سفيان
رضي الله عنهما بالتمكين في البلاد فنال الخلافة وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لن يغلب
معاوية وقد بلغ عليا رضي الله عنه هذه الرواية فقال لو علمت لما حاربته ذكره ملا علي في شرح
الشفا وروى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية رضي الله عنه اللهم علمه الكتاب
ومكن له في البلاد وقه العذاب ودعا له مرة وقال اللهم اجعله هاديا مهديا وورد في فضائله
أحاديث أخر فكان أول التمكين له أن استعمله أميرا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم

وكان أميرا على الشأم عشرين سنة ثم صار خليفة عشرين سنة وانعقد الامر على استخلافه حين نزل له الحسن بن على رضى الله عنهما عن الخلافة فبايعه الناس وأما ما وقع بينه و بين على رضى الله عنه بسبب طلبه لدم عثمان فينبغي الكف عنه لانه كان باجتهاد للمصيب فيه أجران وللمخطئ أجر واحد وقد وردت أحاديث فيها الوعيد الشديد لمن تعرض لسب أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وتنقص أحدا منهم وقد قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم و رضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا و ينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون فبعد أن شهد الله لهم بالصدق وأخبر بأنه رضى عنهم ورضوا عنه فلا ينبغى لمؤمن أن يتعرض لاحد منهم بل يفوض ما وقع بينهم الى الله و يترك الخوض فيه و يعتقد أنهم مجتهدون مأجورون وقال تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فيؤخذ من مجموع الآيتين أنهم كلهم فى الجنة رضى الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى لمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أى لا فرضا ولا نفلا والاحاديث فى ذلك كثيرة نسأل الله أن يحيينا و يميتنا على محبتهم وأن لا يجعل لاحد منهم فى عنقنا ظلامة وأن يجعلهم شفعاء لنا يوم القيامة آمين * وعن المقداد رضى الله عنه أن سعدا رضى الله عنه قال يا رسول الله ادع الله أن يستجيب دعائى فقال يا سعد ان الله لا يستجيب دعاء أحد حتى يطيب طعمته فقال ادع الله أن يطيب طعمتى فانى لا أقوى الا بدعائك فقال اللهم أطب طعمة سعد واستجب دعوته وقد خرج أهل الصحيح كثيرا من دعوات سعد رضى الله عنه المستجابة وهى مشهورة مأثورة فمنها أن رجلا نال من على رضى الله عنه وكرم وجهه بحضرة سعد فقال اللهم ان كان كاذبا فأرنى فيه آية فجاء جمل فتخبطه حتى قتله ومنها ما رواه البخارى أن سعدا رضى الله عنه دعا على أبى سعدة بقوله اللهم أطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن قال الراوى فلقد رأيته شيخا كبيرا سقط حاجباه على عينيه يتعرض للجوارى يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون أصابته دعوة سعد وروى الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم دعا بعز الاسلام أى بأن الله يعز الاسلام أى يقويه و ينصره بأحد الرجلين بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل فاستجيب له فى عمر رضى الله عنه فكانوا قبل اسلام عمر رضى الله عنه لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما أسلم رضى الله عنه صلوا معه عند الكعبة وقد روى من طرق أنه صلى الله عليه وسلم خص عمر رضى الله عنه بالدعاء فقال اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم أيد الاسلام بعمر و جمع بين الروايتين بأنه أولا دعا بأن الله يعز الاسلام بأحدهما ثم لما تبين

له بإعلام من الله وإلهام منه أن اللائق بذلك عمر فخصه بدعائه ثانيا وكرره حتى استجيب وتقدمت قصة إسلامه رضي الله عنه في باب تعذيب قريش للمستضعفين عند ذكر من هاجر من المسلمين ودعا صلى الله عليه وسلم لأبي قتادة رضي الله عنه كما رواه البيهقي في الدلائل بقوله أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة كأنه ابن خمس عشرة سنة في نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ودعا صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي وهو قيس بن عبد الله لما أنشده قصيدته التي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بها فلما وصل قوله فيها

فلا خير في حلم إذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له * حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة وقيل مائة وأربعين وقيل مائتين وثمانين وروى البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنهما بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم الحبر وترجمان القرآن وكان أعلم الناس بالتفسير والفقه والفرائض وأشعار العرب وأيامها ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم دعا لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه وروى أبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم دعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر المال قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من جحره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبره فقال له أدخلت يدك في الجحر قال لا والذي بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما فني آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البخاري والإمام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم دعا لعروة بن أبي الجعد البارقي رضي الله عنه بمثل دعائه للمقداد قال عروة فلقد كنت أقوم بالكناسة وهو اسم لسوق بالكوفة أي أقوم فيه للتجارة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا وقال البخاري في حديث عروة فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا لأم أبي هريرة رضي الله عنهما بأن يهديها الله للإسلام فأسلمت وحازت شرف الصحبة رضي الله عنها وكان أبو هريرة قبل ذلك حريصا على إسلامها فدعاها للإسلام فأبت وأسمعته ما يكره في حق النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يبكي وقال إني كنت أدعو أمي للإسلام فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهديها فقال اللهم اهد أم أبي هريرة فخرج مستبشرا بدعائه فلما أتى الباب سمعت خشف أقدامه فقالت مكانك يا أبا هريرة فسمع صب الماء فاغتسلت واستدرعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا أبا هريرة إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه

وسلم فرجع أبو هريرة رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وقال أبشر يارسول الله فقد أجيبت دعوتك وهدى الله أمى للاسلام فحمد الله تعالى فقال يارسول الله ادع الله أن يحببنى أنا وأمى الى عباده المؤمنين و يحببهم الينا فقال اللهم حبب عبيدك هذا وأمه الى عبادك وحببهم لهما فكان لايسمع به أحد ولايراه الا أحبه ورواه البيهقى أيضا فى الدلائل و روى البيهقى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما وعن أبيهما قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وأقبلت فاطمة ووقعت بين يديه فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده على صدرها وقال اللهم مشبع الجماعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرأيت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت ماجعت ياعمران بعد أى بعد دعائه صلى الله عليه وسلم لها قال البيهقى وكان هذا قبل نزول آية الحجاب و روى ابن اسحاق والبيهقى وابن جرير أنه صلى الله عليه وسلم دعا للطفيل بن عمرو الدوسى أن يجعل له آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يارب انى أخاف أن يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضىء فى الليلة المظلمة فسمى الطفيل ذا النور وتقدمت قصته فى باب الوفود عند ذكر وفد دوس وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما رضى الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم دعا على مضر حين تأخر اسلامهم فقال اللهم اعنى عليهم بسنين كسنى يوسف فاقحطوا حتى أكلوا الجلود والدم والعظام فقال له أبوسفيان انك تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار فما أتى عليهم جمعة حتى مطروا وروى الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولابقيت لفارس رياسة فى أقطار الدنيا وروى أبوداود والبيهقى انه صلى الله عليه وسلم دعا على صبى قطع عليه صلاته أى مر بينه و بين سترته أن يقطع الله أثره فأقعد قال ابن مهران رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن بهرام فسألته أى عن سبب اقعاده فقال مررت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت بعد وروى مسلم عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لاأستطيع فقال له صلى الله عليه وسلم لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وروى الحاكم والبيهقى وابن اسحاق من طرق صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دعا على عتيبة بالتصغير ابن أبى لهب وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد وقيل ان المدعو عليه أخوه عتبة بالتكبير لكن الصحيح الاول لان عتبة المكبر ومعتبا أخاهما أسلما عام الفتح وحسن اسلامهما رضى الله عنهما وعقر الاسد انما هو عتيبة المصغر وتقدمت قصته فى باب مراتب الوحى عند تعداد ماوقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ومن دعائه صلى الله عليه وسلم دعاؤه المشهور على أبى جهل وعقبة بن أبى معيط وغيرهما من عتاة قريش حين وضعوا

السلا على كتفيه وهو ساجد مع الفرث والدم فاستجاب الله دعوته عليهم فقتلوا يوم بدر وتقدم الكلام على ذلك فى الباب المذكور عند تعداد ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ‌ وروى البيهقى باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم دعا على الحكم بن أبى العاص بن أمية وهو أبو مروان وكان يختلج بوجهه أى يحرك وجهه وحاجبيه وشفتيه استهزاء بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم كن كذلك فلم يزل يختلج الى أن مات وتقدم الكلام عليه مبسوطا فى الباب المذكور عند ذكر المستهزئين واستهزائهم ‌ وروى البيهقى وابن جرير عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم دعا على محلم بن جثامة الكنانى الليثى فمات بعد سبع ليال من دعائه ولما دفنوه لفظته الارض ثم دفنوه فلفظته وهكذا مرات فالقوه فى شعب وضموا عليه الحجارة وسبب دعائه عليه أنه صلى الله عليه وسلم بعثه فى سرية أمر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا غدرا لامر كان بينهما فلما بلغه صلى الله عليه وسلم دعا عليه ولما أخبروه صلى الله عليه وسلم بأن الارض لفظته قال ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن الله أراد أن يجعله لكم عبرة ‌ وهذا الباب واسع جدا لان أدعيته صلى الله عليه وسلم المستجابة كثيرة لا تكاد تنحصر وما ذكرته قطرة من بحر وفيه كفاية والله سبحانه أعلم ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم اخباره بكثير من المغيبات قال فى الشفا وهذا بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره أى ماؤه الكثير وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على طريق القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب ولا يكون ذلك الا بوحى من الله تعالى ‌ لكن ذلك ما تقدم فى هذا الكتاب فى مواضعه وهو كثير ومن ذلك ما رواه أبو داود عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ‌ قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما أى يخطب فما ترك شيئا مما يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ‌ ورواه البخارى أيضا لكن رواية أبى داود أبسط وفيها انه ليكون منه الشئ أى يوجد الشئ مما حدثنا به قد نسيته فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم رآه ثم قال حذيفة ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوه أى أظهروا انسيانه خوف الفتن والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه باسمه واسم أبيه وقبيلته بحيث لم تبق فيه شبهة ‌ وروى الامام أحمد والطبرانى عن أبى ذر رضى الله عنه قال لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه الا ذكر لنا منه علما أى يذكرنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره ‌ وقد خرج البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائه غلبتهم وفل شوكتهم كفتح مكة فانه أخبرهم به قبل وقوعه ولما فتحت قال لهم هذا الذى قلت لكم وأخبرهم بفتح بيت المقدس وأخبر تميما الدارى رضى الله عنه حين اسلامه بأن الله سيفتح بيت المقدس وأقطعه أرضا بها فلما فتح فى خلافة عمر رضى الله عنه أعطى تميما

اعطاء تحقيقا لوعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وأخبر بفتح الشام واليمن والعراق وظهور الامن في الممالك الاسلامية حتى تظعن المرأة أي تسافر وحدها من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله والحيرة مدينة بقرب الكوفة وقد حقق الله ما أخبر به وأخبر بأن المدينة ستغزى فكان ذلك في وقعة الحرة وأعلمهم بفتح خيبر على يد علي رضي الله عنه فكان ذلك كما تقدم وأخبر بما يفتح الله على أمته من البلدان وبما يوسعه الله عليهم من الدنيا ويؤتون من زهرتها وأنهم يقتسمون كنوز كسرى وقيصر فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء وأخبرهم بما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف وبأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وان الناجية منها واحدة وان الناجي من كان على ما أنا عليه وأصحابي فكان ذلك كما أخبر وأخبر بأن أمته ستتبع سنن من قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قال حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن اذن وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال سيكون لامته أنماط وهي جمع نمط كسبب وأسباب وهو البساط يعني ان أمته يتوسعون في الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسطة الله لهم الرزق بعدما كانوا فيه من الفقر وضيق العيشة وانهم يغدوا أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يدي أحدهم صحفة وترفع أخرى وانهم يسترون حيطان بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال في آخر الحديث في رواية رواها الترمذي وأنتم اليوم خير منكم يومئذ أي لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما يشاهده من ابتلي به وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم ان أمته اذا مشوا المطيطا أي مشوا بالتبختر وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم والمراد به وقوع العداوة والقتال بينهم وسلط الله شرارهم على خيارهم وأخبر أن الروم ذات قرون أي جماعات وملك قائم بديارهم الى آخر الدهر بخلاف فارس فان الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم وأخبر بذهاب الامثل فالأمثل أي الاشرف فالاشرف من الناس وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله أي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار وهي حشيش يحترق بسرعة والمراد ارتفاع البركة من الاعوام والايام واخبر بقبض العلم وظهور الفتن وروى الشيخان عن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال ويل للعرب من شر قد اقترب واخبر بأنه زويت له الارض أي جمعت وضم بعضها الى بعض فأرى مشارقها ومغاربها وانه سيبلغ ملك أمته ما زوى له منها فكان كذلك فامتدت مملكتهم في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق الى بحر طنجة وهي بلدة بساحل بحر المغرب وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة

وأخبر بملك بني أمية وولاية معاوية رضي الله عنه ووصاه اذا ملك بالعدل والرفق وقال له اذا ملكت فأسجح أي ارفق قال معاوية رضي الله عنه فما زلت أطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية انه قال له يا معاوية اذا ملكت فأحسن وروى الترمذي والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو أبي العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا أي يتداولونه واحدا بعد واحد والمراد أنهم يستأثرون بالمال ويمنعون الحقوق ويبذرون ويسرفون ويضيعون بيت مال المسلمين فكان كذلك وروى البيهقي والامام أحمد انه صلى الله عليه وسلم أخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار وفي رواية تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شيء حتى تنصب بايليا أي بيت المقدس وأخبر العباس بأن الخلافة قد تكون في ولده فكانوا يتوقعون ذلك وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال ان أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلا وتشريدا وأخبر بقتل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كما رواه الامام أحمد والطبراني وان أشقى هذه الامة الذي يخضب هذه يعني لحية علي رضي الله عنه من هذه يعني رأسه يشير الى انه يضرب على رأسه ضربة يسيل منها دمه حتى يبل لحيته وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم أخبر بقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يقرأ في المصحف فكان كذلك وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعني عثمان رضي الله عنه وان الله عسى أن يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه قال لعثمان رضي الله عنه فلا تخلعه وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيقطر من دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وتكلم في هذا الحديث بعضهم لكن قال المحب الطبري ان أكثرهم روى ان قطرة من دمه أو قطرات سقطت في المصحف على قوله تعالى فسيكفيكهم الله ونقل عن حذيفة رضي الله عنه قال أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذي نفسي بيده لا يموت أحد وفي قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الرجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به في قبره أخرجه الحافظ السلفي وأخبر صلى الله عليه وسلم ان الفتن يعني بين أصحابه لا تظهر مادام عمر رضي الله عنه حيا ولقي عمر رضي الله عنه يوما أبا ذر رضي الله عنه فأخذ بيده وعصرها فقال دع يدي يا قفل الفتنة فقال له ما هذا يا أبا ذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت ان تتخطى الناس فجلست في أدبارهم فقال صلى الله عليه وسلم لا تصيبكم فتنة مادام هذا فيكم وروى الشيخان ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوما أيكم يحفظ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة التي تموج كموج البحر فقال حذيفة رضي الله عنه ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال أيفتح أم يكسر قال يكسر قال اذن لا يغلق أبدا فقيل لحذيفة من الباب قال هو عمر قيل له أكان عمر يعلمه قال نعم كما يعلم ان دون غد الليلة

انى حدثته حديثا ليس بالاغاليط وخطب خالد بن الوليد رضى الله عنه مرة بالشأم فقال له
رجل اصبر أيها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال أما وابن الخطاب حى فلا انما ذاك بعده وروى
البيهقى انه صلى الله عليه وسلم أخبر بمحاربة الزبير لعلى وهو أى الزبير ظالم وكان صلى الله
عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلى رضى الله عنه أتحبه فقال كيف لا أحبه
وهو ابن عمتى صفية وعلى دينى فقال للزبير أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن خالى وعلى دينى
فقال أما انك ستقاتله وأنت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له على رضى الله عنه وقال له
ناشدتك الله أسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله انك ستقاتلنى وأنت لى ظالم قال نعم
ولكن نسيته منذ سمعته منه صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك فرجع يشق
الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال مالك قال ذكرنى على حديثا سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لتقاتلنه وأنت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لتقاتله
فقال قد حلفت أن لا أقاتله قال أعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر
ذهب فلما كان بوادى السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله فقال على رضى الله عنه
أشهد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قاتل الزبير فى النار وكان سبب
هذا القتال أن قتلة عثمان رضى الله عنه بايعوا عليا لما بايعه الناس ولم يرض بمبايعتهم لكنه
خشى الفتنة لكثرتهم ولغلبتهم وأراد تأليف الناس فاشتد غيظ الناس من مبايعتهم اياه وامتنع
معاوية وجماعة من البيعة لعلى رضى الله عنه حتى يسلم قتلة عثمان وأرادت عائشة رضى الله عنها
أن تساوى الامر بين على ومعاوية رضى الله عنهما وتدفع الخوارج حتى تؤخذ منهم بدم عثمان
رضى الله عنه فسارت فى هودجها ومعها جماعة من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله والزبير
رضى الله عنهما حتى التقوا مع على رضى الله عنه وأرادوا الصلح بينه وبين معاوية فلم يتم الامر
ووقع القتال بينهم فلتة من غير قصد وكانوا كلهم مجتهدين رضى الله عنهم ثم تبين لعائشة رضى الله
عنها ان الحق مع على رضى الله عنه فى عدم تسليم قتلة عثمان رضى الله عنه لكثرتهم وانتشارهم
وتشعب أمرهم فكان يرى تأخير أمرهم حتى تجتمع كلمة المسلمين ثم يتتبعون ويقتاد منهم فلما
تبين لها ذلك اصطلحت معه ورجعت الى المدينة فى عزوا كرام وكان النبى صلى الله عليه وسلم
أشار الى هذا القتال وأخبر به وذلك ان عائشة رضى الله عنها كانت مع نساء النبى صلى الله
عليه وسلم يوما والنبى صلى الله عليه وسلم جالس وهن يتحدثن فقال أيتكن تنبحها كلاب
الحوأب بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء أو موضع فى طريق الذاهب
من المدينة الى البصرة وفى حديث آخر أخبر انه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت
فلما كانت وقعة الجمل ومرت عائشة رضى الله عنها بذلك المكان نبحتها كلابه فسألت عن اسم
ذلك المكان فقيل لها الحوأب فهمت بالرجوع فحلفوا لها انه ليس الحوأب ثم تبين لها الامر
فعادت بعد الصلح كما تقدم وروى الحاكم والبيهقى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت ذكر

رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضي الله عنها أي تعجبا من خروج المرأة على الخليفة فقال انظري ياحميرا أن لاتكوني أنت ثم التفت الى علي رضي الله عنه فقال ان وليت من أمرها شيئا فارفق بها وقد امتثل الامر رضي الله عنه فانه أرسلها الى المدينة ومعها أخوها محمد وشيعها علي رضي الله عنه بنفسه أميالا وسرح بنيه معها يوما ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ان عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وكان هو مع علي بصفين وكان كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما مجتهدا لكن علي رضي الله عنه هو المصيب في تأخير أمر قتلة عثمان ومعاوية رضي الله عنه هو المخطئ في طلب التعجيل بأخذ ثاره قبل استقرار أمر المسلمين واجتماع كلمتهم لكن حيث كان ذلك ناشئا عن اجتهاد فلا لوم عليه للحديث المشهور ان المجتهد اذا أصاب له أجران واذا أخطأ له أجر واحد فلا يجوز تنقيص واحد منهما رضي الله عنهما هذا مذهب أهل السنة والجماعة وماعداه زيغ وضلال نسأل الله الحفظ منه * ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب قوله لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ويل للناس منك وويل لك من الناس وويل هنا للتحسر والتأسف لا للدعاء بالهلاك وسبب قوله ذلك انه صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى دمه لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ليدفنه وكان صغيرا فتوارى وشربه فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال له أما انك لن تمسك النار وقال له أيضا ويل للناس منك وويل لك من الناس حتى كان ما كان من أمره وأمر عبد الملك بن مروان الى أن وجه اليه الحجاج فقاتله ثم قتله وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يكر على الصفوف فيهزمها وكان الناس يرون أن ماعنده من القوة والشجاعة انما كان من ذلك الدم (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب قوله في حق قزمان انه من أهل النار وذلك أن قزمان قاتل في بعض الغزوات أي غزوة خيبر وقيل حنين قتالا شديدا حتى أعجب الصحابة رضي الله عنهم وكان شجاعا وهو مولى لبعض الانصار فلما راى الصحابة اقدامه وشجاعته أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بخبره فقال انه من أهل النار ثم لم يزل يقاتل حتى أثخن بالجراحة فجعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل انه أخرج من كنانته سهما فنحر به نفسه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم به فقال ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وأمر مناديا أن ينادي في الناس انه لايدخل الجنة الا مؤمن وقوله صلى الله عليه وسلم فيه أنه من أهل النار اما لكونه منافقا أو انه ارتد قبل موته لما كثرت عليه الجراحة أو أنه استحل قتل نفسه فلا ينافي أن قتل الشخص نفسه لايقتضي كفره وروى الطبراني والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال في حق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم أبو هريرة وحذيفة بن اليمان وسمرة بن جندب آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن البعض فكان سمرة آخرهم موتا كبر سنه فاصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لايدفأ منه فأوقدت له نار ليصطلي بها فاحترق فيها لغفلة أهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وأيم لهم

النار حيث لم يبين لهم أنها نار الدنيا ليصدوا في أعمالهم ويدأبوا على الخوف والمراقبة أو أنه لم يؤذن له في ذلك وذلك من الحكم الخفية قال ابن حكيم الضبي كنت اذا لقيت أبا هريرة رضي الله عنه سألني عن سمرة فاذا أخبرته بصحته فرح فسألته عن ذلك فقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله عليه وسلم آخركم موتا في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله وفي رواية للبيهقي كان اذا أراد أحد أن يغيظ أبا هريرة قال مات سمرة فيضعف ويغشى عليه ثم مات أبو هريرة قبل سمرة رضي الله عنهما وروى ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أنه صلى الله عليه وسلم قال في حنظلة بن أبي عامر الانصاري الغسيل الذي استشهد يوم أحد اني رأيت الملائكة تغسله فسلوا امرأته عنه فسألوها فقالت انه خرج جنبا أعجله الحال عن الغسل وكان عروسا ابتنى بجميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وكانت امرأة صالحة قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ووجدنا رأسه تقطر ماء أي وذلك من أثر تغسيل الملائكة (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الامام أحمد والترمذي بل وأصحاب الكتب الستة من قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما أقاموا الدين أي فاذا غيروا غيرهم الله وقد وقع كما قاله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم والبيهقي أنه صلى الله عليه وسلم قال يكون في ثقيف كذاب ومبير أي مهلك يكثر القتل قال العلماء ان المراد بهما الحجاج والمختار بن أبي عبيد قال النووي أجمع العلماء على أن المبير هو الحجاج والكذاب هو المختار بن أبي عبيد الثقفي كان يزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه وكان يتكهن ويزعم أنه يوحى اليه وكان له كرسي يضاهي به تابوت بني اسرائيل فهو ضال مضل وكان في أول أمره يظهر الصلاح والتنسك ويزعم أنه يأخذ بثار الحسين حتى استحوذ على الكوفة وقتل خلقا كثيرا واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب ابن الزبير وأما الحجاج فأمره أشهر من أن يذكر (ومما أخبر به) صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما أن مسيلمة الكذاب يعقره الله وفي رواية يقتله وكان ادعى النبوة في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم فجهز اليه الصديق رضي الله عنه جيشا وأمر عليه خالد بن الوليد فقاتلوا مسيلمة وقومه حتى قتله الله وكان قتله على يد وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وشاركه فيه ناس ففي التعبير عن قتله بالعقر اشارة الى أنه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية (ومما أخبر به) صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنته صلى الله عليه وسلم أول أهله لحوقا به أي أول أهل بيته لحوقا به فماتت بعده بستة أشهر (ومما أخبر به) صلى الله عليه وسلم من المغيبات أنه أنذر أصحابه بمن يرتد بعده من العرب وبما يكون من قتالهم فوقع ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فارتد بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم كثير من العرب الا أهل الحرمين وأهل

البحرين فكفى الله أمر المرتدين بأبي بكر رضي الله عنه بعد أن قاسى منهم أمورا شديدة فما توفي رضي الله عنه حتى رجعت العرب الى الاسلام (ومما أخبر به) صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه البزار عن أبي عبيدة رضي الله عنه والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الأمر أي دين الاسلام بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبرية من الجبر وهو الاكراه والقهر وفسادا في الامة فكان الامر كما أخبر (ومما أخبر به) من المغيبات ما رواه مسلم وغيره من التنويه بشأن أويس القرني رضي الله عنه وكان قد اشتغل ببر أمه عن الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم والا فقد أدرك زمن النبوة وهو خير التابعين بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتيكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد من قرن كان به بياض أي برص فبرأ منه الا موضع درهم أي لانه دعا الله تعالى أن يزيله الا لمعة يتذكر بها نعمته تعالى عليه فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم لهم بأنه أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول في أهل الارض معروف في السماء لو أقسم على الله لأبره تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء ألا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لأويس قف واشفع فيشفعه الله في ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه أن يستغفر لكما فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التي توفي فيها عمر رضي الله عنه قام على أبي قبيس فنادى يا أهل اليمن هل فيكم أويس فقام شيخ وقال لا ندري ما أويس ولكن انه أخ لي أخمل ذكرا وأهون من أن نرفعه اليك وهو في ابلنا يرعاها فعمي عليه عمر رضي الله عنه كأنه لا يريده ثم قال أين هو فقال بأراك عرفات فركب عمر وعلي رضي الله عنهما اليه فاذا هو قائم يصلي فسلما عليه وقالا من الرجل قال راعي ابل أجير فقالا لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك الذي سمتك به أمك قال ما تريدان مني فأخبراه بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وسألاه أن يكشف لهما عن البياض الذي تحت منكبه الايسر لتتحقق العلامة فكشف لهما وتحقق عندهما الوصف كما أخبر صلى الله عليه وسلم وسألاه الدعاء كما أمرهما صلى الله عليه وسلم ثم سألهما من هما فعرفاه بأنفسهما فقام لهما وعظمهما وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله خيرا عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لهما كما أمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضي الله عنه مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائي وكسوة من ثيابي فقال لا ميعاد لي ولا تراني بعد اليوم وما أصنع بالنفقة والكسوة ثم أقبل على العبادة وجاء في حديث صحيح أن خير التابعين رجل يقال له أويس القرني وقال الامام أحمد ان سعيد بن المسيب أفضل التابعين قال القرافي لعل الامام أحمد لم يقف

على هذا الحديث أولم يصح عنده وقال النووى أفضلية أويس بشدة زهده وخشيته لله وأفضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه فلا منافاة وقيل أفضلهم الحسن البصرى وقيل حفصة بنت سيرين قال بعضهم ولاشك ان الأفضلية على الاطلاق لأويس و بالعلم النافع لسعيد ابن المسيب والله أعلم (ومما أخبر به) صلى الله عليه وسلم من المغيبات مارواه مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه من اخباره بأنه سيكون امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ولفظه كيف أنت اذا كنت وعليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرنى قال صل الصلاة لوقتها فان أدركتها فصل معهم فانها لك نافلة وقد وقع ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم (ومما أخبر) عنه صلى الله عليه وسلم من المغيبات مارواه البزار والطبرانى بسند صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون أفياءكم و يضربون رقابكم وقد وقع ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال خير امتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتى بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون و يخونون ولا يؤتمنون و ينذرون ولا يفون و يظهر فيهم السمن يعنى عظم البدن لكثرة أكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم فى عواقب الأمور وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال هلاك أمتى على يد أغيلمة من قريش قال أبوهريرة رضى الله عنه راوى الحديث لوشئت سميتهم لكم بنو فلان و بنو فلان وأراد يزيد و بعض بنى مروان ولم يسمهم خوف الفتنة وكان أبوهريرة رضى الله عنه يقول أعوذ بالله من رأس الستين وامارة الصبيان فتوفى قبل ذلك وكانت ولاية يزيد عام الستين فعلموا بذلك انه هو الذى أراده أبوهريرة رضى الله عنه وكان ذلك باعلام من النبى صلى الله عليه وسلم وأخبر صلى الله عليه وسلم بظهور القدرية فى حديث رواه الترمذى وأبو داود والحاكم وأخبر انهم مجوس هذه الأمة وكذا أخبر بظهور الرافضة فى أحاديث رواها البيهقى من طرق متعددة منها قوله صلى الله عليه وسلم يكون فى أمتى قوم يسمون الرافضة فارفضوهم وفى رواية فاقتلوهم فانهم مشركون وأخبر صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البغوى وغيره بأنها لاتذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها وقد وقع ذلك من كثير من أهل البدع يتناولون كثيرا من الصحابة وأهل البيت وكثير من السفهاء يتعاطون سب كثير من الاولياء كسيدى محيي الدين بن العربى وسيدى عمر بن الفارض رضى الله عنهما فنعوذ بالله من أمثال ذلك فانه من موجبات سوء الخاتمة ونسأل الله أن ينفعنا ببركاتهم وان يحشرنا فى زمرتهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الانصار يقلون حتى يكونوا كالملح فى الطعام فمن ولى منكم شيأ يضر فيه قوما و ينفع آخرين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم وقال لهم انكم ستلقون اثرة بعدى فاصبروا حتى تلقونى على الحوض فكان ذلك كله كما أخبر صلى الله عليه وسلم وأخبر بشأن الخوارج الذين خرجوا على على رضى الله عنه وجاء ذلك فى أحاديث رواها الشيخان وغيرهما أخبر بأن آيتهم رجل أسود احدى ثدييه مثل ثدى المرأة ومثل

البضعة تدردر فلما قاتلهم على رضى الله عنه خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا اذا المثدنة اطلبوه فوجدوه تحت القتلى فى ساوية فقال شقوا قميصه فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدى المرأة عليه شعرات سجد شكرا لله اذ صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم انه رضى الله عنه على الحق وهم على الباطل أى زاده ذلك يقينا وأخبران سيماهم التحليق أى حلق رؤسهم ولم يكن فى الصدر الاول حلق الرؤس الا فى نسك وأخبر صلى الله عليه وسلم ان من أشراط الساعة ان ترى رعاء الشاء رؤس الناس والعراة الحفاة يتطاولون فى البنيان وهذا كناية عن توسع من لا قدرة له فى الدنيا اعلم وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله (ومما أخبر عنه) من المغيبات مارواه الشيخان ان قريشا لا يغزونه بعد غزوة الاحزاب وانه هو الذى يغزوهم فكان كذلك وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم أخبر بالموتان الذى يكون بعد فتح بيت المقدس والموتان على زنة البطلان والمراد منه الموت الكثير فكان ذلك فى خلافة عمر رضى الله عنه بعد فتح بيت المقدس ويسمى طاعون عمواس بفتحتين قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكر المسلمين وهو أول طاعون وقع فى الاسلام مات فيه سبعون الفا فى ثلاثة أيام وعن عوف بن مالك رضى الله عنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين وهو داء تموت به الغنم ثم استفاضة المال وفتنة وهدنة بينكم وبين بنى الاصفر وروى أبو داود عن أنس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال له يا أنس ان الناس يمصرون أمصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها وكلاؤها بتشديد اللام مرسى سفنها فى هذا الحديث من اعلام نبوته ومن الاخبار بالغيب مالا يخفى فاستمصرت البصرة فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة سبع عشرة بناها عتبة بن غزوان رضى الله عنه وسكنت سنة ثمانى عشرة وكان أنس رضى الله عنه ممن سكنها ومن شرفها أنه لم يعبد بها صنم (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب مارواه الشيخان ان أمته يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة ولم يكن ذلك فى حياته صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كما أخبر والحديث مروى فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن خالته أم حرام بنت ملحان وكان رسول الله نام عندها يوما ثم استيقظ صلى الله عليه وسلم وهو يتبسم فقالت له ما أضحكك يا رسول الله فقال أناس من أمتى عرضوا على يركبون ثبج البحر أى وسطه كالملوك على الاسرة قالت أدع الله أن يجعلنى منهم فدعا لها ثم نام فرأى مثل ذلك فسألته فقال لها مثل ما قال أولا فقالت ادع الله أن يجعلنى منهم فقال لها أنت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة ابن الصامت رضى الله عنه مع المسلمين الغزاة مع معاوية فى خلافة عثمان رضى الله عنهما فركبوا البحر فلما رجعوا قربوا لها دابة لتركبها فوقعت وماتت شهيدة رضى الله عنها وكان عمر رضى الله

عنه يمنع الناس من ركوب البحر فلما سمع هذا الحديث أذن للناس في ركوبه وأم حرام رضي الله عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف يزار وأخبر صلى الله عليه وسلم ان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وقد حقق الله ذلك بسلمان الفارسي والامام أبي حنيفة والبخاري وأمثالهم رضي الله عنهم وظهر فيهم من الاولياء والعلماء والتصانيف ما لا يعد ولا يحصى وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال هاجت ريح والنبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته أي وهي غزوة تبوك وقيل غزوة بني المصطلق فقال انها هاجت لموت منافق يعني رفاعة بن زيد بن التابوت وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين وكان بالمدينة فلما رجعوا وجدوا ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم ووجدوا هلاكه وقت اخباره صلى الله عليه وسلم وروى الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يوما لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار مثل أحد قال أبو هريرة رضي الله عنه ذهب القوم كلهم أي ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة ولم يعينه لكراهته أو طلبا للستر وروى أبو داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بالذي غل خرزا من خرز يهود خيبر وكان قد توفي فأخبر صلى الله عليه وسلم به ليصلي عليه فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس فقال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشوا متاعه ومامعه فوجدت تلك الخرزات التي غلها في رحله وروى البيهقي أن ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت فطلبها الناس فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد أنه يعلم الغيب ولا يعلم خبر ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل وأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ما أزعم أني أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي فهي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق وهو زيد بن اللصيب (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب ما أعلم به أصحابه حين تجهز عام الفتح وقد أراد اخفاء أمره من ان حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتب الى أهل مكة يعلمهم بمسيره صلى الله عليه وسلم اليهم وأخفى الكتاب وبعث به مع امرأة وقال لها اخفيه مااستطعت وقال صلى الله عليه وسلم لعلي والزبير والمقداد رضي الله عنهم انطلقوا الى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فأتوني به فانطلقوا وجاؤا بالكتاب فسأل صلى الله عليه وسلم حاطبا فاعتذر وحلف أنه مافعل ذلك نفاقا ولا ارتدادا فقبل صلى الله عليه وسلم عذره كما تقدم ذلك مبسوطا في غزوة الفتح (ومما أخبر به) صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما أظهره صلى الله عليه وسلم من شأن عمير بن وهب ابن خلف لما قدم المدينة وأظهر أنه جاء لطلب فك ابنه وهب من الاسر وقد توافق مع صفوان ابن أمية في الحجر على أن صفوان يتحمل دينا كان عليه وهو يتوجه الى المدينة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدم المدينة سأله صلى الله عليه وسلم ماجاء بك فقال جئت لهذا الاسير فاحسنوا فيه فقال صلى الله عليه وسلم بل قعدت أنت وصفوان بالجروز كرتما أصحاب القليب

وقالت لولادين على وعيالى خرجت الى محمد حتى أقتله فتحمل دينك وعيالك وجئت لتقتلنى فقال أشهد أنك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله انى لاعلم انه ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذى هدانى للاسلام أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم وتقدم ذلك فى غزوة بدر عند تعداد الاسراء (ومن اخباره) بالغيب قوله صلى الله عليه وسلم لأبى بن خلف أنا أقتلك ان شاء الله حين قال له أبى عندى فرس أعلفها كل يوم فرقا أقتلك عليها وقد حقق الله قول نبيه صلى الله عليه وسلم فانه قتل أبيا يوم أحد كما تقدم فى غزوة أحد (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وذكرهم واحدا واحدا مشيرا الى مصارعهم فصرعوا كذلك ما تجاوز أحد منهم موضعه الذى أشار اليه (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان وغيرهما من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحسن بن على رضى الله عنهما ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك وذلك أنه لما قتل على كرم الله وجهه بايع الناس الحسن على الموت وكان الذين بايعوه أكثر من أربعين ألفا وكانوا أطوع له وأحب من أبيه فبقى نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وخراسان وما وراء النهر ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراآى الجمعان بناحية الأنبار علم الحسن رضى الله عنه أنه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين وعلم معاوية رضى الله عنه مثل ذلك فسعى بينهما جماعة بالصلح وأرسل له معاوية رضى الله عنه رقا أبيض وقال اكتب فيه ما شئت وانا التزمه فاصطلحا على ان الحسن يفوض الامر له بشرط أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشئ كان فى أيام أبيه فأجابه معاوية رضى الله عنه الى ذلك واشترط أن يكون الامر له بعد معاوية فالتزم معاوية ذلك كله وحقن الله دماء المسلمين وحقق الله قول نبيه صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به وفى رواية ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ﴿ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب﴾ ما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون وذلك ان سعدا رضى الله عنه مرض بمكة وكان يكره أن يموت بالارض التى هاجر منها واشتد مرضه حتى أشفى أى أشرف على الموت فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ولم يكن لسعد الا بنت فقال يا رسول الله أوصى بمالى كله قال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير وهو حديث مشهور ثم قال له صلى الله عليه وسلم لعلك تخلف أى تعيش حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون فشفاه الله من ذلك المرض وفتح الله العراق على يديه وهدى الله به أناسا أسلموا على يديه وغنموا معه وأضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبى وكانت المدة التى عاش فيها بعد ذلك المرض نحو خمسين سنة قال النووى فهذا الحديث من المعجزات وقد تحقق ما أخبر به فيه (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه

البخاري عن أنس رضي الله عنه من اخباره صلى الله عليه وسلم بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينه وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وذلك أنه بعث جيشا جهة الشام وقال أميركم زيد بن حارثة فان أصيب فجعفر بن أبي طالب فان أصيب فعبد الله بن رواحة فان أصيب فمن يرتضيه المسلمون فلما التقوا مع المشركين كشف الله له عن موضع قتالهم وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معركتهم فنعاهم لأصحابه وقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وعيناه صلى الله عليه وسلم تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتح الله عليهم فلما أتاه يعلى بن أمية رضي الله عنه وكان رسولا من الجيش قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرني وان شئت أخبرتك فقال أخبرني فأخبره ووصفهم له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه يعني أرض الحبشة وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم أخبر رسول كسرى بموت كسرى يوم مات فلما تحقق ذلك أسلم وروى الماوردي في اعلام النبوة ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بأن فيروز الديلمي قتل الاسود العنسي الذي ادعى النبوة بصنعاء فكان كذلك وروى الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أبا ذر رضي الله عنه بخروجه من المدينة وأنه يعيش وحده ويموت وحده فسكن الربذة في آخر عمره حتى مات بها وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم أخبر ان أسرع زوجاته لحوقا به أطولهن يدا أي من الطول بفتح الطاء وهو الجود والانعام وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها أكثرهن صدقة فكانت أول الزوجات موتا وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بالطف وهو مكان بناحية الكوفة ويعرف بكربلا وأخرج صلى الله عليه وسلم بيده تربة وقال فيها مضجعه وفي رواية ان جبريل عليه السلام جاء بها وروى ابن عدي والبيهقي أنه صلى الله عليه وسلم قال في زيد بن صوحان العبدي رضي الله عنه يسبقه عضو من أعضائه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال في الذين كانوا معه على حراء حين تحرك بهم وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير أثبت فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم وعد بعضهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد مات بالطاعون وهو نوع من أنواع الشهادة وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك حين تعرض له في طريقه وهو مهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سواري كسرى وتقدمت قصة تعرضه للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه أخذ أمانا ثم أسلم عام الفتح رضي الله عنه فلما سلب الله كسرى ملكه في خلافة عمر رضي الله عنه أتي بسواريه لعمر رضي الله عنه فألبسهما سراقة رضي الله عنه تحقيقا لما أخبر به صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي

سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وكانتا من ذهب وليس هذا من استعمال الذهب المحرم لانه انما فعل ذلك تحقيقا وتصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان يقرهما بعد ذلك ومثل ذلك لا يعد استعمالا محرما وروى أبو نعيم فى الدلائل والخطيب البغدادى فى تاريخه أنه صلى الله عليه وسلم قال تبنى مدينة بين دجلة والصراة وهو نهر بالعراق مشهور تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعنى بتلك المدينة وهى بغداد وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من بنائها فى الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقى أمر الخسف وسيظهر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وروى الامام أحمد والبيهقى أنه صلى الله عليه وسلم قال سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لأمتى من فرعون لقومه قال الاوزاعى فكانوا يرون أنه الوليد بن عبد الملك ثم تبين أنه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذى كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان سفيها مدمنا للخمر تفاءل يوما فى المصحف فخرج له واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فرمى المصحف بالسهام ومزقه وأنشأ يقول

أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقنى الوليد

وفى هذا الحديث معنى لطيف وهو أن فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد بن مصعب فشاركه فى التسمية بالوليد وبويع له بعد عمه هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة ثم سلط الله عليه الجند فقتلوه ومزقوه بالسلاح كما مزق المصحف ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقد وقع هذا فى صفين فى وقعة على ومعاوية رضى الله عنهما وكانت دعواهما فى اعتقادهما ودينهما واحدة وهو الاسلام وكل منهما كان مجتهدا وروى البيهقى والحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سهيل بن عمرو العامرى رضى الله عنه عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك فان سهيلا رضى الله عنه قام فى أهل مكة يوم بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم وخطبهم وثبتهم بنحو قيام أبى بكر رضى الله عنه فى أهل المدينة وخطبته لهم وتثبيته اياهم كما تقدم بيان قيام سهيل لاهل مكة عند ذكره فى جملة اسرى بدر وروى ابن اسحاق والبيهقى انه صلى الله عليه وسلم قال لخالد بن الوليد رضى الله عنه حين ارسله لأكيدر دومة انك تجده يصيد البقر فخرج خالد بن الوليد ومعه أربعمائة وعشرون فارسا فأتوه فى ليلة مقمرة فوجدوه يصطاد بقر الوحش هو وأخوه حسان فشدوا عليهما فقتلوا أخاه حسان وأسروا أكيدر فقدموا به على النبى صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله ومات على نصرانيته وقيل أسلم وعده ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة والله أعلم (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب ما كان يخبر به أصحابه عن المنافقين مما أسروه وأخفوه ببواطنهم من النفاق والكفر ومن أقوالهم فيه صلى الله عليه وسلم وفى المؤمنين حتى ان بعضهم كان يقول

لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء وتقدم فى قصة فتح مكة أنه صلى الله عليه وسلم أمر بلالا رضى الله عنه أن يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وأبو سفيان ابن حرب وعتاب بن اسيد والحارث بن هشام رضى الله عنهم جلوس بفناء الكعبة قبل أن يتمكن الاسلام فى قلوبهم فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا اذلم يرهذا اليوم وقال الحارث أما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال أبو سفيان لا أقول شيأ ولو تكلمت لأخبرته هذه الحصباء فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال علمت الذى قلتم وذكر مقالتهم فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول أخبرك (ومن اخباره بالغيب) فى الصحيحين من اعلامه صلى الله عليه وسلم بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم اليهودى وانه فى مشط ومشاطة فى جف طلع نخلة ذكر وأنه فى بئر ذروان والمشاطة ما يسقط من الشعر والجف وعاء الطلع الذى يكون عليه كالغشاء فكان كما قال صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك الصفة فأرسل صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فاستخرجوه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء وروى البيهقى وغيره انه صلى الله عليه وسلم أعلم عمه أبا طالب بأكل الارضة ما فى صحيفة قريش التى تظاهروا بها على بنى هاشم حين امتنعوا من تسليم النبى صلى الله عليه وسلم لقريش يقتلونه وان الارضة أبقت فيها اسم الله تعالى فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم وتقدمت القصة فى ابتداء البعثة بتمامها * هذا كله مع ما أخبر به من الحوادث التى تكون بعده فجاء كثير منها كما أخبر وبقى بعض سيظهر كما أخبر صلى الله عليه وسلم فما أخبر به مما يكون بعده ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الابل ببصرى أى وهى مدينة معروفة بالشام وهى مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وفى كامل ابن عدى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضىء له أعناق الابل ببصرى قال الحافظ ابن حجر فى شرحه على البخارى وكذلك العلامة القسطلانى وهذا ينطبق على النار التى ظهرت بالمدينة فى المائة السابعة وتقدمتها زلزلة وكان ابتداؤها يوم الاحد مستهل جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وستمائة وقيل ابتدأت يوم الثلاثاء ثالث الشهر المذكور وجمع بأن الاول نظر لابتدائها الخفى على بعض الناس والثانى نظر الى ظهورها للخاص والعام واشتدت حركتها وعظمت رجفتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات لبارئها تتوسل ان ينظر اليها ودامت حركة بعد حركة حتى أيقن أهل المدينة بالهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا فلما كان يوم الجمعة فى نصف النهار ثار فى الجو دخان متراكم أمر دهمة فاقم ثم شاع شعاع النار وعلا حتى غشى الابصار ونقل العلامة القسطلانى عن القرطبى فى تذكرته انه كان بدؤها زلزلة عظيمة ليلة الاربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وان النار تزايدت الى ضحى يوم الجمعة فسكنت بقريظة عند قاع التنعيم بطرف

الحرة ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط بها عليه شراريف كشراريف الحصون وأبراج ومآذن ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل الا دكته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوى كدوى الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهي الى محط الركب العراقي فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار الى قرب المدينة وكان يأتي المدينة ببركة النبي صلى الله عليه وسلم نسيم بارد ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن فأحرقتها قال القرطبي وقال لي بعض أصحابنا لقد رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام من المدينة وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى وقال أبو شامة وردت كتب من المدينة في بعضها أنه ظهرت نار بالمدينة انفجرت من الارض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد وفي آخر سال منها واد مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال يجري على وجه الارض يخرج منها مهاد وجبال صغار قال السيد السمهودي في تاريخ المدينة ان النفوس حينئذ سكرت من حلول الوجل * وفنيت من نزول الاجل * وعج المجاورون بالجؤار بالاستغفار * وعزموا على الاقلاع عن الاصرار * وعلى التوبة عما اجترحوا من الاوزار * وفزعوا بالصدقة بالاموال * ونالهم من الخوف والفزع ما لا يمكن ذكره وحصره ثم صرفها الله عنهم ذات اليمين وذات الشمال وظهر حسن بركة نبينا صلى الله عليه وسلم في أمته * ويمن طلعته في رفقته بعد فرقته * وفي المواهب ان مدة اقامة تلك النار اثنان وخمسون يوما وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسراء والمعراج وفي شرح البخاري للعلامة القسطلاني فقد ظهر ان النار المذكورة في حديث الباب هي النار التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره وكذلك قال النووي في شرح مسلم وكان ظهورها في أيامه وقد تضمن الحديث ثلاثة أمور خروجها من الحجاز وسيلان واد منه بالنار وقد وجدا وأما الثالث وهو اضاءة أعناق الابل ببصرى قال العلامة القسطلاني فقد جاء من أخبر به فاذا ثبت هذا فقد صحت الامارات وتمت العلامات ثم ذكر أنه جاء من أخبر أنه أبصرها من تيماء وبصرى على مثل ما هي عليه بالمدينة فتعين أنها المراد وارتفع الشك والعناد وأما النار التي تسوق الناس الى أرض المحشر فنار أخرى لم تظهر الى الآن وهي تخرج من قعر عدن ﴿ومن اخباره﴾ صلى الله عليه وسلم عما سيقع ما رواه أبو داود في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن ذلك اخباره بأشراط الساعة وظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وذكر الحشر والنشر وأخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وغير ذلك وحسبك هذا الفصل أن يكون مؤلفا مفردا يشتمل على أجزاء وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم ما فضله الله به زائدا على غيره من كمال خلقته وجمال صورته ونهاية قوته وفرط

شجاعته ووفور علمه وعظيم حلمه وكل ما أكرمه الله به وميزه به على غيره من الاخلاق الزكية والاوصاف المرضية ومعرفة ذلك كله من تمام الايمان فان من الايمان التصديق بأن الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على هيئة لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله فكل ما يشاهد من بدنه صلى الله عليه وسلم آيات ومعجزات لمن شاهده وهي تدل على عظيم أخلاقه الباطنة فان المشاهد الظاهرة تدل على الباطن وذلك الباطن دليل على ما أودع في قلبه من العلوم والمعارف ولله در الابوصيري حيث يقول

فهو الذي تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعني حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه وهي غير منقسمة بينه وبين غيره لانه الذي تم معناه وصورته دون غيره والمراد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى أعلى الصفات اللائقة بالبشر وشاركه غيره في الاتصاف ببعضها فيكون ذلك البعض مشتركا وتميز المصطفى صلى الله عليه وسلم بالزيادة التي لم يؤتها غيره وأما قوله صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف شطر الحسن فالمراد منه أنه أوتي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا وفي الآثار ان خالد بن الوليد رضي الله عنه خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الاحياء فقال له سيد ذلك الحي صف لنا محمدا فقال أما اني أفصل فلا أي لان صفاته لا يمكن الاحاطة بها فقال الرجل أجمل فقال خالد رضي الله عنه الرسول على قدر المرسل أي على حالة تليق به وهو رسول الله بعثه لتبليغ أحكامه لمن لازمه أنه بالغ الغاية فكل ما تصور فيه من كمال دون ما ثبت له فان الملك اذا بعث رسولا لقضاء أمر يرسل من يقدر على ذلك بحيث يكون ذا هيئة شريفة وتصرف تام ولا يلزم منه مساواته لبقية الرسل لان عموم رسالته ونسخها الشرائع من قبله يقتضي رتبة زائدة عليهم فمن ذا الذي تصل قدرته الى معرفة ما أعطى صلى الله عليه وسلم وفي المواهب نقلا عن القرطبي عن بعضهم أنه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم لعجزنا عن ذلك ولقد أحسن الابوصيري رحمه الله حيث قال

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى * في القرب والبعد منه غير منفحم

كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

وهذا مثل قوله في الهمزية انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

يعني أن واصفيه لم يبلغوا حقيقته صلى الله عليه وسلم لانهم لم يحيطوا بها وانما غاية ما وصلوا اليه نحو تصويرها الحاكية لمباديها كما أن الماء لم يحك الانجم دصورها الاغير * ولنشرع في ذكر جملة من أوصاف ذاته الشريفة فنقول أما وجهه الشريف فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وروى الترمذي والامام أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله

عنه قال ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه ومعناه أن جريان الشمس في فلكها كجريان الحسن وجهه أي ان شدة النور والبريق واللمعان دائم وجهه الشريف ولا تختص ببعض منه دون باقيه فهو شبيه بجريان الشمس في فلكها ولله در القائل

لم لا يضيء بك الوجود وليله * فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق * وببدر وجهك كل ليل مزهر

وفي البخاري سئل البراء بن عازب رضي الله عنهما أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل القمر فكأن السائل أراد مثل السيف في الطول فرد عليه البراء ردا بليغا فقال بل مثل القمر أي في التدوير أو أن السائل أراد مثل السيف في اللمعان والصقالة فقال بل فوق ذلك وعدل الى التشبيه بالقمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان فهو ردة لتوهم السائل أن لمعانه كلمعان السيف بانه وان شاركه في اللمعان لكن لمعان الوجه الشريف لا يساويه شيء وقال بعضهم يحتمل أن السائل سأل عنهما جميعا ففي هذا الحديث اشارة الى أن التشبيه بما لا يحسنه لا يليق الاقرار عليه لان السائل شبه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالشمس لكان أولى فلذلك رد عليه البراء فقال بل مثل القمر وأبدع في تشبيهه لان القمر يملأ الارض بنوره ويؤنس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا ثقل في العين يضعفها والناظر الى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس فان الناظر اليها يحصل لبصره منه كلال وضعف وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما أن رجلا قال له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر والمراد أنه مثل الشمس في البهاء والاشراق ومثل القمر في الاستدارة والنور فقد كان مستديرا لا طويلا والمراد الاستدارة مع الاسالة كما في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أسيل الخدين وفي حديث عن علي رضي الله عنه كان في وجهه تدوير أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل ولم يكن كثير السمن ولا نحيفا والمراد أنه ما كان في غاية التدوير بل كان فيه سهولة وهي أحلى عند العرب وغيرهم من كل ذي ذوق سليم وطبع قويم فالمقصود تشبيهه بمحاسن كل حسن وروى الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو في عيني أحسن من القمر وفي رواية بعد قوله حمراء فجعلت أماثل بينه وبين القمر فهو عندي أحسن من القمر وروى البخاري عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه وقالت عائشة رضي الله عنها دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا تبرق أسارير وجهه وهي جمع أسرار جمع سر بكسر السين وهي الخطوط التي في الجبهة تبرق عند الفرح ولذلك قال كعب

كأنه قطعة قمر اشارة الى موضع الاستنارة وهو الجبين وهذه الاستنارة التي تحصل عند السرور زائدة على ماهو موجود قبل من النور والبهاء المشبه بضياء الشمس ونور القمر وروى الطبراني عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر وهي بكسر الشين قطعة القمر وهذا محمول على صفته عند الالتفات أو أنه كان متلثما فلا ينافي أن وجهه كله يوصف بتلك الاستنارة وقد أخرج الطبراني حديث كعب بن مالك رضي الله عنه من طرق في بعضها كأنه دارة قمر وروى أبو نعيم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر وروى البيهقي عن امرأة من همدان نسي اسمها بعض الرواة قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه البردان يكاد يمس شعره منكبه اذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه الى فيه فيقبله قال أبو اسحاق البيهقي الراوي عنها فقلت لها شبهيه فقالت كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله وروى الدارمي والبيهقي وأبو نعيم والطبراني عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ رضي الله عنها صفي لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رأيته لقلت الشمس طالعة وروى مسلم عن أبي الطفيل عامر ابن واثلة الصحابي رضي الله عنه وهو آخر الصحابة موتا ولد عام الهجرة وتوفي عام مائة حدثنا يوما في آخر عمره فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بقي على وجه الارض أحد رآه غيري فقيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان أبيض مليح الوجه وروى الترمذي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سألت خالي هند بن أبي هالة وهو أخو السيدة فاطمة رضي الله عنها من أمها خديجة رضي الله عنها وأبوه أبو هالة واسمه النباش وقيل مالك وقيل زرارة وكانت خديجة متزوجة به قبل النبي صلى الله عليه وسلم ثم مات عنها وأما هند ابنه فصحابي رضي الله عنه أسلم وهاجر وقتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل وهو مع علي رضي الله عنه وهو خال الحسن والحسين رضي الله عنهما قال الحسن بن علي رضي الله عنهما كان خالي هند بن أبي هالة وصافا الحلية النبي صلى الله عليه وسلم وكنت أشتهي أن يصف لي منها شيئا أتعلق به فقال لي يوما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما أي عظيما في نفس الامر معظما في صدور الصدور وعيون العيون يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقالت أم معبد حين وصفته لزوجها أبلج الوجه تعني مشرقه مضيئه ومنه تبلج الصبح اذا أسفر قال في المواهب وما أحسن قول السيد علي وفا رضي الله عنه حيث قال

ألا يا صاحب الوجه المليح * سألتك لا تغيب فأنت روحي
متى ما غاب شخصك عن عياني * رجعت فلا ترى الا نزوحي
بحقك جد لرقك يا حبيبي * وداوي لوعة القلب الجريح
ورق لمغرم في الحب أمسى * وأصبح في الهوى دنفا طريح

محب ضاق بالاشواق ذرعا * وآوى منك للكرم الفسيح

وفى المواهب نقلا عن النهاية لابن الاثير أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا سر فكأن وجهه المرآة وكأن الجدر تلاحك وجهه والملاحكة شدة الموافقة والمراد أنه يرى شخص الجدر فى وجهه صلى الله عليه وسلم لشدة ضيائه وقول ابن أبى هالة رضى الله عنه فى حديثه المتقدم يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فيه تشبيه وجهه الشريف بالبدر وهو أبلغ فى العرف من التشبيه بالقمر لان البدر هو القمر وقت كماله وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بهذا البيت

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المنور ليلة البدر

وقد صادف تشبيهه صلى الله عليه وسلم معناه الحقيقى أيضا فمن أسمائه صلى الله عليه وسلم البدر فقد روى أن الله قال لموسى صلى الله عليه وسلم ان محمدا هو البدر الباهر والنجم الزاهر والبحر الزاخر ولهذا أنشد نساء الانصار لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة فى الهجرة ومن غزوة تبوك طلع البدر علينا من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وما أحسن قول ابن الحلاوى فى صفته صلى الله عليه وسلم

يقولون يحكى البدر فى الحسن وجهه * وبدر الدجى عن ذلك الحسن ينحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه * لقد بالغوا فى المدح للغصن واشتطوا

أى فقد حصل للبدر والغصن غاية فى الفخر بهذا التشبيه على أن هذه التشبيهات الواردة فى صفاته صلى الله عليه وسلم انما هى على عادة الشعراء والعرب والا فلا شئ فى هذه التشبيهات المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية ولله درى سيدى محمد وفا رضى الله عنه حيث قال

كم فيه للابصار حسن مدهش * كم فيه للارواح راح مسكر
سبحان من أنشاه من سبحانه * بشرا بأسرار الغيوب يبشر
فاسوه جهلا بالغزال تغزلا * هيهات يشبهه الغزال الاحور
هذا وحقك ماله من مشبه * وأرى المشبه بالغزالة يكفر
يأتى عظيم الذنب فى تشبيهه * لولا رب جماله يستغفر
غلب الملاح بحسنه وجماله * وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجماله مجلى لكل جميلة * وله منار كل وجه نير
جنات عدن فى جنى وجناته * ودليله أن المراشف كوثر
هيهات ألهو عن هواه بغيره * والغير فى حشر الاجانب يحشر
كتب الغرام على فى أسفاره * كتبا تؤول بالهوى وتفسر
فدع المدعى وما ادعاه فى الهوى * ذرعيه بالهجر فيه تهجر

وقوله بالهجر هو بضم الهاء الهذيان والتخليط والتهجير الاذى والهلاك ويقال تهجر سار

وقت

وقت الهاجرة أي شدة الحر فكأنه قال مدعي المحبة بمجرد اللفظ شبيه بالسائر في شدة الحر فأتعب نفسه وأذاها بما يلام عليه عاجلا وآجلا (وأما بصره الشريف) صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله في كتابه العزيز بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى أي ما مال بصره عما رآه ليلة الاسرى وما جاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها وقد قال تعالى في ليلة الاسراء لنريه من آياتنا فقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى يفيد أنه صلى الله عليه وسلم أعطي قوة البصر بحيث أنه لا يحصل له تخيل في شيء رآه حتى يكون على خلاف الواقع بل متى تعلق به بصر أدركه على ما هو به في الواقع وان كان في غاية الخفاء وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء والمعنى أن رؤيته في النهار الصافي والليل المظلم متساوية لان الله تعالى لما رزقه الاطلاع بالباطن والاحاطة بادراك مدركات القلوب جعل له مثل ذلك في مدركات العيون وروى البيهقي وابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلماء كما يرى في الضوء وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى المحسوس من وراء ظهره كما يراه من أمامه فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم وفي رواية ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لأراكم من وراء ظهري وفي رواية لمسلم عن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فاني أراكم من امامي ومن خلفي وعن مجاهد أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه وهذه الرؤية رؤية ادراك وابصار حقيقية خاصة به صلى الله عليه وسلم انخرقت له فيها العادة فهي من المعجزات والرؤية عند أهل السنة لا تتوقف عقلا على مقابلة ولا على انفصال أشعة من الرائي متصلة بالمرئي نعم ذلك شرط بحسب العادة وقد خرق الله العادة لنبيه صلى الله عليه وسلم كما يخرقها للمؤمنين يوم القيامة فيرون ربهم من غير شرط من تلك الشروط ومما يدل على قوة بصره صلى الله عليه وسلم وان الله أعطاه قوة خارقة للعادة أنه كان يرى في الثريا اثني عشر نجما والمحقق للناس منها غير ستة أو سبعة فلم ير جميعها غير النبي صلى الله عليه وسلم لقوة جعلها الله في بصره ومن قوة بصره صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى الملائكة والشياطين ورفع له النجاشي حتى صلى عليه ورأى بيت المقدس حين وصفه لقريش ورأى الكعبة من المدينة حين بنى مسجده ورأى جبريل في صورته وله ستمائة جناح وجاء في حديث ابن أبي هالة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض أكثر من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة فقوله اذا التفت التفت جميعا أراد أنه لا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة اذ لا يفعل ذلك الا الطايش الخفيف ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل جميعا ويدبر جميعا وقوله خافض الطرف معناه أنه اذا نظر الى شيء خفض بصره

ولا ينظر الى الاطراف والجوانب بلا سبب بل لم يزل مطرقا متوجها الى عالم الغيب مشغولا
بحاله متفكرا في أمور الآخرة لان هذا شأن المتواضع المتفكر المشتغل بربه وقيل هو كناية عن
شدة حيائه ولين جانبه أو عدم كثرة سؤاله واستقصائه وقوله نظره الى الارض أكثر من نظره
الى السماء أى حال السكوت وعدم التحدث لانه أجمع للفكرة وأوسع للاعتبار لاشتغاله بالباطن
واعماله جنانه فيما بعث لاجله أو لكثرة حيائه وأدبه مع ربه أو لانه بعث لتربية أهل الارض لا أهل
السماء والاول أحسن وقوله جل نظره الملاحظة معناه أنه يلحظ الشئ بمؤخر عينه من غير
التفات فلا ينافى قوله واذا التفت التفت جميعا وقيل المراد من الملاحظة المراقبة وقيل المراد
أن نظره الى الاشياء لم يكن كنظر أهل الحرص على الدنيا وزخرفها عملا بقوله تعالى ولا تمدن
عينيك الآية وفى حديث الشمايل فى وصف على رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم قال
كان صلى الله عليه وسلم أدعج العينين وهو شدة سواد العين مع سعتها أهدب الاشفار جمع
شفر بالضم وهى حروف الاجفان التى ينبت عليها الشعر والمراد أنه طويل شعر الاشفار
مشرب العين بحمرة وهى عروق حمر رقاق وفى رواية لجابر بن سمرة رضى الله عنهما أنه
صلى الله عليه وسلم أشكل العينين والشكلة هى الحمرة تكون فى بياض العين وذلك محبوب
محمود قال الحافظ العراقى وهى احدى علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ولما سافر مع ميسرة
الى الشأم سأل عنه الراهب فقال أفى عينيه حمرة فقال ما تفارقه فقال الراهب هو هو وفى رواية
عن على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان أدعج العينين أهدب الاشفار مقرون
الحاجبين وفى رواية أزج الحواجب سوابغ من غير قرن يعنى ان طرفى حاجبيه قد سبغا أى
طالا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا وهذا هو مراد من قال مقرون الحاجبين فلا تنافى بين الروايتين
وفى رواية بعد قوله أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أى يحركه
ويظهره أى يظهر ويرتفع عند الغضب وفى المواهب عن على رضى الله عنه قال بعثنى النبى
صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقمت لاخطب يوما أى أعظهم وأذكرهم ليتمكن ايمان من
آمن ويؤمن من لم يكن آمن فخطبت وحبر من أحبار اليهود واقف بيده سفر أى كتاب كبير
ينظر فيه فلما رآنى قال لى صف لى أبا القاسم فقلت ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث
يعنى المذكور فيه جملة من أوصافه صلى الله عليه وسلم قال على رضى الله عنه ثم سكت فقال الحبر
وماذا فقلت هذا ما يحضرنى الآن أى من صفته قال الحبر فى عينيه حمرة حسن اللحية فقال
على هذه والله صفته قال الحبر فانى أجد هذه الصفة التى وصفتها يا على والتى ذكرتها لك فى سفر
آبائى وانى أشهد أنه رسول الله الى الناس كافة (وأما سمعه الشريف) صلى الله عليه وسلم
فحسبك أنه قال انى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ليس
فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى رواه الترمذى والامام أحمد
وابن ماجه والحاكم وصححوه كلهم من رواية أبى ذر رضى الله عنه وقوله أطت بفتح الهمزة

وشد الطاء أى صاحت من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين فيها و روى أبو نعيم عن حكيم ابن حزام رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه اذ قال لهم تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شئ قال انى لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد أو قائم (وأما جبينه) صلى الله عليه وسلم فقد جاء فى وصفه أنه كان واضح الجبين والمراد جنس الجبين لان لكل انسان جبينين وهما يكتنفان الجبهة يمينا وشمالا وفى رواية صلت الجبين أى واسع الجبينين والمراد سعتهما امتدادهما طولا وعرضا وسعتهما محمودة عند كل ذى ذوق سليم وذكر ابن أبى خيثمة أنه صلى الله عليه وسلم كان أجلى الجبين اذا طلع جبينه أى اذا طلع بوجهه على الناس تراءى جبينه كأنه السراج المتوقد يتلألأ وكانوا يقولون هو كما قال حسان رضى الله عنه

متى يبد فى الليل البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجا المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد * نظام لحق أو نكال لملحد

و روى البيهقى عن رجل من الصحابة رضى الله عنهم ولا ضرر فى ابهامه لان الصحابة كلهم عدول قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در سيدى محمد وفا رضى الله عنه حيث يقول فى وصفه صلى الله عليه وسلم

جبينه مشرق من فوق طرته * يتلو الضحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته * من فوق نوناتها سينا ضفائره
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه * منضر الحسن قد قلت نظائره

وعن مقاتل أوحى الله الى عيسى عليه السلام اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البتول انى خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياى فاعبد وعلى فتوكل فسر لاهل سوران انى أنا الله الحى القيوم لا أزول فصدقوا النبى الامى صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الاهدب الاشفار الادعج العينين الاقنى الانف الواضح الخدين أى سهل الخدين ليس فيهما نتو ولا ارتفاع الكث اللحية عرقه فى وجهه كاللؤلؤ وريحه كالمسك ينفح منه كأن عنقه ابريق فضة وفى حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى وصفه صلى الله عليه وسلم قال كان صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة وفى حديث آخر من رواية هند بن أبى هالة رضى الله عنه كان عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة والمراد وصف عنقه بالدمية وهو العاج فى الاشراق والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال لان صورة العاج يتأنق الناس فى صنعتها بالفضة فى اللون والاشراق والجمال وقوله فى الحديث السابق أقنى الانف القنا فى الانف طوله ودقة أرنبته مع حدب فى وسطه وهو معنى قول ابن الاثير وهو السائل الانف المرتفع وسطه ووصف صلى الله عليه وسلم بأنه دقيق العرنين أى أعلى الانف حيث يكون الشم وهو ما تحت مجتمع الحاجبين وقال ابن أبى هالة رضى الله عنه اقنى

العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم أى وليس هو بأشم والاشم الطويل قصبة الانف مع استواء أعلاه (وأما رأسه الشريف) صلى الله عليه وسلم فقد دل على وصفه قول غير واحد انه صلى الله عليه وسلم كان عظيم الهامة أى الرأس وفى رواية البيهقى عن على رضى الله عنه ضخم الرأس أى عظيمه من غير افراط وهو محبوب ممدوح لانه أعون على الادراكات ونيل الكمالات اما مع الافراط فى العظم فهو آية البلادة (وأما فمه الشريف) صلى الله عليه وسلم ففى مسلم من حديث جابر بن سمرة رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان ضليع الفم أى عظيمه أو واسعه من غير افراط والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم لدلالة السعة على الفصاحة والصغر على ضدها والمولدون من الشعراء يمدحون صغره وهو خطأ منهم أو لمعنى لا يلتفت اليه أو ان ذلك بالنسبة للنساء وزاد فى حديث ابن أبى هالة رضى الله عنه كان يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه أى جوانب فمه وفى حديث عن البزار والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع الفم أشنب مفلج الاسنان والشنب رونق الاسنان وماؤها وتحديدها ومفلج الاسنان متفرقها وقال على رضى الله عنه مبلج الثنايا بالموحدة أى براقها وجاء فى رواية براق الثنايا أى مضيئها وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين أى بعيد ما بين الثنايا والرباعيات اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه وكان صلى الله عليه وسلم قوى الاسنان وهذا هو المراد من رواية عظيم الاسنان فالمراد شدتها وقوتها وتمامها ولا يتوهم فى سياق المدح غير هذا وكان عليه الصلاة والسلام أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم وكان صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس وهى رؤس العظام وذلك يدل على وفور المادة وقوة الحواس وكثرة الحرارة وكمال القوى وفى رواية جليل المشاش والكتد وفسر برؤس العظام كالركبتين والمرفقين أى عظيمهما وفى الصحاح المشاش رؤس الاصابع اللينة التى يمكن مضغها والكتد بفتحتين مجتمع الكتفين وفى المواهب عن أبى قرصافة أى وهو جندرة بن خيشنة الكنانى الليثى الصحابى رضى الله عنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأمى وخالتى فلما رجعنا قالت لى أمى وخالتى يابنى ما رأينا مثل هذا الرجل أى خلقا وخلقا لا أحسن وجها ولا أنقى ثوبا ولا ألين كلاما ورأينا كالنور يخرج من فيه (وأما ريقه) صلى الله عليه وسلم فحسبك ما تقدم فى قصة فتح خيبر لما بصق فى عينى على رضى الله عنه وهو أرمد حين بعثه يقاد فشفى حتى كأن لم يكن به وجع وروى الطبرانى انه عليه الصلاة والسلام دخلت عليه عميرة بنت مسعود الانصارية هى واخواتها يبايعنه فوجدنه يأكل قديدا أى لحما مقددا فمضغ لهن قديدة فأخذنها فمضغت كل واحدة منهن قطعة منها فلقين الله أى متن وما وجد لافواههن خلوف أى تغير رائحة وتقدم فى معجزة ظهور الآثار العجيبة فيما اسمه ذكر جملة من بركات ريقه صلى الله عليه وسلم وروى ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم أعطى الحسن بن على رضى الله عنهما لسانه وكان قد اشتد ظمؤه فمصه حتى روى وروى الطبرانى

ان امرأة بذية اللسان جاءته صلى الله عليه وسلم وهو يأكل قديدا فقالت ألا تطعمنى فناولها من
بين يديه فقالت لا الا الذى فى فيك فأخرجه فأعطاه لها فأكلته فلم يعلم منها بعد ذلك شئ مما
كانت عليه من البذاءة (وأما فصاحة لسانه) صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه وبديع بيانه
وحكمه فكان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله كلاما وأعظمهم نظاما وأسرعهم اداء حتى
ان كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ففصاحة كلامه غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يدانى منتهاها
وكيف لا يكون كذلك وقد جعل الله لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده
ويكشف عن مراده بحقيقة تذكره فهو أفصح خلق الله اذا لفظ وأنصحهم اذا وعظ لا يقول
هجرا ولا ينطق هذرا أى لا يخلط فى كلامه ولا ينطق بما لا ينبغى لانه كان أشد حياء من العذراء
فى خدرها كلامه كله يثمر علما وشرعا وحكما لا يتفوه بشر بكلام أحكم منه فى مقالته ولا أجزل منه
فى عذوبته وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه وأقام الله به الحجة على عباده ببيانه وبين مواضع
فروضه وأوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده أن يكون أحكم الخلق
جنانا وأفصحهم لسانا وأوضحهم بيانا وقد كان عليه الصلاة والسلام اذا تكلم تكلم
بكلام مفصل بين يعده العاد ليس بهذر مسرع لا يحفظ وروى مسلم والبخارى عن عائشة
رضى الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث سردا وفى رواية انما
كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما تفهمه القلوب كان يحدث حديثا لو عده العاد
لاحصاه والمراد المبالغة فى الترتيل والتفهيم وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه انه صلى
الله عليه وسلم كان يعيد الكلمة ثلاثا حتى تعقل عنه وروى ابن عساكر وأبو نعيم ان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه قال له يا رسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال كانت لغة
اسماعيل قد درست فجاءنى بها جبريل فحفظتها وروى العسكرى ان على بن أبى طالب رضى
الله عنه قال لما قدم بنو نهد على النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث المتقدم فى المكاتبات
وفيه ذكر خطبتهم وما أجابهم به النبى صلى الله عليه وسلم وكلمهم بما هو معروف من لغتهم قال على
فقلنا يا نبى الله نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك لتكلم العرب بلسان ما نعرف أكثره
قال ان الله عز وجل أدبنى فأحسن تأديبى ونشأت فى بنى سعد بن بكر وتقدم فى المكاتبات
جمل كثيرة من مخاطباته ومكاتباته صلى الله عليه وسلم لقبائل العرب وتكليم كل قبيلة بما
تعرفه وذلك يدل على كمال فصاحته وبلاغته ومعرفته وسعة اطلاعه على لغات العرب قال فى
المواهب وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى مشاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد
جمع العلماء من كلامه الموجز البديع الذى لم يسبق اليه دواوين وفى كتاب الشفا للقاضى
عياض من ذلك ما يشفى العليل ثم ذكر فى المواهب جملة من ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم
المرء مع من أحب وكقوله الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت (وقوله)
جمال الرجل فصاحة لسانه (وقوله) انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم

وفى رواية ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق (وقوله) الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (وقوله) الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه (وقوله) القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى وقوله الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم وحسن الخلق نصف الدين وقوله لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف عن الحرام ولا حسب كحسن الخلق (وقوله) المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله (وقوله) التجاوز عن الذنب لا يزيد العبد الا عزا وصنائع المعروف تقى مصارع السوء والتواضع لا يزيد العبد الا رفعة وما نقص مال من صدقة (وقوله) اخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنيا غيره (وقوله) ان من كنوز البر كتمان المصائب (وقوله) لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك ومن عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله (وقوله) من ضمن لى ما بين لحييه ورجليه ضمنت له على الله الجنة (وقوله) لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (وقوله) السعيد من وعظ بغيره (وقوله) انما الاعمال بالنيات (وقوله) نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وأمثال هذه الاحاديث الجوامع مما أطال العلماء فى شرحها وبيان ما اشتملت عليه من المعانى والاحكام روى الترمذى عن عطية بن عروة السعدى رضى الله عنه قال قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيأ فان اليد العليا هى المنطية والسفلى هى المنطاة ومال الله مسؤل ومنطى قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقد كان من معجزاته وخصائصه صلى الله عليه وسلم أن يكلم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الناس سودا وحمرا فعلمه الله جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أى لغتهم فلما بعثه للجميع علمه الجميع وكان كلامه صلى الله عليه وسلم بأى لغة يقع فى غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته الا قاصرا فى الترجمة نازلا عن الاصيل فى تلك اللغة الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه زاده الله تكريما وشرفا اذا تكلم بأى لغة كان أفصح بها من أهلها وهو جدير بذلك فقد أوتى فى سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف والاجناس مما لا يضبطه قياس ولا يدخل فى تحقيقه الباس ومن تكلمه صلى الله عليه وسلم بلغة الحبشة ما رواه البخارى من قوله صلى الله عليه وسلم لأم خالد وهى بنت خالد ابن سعيد بن العاص سناه سناه وفى رواية سنه سنه يعنى حسنة يصف لها خميصة أعطاها اياها وأم خالد رضى الله عنها ولدت بأرض الحبشة وتربت بها فعرفت شيأ من كلامهم وكقوله يكثر الهرج وفسروه بالقتل على لغة الحبشة وقوله فى قصة طعام جابر رضى الله عنه ان جابرا قد صنع لكم سورا ومعناه بالفارسية الطعام الذى يدعى اليه وروى ابن ماجه من حديث أبى

هريرة رضى الله عنه قال هجر النبى صلى الله عليه وسلم وهجرت وصليت ثم جلست فالتفت الى وقال شكم درد فقلت نعم يارسول الله فقال قم فصل فان فى الصلاة شفاء وشكم بكسر الشين وفتح الكاف وسكون الميم معناه بالفارسية البطن ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة ومعناه بالفارسية الوجع وهم يقدمون المضاف اليه على المضاف فقوله شكم درد معناه وجع بطن والمعنى على الاستفهام أى أبك وجع بطن فقال أبو هريرة رضى الله عنه نعم فقال له قم فصل فان فى الصلاة شفاء ورواه بعضهم دردم بزيادة ميم فى آخره وهذه الميم فى اللغة الفارسية ضمير المتكلم قال العلامة منلا على القارى فى شرحه على الشفا انه لا يظهر لى وجه خطاب أبى هريرة رضى الله عنه بهذه الكلمة اللهم الا أن يحمل على المزاح والمطايبة فى المخاطبة يعنى كما اذا رأيت انسانا يشكو شيأ فاظهرت له أن بك مثل ما به من الشكوى اظهارا للمطايبة فى المخاطبة لزيادة المحبة وضبطه بعضهم أشكنب درد بفتح الهمزة وسكون الشين وفتح الكاف ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة ومعناها عندهم الكرش وقد يزيدون لها هاء فيقولون اشكنبه وذكر الكرش لا يناسب تفسيره بوجع البطن الا أن يقال ان الكرش قد تطلق ويراد بها البطن قال منلا على وحديث العنب دودو يعنى اثنين اثنين والتمر يك يك يعنى واحدة واحدة مشهور على ألسنة العامة ولا أصل له عند الخاصة والله سبحانه وتعالى أعلم * وأما صوته الشريف صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه قال ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت وروى نحوه عن على رضى الله عنه وفى الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال قرأ النبى صلى الله عليه وسلم فى العشاء والتين والزيتون فلم أسمع صوتا أحسن منه وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم حسن النغمة رواه أبو الحسن بن الضحاك وروى الطبرانى والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تكلم رئى كالنور يخرج من ثناياه وكان صوته يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره وروى البيهقى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى خدورهن وروى أبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة فى بنى غنم فجلس فى مكانه وروى ابن سعد عن عبد الرحمن بن معاذ التيمى ابن عم طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه وكان من مسلمة الفتح قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن فى منازلنا وروى ابن ماجه عن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت كنا نسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشى أى سريرى قال العلامة الزرقانى فسماعها له وهى على سريرها داخل بيتها البعيد عن محل القراءة دليل على قوته

﴿وأما ضحكه﴾ صلى الله عليه وسلم ففى البخارى عن عائشة

رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا أي ضحكا تاما
بحيث ينفتح فمه حتى أرى لهواته انما كان يتبسم واللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة
التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه فضحك حتى
بدت نواجذه أي أضراسه فهذا كان منه نادرا ولم تره عائشة رضي الله عنها ورآه أبو هريرة رضي
الله عنه فرواه وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام
أي يبدي أسنانه ضاحكا وحب الغمام هو البرد بفتحتين شبه أسنانه بالبرد في الصفاء
والبياض واللمعان والرطوبة قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الاحاديث انه صلى
الله عليه وسلم كان معظم أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك أي ولم يقهقه
والمكروه من الضحك انما هو الاكثار منه أو الافراط فيه لانه يذهب الوقار فالذي ينبغي
أن يقتدي به صلى الله عليه وسلم من أفعاله ما واظب عليه من ذلك وهو التبسم فيقتصر عليه
وضحكه كان لبيان الجواز (وقد روى) البخاري في الادب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وروى البيهقي
عن أبي هريرة رضي الله عنه واذا ضحك صلى الله عليه وسلم يتلألأ أي يضيء في الجدر بضم
الجيم والدال جمع جدار أي يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق الشمس عليها وكان صلى الله
عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه السلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اعظاما له
بترك الاشتغال بشيء يشغله عنه أو اعتبارا وتفكرا بما أتاه به وكان صلى الله عليه وسلم اذا
خطب أو ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم رواه
مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما ﴿وأما بكاؤه﴾ صلى الله عليه وسلم فكان من
جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملا
ويسمع لصدره أزيز يبكي رحمة لميت وخوفا على أمته وشفقة من خشية الله وعند سماع القرآن
وأحيانا في الصلاة وقد حفظه الله من التثاؤب في تاريخ البخاري ومصنف ابن أبي شيبة عن
يزيد بن الاصم ابن أخت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها قال ما تثاءب النبي صلى الله عليه وسلم
قط وفي رواية ما تثاءب نبي قط وفي البخاري مرفوعا ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب
وأما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين أي غليظهما
وغليظ أصابعهما من غير قصر ولا خشونة وذلك جمال في الرجال وذم في النساء وبانه عبل
الذراعين أي قويهما ضخمهما رحب الكفين أي واسعهما ويكنون بذلك عن السخاء والكرم
وقد مسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة خد جابر بن سمرة رضي الله عنهما تأنيسا وشفقة
قال جابر فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار والبرد كناية عن لين كفه
ورطوبته أو هو بمعنى الراحة واللذة والطيب قال ابن الاثير كل محبوب عندهم بارد وبرد
الظل طيب العيش والغنيمة الباردة الهينة قال بعضهم ان برد اليد حقيقة ممدوح عند العرب

لا

لاسيما في الزمن الحار ولا بعد في انه خاص به صلى الله عليه وسلم مع كمال حرارته الغريزية وروى الطبراني والبيهقي عن وائل بن حجر رضي الله عنه لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي أي فأعرف أثره بعد مفارقته لي وانه لأطيب رائحة من المسك وقال يزيد بن الاسود رضي الله عنه ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاذا هي ابرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك رواه البيهقي وروى الطبراني عن المستورد بن شداد عن أبيه رضي الله عنهما قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فاذا هي ألين من الحرير وأبرد من الثلج وروى الامام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم دخل على سعد بن أبي وقاص يعوده حين اشتكى عام حجة الوداع قال سعد فوضع يده صلى الله عليه وسلم على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فمازلت يخيل الي اني أجد برد يده على كبدي حتى الساعة وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في صفة النبي صلى الله عليه وسلم قال مامسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبي صلى الله عليه وسلم والمراد اللين في الجلد فلا ينافي الغلظ في العظام الذي جاء في وصف علي وابن أبي هالة رضي الله عنهما حيث قالا غليظهما أي الكفين في خشونة أي في العظام أي فيكون قد جمع له نعومة البدن وقوته فكانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما غير انها مع ضخامتها كانت لينة كما في حديث أنس رضي الله عنه وروى الطبراني والبزار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال أردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر فمامسست شيئا قط ألين من جلده صلى الله عليه وسلم وأصيب عائذ بن عمرو المزني في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبي صلى الله عليه وسلم الدم أي ازاله بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له فكان أثر يده عليه الصلاة والسلام الى منتهى مامسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وأبو نعيم وغيرهما وتقدمت جملة من بركات يده صلى الله عليه وسلم في معجزة ظهور الآثار فيما لمسه ﴿وأما بياض ابطه﴾ صلى الله عليه وسلم فقد جاء في عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة قال الحافظ ابن حجر واختلف في المراد من ذلك فقيل المراد ان لونهما كلون جسده الشريف وانه لم يكن تحت ابطيه شعر البتة وقيل كان يداوم تعهده فلا يبقى فيه شعر وعند مسلم في حديث حتى رأينا عفرة ابطيه ولا تنافي بينهما لان الاعفر ما بياضه ليس بناصع وهذا شأن المغابن يكون لها في البياض دون بقية الجسد وقال الطبري من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الابط من جميع الناس متغير اللون الا هو عليه الصلاة والسلام قال الولي العراقي الخصائص لا تثبت بالاحتمال ولم يثبت ذلك بوجه من الوجوه ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض ابطيه أن لا يكون له شعر لاحتمال أنه كان يديم تعهده فان الشعر اذا نتف بقي المكان أبيض وان بقي فيه آثار الشعر وقال عبد الله بن أرقم الخزاعي رضي الله عنه كنت أنظر الى عفرة ابطيه والعفرة

ياض ليس بالناصع فهذا يدل على ان أثر الشعر هو الذى جعل المكان أعفر والا فلو كان المكان خاليا عن نبات الشعر جملة لم يكن أعفر نعم الذى نعتقده انه لم يكن لابطه رائحة كريهة انتهى كلام الحافظ ولى الدين العراقى قال العلامة الزرقانى وقد يمنع دلالته على ماقال بما تقدم عن الحافظ ان شأن المغابن كونها أقل بياضا من باقى الجسد وروى البزار عن رجل من بنى حريش وهم بطن من الانصار قال ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على من عرق ابطيه مثل ريح المسك ﴿ وأما بطنه وظهره ﴾ صلى الله عليه وسلم فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان مفاض البطن أى مستوى البطن مع الصدر عظيم مشاش المنكبين والمشاش بضم الميم ومعجمتين رؤس العظام كالركبتين ووصف بعض الصحابة ظهره صلى الله عليه وسلم بقوله اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة وروى البخارى من البراء بن عازب رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان بعيد مابين المنكبين اى عريض الصدر فقد روى ابن سعد عن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم رحب الصدر أى واسعه ﴿ وأما قلبه ﴾ الشريف صلى الله عليه وسلم فقد ثبت له من الكمال مالم يثبت لغيره وقد جعل الله القلوب محل السر والاخلاص الذى هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده فأول قلب أودعه السر قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول مخلوق وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة ظهرت من صور الانبياء فهو أولهم بوجود صورته النورية المخلوقة قبل الانبياء كلهم وآخرهم ظهورا فى هذا العالم اذ لا نبى بعده وقد جعل الله سبحانه وتعالى اخلاق القلوب اعلاما على اسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت أخلاقه لجميع خلق الله فيعاملهم برفق ولين على مقتضى الحال فيعامل كل انسان بما يليق به له بغاية الرفق حتى العصاة بنهاهم عن معصيتهم ببيان مايضرهم ومانفعهم كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا لم يفد فى كفهم عن المعاصى الا الزجر الشديد عاملهم به وأقام عليهم الحدود ليكفهم عن العود الى ماصدر منهم وذلك من سعة الخلق لانه نفع لهم بل قتال الكفار والبغاة من سعة الخلق ولذلك جعل الله لنبينا صلى الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فتكون خواص جثمانيته آيات دالة على أحوال نفسه الشريفة وعظيم خلقه وتكون أحواله واخلاقه العظيمة آيات على سر قلبه المقدس المطهر ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم أوسع قلب اطلع الله عليه كان هو الاولى أن يكون هو قلب العبد الذى يقول فيه تعالى ماوسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن ومعناه وسع قلبه الايمان بى ومحبتى ومعرفتى والا فمن قال ان الله يحل فى قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده وقد روى الطبرانى عن أبى عنبة الخولانى يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم ان لله آنية من أهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها اليه ألينها وأرقها وكان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء

بمنزلة

لانه سائر النبيين يضيق صدره من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء به كما قال تعالى ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فلما أسرى به زاده الله قوة فاتسع قلبه وانشرح صدره وقد
صح ان جبريل عليه السلام شق قلبه صلى الله عليه وسلم واستخرج منه علقة وقال هذا حظ
الشيطان منك أى هذا هو الموضع الذى يتوصل الشيطان منه الى وسوسة الناس ثم غسله
فى الطست وانما خلقت هذه العلقة فى ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لانها من جملة الاجزاء
الانسانية التى اقتضت الحكمة وجودها فى الانسان فخلقها تكملة للخلق الانسانى فلابد منها
ونزعها أمر ربانى طرأ بعد خلقها فاخراجها بعد خلقها ادل على مزيد الرفعة والتعظيم وعظيم
الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها وأيضا لو خلق سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته
فأظهره الله على يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر وهذا الشق وقع له
صلى الله عليه وسلم أربع مرات الاولى فى بنى سعد وهو ابن أربع سنين عند حليمة السعدية
رضى الله عنها والثانية وهو ابن عشر والثالثة عند البعثة والرابعة عند المعراج وذكر بعضهم
خامسة ولم تثبت فالاولى والثانية ليتقوى من صغره وينشأ على قوة الايمان والرحمة والثالثة
ليتقوى لتحمل أعباء الوحى والرابعة ليتقوى على مشاهدة ما أراه الله اياه ليلة الاسراء من
عجائب الارض والسماء والشق بتمامه هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك فانه لولم
ينشرح لكان ضيقا والقلب اذا ضاق لا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو فى
الابتداء حصل الامن وزال الضيق وانشرح الصدر واتسع وتيسر له القيام باداء العبودية
ووجد للطاعة لذة وللايمان حلاوة وههنا نكتة دقيقة لطيفة هى أنه تعالى قال حكاية عن
موسى عليه السلام رب اشرح لى صدرى وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ألم نشرح لك
صدرك فأعطى بلا سؤال قال الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه كان موسى عليه السلام
مريدا اذ قال رب اشرح لى صدرى ونبينا صلى الله عليه وسلم مرادا اذ قال الله له ألم نشرح لك
صدرك وفرق بين المريد والمراد ﴿وأما جماعه﴾ صلى الله عليه وسلم فقد كان يدور على نسائه
أى يجامعهن فى الساعة الواحدة من الليل أو النهار وهن احدى عشرة قال قتادة قلت لانس بن مالك رضى الله عنه أو كان يطيقه أى الدوران عليهن فقال أنس كنا نتحدث انه أعطى
قوة ثلاثين وفى رواية أربعين رجلا زاد أبو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال الجنة وروى
أبو نعيم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أعطيت قوة أربعين
فى البطش والجماع يعنى من أهل الجنة وروى الامام أحمد والحاكم عن زيد بن أرقم انه
صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة فى الاكل والشرب والجماع
والشهوة فاذا ضربنا أربعين فى مائة بلغت أربعة آلاف وبهذا يندفع ما استشكل من كونه
صلى الله عليه وسلم أعطى قوة أربعين فقط وسليمان عليه السلام أعطى قوة مائة رجل
أو ألف رجل فان منشأ الاشكال حملهما على رجال الدنيا وليس كذلك بل ما ورد فى سليمان

عليه السلام محمول على رجال الدنيا لعدم ورود ما يخالف ذلك وفى نبينا عليه السلام على رجال
الجنة كما ورد وذلك بأربعة آلاف فقد زاد على سليمان عليه السلام بكثير وزال الاشكال
وذكر ابن العربى انه كان له عليه الصلاة والسلام من القوة فى الوطئ الزيادة الظاهرة على
الخلق وكان له فى الاكل القناعة فأكثرا كله بالغة ليجمع الله له الفضيلتين فى الامور الاعتيادية
كما جمع له الفضيلتين فى الامور الشرعية وهما ما شارك أمته فيه من التكاليف وما خص به
منها ومن كل ما يقرب به الى الله تعالى مما لم يطلع عليه أحد من الخلق حتى يكون حاله كاملا
فى الدارين وروى ابن سعد عن أنس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه
التسع فى ليلة وروى مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل عليه السلام بقدر فأكلت
منها فاعطيت قوة أربعين رجلا من رجال الجنة ووصله أبو نعيم والديلمى عن أبى هريرة رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعين فيه ما فى القدر وروى ابن سعد من حديث أبى
هريرة رضى الله عنه شكا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل
حتى تلألأ مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من بريق ثنايا جبريل عليه السلام فقال له أين
أنت من أكل الهريسة فان فيها قوة أربعين رجلا وأخذ من هذا وما أشبهه انه يستحب للرجل
تناول ما يقوى شهوته لاستكثار الوقاع كالادوية المقوية للمعدة لتعظم شهوتها للطعام
وكالادوية المثيرة للشهوة ورده الغزالى بأنه صلى الله عليه وسلم انما فعله لانه كان عنده
من النساء عدد كثير ويحرم على غيره نكاحهن ان طلقهن أو مات عنهن فكان طلبه
القوة لهذا المعنى لا للتمتع والتلذذ مع انه لا يشغل قلبه عن ربه شئ فلا تقاس الملائكة
بالحدادين قال وما مثال من يفعل ما يعظم شهوته الا كمن بلى بسباع ضارية وبهائم عادية فتنام
عنه احيانا فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع
على التحقيق آلام يراد التخلص منها وروى الدارقطنى من حديث حذيفة رضى الله عنه بلفظ
أطعمنى جبريل الهريسة أشد بها ظهرى وأتقوى بها وروى مثل ذلك من حديث جابر بن
سمرة وابن عباس رضى الله عنهم وكلها أحاديث واهية أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات بل
صرح الحافظ ابن ناصر الدين أيضا بأنها موضوعات فى جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث
الهريسة وقد حفظ الله النبى صلى الله عليه وسلم من الاحتلام بل جاء عن ابن عباس رضى الله
عنهما ما احتلم نبى قط أى لانه من تلاعب الشيطان ولا سلطان له عليهم ﴿وأما صفة قدمه﴾
الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد كعلى وهند وأنس رضى الله عنهم بأنه كان
شثن القدمين أى غليظ أصابعهما مع غاية النعومة رواه الترمذى وغيره وفى رواية ضخم
القدمين وجاء من حديث جابر بن سمرة رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم منهوس القدمين
أى قليل لحم العقب فيهما وعن ميمونة بنت كردم الثقفية رضى الله عنها قالت رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه رواه الامام

أحمد والطبراني وعلى هذا يحمل ما اشتهر على الألسنة ان سبابة النبي صلى الله عليه وسلم كانت
أطول من الوسطى وربما يتوهم بعض الناس ان ذلك في يديه قال الحافظ ابن حجر لما سئل
عنه وهو غلط ممن قاله وانما ذلك في أصابع رجليه وعن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه قال
كان صلى الله عليه وسلم أحسن البشر قدما رواه ابن سعد (وأما طوله) صلى الله عليه وسلم
فقال علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو الى الطول أقرب رواه
البيهقي ورواه الترمذي بلفظ لم يكن بالطويل ولا بالقصير وروى عبد الله بن الامام
أحمد عن علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب أي المفرط
طولا وفوق الربعة اذا جامع القوم غمرهم أي زاد عليهم في الطول فكان فوق كل من معه
وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الى
الطول أقرب وفي رواية عند الترمذي عن علي رضي الله عنه لم يكن بالطويل الممغط
أي المتناهي في الطول ولا بالقصير المتردد وكان ربعة من القوم وفي رواية عن عائشة
رضي الله عنها ولم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله أو زاد عليه
صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما أي يزيد عليهما طولا
اكراما من الله حتى لا يزيد عليه أحد صورة فاذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الربعة رواه ابن عساكر والبيهقي واختلف في زيادة طوله صلى الله عليه وسلم هل هو
باحداث الله له طولا حقيقة حينئذ ولا مانع منه أو ان ذلك يرى في أعين الناظرين فقط وجسده
باق على أصل خلقته على حد قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم
في أعينهم قال الزرقاني وهذا هو الظاهر فهو مثل تطور الولي وذلك كيلا يتطاول عليه
أحد صورة كما لا يتطاول معنى لحظ ارتفاعه المعنوي في عين الناظر فرآه رفعة حسية وهذا من
معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى ابن سبع في الخصائص انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين وحكمته أن لا يزيد أحد عليه صورة كما تقدم
ووصفه ابن أبي هالة بأنه صلى الله عليه وسلم بادن متماسك أي معتدل الخلق كأن أعضاءه
يمسك بعضها بعضا من غير ترجرج وفسره بعضهم بأنه ليس بمسترخي البدن (وأما شعره)
الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال سألت أنسا رضي الله عنه عن شعر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط أي مسترسل والمراد ان شعره ليس
نهاية في الجعودة وهي تكسره الشديد ولا في السبوطة وهي عدم تكسره وتثنيه بالكلية بل
كان وسطا بينهما وخير الامور أوساطها قال الزمخشري الغالب على العرب جعودة الشعر
وعلى العجم سبوطته فقد أحسن الله برسوله صلى الله عليه وسلم الشمايل وجمع فيه ما تفرق في
الطوائف من الفضائل وكان شعر رأسه صلى الله عليه وسلم يضرب الى منكبيه وفي رواية الى
أنصاف أذنيه وجمع بأنه تارة يكون الى نصف الأذن وتارة الى المنكب وفي رواية كان له شعر

فوق الجمة ودون الوفرة والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين والوفرة مانزل الى شحمة الأذنين وملخص ذلك ان شعره تارة يكون كذا وتارة كذا فلا تنافي بين الروايات وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤسهم وكان أهل الكتاب يسدلون رؤسهم وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثم فرق صلى الله عليه وسلم رأسه قال القرطبي حبه لموافقتهم كان أولا في الوقت الذي كان يستقبل فيه قبلتهم ليتألفهم حتى يصغوا الى ماجاء به فلما غلبت عليهم الشقوة ولم ينفع فيهم ذلك أمر بمخالفتهم في أمور كثيرة كقوله ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وسدل الشعر ارساله والمراد انه يتركه على حاله يشبه شعر الناصية المقصوص وأما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت أنا فرقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه أي شعر رأسه قال العلماء والفرق سنة لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق والسدل معا لكن الفرق أفضل وروى الترمذي عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمة تعني يوم فتح مكة وله أربع غدائر أي ذوائب وفي رواية لها رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا ضفائر أربع قال في شرح المصابيح لم يحلق رأسه صلى الله عليه وسلم في سني الهجرة الاعام الحديبية ثم عام القضاء ثم في حجة الوداع فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات الواقعة منه في تلك الازمنة وأقصرها ما كان بعد حجة الوداع فانه توفي بعدها بثلاثة أشهر (وأما شعر لحيته) صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم أسود اللحية حسن الشعر كما رواه البيهقي وروى مسلم من حديث ابن سيرين قال سألت أنس بن مالك رضي الله عنه هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب فقال لم يبلغ الخضاب كان في لحيته عليه الصلاة والسلام شعرات بيض وفي رواية له لم ير من الشيب الا قليلا لو شئت ان أعد شمطات كن في رأسه فعلت وجاء أن الذي ابيض في لحيته ورأسه كان سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة أو عشرين شعرة وفي رواية ماشانه الله ببيضاء وانما كان كذلك لان النساء يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبي صلى الله عليه وسلم شيأ كفر فرحمهن الله بعدم شيبه ولان فيه ازالة لبهجة الشباب ورونقه والحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم دالا على ضعف القوة ومفارقة قوة الشباب والنشاط واطلاق الشين على الشيب يحمل على هذه الاعتبارات فلا ينافي انه وقار ونور روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه مرفوعا الشيب نور من خلع الشيب فقد خلع نور الاسلام وروى الديلمي عن أنس مرفوعا أيما رجل نتف شعرة بيضاء متعمدا صارت رمحا يوم القيامة يطعن به وروى ابن سعد ان حجاما أخذ من شاربه صلى الله عليه وسلم فرأى شيبا في لحيته فأهوى اليها فأمسك صلى الله عليه وسلم بيده وقال من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا الشيب نور المؤمن لا يشيب

رجل شيبة فى الاسلام الا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة وقول أنس رضى الله عنه انه لم يبلغ الخضاب يدل على انه صلى الله عليه وسلم ماخضب لحيته ولا يعارضه مافى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة فانه محمول عند العلماء على صبغ الثياب لمافى سنن ابى داود كان يصبغ بالورس والزعفران حتى عمامته وحمله بعضهم على عمومه وقال يصبغ شعره واستدل بمافى السنن انه كان يصفر بهما لحيته وأجيب باحتمال انه كان مما يتطيب به لا انه كان يصبغ بهما والحاصل انه اختلف العلماء هل خضب النبى صلى الله عليه وسلم شيبه أم لا قال القاضى عياض منعه الاكثرون وهو مذهب مالك أى فوافق أنسا على الانكار وتأول حديث ابن عمر بحمله على الثياب لا الشعر وقال النووى المختار انه صبغ شعره حقيقة لان التأويل خلاف الاصل لكنه فعل ذلك فى وقت وتركه فى معظم الاوقات فأخبر كل بما رأى وكان صلى الله عليه وسلم اذا ادهن لم يتبين شيبه لتفرقه وكان كثير شعر اللحية وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته بالماء وقد وصفه على بن أبى طالب رضى الله عنه بأنه ذو مسربة وفسرت بخيط الشعر بين الصدر والسرة ووصفه أيضا ابن أبى هالة رضى الله عنه بأنه كان صلى الله عليه وسلم موصول مابين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط عارى الثديين أى لم يكن عليهما شعر أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة الا فى يد رجل أى تيمنا وتبركا وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لم يحلق رأسه فى غير نسك فتبقية الشعر فى الرأس وعدم ازالته الا لنسك اقتداء به صلى الله عليه وسلم سنة قال فى المواهب ومنكرها مع علمه يجب تأديبه ومن لم يستطع التبقية يباح له ازالته وعن محمد ابن سيرين قال قلت لعبيدة السلمانى عندنا شئ من شعر النبى صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس فقال لأن تكون عندى شعرة منه أحب الى من الدنيا ومافيها (وأما مشيه) صلى الله عليه وسلم فعن على رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا أى تمايل الى قدام كأنما ينحط من صبب أى كأنما ينزل فى موضع منحدر والمراد أن مشيه ليس فيه تبختر ولا تصنع رواه الترمذى وروى البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها وعند الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه مارأيت أحدا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه ومارأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له أى كأنما تجمع وتجعل مطوية تحت قدميه مع كونه على غاية من التأنى وعدم العجلة أى بالنسبة له لا لمن يماشيه بدليل قول أبى هريرة رضى الله عنه وانا لنجهد أنفسنا وأنه لغير مكترث أى غير مبال بجهدنا أو غير مسرع بحيث تلحقه مشقة أى بل كان يمشى على هينته ويقطع ماتقطع بالجهد من غير جهد منه وروى ابن سعد عن يزيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى

أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه قال الزمخشري أراد السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت امتثالا لقوله تعالى واقصد في مشيك أي اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا يثب وثب الشياطين وروى أنه كان اذا مشى يمشي مجتمعا أي قوى الأعضاء غير مسترخ في المشي وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما كان يمشي مشيا يعرف فيه أنه ليس بعاجز ولا كسلان وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل في شمس ولا قمر لأنه كان نورا رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان وروى ابن المبارك وابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج قال ابن سبع كان صلى الله عليه وسلم نورا فكان اذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل لان النور لا ظل له ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا (وأما لونه) الشريف الأزهر صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور أصحابه الواصفين له بالبياض منهم أبو بكر وعمر وعلي وأبو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن أبي هالة والحسن بن علي وأبو الطفيل بن واثلة وابن مسعود والبراء بن عازب وعائشة وأنس رضي الله عنهم ورواياتهم في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها كان أبيض مليحا وفي بعضها أبيض مليح الوجه وفي رواية لأبي الطفيل ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره وفي شعر أبي طالب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وفي رواية عن علي رضي الله عنه أبيض مشرب بحمرة وقال أبو هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة أي كأنما خلق منها والتشبيه بالفضة باعتبار ما كان يعلو بياضه من الاضاءة ولمعان الانوار والبريق الساطع فلا ينافي أنه مشرب بحمرة وفي رواية لأنس أزهر اللون وهو بمعنى قول علي أبيض مشرب بحمرة وفي رواية لأنس أزهر اللون ليس بأبيض أمهق أي شديد البياض كلون الجص وفي رواية ولا آدم أي شديد السمرة قال الحافظ ابن حجر مبينا لمجموع ما يؤخذ من الأحاديث المتفرقة أنه ليس بالابيض الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر ولهذا جاء في بعض روايات أنس رضي الله عنه كان أسمر اللون فالمراد ان بياضه يميل الى السمرة أي فيه حمرة قليلة وفي الشفاء من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل (وأما طيب ريحه وعرقه ودمه وفضلاته) صلى الله عليه وسلم فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا روى ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسرى به ريحه ريح عروس وأطيب من ريح عروس والمراد أنه ازداد طيب ريحه بعد الاسراء فلا ينافي أنه طيب الرائحة من حين ولد كما رواه أبو نعيم والخطيب ان أمه آمنة لما ولدته قالت ثم نظرت اليه فاذا هو كالقمر ليلة البدر ريحه يسطع كالمسك الاذفر وروى الامام أحمد عن أنس

رضى الله عنه ماشممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية للبخارى ومسلم ولا شممت مسكة ولا عبيرة أطيب من رائحة النبى صلى الله عليه وسلم واذا أودع الله بعض الحيوان محاسن بعض المشمومات كالمسك من الغزال والزباد من الهرة فلا بدع فى أن يدع فى أشرف خلقه ماهو أطيب من ذلك فى نفس خلقته وفى رواية للترمذى ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو يعلى والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى زوجت ابنتى وأنا أحب أن تعيننى بشئ فقال ماعندى شئ ولكن اذا كان غدا فأتنى بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة وآية مابينى وبينك أن أجيف ناحية الباب فلما كان الغد أتاه بذلك فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يسلت العرق عن ذراعيه حتى امتلأت القارورة فقال خذه وأمر ابنتك أن تغمس هذا العود فى القارورة فتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وروى الدارمى والبيهقى وأبونعيم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال أى خارقة للعادة منها أنه لم يكن يمر فى طريق فيتبعه أحد الا عرف أنه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له ولله در من قال

ولو أن ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل به الركب

وروى أبو يعلى والبزار عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر فى طريق من طرق المدينة وجدوا منه أى الطريق رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق قال بعض العارفين ان القلب الطاهر الحى يشم منه رائحة الطيب كما أن القلب الخبيث الميت يشم منه رائحة النتن لان نتن القلب والروح يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره والعرق يفيض من الباطن فالنفس الطيبة يقوى طيبها ويفوح عرف عرفها حتى يبدو على الجسد والخبيثة بضدها وما أحسن قول من قال

يروح على غير الطريق التى غدا * عليها فلا ينهى علاه نهاته
تنفسه فى الوقت أنفاس عطره * لمن طيبه طابت له طرقاته
تروح له الارواح حيث تنسمت * له سحرا من حبه نسماته

وروى ابن عساكر وأبونعيم والخطيب باسناد حسن عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت قاعدة أغزل والنبى صلى الله عليه وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فقال مالك بهت قلت جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو كبير الهذلى لعلم انك أحق بشعره حيث يقول

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت بروق العارض المتهلل

هكذا اقتصر عليه العلامة الزرقاني في شرح المواهب وزاد في شرح الشهاب الخفاجي على الشفاء قالت عائشة رضي الله عنها فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عيني وقال ما سررت بشئ كسروري بهذا وقوله غبر حيضة بضم الغين وشدّا الباء ومعناه أن أمه لم تحمل به في آخر الحيض بل بعد انقضائه وحصول الطهر وهو محمود مصلح للولد به يكون صحيح الجبلة محكم البنية وحيضة بكسر الحاء وقوله وفساد مرضعة أي ولا حملت عليه في حال رضاعه فيفسد رضاعه والمغيل بوزن مكرم بالكسر من الغيل بفتح المعجمة وسكون التحتية وهي ان ترضعه وهي حامل وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأنورهم لونا لم يصفه واصف قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ أي في البياض والصفاء وأطيب من المسك الاذفر أي طيب الرائحة وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا أي نام وقت القائلة فعرق فجاءت أمي أم سليم بنت ملحان الانصارية رضي الله عنها بقارورة فجعلت تسلت العرق وتجعله فيها قال القاضي عياض كانت محرما له من قبل الرضاع فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ماهذا الذي تصنعين قالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وفي رواية اطيبنا وهو أطيب الطيب وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم وليست فيه فينام على فراشها أي لعلمه رضاها وفرحها به قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فقيل لها هذا النبي صلى الله عليه وسلم نائم في بيتك على فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع صلى الله عليه وسلم فقال ماتصنعين يا أم سليم قالت يارسول الله نرجو بركته لصبياننا قال أصبت والعتيدة كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة مايعز عليها من متاعها وقيل حقة للمرأة تعد فيها الطيب وفي رواية قالت هذا عرقك أدوف أي أخلط به طيبي وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت كفه صلى الله عليه وسلم ألين من الحرير وكأن كفه كف عطار مسها الطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها أي طيبا خليقا خصه الله به معجزة وتكرمة ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها وروى الطبراني عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي وانه لاطيب من ريح المسك وفي الشفا والمواهب أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يتغوط انشقت الارض وابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك رائحة طيبة ولم يطلع على مايخرج منه شئ قط يعني اذا بال أو تغوط على الارض فلا ينافي ذلك مارواه الحاكم والدارقطني والطبراني وأبو نعيم عن أم أيمن رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت مافيها وأنا لا أشعر أنه بول أي

لطيب

اطيب ريحه فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أم أيمن قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة
فقلت قد والله شربت ما فيها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال
أما والله لا يجعفن بطنك أبدا وروى عبد الرزاق وأبو داود عن أميمة بنت رقيقة عن عبد الله
التيمي وأم رقيقة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها فرقيقة خالة السيدة فاطمة رضي
الله عنها وكانت أميمة رضي الله عنها صحابية من المبايعات قالت كان للنبي صلى الله عليه وسلم
قدح من عيدان يبول فيه وعيدان بفتح المهملة واسكان التحتية ومهملة مفتوحة جمع عيدانة
بالهاء وهو الطوال من النخل وكان يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شيء فقال
لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما وكانت أم حبيبة
من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وكانت بركة جاءت معها من
الحبشة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم أين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة
يا أم يوسف أي جعله الله صحة فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه وصحح ابن دحية
انهما قصتان احداهما قصة أم أيمن والثانية قصة بركة أم يوسف قال في المواهب وقد وضح
أن بركة أم يوسف غير بركة أم ايمن لان أم يوسف كانت تخدم أم حبيبة رضي الله عنها وجاءت معها
من الحبشة وأم أيمن هي مولاته صلى الله عليه وسلم وحاضنته قال القاضي عياض والنووي
حديث شرب المرأة البول صحيح وفيه دلالة على طهارة بوله وكذا سائر فضلاته صلى الله عليه وسلم
وحديث شرب البول كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسا وكذا حديث الدم الذي شربه
عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله
انك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عائشة وما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج
من الانبياء فلا يرى منه شيء وروى ابن سبع عن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال صحبته
صلى الله عليه وسلم في سفر فلما أراد قضاء الحاجة تأملته وقد دخل مكانا فقضى حاجته فدخلت
الموضع الذي خرج منه فلم أر له أثر غائط ولا بول ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار فأخذتهن
فوجدت لهن رائحة طيبة وعطرا أي طيبا وكانت الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بدمه صلى الله
عليه وسلم وشعره وماء وضوئه وجميع آثاره وروى البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو
نعيم عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني
الدم بعد فراغه من الحجامة فقال اذهب يا عبد الله فغيبه وفي رواية اذهب بهذا الدم فواره
حيث لا يراه أحد فذهبت فشربته ثم أتيته صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت قلت غيبته قال
لعلك شربته قلت شربته وفي رواية قال جعلته في أخفى مكان ظننت انه خاف عن الناس قال
لعلك شربته قلت شربته قال ويل لك من الناس وويل للناس منك فقوله ويل لك لتخسروا النالم
وذلك اشارة الى محاصرته وتعذيبه وقتله وصلبه على يد الحجاج وقوله وويل للناس منك اشارة لما
أصابهم من حروبه ومحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل وما أصاب أمه وأهله من المصائب وما لحق

قاتله من الاثم العظيم وتخريب الكعبة فهو بيان لما تسبب عن شرب دمه فانه بضعة من النبوة نورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن الانقياد لغيره ممن لا يستحق امارة فضلا عن الخلافة وفي رواية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على ذلك قال قد علمت ان دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمسك النار ومسح على رأسه وجاء في رواية ان ابن الزبير رضي الله عنهما لما شرب دمه صلى الله عليه وسلم تضوع فمه مسكا وبقيت رائحته في فمه الى ان صلب بعد قتله رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وكانت خلافته بمكة تسع سنين قال الامام مالك رضي الله عنه وكان أحق بها من عبد الملك وأبيه مروان وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته أمه رآه صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فسمعته أمه فأمسكت عن رضاعه فقال أرضعيه ولو بماء عينيك كبش كبش بين ذئاب في ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ووقع كما أخبر فقد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين بعد وفاة معاوية فأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراقين وخراسان وحج بالناس ثمان سنين حتى ثارت الفتنة بينه وبين عبد الملك بن مروان فبعث اليه الحجاج فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوما حتى لم يبق معه أحد فقاتل حتى قتل رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين وعمره ثنتان وسبعون سنة وأيام وروى الشعبي قال هاج الدم برسول الله صلى الله عليه وسلم فحجمه أبو طيبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشكموه فأعطوه دينارا وقال لابن الزبير واره يعني الدم فتوارى ابن الزبير رضي الله عنهما فشرب الدم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمه فقال اما انه لا تصيبه النار أو لا تمسه النار قال الشعبي فقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم فقال أما الطعم فطعم العسل وأما الرائحة فرائحة المسك وهذا من باب قلب الاعيان الذي عد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى ابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته أخذ الدم فذهب به من وراء الحائط فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا فحسا أي شرب دمه حتى فرغ ثم أقبل فنظر صلى الله عليه وسلم في وجهه فقال ويحك ما صنعت فقلت غيبته في بطني فقال صلى الله عليه وسلم اذهب فقد أحرزت نفسك من النار ولا منافاة لاحتمال تعدد الواقعة وفي سنن سعيد بن منصور أن مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه يوم أحد مص جرحه حتى أنقاه ولاح بعد المص أبيض فقال مجه فقال لا والله لا أمجه أبدا ثم ازدرده أي ابتلعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد يومئذ بأحد فظهر صدق قوله صلى الله عليه وسلم انه من أهل الجنة وفي رواية انه قال من سره أن ينظر الى رجل خالط دمي دمه فلينظر الى مالك بن سنان (وكان صلى الله عليه وسلم) يتستر عند البراز وغيره لكن تستره وحسن أدبه ما دل عليه قول عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم قط رواه ابن ماجه والترمذى وعن على رضى الله عنه قال أوصانى النبى صلى الله عليه وسلم
أن لا يغسله غيرى فانه لا يرى أحد عورتى الا طمست عيناه وروى الحاكم وأبو عوانة عن
عائشة رضى الله عنها قالت ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما منذ أنزل عليه القرآن
وفى رواية قالت من حدثكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه
ما كان يبول الا قاعدا وفى رواية الا جالسا والمراد من حدثكم ان تلك عادته فلا ينافى ما صح عن
حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائما
والسباطة المزبلة وموضع القمامة والاوساخ فهذا كان منه صلى الله عليه وسلم للتشريع
وبيان الجواز أو لكونه لم يجد فى السباطة المذكورة موضعا خاليا عن الاوساخ يجلس فيه
وأيضا عائشة رضى الله عنها ما شاهدت هذه الحالة فأخبرت بما شاهدته من أحواله المستمرة
وعادته الدائمة وقيل السبب فى بوله قائما ما روى عن الامامين الشافعى وأحمد رضى الله عنهما
ان العرب كانت تستشفى لوجع الصلب بالبول قائما فلعله كان به وجع صلب وروى البيهقى
والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال انما بال صلى الله عليه وسلم قائما لجرح كان بمأبضه
والمأبض بهمزة ساكنة بعد ها موحدة مكسورة ثم ضاد معجمة باطن الركبة فكأنه لم يتمكن
لاجله من القعود وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يدخل الخلاء قال اللهم انى أعوذ بك من
الخبث والخبائث أى ذكران الشياطين واناثهم وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذ اظهارا
للعبودية والا فهو معصوم من الشياطين كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويجهر بذلك
للتعليم وكان اذا أراد قضاء الحاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض واذا خرج من الخلاء
قال غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى الاذى وعافانى منه وكان يقول اذا أتى أحدكم الغائط
فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره وبقية الآداب شهيرة فلا حاجة الى الاطالة بها والله سبحانه
وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم ما أكرمه الله به من الاخلاق الزكية
والاوصاف المرضية زيادة على ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة
فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وسكناته فمن ذلك ما خصه الله به
من كمال العلم والحلم والصبر والشكر والزهد والعدل والتواضع والعفو والعفة والجود
والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة وغير
ذلك من الاخلاق الحميدة التى جماعها حسن الخلق وقد اتصف بها جميعها صلى الله عليه وسلم
ونحن اذا شاهدنا من اتصف بصفة أو صفتين وجدناه يعظم قدره ويضرب به الامثال ويتقرر
له بذلك الوصف فى القلوب مكرمة يتفرد بها كما ترى فى اشتهار حاتم بالكرم وكسرى بالعدل
وحسان بالفصاحة وعنتر بالشجاعة فيقولون أجود من حاتم وأعدل من كسرى وأفصح من
حسان وأشجع من عنتر فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل الصفات الحميدة التى مالا
يأخذه عد ولا احصاء ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة وانما يكون بتفضل الكبير

المتعال ومن تأمل في صفاته صلى الله عليه وسلم وجده حائزا لجميع صفات الكمال محيطا بشتات محاسنها بلا خلاف بين نقلة الاخبار من ثقات الرجال بل بلغ ذلك مبلغ القطع بالتواتر لا يشك فيه الا مخذول مستغرق في بحار الضلال وناهيك بقوله تعالى له وانك لعلى خلق عظيم وقوله وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما * ولنشرع في ذكر جملة من أخلاقه العظيمة فنقول (أما وفور عقله وحلمه وذكائه) صلى الله عليه وسلم فلا مرية انه كان أعقل الناس وأذكاهم فطنة وفهما ومن تفكر في تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم بحسن تصرفه وسياسته العامة والخاصة لم يشك في رجحان عقله وثقوب فهمه وقد أطلعه الله على ظواهر أحوال الخلائق وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها وهو مبعوث الى سائر العباد داع الى الله وهذا انما يكون باصلاح بواطنهم وظواهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك فموسى عليه الصلاة والسلام كان ينظر في أحكام أمته بالظاهر والخضر عليه السلام أعطاه الله العلم بباطن الامر والنظر اليه ونبينا صلى الله عليه وسلم أعطاه الله العلم بالظاهر والباطن فكان ينظر الى ظواهر الخلائق وبواطنهم ويعامل كل انسان بما يقتضيه حاله من رعاية ظاهره أو باطنه فكان يسوس الخلق على حسب اختلاف أحوالهم حتى انه يأتيه الاعرابي الجاف فيتلطف به ويسوسه حتى ينطق بالحكمة في أقرب زمن وكانت الاعراب كالوحش الشارد فساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الى أن انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه أهليهم وآباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأحباءهم وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل انسان منهم على قدر عقله ويفتيه على حسب حاله وهذا مع ما أفاضه صلى الله عليه وسلم عليهم من العلم وقرره لهم من الشرع وكل ذلك دون تعلم سبق له من غيره ولا ممارسة تقدمت لشئ من ذلك ولا مطالعة للكتب فمن تأمل ذلك كله تحقق انه صلى الله عليه وسلم أعقل العالمين قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا من كتب الله المنزلة فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي رواية فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا أي لم يعطهم جميعا منه شيأ نسبته الى عقله الا كنسبة حبة بالنسبة الى رمالها ولما كان عقله عليه الصلاة والسلام أوسع العقول اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شئ فمن ذلك اتساع خلقه في الحلم والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره وغير ذلك من كريم أخلاقه (أما صبره) فحسبك فيه صبره عليه الصلاة والسلام على الكافرين وعفوه عن المقاتلين المحاربين له مع ما ناله منهم من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج وجهه يوم أحد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف فصار ينشفه ويقول لو وقع شئ منه على الارض انزل عليهم العذاب من السماء وشق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة أي لمن أراد الله اخراجه

من الكفر الى الايمان ثم قال اللهم "اغفر لقومى فانهم لا يعلمون" وفى رواية اللهم "اهد قومى"
وهو المراد من قوله اللهم "اغفر لهم" فان المغفرة لا تكون الا بعد الهداية فالدعاء بالمغفرة متضمن
للدعاء لهم بالهداية وفى الشفا عن عمر رضى الله عنه انه قال فى بعض كلامه بأبى أنت وأمى
يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت
علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن
تقول الا خيرا فقلت اللهم "اغفر لقومى فانهم لا يعلمون" وههنا دقيقة وهى ان حلمه صلى الله عليه
وسلم وعفوه انما هو فيما يتعلق بنفسه الشريفة وأما اذا انتهكت حرمات الله فكان يغضب
أشد الغضب ولهذا لما شغله المشركون عن الصلاة يوم الخندق قال اللهم املأ بطونهم نارا
وفى رواية ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا فالصلاة عماد الدين فرجح حق خالقه ودعا على من شغله
عنها بخلاف شج الوجه فانه حقه صلى الله عليه وسلم فعفا فالصبر على الاذى هو جهاد النفس
الاكبر وقد جبل الله النفس على التألم بما يفعل بها وكان الكفار والمنافقون يفعلون معه
صلى الله عليه وسلم كثيرا من الاذى فكان يصبر ويعفو اذا كان فى حق نفسه لما علم من جزيل
ثواب الصابرين والعافين أما اذا كان لله فانه يمتثل فيه أمر الله من الشدة كما قال تعالى يا أيها
النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وأما حلمه صلى الله عليه وسلم) وعفوه مع القدرة
فيدل عليه ما رواه الطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى ان زيد بن سعنة بفتح السين المهملة
وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها هاء أحد أحبار اليهود الذين أسلموا قال لم يبق من علامات
النبوة شئ وفى رواية ما بقى شئ من نعت محمد فى التوراة الا وقد عرفته فى وجه محمد حين نظرت
اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت
أتلطف له توصلا لان أخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت أى اشتريت منه تمرا الى أجل وفى
رواية لابى نعيم فأعطاه زيد بن سعنة ثمانين مثقالا ذهبا فى تمر معلوم الى أجل معلوم قال زيد بن
سعنة فلما كان قبل مجئ الاجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه على عنقه
ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضينى يا محمد حقى فوالله انكم يا بنى عبد المطلب مطل فقال
عمر وفى رواية أبى نعيم فنظر اليه عمر وعيناه تدوران فى وجهه كالفلك المستدير فقال أى عدو الله
أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتفعل به ما أرى فوالله لولا ما أحاذر فوته أى من بقاء
الصلح بين المسلمين وبين قومه لضربت بسيفى رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر
بسكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر أن تأمرنى بحسن الاداء
وتأمره بحسن التباعة وفى رواية تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى ثم قال لقد
بقى من أجله ثلاث فتكرم صلى الله عليه وسلم بالتعجيل وقال اذهب يا عمر فاقضه حقه وزده
عشرين صاعا مكان ما روعته أى فى مقابلة ترويعك له ففعل ذلك عمر رضى الله عنه قال زيد
فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه

الا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما أى بما
رأيت من فعله صلى الله عليه وسلم فاشهد يا عمر انى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى
الله عليه وسلم نبيا وفى رواية ما حملنى على ما رأيتنى صنعت يا عمر الا انى كنت رأيت صفاته التى
فى التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف فى التوراة وانى أشهدك ان
هذا التمر وشطر مالى فى فقراء المسلمين وأسلم هو وأهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة
وروى أبو داود والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا الى اعرابى قد أدركه فجذبه بردائه فحمر رقبته وكان رداء
خشنا فالتفت اليه صلى الله عليه وسلم فقال له الاعرابى احملنى على بعيرى هذين أى حملهما لى
طعاما من مال الله الذى عندك فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال أبيك فقال له صلى الله عليه
وسلم لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا واستغفر الله أى لا أحملك من مالى ولا من مال أبى
وفى رواية المال مال الله وأنا عبده أى أتصرف فيه باذنه وأعطى من يأمرنى باعطائه ثم قال
لا أحملك حتى تقيدنى من جبذتك التى جبذتنى أى تمكنى من القود من نفسك فأفعل بك
مثل ما فعلت بى من جبذ ردائى قال الاعرابى والله لا أقيد كما قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة
السيئة فضحك صلى الله عليه وسلم أى تطمينا لقلبه اذ ابدئ بالمسرة بمفاتحته وسرورا باظهاره من
حسن ظنه به وانه لم يفعل ذلك تنقيصا له وهذا يقتضى انه كان مسلما غير منافق غير انه فيه جفاء
البادية ثم دعا صلى الله عليه وسلم رجلا وفى رواية دعا عمر فقال احمل له على بعيريه هذين على
بعير تمرا وعلى الآخر شعيرا وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال كنت أمشى
مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه اعرابى فجبذ بردائه جبذة
شديدة قال أنس رضى الله عنه فنظرت الى صفحة عاتقه وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته
وفى رواية مسلم وانشق البرد وذهبت حاشيته فى عنقه ثم قال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك
فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء والعطاء المذكور يحتمل انه تحميل البعيرين المذكورين
آنفا ويحتمل انه غيره وتكون هذه قصة أخرى وفى هذا بيان حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره
على الاذى فى النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الاسلام وروى الترمذى
عن عائشة رضى الله عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت لم يكن فاحشا
ولا متفحشا أى متكلفا للفحش أى لم يقم به فحش طبعا ولا تكلفا ولا يجزئ بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح ومثل ذلك روى عن أنس وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم وروى
الحاكم وغيره عن عائشة رضى الله عنها ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر
صريح اسمه وما ضرب بيده شيئا قط الا أن يضرب فى سبيل الله ولا سئل شيئا قط فمنعه الا أن
يسئل مأثما ولا انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم وفى رواية عن أنس رضى
الله عنه فان انتهكت حرمات الله كان أشد الناس غضبا وقد وصفه الله بحسن الخلق فى قوله تعالى

وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وأمر بقوله ادفع بالتي هي أحسن الآية روى ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان فصيح اللسان قوى الجنان وكان قد صنع شعرا مشتملا على حكمة وظن أن أحدا لا يقدر أن يأتي بما فيه من الحكمة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اصغ الى ثم قال

وفي ذوي الاضغان تسلى نفوسهم * تحيتك الحسنى فقد ترفع النغل
فان دفعوا بالقول فاعف تكرما * وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل
فان الذي يؤذيك منه استماعه * كأن الذي قالوا وراءك لم يقل

فقرأ عليه صلى الله عليه وسلم ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فقال الاعرابي ليس هذا من كلام البشر وكان سبب اسلامه رضي الله عنه ومما يدل على كمال حلمه وصبره وعفوه صلى الله عليه وسلم اتباع خلقه للمنافقين قال ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين وكانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم اذا غاب ويتملقون له اذا حضر وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى يؤيدها العناية الربانية وكان صلى الله عليه وسلم كلما أذن له في التشديد عليهم فتح لهم بابا من الرحمة لانه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى أنزل الله تعالى عليه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فقال عليه الصلاة والسلام خيرني ربي فاخترت أن أستغفر لهم ولما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال صلى الله عليه وسلم فوالله لازيدن على السبعين وفي رواية أنا أستغفر سبعين سبعين سبعين الى أن أنزل الله عليه في سورة المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فترك الاستغفار وروى ابن منده أن الحباب بن عبد الله بن أبي ابن سلول جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه لما بلغه بعض مقالاته في النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقه وكان ابنه صحابيا صالحا فأبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن له في قتله وأمره ببره وحسن صحبته وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما لما مرض عبد الله ابن أبي جاءه النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال قد فهمت ما تقول فامنن على وكفني في قميصك وصل على ففعل فكان طلب ذلك منه نفاقا لا عن حقيقة ايمان ولما مات كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب خلعه عن بدنه صلى الله عليه وسلم وصلى عليه تطييبا لقلب ابنه وتألفا لبقية المنافقين ولما قيل له صلى الله عليه وسلم في ذلك قال وما يغني عنه قميصي واني لارجو أن يسلم بذلك ألف من قومه وروى أن ألفا من الخزرج أسلموا لما رأوه يستشفع بثوبه ويتوقع اندفاع العذاب عنه وجاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد النبي أن يصلي عليه منعه وصار يجذبه بثوبه ويقول يا رسول الله أتصلي على رأس المنافقين فتثريبه من عمر رضي الله عنه أي جذبه منه بقوة وقال اليك عني يا عمر وصلى عليه فخالف مؤمنا في حق عدو منافق كل

ذلك رحمة منه لابنه لكمال شفقته صلى الله عليه وسلم على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب
قلب ولده الصحابي الصالح وائتلاف الخزرج لرياسته فيهم لانه لو لم يجب ابنه الى ما سأل وترك
الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل صلى الله
عليه وسلم أحسن الامرين في السياسة حتى كشف الله الغطاء فأنزل ولا تصل على أحد منهم
مات أبدا ولا تقم على قبره الآية فما صلى على منافق بعد ولا قام على قبره وهذه من الآيات التي جاءت
موافقة لرأي عمر رضي الله عنه وقيل انما كفنه صلى الله عليه وسلم في قميصه مكافأة له لانه
ألبس العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم قميصا حين أسر يوم بدر فكافأه بقميصه حتى لا يكون
له على عمه منة وفي ذلك كله بيان عظيم مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من
هذا المنافق من الايذاء له كقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وقوله لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا وتوليه كبر الافك ومع ذلك كله قابله بالحسنى وألبسه قميصه كفنا وصلى
عليه واستغفر له قال مجمع بن جارية رضي الله عنه ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
أطال الصلاة على جنازة قط ما أطال على جنازة ابن أبي ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ
منه وفي البخاري عن عمر رضي الله عنه لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على ابن أبي قال
فصليت معه قال أبو نعيم ففيه أن عمر رضي الله عنه ترك رأي نفسه وتابعه صلى الله عليه وسلم
ومن مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم عفوه عن لبيد بن الاعصم اليهودي حين صنع له صلى الله
عليه وسلم سحرا فأعلمه الله به فأرسل واستخرجه من بئر ذروان ولم يعاقبه وقال قد شفاني الله
وكرهت أن أثير شرا وعفا عن اليهودية التي سمت له الشاة بالنسبة لنفسه صلى الله عليه وسلم
فلا ينافي أنه قتلها بعد ذلك لما مات بشر بن البراء قصاصا وتقدمت القصة بتمامها في غزوة
خيبر ورحم الله القائل في حقه صلى الله عليه وسلم

وما الفضل الا خاتم أنت فصه * وعفوك نقش الفص فاختم به عذري

وحسبك ما نقل في كتب السنة الصحيحة نقلا متواترا بلغ مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش
وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة الى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم عام الفتح وهم
لا يشكون في استئصال جماعتهم وقطع دابرهم فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل
بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا أنتم الطلقاء فانطلقوا كأنما نشروا من قبورهم
وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال هبط ثمانون رجلا من التنعيم عام الحديبية صلاة الصبح
ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغتة فأمسكهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجاؤا بهم
اليه صلى الله عليه وسلم فأعتقهم وأطلقهم وأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم
وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم الآية وقد لاطف صلى الله عليه وسلم أبا
سفيان فقال له ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم وتشهد أن لا اله الا الله فقال بأبي أنت

وأمي يارسول الله ما أحلمك وأوصلك فانظر الى هذه اللطافة منه صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان مع ما كان منه من المحاربة وتحزيب الاحزاب وغير ذلك مما صدر منه فمقاعزه ولاطفه بالقول والفعل ومن رحمته صلى الله عليه وسلم ما رواه الدارقطني والحاكم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصغي أي يميل الى الهرة الاناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها ومن رحمته شفقته على أهل الكبائر من أمته وأمره اياهم بالستر حيث قال من ابتلى بهذه القاذورات فليستتر وأمر أمته أن يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما اغتاظوا عليه فسبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه (وأما تواضعه) صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته مع أهله وخدمه وأصحابه مع ما خصه الله به من الرفعة وعلو المقام فأمر لا تدرك له غاية كما يأتي وصفه قال بعضهم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان المشاهدة في قلبه وانما يحصل ذلك برياضة النفس ومجاهدتها في الاقبال على الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فعند ذلك تذوب النفس وتفنى قواها عن ميلها الى الشهوات ويتيسر لها استعمال القوى والجوارح في الطاعات كل الاوقات وعند ذلك تصفو من غش الكبر وتطمئن بذكر الله وتقبل عليه بجملتها فلم يبق لها تعلق بشئ من مألوفها فتلين للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وقد كان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم فكلما ازداد قربا ازداد تواضعا وحسبك من تواضعه عليه الصلاة والسلام أن خيره ربه بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا تواضعا لربه مع أنه لو كان نبيا ملكا ما ضره ولكن رأى التواضع يزيده قربا من ربه فأعطاه الله بتواضعه أن جعله أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع فلم يأكل متكئا بعد أن اختار العبودية حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري والترمذي وغيرهما لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والمعنى لا تتجاوزوا الحد في مدحي بأن تقولوا مالا يليق بي كما تجاوزته النصارى ولكن قولوا الخ فأثبت لنفسه ما هو ثابت له من العبودية والرسالة وسلم لله ما هو له تعالى لا سواه ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا ينهر خادما روى البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وفي رواية لابي نعيم فما سبني قط وما ضربني من ضربة ولا انتهرني ولا عبس في وجهي ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه فان عاتبني أحد قال دعوه ولو قدر شئ كان وفي رواية البخاري ولا قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وفي رواية ولكن تقول قدر الله وما شاء الله فعل ولو قدر الله كان ولو قضى لكان وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده وامائه ما ضرب منهم أحدا قط وهذا أمر لا تتسع له الطباع البشرية ولا تطيقه ولا تقدر عليه لولا التأييدات الربانية وما ذاك الا لكمال معرفته صلى الله عليه وسلم أنه لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله وان الخلق

آلات و وسائط فالغضب على المخلوق فى شئ فعله كالاشراك المنافى للتوحيد وقيل سبب ذلك أنه كان يشهد تصريف محبوبه فيه وتصريف المحبوب فى المحب لا يعلل بل يسلم ليستلذ فكل مايفعله الحبيب محبوب وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه مارأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط ولا ضرب امرأة ولا خادما الا أن يجاهد فى سبيل الله ومانيل منه شئ فينتقم من صاحبه الا أن ينتهك شئ من محارم الله فينتقم لله نعم يستثنى من ذلك مارواه النسائى عن طفيل الاشجعى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب فرسه لمارآه متخلفا عن الناس وقال اللهم بارك فيها قال طفيل فلقد رأيتنى ماأملك رأسها ولقد بعت من بطنها باثنى عشر ألفا أى وذلك من بركة قوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك فيها ووكز جمل جابر رضى الله عنه حتى سبق الناس بعد ما كان متأخرا عنهم وذلك معجزة فلا يشكل على قول عائشة رضى الله عنها ماضرب شيئا قط وروى ابن سعد وغيره عن عائشة رضى الله عنها وقد سئلت كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا فى بيته قالت كان ألين الناس بساما ضحاكا لم يرقط مادا رجليه بين أصحابه وروى أبو نعيم عن عائشة أيضا رضى الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مادعاه أحد من أصحابه الا قال لبيك وروى أبو داود والترمذى عن أنس والبزار عن أبى هريرة رضى الله عنهما ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحى رأسه عنه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ وروى الامام أحمد وابن حبان عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه و يخصف نعله و يرقع دلوه ويفلى ثوبه و يحلب شاته و يخدم نفسه و يقم البيت و يعقل البعير و يعلف ناضحه و يأكل مع الخادم و يعجن معها و يحمل بضاعته من السوق و يفعل ذلك ارشادا للتواضع وترك التكبر ومع ذلك فهو المشرف بالوحى والنبوة المكرم بالرسالة والآيات وتفلية الثوب انما كانت للتعليم أو التفتيش نحو خرق فيه ليرقعه أو لما علق به من نحو شوك أو وسخ لانه صلى الله عليه وسلم نور ولا عفونة فيه وأكثر القمل من العفونة ومن العرق وعرقه طيب فلا يلزم من التفلية وجود القمل وقيل كان فى ثوبه قمل ولا يؤذيه وانما يفليه استقذاراله وقيامه بخدمة نفسه صلى الله عليه وسلم دليل على كمال تواضعه وهذا لاينافى أنه كان له خدم يقومون بخدمته فيحمل قيامه بخدمة نفسه على بعض الاوقات فكان تارة يخدم نفسه وتارة يخدمه غيره وتارة بالمشاركة لتعليم أمته و بيان ندب الانسان الى خدمة نفسه وأنه لا يخل بمنصبه وان جل وكان يركب الحمار تارة موكفا وتارة عريا ليس عليه شئ وفى ذلك غاية التواضع وارشاد للعباد و بيان أن ركوبه كذلك لا يخل بمروءة ولا رفعة بل فيه غاية التواضع وكسر النفس وكان يردف خلفه الذكر والانثى فقد أردف صفية أم المؤمنين رضى الله عنها فى رجوعه من خيبر وأركب معه الصغار والكبار

ف كان اذا قدم من غزو واستقبله الصبيان فيركبهم معه و يأمر أصحابه باركاب من بقي وركب يوم بني قريظة والنضير وخيبر على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف من ليف وهذا نهاية التواضع وأي تواضع أعظم من هذا وقد ظهر له صلى الله عليه وسلم من النصرة عليهم والظفر بأموالهم ماهو معروف ورو ى أبو داود وغيره عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا ليركبه ووطأ عليه بقطيفة وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد ياقيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي كن معه في خدمته قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت أن أركب أي تأدبا معه لا مخالفة لامره فقال اما أن تركب واما أن تنصرف أي ترجع ولا تمشي معي فوافقه على الركوب فقال له اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها وفي رواية لابن منده فأرسل ابنه معه ليرد الحمار فقال صلى الله عليه وسلم أحمله بين يدي قال سعد سبحان الله أتحمله بين يديك قال نعم هو أحق بصدر حماره قال هولك يارسول الله قال أحمله اذن خلفي وجاء في بعض روايات هذه القصة أنه صلى الله عليه وسلم جاء على حمار رديفا أسامة خلفه فعلى هذا تقريب سعد رضي الله عنه الحمار لا لعدم دابة يركبها صلى الله عليه وسلم بل ليرجع عليه وحده ويبقى أسامة على الحمار الذي جاء عليه وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر واني لرديف أبي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني صفية رضي الله عنها اذ عثرت الناقة فقلت المرأة أي وقعت أو أوقعتها الدابة فقال صلى الله عليه وسلم انها أمكم تذكيرا لهم بوجوب تعظيمها فشددت الرحل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت خلفه وصح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة استقبله أغيلمة بني عبد المطلب فجعل واحدا بين يديه وآخر خلفه وروى البخاري أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد حمل قثم بن العباس رضي الله عنهما بين يديه والفضل خلفه أو قثم خلفه والفضل بين يديه شك الراوي وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية التي صنفها أنه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قباء وأبو هريرة رضي الله عنه معه فقال يا أبا هريرة أأحملك قال ماشئت يارسول الله أي فافعله فقال اركب فوثب أبو هريرة رضي الله عنه ليركب فلم يقدر فاستمسك أي تعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك قال ماشئت يارسول الله فقال اركب فلم يقدر أبو هريرة رضي الله عنه فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك فقال لا والذي بعثك بالحق لا رميتك ثالثا وذكر المحب الطبري أيضا في كتابه المذكور أنه عليه الصلاة

والسلام كان فى سفر وأمر أصحابه باصلاح شاة أى تهيئتها للأكل فقال رجل يا رسول الله على ذبحها وقال آخر يا رسول الله على سلخها وقال آخر يا رسول الله على طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفونى ولكن أكره أن أتميز عليكم فان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه وروى ابن اسحاق والبيهقى عن أبى قتادة رضى الله عنه قال وفد وفد النجاشى فقام النبى صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك قال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم وروى أبو الطفيل عامر بن واثلة رضى الله عنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وأنا غلام اذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من عنده من هذه قالوا أمه التى أرضعته رواه أبو داود وروى أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاع فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة كان فى عقلها شئ فقالت ان لى اليك حاجة فقال اجلسى فى أى سكك المدينة شئت أجلس اليك زاد مسلم حتى أقضى حاجتك فخلا معها فى بعض الطريق حتى فرغت من حاجتها وروى النسائى عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال كان عليه الصلاة والسلام لا يأنف أن يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى له الحاجة وفى رواية للبخارى كانت الامة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وفى رواية للامام أحمد أن كانت الوليدة من ولائد المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به لحاجتها فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت والمقصود من الاخذ باليد لازمه وهو الانقياد فقد اشتمل ذلك على أنواع من المبالغة فى التواضع لذكره المرأة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عم الاماء أى أمة كانت وبقوله حيث شاءت أى من الامكنة والتعبير باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها فى تلك الحالة لساعدها على ذلك بالخروج معها وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر صلى الله عليه وسلم ومن ثم أورده البخارى فى باب الكبر اشارة الى براءته صلى الله عليه وسلم منه ووصفه صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بأنه لم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له وفى رواية وكان لا يخرج شيئا من أطرافه وهو بين أصحابه أى كقطع ظفره أو قلع وسخه أو طرح بزاقه أو مخاطه وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه فى الجلوس عليها ان امتنع ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته ودخل الحسن السبط ابن

على رضي الله عنهما عليه صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وقد سجد فركب على ظهره فأبطأ صلى الله
عليه وسلم في سجوده حتى نزل الحسن رضي الله عنه فلما فرغ قال له بعض أصحابه يارسول الله
قد أطلت سجودك قال ان ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله أي جعلني كالراحلة فركب على
ظهري ودخل عليه مرة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما والحسن والحسين رضي الله عنهما على
ظهره صلى الله عليه وسلم راكبين فقال لهما جابر رضي الله عنه نعم الجمل جملكما فقال له صلى الله
عليه وسلم ونعم الراكبان هما وتقدم انه كان يحمل في الصلاة أمامة بنت زينب ابنته من
أبي العاص رضي الله عنهما ومثل هذا لا يشغل أرباب الكمال عما هم فيه من حسن الحال حيث
وصلوا الى مرتبة جمع الجمع وهم الذين لا تحوم حولهم التفرقة فلا تمنعهم الوحدة عن الكثرة
ولا الكثرة عن الوحدة فهم كائنون بائنون قريبون غريبون عرشيون فرشيون بحسب الارواح
اللطيفة والاشباح الشريفة فالذي مازاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى كيف
يشغل قلبه قطعة من لحمه وهذا كله من شدة تواضعه وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم ومن
تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان يعود المرضى الشريف منهم والوضيع والحر والعبد حتى
عاد مرة غلاما يهوديا كان يخدمه صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر الى أبيه
فقال له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من
النار رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه والعيادة فيها مع التواضع رضا الله وحيازة الثواب
ففي الترمذي مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا
ولأبي داود من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم سبعين خريفا
وانما كان فيها تواضع لان فيها خروج الانسان من مقتضى جاهه وتنزهه عن مرتبته الى مادون
ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يشهد الجنازة سواء كانت لشريف أو وضيع فينبغي كذا التأسي به
صلى الله عليه وسلم وآثر قوم العزلة ففاتهم خير كثير وروى البيهقي وابن اسحاق عن أنس رضي
الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم لما فتحت مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ رأسه على رحله حتى
كاد يمس رحله تواضعا لله تعالى وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه انه عليه الصلاة
والسلام حج على رحل رث وعليه قطيفة أي كساء له خمل لا يساوي أربعة دراهم وذلك لانه في
أعظم مواطن التواضع اذ الحج حالة تجرد واقلاع وخروج من المواطن وسفر الى الله ألا ترى
الى مافيه من الاحرام فانه اشارة الى ان المراد احرام النفس من الملابس تشبها بالفارين الى الله
وليكون تذكرة للموقف الحقيقي وقال في تلبيته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله حجا لا رياء فيه
ولا سمعة وهذا قاله تخشعا وتذللا لا وعدا لنفسه كواحد من الآحاد فيكون دالا على عظيم تواضعه
لان الرياء لا يكون ممن حج على رحل رث وانما يكون ممن حج على مراكب نفيسة وملابس فاخرة
وأغشية محبرة وأكوار مفضضة هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم أهدى في هذه الحجة مائة بدنة
وأهدى أصحابه مالا يسمح بمثله فمن جملة ما أهداه عمر رضي الله عنه بعير أعطى فيه ثلثمائة

دينار فأبى قبولها رواه أبو داود ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا صلى الصبح جاءه
خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء يريدون التبرك بأثر يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فما يؤتى
باناء الا غمس يده فيه فربما جاؤه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها ولا يمتنع لاجل البرد وهذا
من مزيد لطفه وحسن خلقه وكمال تواضعه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم والترمذى وغيرهما
وفي ذلك دليل على بروزه للناس وقربه منهم ليصل كل ذى حق لحقه وليعلم الجاهل ويقتدى
بأفعاله وهكذا ينبغى للائمة بعده وروى أبو نعيم فى الدلائل عن أنس رضى الله عنه كان صلى الله
عليه وسلم أشد الناس لطفا والله ما كان يمتنع فى غداة باردة من عبد ولا أمة تأتيه بالماء فيغسل
وجهه وذراعيه وما كلمه أحد قط الا أصغى اليه فلا ينصرف حتى يكون هو الذى ينصرف عنه
وما تناول أحد يده قط الا ناوله اياها فلا ينزع حتى يكون هو الذى ينزعها ومن تواضعه صلى الله
عليه وسلم انه كان حسن العشرة مع أزواجه فكان ينام معهن فى فراش واحد ولو كانت حائضا
مع مواظبته على قيام الليل فينام مع احداهن فاذا أراد القيام لوظيفته قام فتركها فيجمع بين
وظيفته من قيام الليل وأداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا ان اجتماع
الزوج معزوجته فى فراش واحد أفضل من نوم كل فى فراش اذا قصد الانس لا الجماع
لاسيما ان عرف من حالها حرصها على ان ينام معها فيتأكد الاستحباب ويكون تركه مكروها
ولا يلزم من نومه معها الجماع ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه الشيخان انه صلى الله
عليه وسلم كان يسرب أى يرسل لعائشة رضى الله عنها بنات الانصار يلعبن معها وذلك فى أول
تزوجه بها لانها كانت صغيرة وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم اذا شربت عائشة رضى الله عنها
من الاناء يأخذه فيضع فمه على موضع فمها ويشرب اشارة الى مزيد حبها وهذا من شدة تواضعه
صلى الله عليه وسلم واذا تعرقت عرقا بفتح العين واسكان الراء وهو العظم الذى عليه اللحم أخذه
فوضع فمه على موضع فمها وكان يتكئ فى حجرها ويقبلها وهو صائم رواه الشيخان وروى أصحاب
السنن الستة انه صلى الله عليه وسلم كان يقبل نساءه وهو صائم كل ذلك للتلطف بهن وحسن
العشرة معهن وهذا لا يكون الا ممن حسنت أخلاقه وكمل تواضعه وجاء انه صلى الله عليه وسلم
وقف لعائشة رضى الله عنها يسترها وهى تنظر الى الحبشة يلعبون بالحراب وهى متكئة على
منكبه قالت فقال لى أما شبعت أما شبعت فجعلت أقول لا لا رواه الترمذى وقال حسن صحيح
وروى الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا
فتقدموا ثم قال تعالى حتى أسابقك فسبقته فسكت عنى حتى حملت اللحم وبدنت وسمنت
خرجت معه فى بعض اسفاره فقال للناس تقدموا ثم قال تعالى أسابقك فسبقنى فجعل يضحك
ويقول هذه بتلك وانما قال ذلك لها تلطفا بها وتطييبا لخاطرها رضى الله عنها وذلك من كمال
تواضعه صلى الله عليه وسلم وروى الطبرانى فى الصغير والاوسط عن أنس رضى الله عنه انهم

يعني الصحابة رضي الله عنهم كانوا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها
ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة من بيت أم سلمة رضي الله عنها فوضعت بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا أيديكم أي للاكل فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده ووضعنا
أيدينا فأكلنا وعائشة رضي الله عنها تصنع طعاما عجلته حين رأت الصحفة التي أتي بها من بيت
أم سلمة رضي الله عنها فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا باسم الله أي من صحفة عائشة غارت أمكم ثم أعطى
صحفتها أم سلمة رضي الله عنها وقال طعام مكان طعام وإناء مكان اناء وهذا الحديث رواه البخاري
بلفظ كان صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه فأرسلت احدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام
فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع النبي
صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت
أمكم ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة الى التي كسرت
صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت واتفقوا على ان التي كان في بيتها هي عائشة
رضي الله عنها واختلفوا في التي جاء الطعام من عندها فجاء في رواية انها أم سلمة وفي أخرى
انها صفية وحمل بعضهم ذلك على التعدد ولا مانع منه وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت ثم
رجعت الى نفسي وندمت فقلت يارسول الله ما كفارته قال اناء كاناء وطعام كطعام وجاء
في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم حين كسرت لم يثرب عليها أي لم يلمها ولم يعمها
لوسع خلقه الشريف آثار غيرتها ولم يتأثر من فعلها ذلك بحضوره وحضور أصحابه
لمزيد حلمه وعلمه بما تؤدي اليه الغيرة وقضى عليها بحكم الله في القصاص بجعل المكسورة
عندها ودفع الصحيحة لضرتها وهكذا كانت أحواله صلى الله عليه وسلم مع أزواجه لا يؤاخذ
عليهن ويعذرهن ويرفع اللوم عنهن وان أقام عليهن ميزان العدل من غير قلق ولا غضب فهو
رؤف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه أي شديد عليه ما يعنتهم أي ما يشق عليهم
وفي الحديث اشارة الى أن المرأة ينبغي أن لا تؤاخذ فيما يصدر عنها من الغيرة لانها في تلك
الحالة يكون عقلها محجوبا بالشدة الغضب الذي أثارته الغيرة وقد أخرج أبو يعلى عن عائشة
رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الغيرى أي المرأة الغيرى لا تبصر أسفل الوادي
من أعلاه وروى البزار والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت جالسا مع النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه اذ أقبلت امرأة عريانة فقام اليها رجل فألقى عليها ثوبا
وضمها اليه فتغير وجهه صلى الله عليه وسلم فقال بعض جلسائه أحسبها أي أظنها امرأته فقال
صلى الله عليه وسلم أحسبها غيرى ان الله كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال فمن صبر
منهن كان له أجر شهيد وفي المواهب عن عائشة رضي الله عنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه
وسلم بخزيرة طبختها له وقلت لسودة أم المؤمنين رضي الله عنها والنبي صلى الله عليه وسلم بيني

وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي فأبت فقلت لها اتا كان أولا لطخن بها وجهك فأبت فوضعت
يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رأسي على فخذه
وقال لسودة الطخي وجهها قصاصا فلطخت بها وجهي فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخزيرة لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق وبالجملة فمن
تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والايتام والارامل
والاضياف والمساكين علم أنه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التى لا مرمى وراءها لمخلوق
وان كان يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق وحد الزاني الى غير ذلك وقد
كان صلى الله عليه وسلم يلاطف أصحابه ويباسطهم بالقول والفعل بما يوجب حبه في القلوب
تطمينا لهم وتقوية لايمانهم وتعليما لهم أن يباسطوا بعضهم بعضا لانهم اذا رأوا ذلك من
أكمل الخلق وأفضلهم وقد علموا قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اطمأنت
قلوبهم على فعل ذلك مع بعضهم وروى عبد الرزاق والترمذى عن أنس رضى الله عنه ان رجلا
من البادية يسمى زهيرا وفي رواية زاهر بن حرام الاشجعي وكان يهادي النبي صلى الله عليه
وسلم بموجود البادية أي بما يستطرف ويستملح منها وكان صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافئه
بموجود الحاضرة أي بما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يقول زهير باديتنا ونحن حاضرته
وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم الى السوق فوجده قائما يبيع متاعه
فجاءه من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فأحس زهير بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء حصول بركته وفي رواية فاحتضنه صلى الله عليه وسلم من
خلفه وهو لا يبصره فقال أرسلني من هذا فالتفت فعرف انه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل
لا يألو ما ألصق ظهره أي لا يقصر في الصاق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه
تبركا وتلذذا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ملاطفة معه من يشترى العبد فقال
زهير يا رسول الله اذن تجدني كاسدا فقال له صلى الله عليه وسلم أنت عند الله غال وفي
رواية لكن عند الله لست بكاسد فهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وشدة تلطفه بأصحابه
وأخرج أبو يعلى عن زيد بن أسلم أن رجلا يلقب بعبد الله الحمار كان يهدي للنبي صلى الله عليه
وسلم العكة من السمن تارة والعسل أخرى فاذا جاء صاحبه يتقاضاه أي يطلبه الثمن جاء به الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعط هذا ثمن متاعه فما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم على أن
يتبسم ويأمر فيعطى الثمن وفي رواية وكان لا يدخل الى المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء
فقال يا رسول الله هذا أهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فيقول أعط هذا الثمن
فيقول ألم تهده لي فيقول ليس عندي ما أعطيه فيضحك صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه
بثمنه ووقع نحو ذلك للنعيمان بالتصغير ابن عمرو بن رفاعة الانصاري رضى الله عنه ذكر الزبير
ابن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح انه كان لا يدخل المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء به

الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول هذا أهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه أحضره الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أعط هذا ثمن متاعه فيقول أولم تهده لي فيقول والله لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله فيضحك و يأمر لصاحبه بثمنه وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وذلك ان الناس مأمورون بالاقتداء بهديه فلو ترك الطلاقة والبشاشة ولزم العبوس لأخذ الناس نفوسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء فخرج ليمزحوا قال بعض السلف كان للنبي صلى الله عليه وسلم مهابة فلولا انه كان يتبسط لاصحابه و يداعبهم لما استطاعوا مكالمته ولا المقام معه لشدة ما أفاضه الله عليه من الهيبة والجلال روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا يارسول الله انك تداعبنا قال اني لا أقول الا حقا وروى الترمذي وأبو داود وغيرهما ان رجلا كان به بله أي غفلة في أمور الدنيا قال يارسول الله احملني أي مرلي ببعير أركب عليه لأغزو معكم فباسطه صلى الله عليه وسلم فقال اني حاملك على ابن الناقة فسبق لخاطره استصغار ابن الناقة فقال يارسول الله ماعسى أن يغني عني ابن الناقة فقال صلى الله عليه وسلم و يحك وهل يلد الجمل الا الناقة أي لو تدبرت وتأملت لأدركت وفهمت أن ابن الناقة يصدق على الجمل الكبير وجاءته امرأة فقالت يارسول الله احملني على بعير فقال احملوها على ابن بعير فقالت وما أصنع به وما يحملني يارسول الله فقال هل يجيء بعير الا ابن بعير وروى الترمذي وغيره انه صلى الله عليه وسلم باسط عمته صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضي الله عنهم حين قالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فجزعت فقال اما انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وكان عليه الصلاة والسلام يمازح أصحابه بالقول والفعل للملاطفة و يخالطهم و يحادثهم تأنيسا لهم و جبرا لقلوبهم و يأخذ معهم في تدبير أمورهم و يداعب صبيانهم و يجلسهم في حجره جاءته أم قيس رضي الله عنها بابن لها صغير لم يأكل الطعام فأجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يقل شيأ وهو صلى الله عليه وسلم مع ذلك قلبه يجول في الملكوت حيث أراد الله به وما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في النهي عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله وعن التفكر في مهمات الدين وغير ذلك كقسوة القلب وكثرة الضحك وذهاب ماء الوجه بل كثيرا ما يولد الايذاء والحقد والعداوة وجراءة الصغير على الكبير قال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به فكل ذلك محمول على الافراط ولذا قيل

فاياك اياك المزاح فانه * يجري عليك الطفل والرجل النذلا
و يذهب ماء الوجه من كل سيد * و يورثه من بعد عزته ذلا

والذي يسلم من ذلك هو المباح الذي لا يؤدي الى حرام ولا الى مكروه فان صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم فهو مستحب وروى البخاري ومسلم

عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لى أخ يقال له أبو عمير وكان له نغر يلعب به فمات فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير ملاطفة وتأنيساله وتسلية وذلك من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع وفى رواية للترمذى عن أنس رضى الله عنه قال أن كان النبى صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لى يا أبا عمير ما فعل النغير والنغير تصغير نغر بوزن رطب وهو طائر صغير كالعصفور والجمع نغران كصرد وصردان ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة والعظمة فى القلوب قبل بعثته وبعدها قدرا عظيما حتى أن قومه الذين كانوا يكذبونه بعد البعثة اذا واجهوه عظموه وقضوا حاجته لما ألقى عليه من الجلال والمهابة التى تدهش القلوب وتحيرها لمن رآه بديهة مهابة قال الابوصيرى

كأنه وهو فرد من جلالته * فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

أى فجلالته ومهابته عند رؤيته وهو منفرد أعظم من مهابة أعظم ملك عند رؤيته وهو مع عسكره وحشمه ولقد جاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل لحاجة يذكرها فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فانى لست بملك ولا جبار وانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة أى اللحم المقدد فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس انى أوحى الى أن تواضعوا ألا فتواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا وانما قال ذلك لانه لما رأى تواضعه كان سببا فى تسكين روع الرجل حث الناس على التواضع ليتمكن الناس من قضاء حاجاتهم والتواضع انكسار القلب وخفض جناح الذل والرحمة للخلق حتى لا يرى له عند أحد حقا بل يرى الحق لغيره وقوله صلى الله عليه وسلم فانى لست بملك قصد به سلب صفة الملوك عنه لما يلزمها من الجبروتية والتكبر والافتخار وقال أنا ابن امرأة تأكل القديد تواضعا لان القديد طعام أهل المسكنة فكأنه قال أنا ابن امرأة مسكينة تأكل من مفضول الاكل فكيف يخاف منى وروى أبو داود وغيره أن قيلة بنت مخرمة التميمية رأته جالسا فى المسجد فارعدت من الفرق أى الخوف والفزع فقال لها صلى الله عليه وسلم يا مسكينة عليك السكينة فلما قال لها ذلك ذهب عنها ما كان بقلبها من الرعب وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ملأت عينى منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لى صفه أى بجميع أوصافه لما قدرت واذا كان هذا قوله وهو من عظماء الصحابة فما بالك بغيره ويبين ذلك ويوضحه ما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا فرغ من صلاة الليل حدث عائشة رضى الله عنها ان كانت مستيقظة والا اضطجع بالارض ثم خرج بعد ذلك للصلاة وما ذاك الا أنه صلى الله عليه وسلم كان يتهجد ليلا ويشتغل بما يقربه من الله فيظهر عليه حال حتى يظن أنه ليس من البشر فلو

خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك من الاحوال التي يكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر أن يلقاه فكان عليه الصلاة والسلام يتحدث مع عائشة و يضطجع بالارض حتى يحصل التأنيس بجنسهم وهو التأنيس بعائشة التي هي من البشر أو من جنس أصل الخلقة الذي هو الارض ثم يخرج اليهم ليتمكن الناس من مخالطته والتكلم معه وما كان يفعل ذلك الا رفقا بهم وكان بالمؤمنين رؤفا رحيما وقد جاء في الحديث أنه لما خير على لسان اسرافيل بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا نظر عليه الصلاة والسلام الى جبريل عليه السلام كالمستشير له فنظر جبريل الى الارض يشير الى التواضع وفي رواية فأشار الى جبريل أن تواضع فقلت نبيا عبدا فاختار عليه الصلاة والسلام العبودية تواضعا فلذلك أورثه الله الرفعة حتى رفع الى السماء وأطلعه الله على الملكوت الاعلى وفي البخاري أن محمود بن الربيع الانصاري الخزرجي رضي الله عنه وقف على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين فمج عليه الصلاة والسلام في وجهه مجة من ماء بئر في دارهم يمازحه بها فكان في ذلك المج من البركة أنه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الا تلك المجة فعد بسبب ذلك من الصحابة فقد علمت أنه عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه وأهله ومع القريب والغريب في غاية ونهاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق ولين الجانب حتى يظن كل واحد من أصحابه أنه أحبهم اليه وكان يبدأ من لقيه بالسلام و يقف مع من استوقفه و يمزح مع الصغير والكبير أحيانا اذا اقتضاه المقام و يجيب الداعي وهذا الميدان لا تجد فيه الا واجبا أو مستحبا أو مباحا فكان يباسط الخلق و يلابسهم ليستضيؤا بنور هدايته من ظلمات دياجي الجهل و يقتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم وكانت مجالسته صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله تعالى وترغيب وترهيب اما بتلاوة القرآن أو بما آتاه الله من الحكمة والمواعظ الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين كما أمره الله أن يذكر و يعظ و يقص وأن يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يبشر و ينذر فلذلك كانت تلك المجالس توجب لاصحابه رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه ما كنت أظن أحدا من الصحابة يريد الدنيا حتى نزل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه ما عاب ذواقا قط ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه واعتذر كاعتذاره لما رفع يده عن الضب بأنه لم يكن بأرض قومه وهذا من حسن الأدب لان المرء قد لا يشتهي الشئ و يشتهيه غيره وكل مأذون من جهة الشرع لا عيب فيه أما اذا كان حراما فانه يعيبه و يذمه و ينهى عنه للمنع منه شرعا لا من حيث ذاته وقد يكون حسن المذاق والصنعة فالعيب ان كان من جهة صنعة الآدميين فقد يجوز وأما من حيث صنعة الله فالعيب لا يجوز قال النووي ومن آداب الطعام المتأكدة أن لا يعاب كقوله مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك ومن

تواضعه صلى الله عليه وسلم أن هذه الدنيا شاع سبها في العالمين قديما وحديثا فقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فكان الذين يسبونها يظهرون الاستغناء عنها وعدم الاعتبار بها مع أنه خلاف الواقع لان الله جعلها وسيلة لتحصيل الخير فدحه صلى الله عليه وسلم لها ونهيه عن سبها فيه اظهار للحق من احتياج من فيها اليها وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر وفي رواية لا تقولوا خيبة الدهر فان الله هو الدهر أي هو الفاعل لما يحدث فيه والمعنى انكم اذا سببتم الدهر وقع السب على الله لانه الفعال لما يريد لا الدهر فجالب الحوادث ومتولها هو الله لا غيره وجاء في رواية أنا الدهر بيدي الليل والنهار أي أقلبهما كيف شئت وأدبرهما كيف أريد فهو كالتفسير لقوله أنا الدهر ومن تواضعه وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن له بواب راتب روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة وهي تبكي عند قبر فقال لها اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك خلو من مصيبتي وفي رواية فانك لم تصب بمصيبتي وخاطبته بذلك ولم تعرفه صلى الله عليه وسلم فجاوزها ومضى فمر بها رجل وهو الفضل بن العباس رضي الله عنهما فقال لها ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما عرفته أي لانه صلى الله عليه وسلم من تواضعه لم يكن يستتبع الناس وراءه اذا مشى كعادة الملوك والكبراء وأيضا فقد كانت هي في غاية من الوجد والبكاء فقال الفضل للمرأة انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم في رواية فأخذها مثل الموت من شدة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوابا أي فكأنها تعجبت لانها لما قيل لها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم استشعرت خوفا وهيبة في نفسها فتصورت أنه كالملوك له حاجب وبواب يمنع الناس من الوصول اليه فوجدت الامر بخلاف ما تصورته فقالت له صلى الله عليه وسلم معتذرة لم أعرفك فقال انما الصبر عند الصدمة الاولى وكونه صلى الله عليه وسلم ليس له بواب انما هو باعتبار أغلب الاحوال فلا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم لما جلس على بئر أريس كان أبو موسى الاشعري رضي الله عنه جالسا على باب الحائط كالبواب لا يدخل أحد عليه صلى الله عليه وسلم حتى يستأذن له وجمع بعضهم بينهما بأنه كان عليه الصلاة والسلام اذا لم يكن في شغل من أهله ولا انفراد من أمره يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة اليه واذا اشتغل بأمر نفسه اتخذ بوابا * وأما حياؤه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها واذا كره شيئا عرف في وجهه وهو اشارة الى أنه لم يكن يواجه أحدا بما يكرهه بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهته لذلك وأخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم يغتسل من وراء

الحجرات وما رأى أحد عورته قط أى وهذا من شدة حيائه صلى الله عليه وسلم وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا فى وجهه بشئ يكرهه فدخل عليه يوما رجل وعليه أثر صفرة فلما قام قال لاصحابه لو غير أو نزع هذه الصفة وفى رواية لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة وعلى حسب حياة القلب ويقظته ومعرفته لما يضره وينفعه فى الدارين تكون فيه قوة خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب أى من فقد صفاته المقتضية للكمال وكلما كان القلب حيا كان الحياء أتم ولذا كان تمام الحياء فى النبى صلى الله عليه وسلم اذ لا قلب أحيا من قلبه وفى الشرع الحياء خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ولذا جاء فى الحديث الحياء من الايمان والحياء خير كله واذا لم تستح فاصنع ما شئت والحياء أقسام كثيرة منها حياء الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم من القوم الذين دعاهم الى وليمة زينب بنت جحش رضى الله عنها لما تزوجها وطولوا المقام بعد الاكل فاستحيا أن يقول لهم انصرفوا فقام فقاموا الا ثلاثة أو اثنين فمكثوا حتى انطلق صلى الله عليه وسلم الى أرواجه فسلم عليهن ثم قاموا فأخبره أنس رضى الله عنه بقيامهم فجاء فدخل على زينب رضى الله عنها وأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق ومنها حياء العبودية وهو حياء يمتزج بمحبة وخوف ومشاهدة عدم صلاحية عبوديته لمعبوده وأن قدر المعبود أعلى وأجل فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى كأن له نفسين يستحيى باحداهما من الاخرى وهذا من أكمل ما يكون من الحياء فان العبد اذا استحيا من نفسه فهو بأن يستحيى من غيره أجدر وأحق والحياء لا يأتى الا بخير لان من استحيا أن يراه الناس يأتى بقبيح دعاه ذلك الى أن يكون حياؤه من ربه أشد فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة وهو من الايمان لانه يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصى وأكمل الحياء وأولاه الحياء من الله وهو أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكماله انما ينشأ عن المعرفة ودوام المراقبة والحياء غريزى ومكتسب فالمكتسب هو الذى جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به غيراتن من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون المكتسب غريزة وكان صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها حتى روى انه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه أحد أى لا يديم نظره فيه ولا يتأمله (وأما خوفه) صلى الله عليه وسلم من ربه جل وعلا فكان على غاية لا يساويه أحد فيها وكان أتقى الناس وأشدهم خشية وكان صلى الله عليه وسلم يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل لغلبة الخشية وكان يصلى ويبكى وتسيل دموعه من غير صوت ويسمع

لجوفه صوت خفي والمرجل القدر من النحاس وفي رواية أنين كأنين الرحا وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخوفه صلى الله عليه وسلم كان خوف هيبة وتعظيم واجلال وهذا لا يكون الا مع كمال المعرفة والمحبة فهو تعظيم مقرون بالحب قال بعضهم الخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العاملين والهيبة للمحبين والاجلال للمقربين فهو صلى الله عليه وسلم أكمل المحبين المقربين فكان خوفه خوف هيبة واجلال وقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فكان يشهد الاشياء عيانا مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الالهية على وجه لم يجتمع لغيره صلى الله عليه وسلم ولذا قال ان اتقاكم وأعلمكم بالله أنا (وأما شجاعته) صلى الله عليه وسلم فانه قد كان أشجع خلق الله وقد تواترت بذلك الاحاديث والاخبار فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت على فرس عري لابي طلحة والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وفي رواية كان فزع من عدو بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من أبي طلحة يقال له المندوب فركبه عليه الصلاة والسلام فلما رجع قال ما رأينا من شيء أي يوجب الفزع وان وجدناه أي الفرس لبحرا أي واسع الجري قال الراوي وكان فرسا يبطئ أي لا يسرع في مشيه وفي رواية ان أهل المدينة فزعوا مرة أي ليلا فركب صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف أو فيه قطاف أي بطء فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا بحرا فكان بعد لا يجارى وفي رواية فما سبق بعد ذلك ففي هذا الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم وذلك مأخوذ من شدة عجلته في الخروج الى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان بطيئا قال القاضي عياض وقد كان في أفراسه صلى الله عليه وسلم فرس اسمه مندوب فلعله صار اليه بعد وقال النووي يحتمل انهما فرسان اتفقا في الاسم قال الزرقاني وهذا أولى وروى الامام أحمد والنسائي وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجدة الشجاعة والشدة وفي رواية ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطف أجود على أنجد للمناسبة بينهما اذ الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت ولان النجدة جود بالنفس وهو أقصى مراتب الجود وروى ابن اسحاق والحاكم وغيرهما انه كان بمكة رجل يقال له ركانة وكان شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس يأتونه للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك اليه فتؤمن بالله ورسوله فقال له ركانة يا محمد هل لك من شاهد يدل على صدقك فقال أرأيت ان صرعتك أتؤمن بالله ورسوله قال نعم يا محمد

فقال

فقال له تهيأ للمصارعة فقال تهيأت فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم صرعه فتعجب من ذلك ركانة ثم سأله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا وقال ان شأنك لعجيب قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبى روى البلاذرى انه قدم من سفر فأخبر خبر النبى صلى الله عليه وسلم أى دعواه النبوة وكان أشد الناس فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ان صرعتنى آمنت بك فصرعه فقال أشهد أنك ساحر ثم أسلم بعد وأطعمه النبى صلى الله عليه وسلم خمسين وسقا وقيل لقيه فى بعض جبال مكة فقال يا ابن أخى بلغنى عنك شىء فان صرعتنى علمت انك صادق فصارعه فصرعه وأسلم ركانة فى فتح مكة وقيل عقب مصارعته ومات فى خلافة معاوية رضى الله عنه وقيل فى خلافة عثمان رضى الله عنه وقيل عاش الى سنة احدى وأربعين وجاء فى بعض روايات هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم صارع يزيد بن ركانة فلعل تلك المصارعة قد تعددت فمرة مع ركانة ومرة مع ابنه يزيد وكل منهما صحبة رضى الله عنهما وروى الخطيب البغدادى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء يزيد بن ركانة الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة من الغنم فقال يا محمد هل لك أن تصارعنى قال وما تجعل لى ان صرعتك قال مائة من الغنم فصارعه فصرعه ثم قال هل لك فى العود قال وما تجعل لى قال مائة أخرى فصارعه فصرعه وذكر الثالثة فقال يا محمد ما وضع جنبى فى الارض أحد قبلك وما كان أحد أبغض الى منك وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقام عنه ورد عليه غنمه فاتضح بهذا انه صلى الله عليه وسلم صارع ركانة وابنه جميعا وصارع جماعة غيرهما منهم أبو الاسود الجمحى كما قاله السهيلى ورواه البيهقى وكان شديدا بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد أى يتقطع ولم يتزحزح عنه فدعا أبو الاسود رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن به وقد حضر صلى الله عليه وسلم المواقف الصعبة كبدر وأحد وحنين وفر الكماة والابطال عنه وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة الا النبى صلى الله عليه وسلم روى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما وقد سأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا وفى رواية انهزموا فأكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام وفرت الاعراب ومن نعلم من الناس ولقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وهذا فى غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه فى مثل هذا اليوم فى حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب وليست من مراكب الحرب بل من مراكب الطمأنينة فركوبها دليل على النهاية فى الشجاعة

والثبات وان الحرب عنده كالسلم وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه وكل ذلك مبالغة فى الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو وروى مسلم من حديث البراء أيضا رضى الله عنه قال كنا اذا احمر البأس أى اشتد اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وان الشجاع منا الذى يحاذيه ومعنى قوله اتقينا به جعلناه قدامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه وروى الامام أحمد والنسائى عن على رضى الله عنه كنا اذا حمى البأس وفى رواية اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وروى أبو الشيخ فى الاخلاق عن عمران بن حصين رضى الله عنهما وعنا بهما قال مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب أى يقبل على ضربهم ويتوجه الى حربهم وبالجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس كما يومى اليه قوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم مع ماورد من اعطائه قوة أربعين رجلا وربما يقاوم بعض الرجال ألفا كبعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم أجمعين بل له من القوة الالهية ماتعجز عنها القوى البشرية والملكية (وأما كرمه) صلى الله عليه وسلم فكان لا يوازى ولا يبارى فيه وقد وصفه بذلك كل من عرفه وشاع ذلك واشتهر حتى بلغ مبلغ التواتر وقد روى البخارى وغيره عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس أى وذلك لانه صلى الله عليه وسلم لما كانت نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الامزجة وشكله أملح الاشكال وخلقه أحسن الاخلاق لا بد أن يكون فعله أحسن الافعال فلا شك يكون أجود الناس وأنداهم يدا وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال ياقوم أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر أى وذلك آية لنبوته صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل الذى أعطاه الغنم بين الجبلين قيل هو صفوان بن أمية وقيل غيره وروى مسلم والترمذى عن صفوان بن أمية الجمحى رضى الله عنه قال لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطانى وانه لابغض الناس الى فما برح يعطينى حتى انه لاحب الناس الى قال ابن شهاب الزهرى أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وجاء انه طاف معه صلى الله عليه وسلم يتصفح الغنائم وكان على دين قومه اذمر بشعب مملوء ابلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب قال نعم قال هو لك بما فيه فقال صفوان أشهد انك رسول الله ماطابت بهذا نفس أحد قط الا نفس نبى ثم أسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وعاش الى سنة اثنين وأربعين من الهجرة وقيل توفى أيام قتل عثمان رضى الله عنه سنة خمس وثلاثين والحكمة فى كون اعطائه لم يكن دفعة واحدة بل تدريجا

ان هذا العطاء دواء لدائه والحكيم لا يعطي الدواء دفعة واحدة بل تدريجا لانه أقرب الى الشفاء وقد علم صلى الله عليه وسلم ان داءه لا يزول الا بهذا الدواء وهو الاحسان فعالجه به حتى برئ من داء الكفر وأسلم رضي الله عنه وهذا من كمال شفقته صلى الله عليه وسلم ورحمته ورأفته اذ عالجه بكمال الاحسان وأنقذه من حر النيران الى برد لطف الجنان وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأصدق الناس لهجة رواه الترمذي وروى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم عن الاجود الله الاجود وأنا أجود ولد آدم وأجودهم من بعدي رجل تعلم علما فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاهد في سبيل الله حتى يقتل فهو صلى الله عليه وسلم بلا ريب أجود بني آدم على الاطلاق كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم قال في المواهب ويرحم الله ابن جابر حيث قال في وصف كرمه صلى الله عليه وسلم

هذا الذي لا يتقي فقرا اذا * أعطى ولو كثر الانام وداموا
واد من الانعام أعطى آملا * فتحيرت لعطائه الاوهام

وقال ابن جابر أيضا في وصفه صلى الله عليه وسلم

يروي حديث الندى والبشر عن يده * ووجهه بين منهل ومنسجم
من وجه أحمد لي بدر ومن يده * بحر ومن فمه در لمنتظم
يمم نبيا تباري الريح أنمله * والمزن من كل هامي الودق مرتكم
لو عامت الفلك فيما فاض من يده * لم تلق أعظم بحر منه ان تعم
تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ * به ودع كل طامي الموج ملتطم
لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت * كل الانام وروت قلب كل ظمي

فسبحان من أطلع أنوار الجمال من أفق جبينه وأنشأ أمطار السحائب من غمائم يمينه وروى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم حمل اليه تسعون ألف درهم قال بعضهم هي التي جاءته من البحرين وقيل غيرها فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وروى الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يعطيه فقال ما عندي شئ ولكن ابتع علي أي اشتر واحسب على الشراء وفي رواية ما عندي شئ أعطيك ولكن استقرض حتى يأتينا شئ فنعطيك وفي رواية فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر أي ما ليس حاصلا عندك فكره النبي صلى الله عليه وسلم قول عمر رضي الله عنه لما فيه من حرمان السائل فقال رجل من الانصار حين رأى

كراهة النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع يارسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا
فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت وقيل ان القائل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ماذكر هو بلال رضي الله عنه ولعل القصة تعددت وانما قال عمر رضي الله
عنه ما كلفك الله ما لا تقدر شفقة عليه صلى الله عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وتهافتهم عليه
والانصاري راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلذا سره كلامه فقوله بهذا أمرت اشارة الى انه أمر
خاص به وبمن يمشي على قدمه وذكر ابن فارس انه صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة يوم حنين
فأنشدت شعرا تذكر فيه أيام رضاعه في هوازن فرد عليهم ما أخذه المسلمون من السبايا فكان
ذلك عطاء كثيرا حتى قوم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف ألف قال ابن دحية وهذا
نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الوجود وفي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه انه صلى
الله عليه وسلم أتي بمال من خراج البحرين فقال انثروه يعني صبوه في المسجد وكان أكثر مال
أتي به صلى الله عليه وسلم أي من الدراهم أو الخراج فلا ينافي انه غنم في حنين ما هو أكثر منه من
أموالهم وقسمه ورد عليهم سبيهم قال أنس رضي الله عنه فخرج صلى الله عليه وسلم الى المسجد
ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه أي عنده فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاء
العباس عمه صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أعطني فاني فاديت نفسي يوم بدر وفاديت عقيلا
فقال له خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يارسول الله مر بعضهم يرفعه علي فقال لا
قال فارفعه أنت علي فقال لا وانما فعل ذلك تنبيها له على الاقتصاد وترك الاستكثار من المال
فنثر العباس رضي الله عنه منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يارسول الله مر بعضهم يرفعه علي
قال لا قال فارفعه أنت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله قال ابن كثير كان العباس
رضي الله عنه شديدا طويلا نبيلا فاحتمل شيئا يقارب أربعين ألفا وانطلق وهو يقول انما
أخذت ما وعد الله فقد أنجز يشير الى قوله تعالى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما
أخذ منكم قال أنس رضي الله عنه فما قام صلى الله عليه وسلم من ذلك المجلس وثم أي هناك
منها درهم واشترى صلى الله عليه وسلم من جابر رضي الله عنه جملا ثم أعطاه ثمنه وزاده عليه ثم
قال له اذهب بالجمل والثمن بارك الله لك فيهما وقد كان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله
في ابتغاء مرضاته فتارة كان يبذل المال لفقير أو محتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتألف
به على الاسلام من يقوى الاسلام باسلامهم وتارة يؤثر على نفسه وأولاده فيعطي ما يده
للمحتاجين ويتحمل المشقة هو وعياله فيأتي عليه الشهر والشهران لا توقد في بيته نار وربما
ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع حتى ان ابنته فاطمة رضي الله عنها جاءته تشكو ما تلقى
من الرحى وخدمة البيت وكانت سمعت بسبي جاءه فطلبت منه خادما فقال لا أعطيك وأدع أهل
الصفة تطوى بطونهم من الجوع وأمرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد فمنع احب
اهله شفقة على الفقراء وهذه القصة رواها الامام أحمد وغيره عن علي رضي الله عنه انه قال

انها لما ة رضى الله عنها لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى وقد جاء الله أباك بسبى فاذهبى فاستخدميه فقالت وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداى بفتح الجيم وكسرها أى نفطت من كثرة الطحن فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماجاء بك أى بنية قالت جئت لأسلم عليك واستحييت ان تسأله ورجعت فقال مافعلت قالت استحييت ان أسأله فأتيا جميعا النبى صلى الله عليه وسلم فقال على يارسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى وقالت فاطمة لقد طحنت حتى مجلت يداى وقد جاء الله بسبى وسعة فأخدمنا فقال والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم فرجعا فأتاهما النبى صلى الله عليه وسلم وقد دخلا فى قطيفتهما اذا غطت رؤسهما كشفت اقدامهما واذا غطت أقدامهما كشفت رؤسهما فثارا فقال مكانكما ثم قال ألا أخبركما بخير مما سألتمانى قالا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام تسبحان فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدان عشرا وتكبران عشرا فاذا أويتما الى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين والحديث فى البخارى ومسلم عن على رضى الله عنه وفى شرح الزرقانى على المواهب أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه اعياء لان فاطمة رضى الله عنها شكت التعب من العمل فأحالها عليه وفى الصحيحين عن على رضى الله عنه انه ماترك هذا الذكر منذ سمعه قيل له ولا يوم صفين قال ولا يوم صفين ومن كرمه صلى الله عليه وسلم مارواه البخارى ان امرأة أتته صلى الله عليه وسلم ببردة فقالت يارسول الله أكسوك هذه قال نعم فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال يارسول الله ما أحسن هذه البردة فاكسنيها فقال صلى الله عليه وسلم نعم فجلس ماشاء الله فى المجلس ثم رجع فطواها فأرسل بها اليه فلام الناس السائل وقالوا ما أحسنت حين رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجا اليها ثم سألته اياها وقد عرفت انه لا يسئل شيئا فيمنعه وفى رواية لا يرد سائلا فقال رجوت بركتها حين لبسها النبى صلى الله عليه وسلم لعلى أكفن فيها وفى رواية فقال الرجل والله ماسألتها الا لتكون كفنى يوم أموت قال سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه فكانت كفنه وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم أمر أن يصنع له غيرها فمات قبل أن يفرغ منها والرجل الذى سألها فكانت كفنه هو عبد الرحمن بن عوف أو سعد بن أبى وقاص كما قيل بكل ويحتمل تعدد القصة لكن استبعده بعضهم واستنبط السادة الصوفية من هذه القصة جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم كما استدلوا لالباس الشيخ للمريد بحديث انه صلى الله عليه وسلم ألبس أم خالد بنت سعيد بن العاص رضى الله عنهما خميصة سوداء ذات علم رواه البخارى قال فى الشفاء وهذه الخصال الممدوحة كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث أى لان هذه الفضائل والشمايل طبعت فى أصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته بل قبل حصول ولادته كما ورد كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد

وقد قالت له خديجة رضي الله عنها وكذا ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة رضي الله عنها انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وروى الترمذي عن معوذ بن عفراء قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يعني بقوله قناع طبقا وأجر زغب أي قثاء صغار فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا وفي مسند الامام أحمد عن ابنة الربيع بالتصغير قالت بعثني معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه اجر زغب من قثاء وكان صلى الله عليه وسلم يحب القثاء فأعطاني ملء كفيه حليا أو ذهبا وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد أي لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه وهذا بالنسبة لخاصة نفسه لقوة حاله فلا ينافيه انه كان يدخر قوت سنة لعياله أي تسكينا لقلوبهم وهذا وقع في بعض السنين دون بعض وفي الشفاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله أي شيئا من العطاء فاستلف له نصف وسق فلما جاء الرجل أي رب الدين يتقاضاه أي يطالب النبي صلى الله عليه وسلم بوفاء الثمن أعطاه وسقا بكماله وقال نصفه قضاء ونصفه نائل أي عطاء قال الشيخ أبو علي الدقاق الفتوة غاية الكرم والايثار وهذا الخلق لا يكون الا للنبي صلى الله عليه وسلم فان كل واحد في القيامة يقول نفسي نفسي وهو صلى الله عليه وسلم يقول أمتي أمتي

﴿وأما أمانته﴾ صلى الله عليه وسلم وعدله وعفته وصدق لهجته فقد كان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أمانة وأعدل الناس وأعفهم وأصدقهم لهجة ولقد اعترف له بذلك أعداؤه وكان يسمى قبل النبوة الامين روى الامام أحمد والحاكم والطبراني انه حين اختلفت أكابر قريش عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر الاسود حكموا أن يكون الواضع أول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد الامين قد رضينا به ففرش صلى الله عليه وسلم رداءه المبارك ووضع الحجر عليه وأمر كل رئيس أن يأخذ بطرف منه وهو آخذ من تحته ثم أخذه فوضعه في موضعه وكانوا قبل بعثته صلى الله عليه وسلم يتحاكمون اليه في كثير من قضاياهم وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء وأمين في الارض وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه ان أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك أي لا ننسبك الى الكذب لثبوت صدقك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وفي رواية لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وروى البيهقي والطبراني وغيرهما أن الاخنس بن شريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا فيما بيننا أخبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط زاد في رواية ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فهذا يدل على انه ما منعه عن توحيد الله الا طلب الجاه فطلب الجاه حجاب عظيم عن الحق والاخنس بن شريق اختلف فيه فقيل له اسلام وصحبة وقيل قتل كافرا يوم بدر وقيل الذي

قتل كافرا شريق لا الاخنس وجاء ان هرقل لما سأل أبا سفيان رضى الله عنه فقال له هل كنتم
تتهمونه بالكذب قال لا وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النضر بن الحارث
العبدرى قال لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم أى أكثركم أفعالا
مرضية وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما
جاءكم قلتم انه ساحر لا والله ما هو بساحر وسبب قوله ذلك ان أبا جهل أراد أن يرضخ رأس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وهو يصلى تحت الكعبة فتمثل له جبريل فى صورة فحل
ففر هاربا ويبست يده على الحجر فلما سمع بذلك النضر بن الحارث قال يا معشر قريش والله قد
نزل فيكم أمر ما أتيتم فيه بحيلة قد كان محمد الخ ما تقدم زاد فى رواية وقد رأينا السحرة نفثهم
وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ما هو بكاهن وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقد قلتم شاعر
والله ما هو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون والله ما هو
بمجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه ولا وسوسته فانظروا فى شأنكم والله قد نزل بكم أمر عظيم
وهذا غاية منه فى الانصاف وكان من شياطين قريش ومن أشد الناس عداوة للنبى صلى الله
عليه وسلم وكان يقول فى القرآن أساطير الاولين فأخذ أسيرا يوم بدر فأمر النبى صلى الله عليه
وسلم عليّ بن ابى طالب رضى الله عنه فقتله بالصفراء عقيب الوقعة وأما النضير بالتصغير فهو
أخوه وقد أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة وأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين مائة من
الابل فاحذر أن يتصحف ويلتبس عليك ومن أمانته صلى الله عليه وسلم ما رواه البخارى
ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت ما مست يده صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط لا يملك
رقها أى لا يملكها نكاحا أو ملكا فان التزويج يسمى رقا قال صلى الله عليه وسلم لاسماء رضى
الله عنها التزويج رق المرأة فلتنظر أين تضع رقها ومن عدله صلى الله عليه وسلم قوله أبلغوا
منى حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع
الاكبر وفى رواية ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة وكان صلى الله عليه وسلم لا يخير فى
أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وكان لا يؤاخذ أحدا
بذنب أحد ولا يصدق أحدا على أحد رواه أبو داود عن الحسن البصرى مرسلا ومن
عفته صلى الله عليه وسلم ما رواه البيهقى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يهمون به غير مرتين يحول الله بينى وبين ما أريد من ذلك
ثم ما هممت بسوء حتى أكرمنى الله برسالته قلت ليلة لغلام كان معى يرعى لو أبصرت لى غنمى
حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت
عزفا أى لعبا بالمعازف وهى الملاهى من الدفوف والمزامير بعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب
على أذنى أى أنامنى الله فنمت فما أيقظنى الا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيأ ثم عرانى مرة
أخرى مثل ذلك أى مثل ما هممت فى المرة الأولى فعصمنى الله ثم لم أهم بعد ذلك بسوء قط

وكان صلى الله عليه وسلم يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان مجلسه مجلس حكم وعلم وحياء
وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه المحارم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على
رؤسهم الطير (وأما زهده) صلى الله عليه وسلم فى الدنيا فقد تقدم من الاخبار ما يكفى
وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها فأعرض عنها ولقد
توفى ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله وكان يقصد بذلك التشريع لامته كيلا يرغبوا
فيها فتشغلهم عن الله تعالى وكان يقول فى دعائه اللهم اجعل رزق آل محمد فى الدنيا قوتا
وفسر القوت بما يمسك رمق الانسان والمراد قدر الكفاية وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها
قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا حتى مضى لسبيله وفى رواية ما شبع
من خبز شعير يومين متتابعين ولو شاء لأعطاه ما لم يخطر ببال وفى رواية أخرى ما شبع آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقى الله وروى مسلم عن عائشة أيضا رضى الله عنها
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفى رواية للبخارى
عن جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها ما ترك صلى الله عليه وسلم الا سلاحه وبغلته وأرضا
جعلها صدقة وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها وقد مات وما فى بيتى شئ يأكله ذو كبد
الا شطر شعير فى رف لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى فيا ليتنى لم أكله وقال لى انى عرض
على أن تجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب أجوع يوما فأصبر وأشبع يوما فأشكر فأما
اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع اليك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك وفى
حديث آخر أن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب
أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له أى لقلة معرفته بحقيقة الدنيا من
سرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها ولذا فاتهم الآخرة باعتبار درجاتها فقال له
جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وفى رواية للبيهقى انه صلى الله عليه وسلم قال يوما لجبريل
ما أمسى لآل محمد كفة سويق ولا سفة دقيق فأتاه اسرافيل فقال ان الله تعالى سمع ما ذكرت
فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وأمرنى أن أعرض عليك ان أحببت أن أسير معك جبال تهامة
زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وفى رواية للامام أحمد والله لو شئت لأجرى الله معى جبال
الذهب والفضة وفى رواية لابن عساكر لو شئت لسارت معى جبال الذهب وفى أخرى
للطبرانى لو سألت الله ان يجعل لى تهامة كلها ذهبا لفعل وروى الشيخان عن عائشة رضى الله
عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وروى الترمذى
عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته
من خبز الشعير وروى ابن ماجه والترمذى عن عائشة وأبى امامة وابن عباس رضى الله عنهم
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالى المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وروى

البخارى عن أنس رضى الله عنه ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة
ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط والخوان ما يؤكل عليه كالكرسى على عادة المترفهين
لئلا يحتاجوا الى الانحناء حال أكلهم فالصحابة انما كانوا يأكلون على السفر المبسوطة
فى الارض والسكرجة فارسى معرب وهو بضم الثلاثة وشد الراء اناء صغير يؤكل فيه القليل
من الادم وأكثر ما يوضع فيه وأمثاله ما يعتاده المترفهون من احضار المخللات ونحوها من
المهضمات والمرغبات فى أطراف المأكولات والمرقق الرغيف الابيض اللين الواسع والسميط
بمعنى المسموط المشوى بجلده بعد اخراج ما فيه من القاذورات والنجاسات فان لم تخرج كان
حراما وكذا حكم الرؤس والدجاج وانما يحسن السمط فى صغار الغنم وروى الشيخان عن
عائشة رضى الله عنها قالت انما كان فراشه صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه أدما أى جلدا
مدبوغا وروى الترمذى عن حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت كان فراش النبى صلى الله
عليه وسلم فى بيتى مسحا أى من شعر أبيض وقيل أسود نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع
طاقات فلما أصبح قال ما فرشتم لى الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاءته أى لينته
منعتنى أى كمال حضورى فى طاعتى أو شغلتنى عن القيام لصلاتى وقراءتى ولم يسألهم صلى الله
عليه وسلم فى ابتداء الليلة لاستغراقه فى شهود نوره ووجود حضوره وروى الشيخان والترمذى
انه صلى الله عليه وسلم كان ينام أحيانا على سرير مرمول أى منسوج بشريط مفتول من
سعف حتى تؤثر خشونة الشريط فى جنبه لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه وبينه وعن عائشة
رضى الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى لاحد قط أى
لاحد من أصحابه وزوجاته وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا طول ليله
فلا يمنعه أى جوعه صيام يومه وهذا كله لكمال زهده واقبال قلبه على ربه ولو شاء سأل ربه
جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها قالت عائشة رضى الله عنها ولقد كنت أبكى له رحمة
مما أرى به من الجوع وأمسح بطنه وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول
يا عائشة مالى وللدنيا اخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا
على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى أستحى ان ترفهت فى معيشتى
أن يقصر بى غدا دونهم وما من شئ هو أحب الى من اللحوق باخوانى وأخلائى قالت رضى الله
عنها فما أقام أى فى الدنيا بعد أى بعد قوله ذلك الا شهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم وفى رواية
لابن أبى حاتم عن عائشة رضى الله عنها قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طواه
ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه وقال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد
يا عائشة ان الله لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها
ولم يرض منى الا أن يكلفنى ما كلفهم فقال اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وانى والله لاصبرن
كما صبروا جهدى ولا قوة الا بالله قال العلماء من قال مالى صدقة على أعقل الناس يعطى

للزهاد لان اعاقل من طلق الدنيا كما قيل

طلق الدنيا ثلاثا * واطلبن زوجا سواها

انها زوجة سوء * لاتبالى من أتاها

أنت تعطيها مناها * وهى تعطيك قفاها

فاذا نالت مناها * منك ولتك وراها

روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال صلى الله عليه وسلم ان أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع غدا فى الآخرة أى لان من كثر شبعه ورغب فيه بما حصل ما يأكله من غير وجهه فيجازى بالجوع فى الآخرة اما فى الموقف أو فى النار ان دخلها للتطهير لا بعد دخول الجنة اذ لا عذاب فيها والجوع عذاب وروى ابن ماجه والحاكم عن سلمان الفارسى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا فى الآخرة وذلك لان شأن المؤمن الكامل أن يشتد خوفه ويكثر فكره ويشفق على نفسه من استيفاء شهوته فيقل أكله كما ورد فى حديث لابى امامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر طعمه وقسا قلبه أى لان كثرة المطعم تورث قسوة القلب وقال جمع من الصحابة منهم عمرو بن العاص رضى الله عنه البطنة تذهب الفطنة ومن قل طعامه قل شربه وخف نومه ومن خف منامه ظهرت بركة عمره أى لما يباشره من الطاعات فى يقظته ومن امتلأ بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن كثر نومه محقت بركة عمره ولا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حال نفسه ومن امتلأ جوفه من الطعام ساء غذاء بدنه وبطرت نفسه وقسا قلبه فلا تنجع فيه موعظة ولا تدخله حكمة وروى أبو نعيم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط كان اذا تغدى أى أكل فى غدوة النهار وبكرته لم يتعش أى لم يأكل فى المساء واذا تعشى لم يتغد وكان فى أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان أطعموه أكل أى ان قدموه له ليأكل أكل وما أطعموه قبله منهم وما سقوه أى من الاشربة لبن أو غيره شرب وروى مثل هذا عن عائشة رضى الله عنها ثم ان ما استفيد من كراهة الشبع محمول على الشبع الذى يثقل المعدة ويثبط عن القيام بالعبادة ويفضى الى النوم والكسل والبطر والاشر وقد تنتهى كراهة الشبع الى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة روى البخارى ومسلم ان عائشة رضى الله عنها كانت تقول لعروة بن الزبير لتحمله على التأسى بالنبى صلى الله عليه وسلم والاقتداء به فى التقلل والله يا ابن أختى ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء وروى مسلم عنها رضى الله عنها لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت فى يوم واحد مرتين خمت الزيت لانهم كانوا

يأتدمون به كثيرا ومع ذلك لم يأكلاه في اليوم الآخر تزهدا في الدنيا وعن أبي حازم سلمة بن دينار انه سأل سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه هل رأيتم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم النقي يعني الخبز الحوارى قال لا قلت كنتم تنخلون الشعير قال لا ولكنا كنا ننفخه رواه البخاري وفي رواية هل أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي قال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه فقلت هل كان لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل فقال ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه قلت كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثريناه فأكلناه أي نديناه ولييناه ثم خبزناه فأكلناه وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في ساعة لا يخرج فيها أحد ولا يلقاه فيها أحد فاذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قال كل منهما أخرجنا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده أخرجني الذي أخرجكما وهذا قاله تسلية وتأنيسا لهما فانطلقوا الى منزل أبي الهيثم بن التيهان الانصاري رضي الله عنه وكان رجلا كثير النخل والشياه واذاهو ليس في بيته فلما رأت امرأته النبي صلى الله عليه وسلم قالت مرحبا وأهلا وفي رواية مرحبا بنبي الله وبمن معه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان يعني زوجها قالت ذهب يستعذب لنا الماء أي يستقي لنا ماء عذبا من بئر بعيدة وكانت أكثر مياه المدينة مالحة فبينما هم على ذلك اذ جاء الانصاري فوضع القربة ثم جاء يلتزم النبي صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيه وأمه وفي رواية فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله أي على هذه التي لم يظفر بها غيري في هذا اليوم ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني فانطلق بهم الى بستانه فجاءهم بقنو فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية أي السكين ليذبح لهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب أي باعد نفسك عن ذات اللبن فلا تذبحها فذبح لهم فشوى نصف اللحم وطبخ نصفه وأتاهم به فلما وضع بين يديه صلى الله عليه وسلم أخذ من ذلك فجعله في رغيف وقال للانصاري أبلغ هذا فاطمة رضي الله عنها فانها لم تصب مثله منذ أيام فذهب به اليها فأكلوا من الشاة ومن القنو وشربوا من ذلك الماء العذب فلما أن شبعوا ورووا قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وفي رواية أنه قال هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد ثم انطلق أبو الهيثم يصنع لهم طعاما وهذه تدل على انه قال لهم ذلك قبل أن أكلهم من الشاة وفي رواية فكبر ذلك على أصحابه أي كون هذا من النعيم الذي يسئلون عنه فقال اذا أصبتم مثل هذا فضار بأيديكم فقولوا باسم الله فاذا شبعتم فقولوا الحمد لله الذي أشبعنا وأنعم علينا وأفضل فان هذا كفاف فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله

انا لمسؤلون عن هذا يوم القيامة قال نعم الا من ثلاث كسرة يسد بها الرجل جوعته أو ثوب يستر به
عورته أو جحر يدخل فيه من القر والحر وفي هذه القصة فوائد منها ان اتيانهم دار أبي الهيثم
رضي الله عنه لا ينافي شرفهم فقد استطعم قبلهم موسى والخضر عليهما السلام لارادة الله تسلية
الخلق بهم وان يستنوا بهم فعلوا ذلك تشريعا للامة وفي قول امرأة أبي الهيثم يستعذب لنا ماء
دليل على ان طلب الماء العذب لا بأس به وانه لا ينافي الزهد وان السبب لا ينافي التوكل اذ التوكل
اعتماد القلب على الله وان لا يكون للعبد وثوق بسوى ربه فالحركة الظاهرة لا تنافيه وقصده
صلى الله عليه وسلم بيت الانصاري رضي الله عنه من هذا القبيل ومن زهده صلى الله عليه وسلم
ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي
ذات يوم الى منزله فأخرج اليه فلق من خبز فقال ما من أدم أي هل عندكم شيء من الادم آكل
الخبز به قالوا الا شيء من خل قال نعم الادم الخل قال جابر فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من
نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبي الدنيا عن ابن بجير رضي الله عنه قال أصاب النبي
صلى الله عليه وسلم الجوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال ألا رب نفس طاعمة ناعمة
في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ألا رب مهين لنفسه
وهو لها مكرم وروى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي طلحة زوج أمه رضي
الله عنهما قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر
حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه حجرين وانما رفع لهم ليعلمهم أن ليس عنده
ما يستأثر به عليهم وتسلية لهم لا شكاية أي ما بهم من الجوع أصابه فوقه حتى احتاج الى حجرين
وفي قصة جابر رضي الله عنه في حفر الخندق قام صلى الله عليه وسلم الى الكدية وبطنه معصوب
بحجر وما أحسن قول البوصيري رحمه الله

وشد من سغب أحشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الادم

والكشح ما بين الخاصرة واقصر ضلع وانما حصل له الجوع في بعض الاوقات ليحصل له تضعيف
الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى أن من رآه لا يظن به جوعا وانما يعرفه بعض الخواص
كأبي طلحة بالصوت ونحوه لان جسمه صلى الله عليه وسلم كان يرى أشد نضارة وحسنا من
أجسام المترفين المتلذذين بالنعم في الدنيا وهذا المعنى هو الذي قصده البوصيري رحمه الله بقوله
مترف الأدم أي حسن الجلد ناعمه وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من
سغب أي جوع خاف أن يتوهم ان جسمه الشريف يظهر فيه أثر الجوع وهو الضعف فاحترس
ورفع الايهام بقوله مترف الأدم وحصول الجوع في بعض الاوقات لا ينافي قوله صلى الله عليه
وسلم حين سألوه عن مواصلته في الصوم لست كأحدكم ان ربي يطعمني ويسقيني لان كلا
منهما حصل له في وقت فأحاديث الوصال تدل على انه يستغني عن الطعام والشراب في بعض
الاوقات وان الله يعطيه قوة الآكل الشارب فيها وفي بعض الاوقات يحصل له شيء من الجوع

حتى يظهر لبعض أصحابه و يكون حكمة ذلك حصول الاجر والثواب وليقتدوا به و يتصبروا واذا حصل لهم شئ من ذلك فهو تشريع لهم ولمن بعدهم ايزهدوا فى الدنيا و يتقللوا منها وقيل ان عصب الحجر على البطن ليس لاجل الجوع بل لأن عادة العرب أو أهل المدينة ان يفعلوا ذلك اذا خلت أجوافهم وغارت بطونهم ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم تطييبا لقلوبهم بفعل ما يعتادون فعله وليعلموا انه ليس عنده ما يستأثر به عليهم ومن زهده صلى الله عليه وسلم انه أوتى مفاتيح خزائن الارض فأعرض عنها وفتح كثير من البلاد فى حياته صلى الله عليه وسلم وجاءته أموالها فقسمها بين أصحابه وما استأثر بشئ منها ولا أمسك دينارا ولا درهما بل صرفها فى مصارفها و بالجملة فما من خلق كريم الا واتصف صلى الله عليه وسلم بأكمله وأعلاه وفى الشفاء عن على رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته أى طريقته المبنية على شريعته وحقيقته فقال المعرفة رأس مالى والعقل أصل دينى والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة بالله كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضى غنيمتى والفقر فخرى والزهد حرفتى واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلاة وفى رواية وثمرة فؤادى فى ذكر ربى وغمى لاجل أمتى وشوقى الى ربى قال ملا على القارى فى شرحه على الشفا والمصنف ثبت ثقة حجة فالظن به انه ما رواها أى هذه الالفاظ الا عن بينة اه ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم التى اختص بها امداده بالملائكة ورؤية أصحابه لهم وقتالهم معه ومع أصحابه يوم بدر حتى هزموا المشركين وكانوا زهاء ألف والمسلمون ثلثمائة وثلاثة عشر حتى سمع بعض الحاضرين زجر الملائكة خيلها و بعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان يومئذ على دين قومه رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض وأرى النبى صلى الله عليه وسلم مرة جبريل لعمه حمزة رضى الله عنه فخر مغشيا عليه من عظمته وهيئته وحديثه رواه البيهقى وفى مسلم ان الملائكة كانت تسلم على عمران بن حصين رضى الله عنهما وعنا بهما وروى ابن سعد انها كانت تصافحه ﴿ومن دلائل نبوته﴾ صلى الله عليه وسلم ما تتابعت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعن الكهان على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش وما جاء عن علماء أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته كما تقدم بسطه أول الكتاب فى مواضعه قال كعب الاحبار نجد فى التوراة محمد رسول الله عبدى المختار مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحامدون يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء وقال وهب بن منبه فى الزبور يا داود سيأتى من بعدك نبى يسمى أحمد ومحمدا صادقا سيدا لا أغضب عليه أبدا وقد غفرت له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة وأعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء وروى البيهقى أنه

لما قدم الجارود بن العلاء وكان أسقف النصارى على النبي صلى الله عليه وسلم ورآه وتحقق صفاته قال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك في الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن أكرمك لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فاني أشهد أن لا اله الا الله وأنك محمد رسول الله وفي دلائل النبوة للبيهقي ان ثلاثة من اليهود أسلموا على يد النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر وأخبر وأن حبرا من يهود الشأم يقال له ابن الهيبان قدم المدينة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فأقام عند اليهود فكانوا يستسقون به فحضرته الوفاة فجاؤه فقال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الرخاء الى أرض البؤس قالوا أنت أعلم قال انما خرجت أتوقع مبعث نبي قد أظل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلا يسبقكم اليه أحد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبي ذراريهم ثم مات فلما فتحت خيبر قال أولئك النفر الثلاثة وكانوا شبابا انا أجدادنا يا معشر يهود والله انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ما هو به قالوا بلى ثم نزلوا وأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهليهم في الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما ذكر في التوراة من صفاته وصفات أمته قال موسى رب اني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال اني أجد فيها أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال أجد أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد وفي الزبور يا داود يأتي بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صدوقا سيدا أمته مرحومة افترضت عليهم أن يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبياء وامرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الانبياء وأمرتهم بالحج والجهاد يا داود اني فضلت محمدا وأمته على الامم كلها أعطيتهم ست خصال لم أعطها غيرهم لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه لآخرتهم طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافا مضاعفة ولهم في المذخور عندي أضعاف مضاعفة وأعطيتهم على المصائب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة والهدى والرحمة الى جنات النعيم فان دعوني استجبت لهم فاما ان يروه عاجلا أو أصرف عنهم سوءا أو أدخره لهم في الآخرة ومما أخبر الله به في القرآن انه مذكور في التوراة والانجيل من صفاته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ولو لم يكن هذا مكتوبا عندهم في التوراة لكان الاخبار به على خلاف الواقع من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول دعوته صلى الله عليه وسلم لان الكذب والبهتان من أعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقاله فلما قال لهم هذا دل على

ان ذلك النعت كان مذكوراً فى التوراة والانجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته لكن أهل الكتاب كما قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمداً صلى الله عليه وسلم كما عرفوا أبناءهم وحرفوا ما وجدوه فى التوراة والانجيل وبدلوه ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وفى البخارى عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أى وكان عبد الله ممن قرأ التوراة قلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا أيها النبى انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعيناً عميا وآذاناً صما وقلوباً غلفا وفى رواية لابن اسحاق ولا صخب بالاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ثم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمى به بعد النكرة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وأخرج ابن سعد مما هو مذكور فى بعض الكتب المنزلة ان ابراهيم عليه السلام لما أمر باخراج هاجر حملها على البراق فكان لا يمر بأرض عذبة سهلة الا قال أنزل ههنا يا جبريل فيقول له لا حتى أتى مكة فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبى الذى من ذرية ابنك الذى تتم به الكلمة العليا وفى التوراة مما هو مختار بعد الحذف والتحريف والتبديل ما ذكره ابن ظفر وابن قتيبة فى اعلام النبوة تجلى الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فسيناء هو الجبل الذى كلم الله فيه موسى عليه السلام وساعير هو الجبل الذى كلم الله فيه عيسى فظهرت فيه نبوته وجبال فاران هى جبال بنى هاشم التى بمكة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يتحنث فى احدها وفيه فاتحة الوحى وهو حرا قال ابن قتيبة ولا اشكال فى هذا لان تجلى الله من سيناء انزاله التوراة على موسى عليه السلام بطور سيناء ويجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وأن يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهى جبال مكة وليس بين المسلمين وأهل الكتاب فى ذلك اختلاف فان قال قائل منهم ان جبال فاران ليست بمكة قلنا له أليس فى التوراة ان الله أسكن هاجر واسماعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران والنبى الذى أنزل عليه كتاباً بعد المسيح أوليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الاسلام وفشا فى مشارق الارض ومغاربها

فتشوه قال فى المواهب وفى التوراة أيضا مما ذكره ابن ظفر فى اثناء خطاب لموسى عليه السلام والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه ما نصه وسأقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم وأجعل كلامى فى فمه فيقول لهم كل شئ أمرته وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمى فانى أنتقم منه وفى هذا الكلام أدلة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بنى اسحاق واخوتهم بنو اسماعيل ولو كان هذا النبى الموعود به من بنى اسحاق لكان من أنفسهم لا من اخوتهم ولقوله نبيا مثلك وقد قال فى التوراة لا يقوم فى بنى اسرائيل أحد مثل موسى عليه السلام وفى ترجمة أخرى مثل موسى لا يقوم فى بنى اسرائيل أبدا فذهبت اليهود الى أن هذا النبى الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفؤا لموسى عليه السلام بل كان خادما له فى حياته ومؤكدا لدعوته بعد وفاته فتعين أن يكون المراد به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفؤ موسى لانه ماثله فى نصب الدعوة والتحدى بالمعجزة وشرع الاحكام واجراء النسخ على الشرائع السالفة وقوله تعالى أجعل كلامى فى فمه واضح فى ان المقصود به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه أوحى اليه بكلامى فينطق به على ما سمعه ولا أنزل صحفا ولا ألواحا لانه أمى لا يحسن أن يقرأ المكتوب وفى الانجيل عن عيسى عليه السلام انى أطلب الى ربى فارقليط يكون معكم الى الابد وفيه أيضا على لسانه فارقليط روح القدس الذى يرسله ربى باسمى أى بالنبوة يعلمكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته وانى قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفيه أيضا أقول لكم الآن حقا انطلاقى عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت أرسلت به اليكم فاذا جاء يفند العالم ويؤنبهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر روح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه وفيه أيضا مما ذكره ابن ظفر بأن فى الدر المنظم عن المسيح عليه السلام انه قال أنا أطلب لكم من الله أن يعطيكم فارقليط آخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذى لن يطيق العالم أن يقتلوه فهذا تصريح بأن الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب عنه فى تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت النصارى فى تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص أفضى بنا الامر الى أن المخلص رسول يأتى بخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبى مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح فى الانجيل انى جئت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذى وصف نفسه بأنه مخلص العالم وهو الذى سأل الله أن يعطيكم فارقليط آخر ففى مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط أول حتى يأتى فارقليط آخر وان نزلنا معهم على القول بأنه الحامد فأى لفظ أقرب الى أحمد ومحمد من هذا وفى بعض تراجم الانجيل ان الفارقليط هو رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو مصدق بالمسيح ويعلم الخلق كل شئ ويذكرهم وفى الانجيل الفارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من

ألقاه نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث وفيه أيضا فاذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمعه من الذي أرسله وهذا كما قال تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى قال ابن ظفر فمن ذا الذي وبخ العالم على كتم الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن ذا الذي أنذر بالحوادث وأخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در أبي محمد الشقراطسي حيث قال

توراة موسى أتت عنه فصدقها * انجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت * عما رأوا ورووا في الأعصر الأول

ويعجبني قول العارف الرباني أبي عبد الله بن النعمان

هذا النبي محمد جاءت به * توراة موسى للأنام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق * ذكر لأحمد معرب ومذكر

وفي الدلائل للبيهقي عن الحاكم بسند لا بأس به عن أبي امامة الباهلي عن هشام بن العاص الأموي قال بعثت أنا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه أرسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج حريرة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء فاذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ير مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله تعالى قال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فاذا فيها صورة بيضاء فاذا رجل أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا آخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضاء فاذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله ونبينا قال والله انه لهو ثم قام قائما ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه كأنه ينظر اليك فأمسك ساعة ينظر اليها ثم قال اما والله انه لآخر البيوت ولكني عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم عليهم السلام قال قلنا له من أين لك هذه الصورة فقال ان آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الانبياء من ولده فأنزل الله عليه صورهم فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ووضعها عند دانيال عليه السلام وفي الزبور في مزبور أربعة وأربعين فاضت النعمة من شفتيك من أجل هذا بارك الله الى الابد تقلد أيها الجبار السيف فان شرائعك وسننك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك فهذا المزبور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هي القول الذي يقوله وهو الكتاب الذي أنزل عليه والسنة التي سنها وفي قوله تقلد أيها الجبار دلالة على انه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيوف أمة من الامم سوى العرب فكلهم يتقلدون بها على عواتقهم وفي قوله فان شرائعك وسننك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بهيبة يمينه والجبار

هو الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه قال قرأت في بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانزلن على جبال العرب نورا يملأ ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسماعيل نبيا عربيا أميا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الارض كلهم يرضى بالله ربا وبه رسولا ويكفرون بملل آبائهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست أسماؤك لقد كرمت هذا النبي وشرفته قال الله ياموسى اني أنتقم من عدوه في الدنيا والآخرة وأظهر دعوته على كل دعوة وأذل من خالف شريعته بالعدل ربيته وللقسط أخرجته وعزتي لاستنقذن به أمما من النار فتحت الدنيا بابراهيم واختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بري. نقله في المواهب عن ابن ظفر ﴿ومن دلائل نبوته﴾ صلى الله عليه وسلم خبر ورقة بن نوفل بن أسد فانه عرف نبوته عن الرهبان وقد أخبرته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بما رأته منه من أعلام النبوة وبما أخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبي هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر وهذا زمانه ثم انه كان يستبطئ الامر حتى قال

تبكر أم أنت العشية رائح * وفي الصدر من اضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لاأحب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح
فأخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فذاك الذي ياخير بيت وحرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاصح
الى سوق بصرى والركاب التي غدت * وهن من الاحمال قعص ذوابح
يخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق أبواب لهن مفاتح
بان ابن عبد الله أحمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظني به أن سوف يبعث صادقا * كما بعث العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الذكر واضح
وتتبعه حيا لؤى جماعة * شبابهم والاشيبون الجحاجح
فان أبق حتى يدرك الناس دهره * فاني به مستبشر الود فارح
والافاني ياخديجة فاعلمي * عن ارضك في الارض العريضة سائح

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ماذكره بعضهم من انه صحابي بل هو أول الصحابة بناء على انه اجتمع به بعد الرسالة اذ صح انه أتاه بعد مجيء جبريل عليه السلام اليه واخباره له عن ربه بانه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذي خلق عليه وبعد قول ورقة له أبشر فانا أشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على ناموس عيسى وانك نبي مرسل وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم رآه في الجنة وعليه ثياب خضر وفي مستدرك الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال لاتسبوا ورقة فاني رأيته في الجنة وعليه جبة أو جبتان قال ملا علي القاري في شرح الشفا وأما

مانقله الذهبي عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة قبل الرسالة فواه جدا ورده
ما في صحيح البخاري عنه صريحا وبالجملة فأخبار الاحبار والرهبان الواردة في ذكره صلى الله
عليه وسلم وشهادتهم بأنه النبي الموعود به لا تكاد تنحصر وانما امتنع من امتنع منهم من
الدخول في الاسلام حسدا وعنادا واختيارا للبقاء على الشقاء وقد قرع اسماعهم بأنه مذكور
في كتبهم وان صفته عندهم كذا وصفة أصحابه كذا كقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه
أشداء على الكفار الى قوله ذلك مثلهم في التوراة ثم قال ومثلهم في الانجيل كزرع الآية فقد
احتج عليهم صلى الله عليه وسلم بما انطوت عليه صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه ولَيِّهم
ألسنتهم ببيان أمره وتبيان ذكره ودعاهم الى المباهلة فامتنعوا الا من فر عن معارضته وعن
ابداء ما ألزمهم باظهاره من كتبهم كآية الرجم وغيرها ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره
أهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال ﴿ومن دلائل نبوته﴾
صلى الله عليه وسلم ما سمع من أجواف الاصنام وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم
والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم وأكثر ذلك مشهور وتقدم
جملة من ذلك أول هذا الكتاب وكان ذلك سببا للاسلام كثير ممن شاهدوه ﴿ومن دلائل
نبوته﴾ صلى الله عليه وسلم ما ظهر من خوارق العادات عند مولده وفي أيام رضاعه عند حليمة
رضي الله عنها وما حكته أمه آمنة في مدة حملها وعند ولادتها وما حكاه من حضر مولده من العجائب
كما تقدم ذلك كله مبسوطا في باب ذكر الخوارق التي ظهرت في رضاعه وقبله وبعده أيضا
فارجع اليه ان شئت ﴿ومن دلائل نبوته﴾ صلى الله عليه وسلم انه كان لا ظل لشخصه
في شمس ولا قمر لانه كان نورا وكان لا يقع الذباب على جسده ولا ثيابه قال القاضي عياض قد
أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها
الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرناه وبحسب هذا الباب لو تقصى أن يكون ديوانا
جامعا يشتمل على مجلدات عديدة ومعجزات نبينا أظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين أحدهما
كثرتها وثانيهما انه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو أبلغ منها
أما كثرتها فهذا القرآن وكله معجز وأقصر سورة منه معجزة وكل آية منه كذلك وقال بعضهم
كل جملة منه معجزة وفي القرآن نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف واعجازه من طريق
بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء معجزتان فتضاعف العدد ثم فيه وجوه اعجاز آخر من
الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها
بنفسه معجز فتضاعف العدد وان نظرت الى بقية وجوه الاعجاز المتقدمة أوجب ذلك التضعيف
الى ما لا يكاد يحصى ولا يستقصى هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي
الحصر براهينه ثم ان الاخبار والاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أبواب خوارق
العادات والاخبار بالمغيبات تبلغ نحو ذلك من التضعيف مع ما في معجزاته صلى الله عليه وسلم

من الشهرة والوضوح وكانت معجزات الرسل على حسب حال أهل زمانهم فلما كان زمن موسى
عليه السلام كان غاية علم أهله السحر فبعث الله اليهم موسى عليه السلام بمعجزة تشبه ما يدعون
قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكان في زمن عيسى
عليه السلام أوفر ما كانوا عليه الطب فجاءهم بأمر لا يقدرون عليه وأتاهم بما لم يحتسبوا من
احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص دون معالجة للطب وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم
الصلاة والسلام كانت بقدر علم أهل زمانهم ثم ان الله بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم
وجملة معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة المقرونة بالفصاحة والشعر والاخبار بانساب
العرب وأيامها ووقائعها والكهانة وهي مزاولة الخبر عن الكائنات واظهارها وادعاء معرفة
أسرارها فأنزل الله القرآن الخارق لهذه الاربعة بسبب ما فيه من الفصاحة والبلاغة
الخارجة عن نمط كلامهم ومن السبك الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم
الى طريقه ولا علموا في أساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الحوادث والاسرار والمخبآت
التي كانت على وفق ما أخبر فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من
أصلها برجم الشياطين بالشهب وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وأنباء الانبياء والامم
البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه ثم بقيت هذه المعجزة أعني
القرآن بما فيه ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه
وتأمل وجوه اعجازه منضما الى ما أخبر به من الغيوب فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه
بظهور ما أخبر به على وفق ما أخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان
وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان
كل عندها حقا وجميع معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بانعدامهم ومعجزة نبينا
صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم
بقوله فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من
الانبياء نبي الا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه
الله الي فأرجو اني أكثرهم تابعا يوم القيامة وقوله ما من الانبياء نبي الا أعطي ما مثله آمن
عليه البشر معناه ليس نبي منهم الا أعطاه الله من المعجزات شيئا ألجأ من شاهده الى الايمان به
فخص كل نبي بما أثبت دعواه من خوارق العادة التي أعطاه مولاه في زمانه وبعد انقراضه
اختفى شأنه ولم يبق سلطانه ولم يلمع برهانه كقلب العصا لموسى حية تسعى وانما كان الذي أوتيت
وحيا معجزا في أعلى طبقات البلاغة وأقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على
السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة فلذا رتب عليه قوله فأرجو
أي بسبب بقائه وظهور ضيائه أني أكثرهم تابعا وقيل المراد انه وحي وكلام لا يمكن فيه التخييل
ولا التحيل فان غير معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم قد قصد المعاندون ابطالها بأشياء طمعوا

فى التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وما أشبه ذلك مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للتخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر وخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه ثم ان عجز العرب عن معارضته من أكبر آياته وهو من جنس مقدورهم ورضوا بالبلاء والعناء والجلاء من أوطانهم والسبي والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد فذلك أبين آية واظهر علامة وأبهر دلالة للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته فعجزهم عما هو من جنس مقدورهم أبلغ من خرق العادة بالافعال البديعة فى أنفسها كقلب العصا حية ونحوه فانه قد يسبق الى بال الناظر مبادرة قبل التأمل ان ذلك من الاختصاص بمزيد المعرفة فى ذلك الفن كما توهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر بخلاف مالا يعرف انه معجز الا بالتأمل والفكر فانه حينئذ يتحقق الفهم ويضمحل الوهم ويتبين للقلب الحى ان قلب العصا حية ونحوه مما لا يدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل الفاعل القوى القادر والتحدى للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يفعلوا مع توفر الدواعى على المعارضة ابلغ واظهر من خرق العادة بغيره ولما دقت أنظار العرب وتوفرت عقولهم وكان لهم من الادراك ما ليس لغيرهم جاءتهم الآيات المحتاجة لدقة النظر وحسن المعرفة بوجوه الاعجاز وأما غيرهم من القبط قوم فرعون وبنى اسرائيل قوم موسى عليه السلام وغيرهم ما عدا العرب فانهم لم يكونوا بهذه الطريقة بل كانوا على غاية من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم فاستخف قومه فأطاعوه وأضل فرعون قومه وما هدى وجوز عليهم السامرى ربوبية العجل فعبدوه بعد ايمانهم وعبدت طائفة من بنى اسرائيل المسيح عيسى عليه السلام فجاءتهم من الآيات الظاهرات البينة للابصار بقدر غلاظ أفهامهم مالا يشكون فيه ومع هذا قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير والعرب مع جهلها بأمور الشريعة والديانة أكثرها يعترف بوجوب الصانع وانما كانت تشرك معه غيره ومنهم من آمن بالله وحده قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ومنهم من أدرك بعثته صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم بكتاب الله فهموا حكمته لحدة فطنتهم وتبينوا بفضل ادراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا وا كتسبوا احسانا وايقانا ورفضوا الدنيا كلها فى صحبته وبمن همته وبركة متابعته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم فى نصرته فجميع هذه الاشياء لم توجد فى غير القرآن من بقية المعجزات ولم تكن لغير نبينا صلى الله عليه وسلم من أوتى خوارق العادات وأما كونه لم يؤت أحد من الانبياء شيئا من المعجزات الا وعند نبينا مثلها أو أبلغ منها فقد تصدى العلماء لبيان ذلك فقالوا انه صلى الله عليه وسلم أعطى ما أعطيه جميع الانبياء عليهم الصلاة

والسلام واختص باشياء لم يعطها أحد غيره فمن ذلك أنه أوتى جوامع الكلم وكان نبيا وآدم بين الروح والجسد وغيره من الانبياء لم يكن نبيا الا فى حال نبوته أى بعد بعثته وزمان رسالته ولما اعطى صلى الله عليه وسلم هذه المنزلة علمنا أنه الممد لكل انسان كامل مبعوث فمنه أفاض الله على جميع من تقدمه من الانبياء والمرسلين أحوالا كثيرة زيادة على ماعندهم من الفضائل ويرحم الله الابوصيرى حيث يقول

وكل آى أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

يعنى أن كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل واحد من نور محمد صلى الله عليه وسلم الذى أوجده الله قبل وجوده فى هذا العالم وما أحسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطى أن نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قائما به ولم ينقص منه شئ ولو قال فانما هى من نوره لتوهم أنه وزع عليهم وقد لا يبقى منه شئ وانما كانت آيات كل واحد من نوره صلى الله عليه وسلم لانه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن أى تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس فى الظلم فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هى مستمدة من الشمس فهى عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل وجوده عليه الصلاة والسلام كانوا يظهرون فضله بالصفات التى اشتملوا عليها وأوصلوها الى أممهم فانها وصلت اليهم من نوره صلى الله عليه وسلم والحاصل أن جميع ماظهر على أيدى الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين قبله صلى الله عليه وسلم من الانوار فانما هو من نوره الفائض الكثير الذى عم المشارق والمغارب ومدده الواسع من غير أن ينقص منه شئ فيكون ذلك كنور السراج اذا أوقد من نحو شمعة فنورها لم ينقص منه شئ ونور السراج نشأ من نورها مع بقاء نورها بجملته وأول ماظهر ذلك فى آدم عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة وأمده بالاسماء من مقام جوامع الكلم التى لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم توالت الخلفاء فى الارض أى تتابعت الرسل بعد آدم عليه السلام الى عيسى عليه السلام فلما أراد الله ابراز صورة جسم نبينا صلى الله عليه وسلم لاظهار منزلته وشرفه عند الله ظهر اندراج كل نور فى نوره وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها فى صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة الا وقد أعطى صلى الله عليه وسلم مثلها لجمعه مافرق فيهم فآدم عليه السلام أعطى أن الله خلقه بيده فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره فقد تولى الله شرح صدره وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوى قال تعالى ألم نشرح لك صدرك فتولى من آدم عليه السلام الخلق الوجودى ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق النبوى مع أن المقصود من خلق آدم خلق نبينا فى صلبه فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود وآدم الوسيلة والمقصود

سابق على الوسيلة وأما سجود الملائكة لآدم فقال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره ان الملائكة أمروا بالسجود لآدم لاجل أن نور نبينا صلى الله عليه وسلم كان فى جبهته ظاهرا ولله در القائل

تجليت جل الله فى وجه آدم * فصلى له الاملاك حين توسل

وفى المواهب عن الامام سهل بن محمد قال هذا التشريف الذى شرف الله به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية أتم وأجمع من تشريف آدم عليه الصلاة والسلام بأمر الملائكة له بالسجود لانه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة فى ذلك التشريف لاستحالته فى حقه سبحانه اذ السجود من صفات الاجسام فالتشريف الذى يصدر عنه تعالى وعن الملائكة والمؤمنين أبلغ من تشريف تختص به الملائكة وهو السجود وأما تعليم آدم الاسماء فقد روى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى رافع والحاكم من حديث أم حبيب رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلت لى أمتى فى الماء والطين وعلمت الاسماء كلها كما علم آدم الاسماء كلها بل هو صلى الله عليه وسلم علم الاسماء والمسميات وحقائقها وخواصها وأسرارها ومنافعها ومضرتها فذات العلوم وحقائقها له صلى الله عليه وسلم والذى لآدم من ذلك بالنسبة له صلى الله عليه وسلم الاسماء فقط ولله در الابوصيرى حيث يقول

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الاسماء

ولا ريب أن المسميات أعلى من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهى المقصودة بالذات واليه الايماء بقوله لك ذات العلوم والاسماء مقصودة لغيرها وهو المسميات فهى دونها ففضل العالم بحسب فضل معلومه فنبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من آدم عليه السلام وأما ادريس عليه الصلاة والسلام فرفعه الله مكانا عليا وأعطى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره لا رسول ولا ملك وأما نوح عليه الصلاة والسلام فنجاه الله ومن آمن معه من الغرق وأعطى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نظير ذلك وهو اطفاء نار الحرب عنه عليه الصلاة والسلام أى ابطال مكايد الكفار التى كانوا يديرونها الحرب به وناهيك بنار حطبها السيوف وجمرها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله فكم أرادوا أن يطفؤا النور بالنار وأبى الجبار الا أن يتم نوره وأن يخمد شرورهم ويحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم سروره وظهوره وفى المواهب انه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج مر على بحر النار الذى دون سماء الدنيا مع سلامته منه وروى النسائى أن محمد بن حاطب رضى الله عنه قال كنت طفلا فانصبت القدر على واحترق جلدى كله فحملنى أبى وفى رواية أمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه الصلاة والسلام فى جلدى ومسح بيده على المحترق وقال أذهب البأس رب الناس فصرت صحيحا لا بأس بى ورواه الامام أحمد

أيضا والبخاري في تاريخه وقد خمدت نار فارس لنبينا صلى الله عليه وسلم وكان لها ألف عام لم تخمد وروى ابن سعد عن عمرو بن ميمون قال أحرق المشركون عمار بن ياسر رضي الله عنهما بالنار فكان صلى الله عليه وسلم يمر به ويمر يده على رأسه فيقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم وروى أبو نعيم عن عباد بن عبد الصمد قال أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فقال يا جارية هلمي المائدة نتغدى فأتت بها ثم قال هلمي المنديل فأتت بمنديل وسخ فقال أسجري التنور فأوقدته فأمر بالمنديل فطرح فيه فخرج أبيض كأنه اللبن فقلنا ما هذا قال هذا منديل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح به وجهه فاذا اتسخ صنعنا به هكذا لان النار لا تأكل شيئا مر على وجوه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد ألقي غير واحد من أمته صلى الله عليه وسلم في النار فلم تؤثر فيه روى ابن وهب عن ابن لهيعة أن الاسود العنسي لما ادعى النبوة وغلب على صنعاء أخذ ذؤيب بن كليب فألقاه في النار لتصديقه بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم تضره النار فذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه بالمدينة فقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم الخليل وروى ابن عساكر أن الاسود بن قيس العنسي بعث الى أبي مسلم الخولاني فأتاه فقال أتشهد اني رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فأتى بنار عظيمة فألقاه فيها فلم تضره فقيل للاسود ان لم تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فقدم المدينة وقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من صنع به كما صنع بابراهيم عليه الصلاة والسلام وأما ما أعطيه ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة فقد أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة ومما أعطيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام انفراده في الارض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للاصنام بالكسر والقسر وقد أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها بحضرة من أولى نصرها عام الفتح وهم أذلاء لا يستطيعون نصره وكان كسرها بقضيب ليس مما يكسر الا بقوة ربانية ومادة الهية اجتزأ فيها بالانفاس عن الفاس وما عول على المعول ولا عرض في القول بل قال جهرا غير مسر جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان وتقدم بسط ذلك ومما أعطيه الخليل عليه السلام بناء البيت الحرام الذي بوأه الله له ولا خفاء ان البيت جسد وروحه الحجر الاسود بل هو سويداء القلب بل جاء انه يمين الرب وذلك على التمثيل ولله المثل الاعلى روى الديلمي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله ومسحه كناية عن استلامه كما تستلم الايمان بفتح الهمزة جمع يمين وهو العضو المخصوص عند عقد العهود والمعنى انه يستلم باليد كما يستلم من أراد عهدا أو يمينا يمين صاحبه عند المعاهدة والحلف كما كانت عادتهم وقد أعطى الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم

أن وضعه بيده كما تقدم قبيل باب ما جاء فى شأنه عن أحبار اليهود وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة
والسلام من قلب العصا حية غير ناطقة فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حنين الجذع
وقد مرت قصته مفصلة وكذا مشى الاشجار بين يديه وتكليمها له فان ذلك أعجب من العصا ولما
أراد أبو جهل أن يرميه عليه الصلاة والسلام بالحجر رأى عند كتفيه صلى الله عليه وسلم ثعبانين
فانصرف مرعوبا كما انصرف فرعون مرعوبا عند القاء العصا وأما ما أعطيه موسى عليه
الصلاة والسلام من اليد البيضاء النورانية من غير سوء أى برص فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل فى أصلاب الآباء وبطون الامهات من لدن آدم الى أن انتقل الى
عبد الله أبيه ثم منه الى أمه آمنة وكان بينا ظاهرا فى جباههم وتقدم تفصيل ذلك وأعطى النبى
صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وقد صلى العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق
به فانه سيضىء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه
حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى
خرج رواه أبو نعيم والامام أحمد والطبرانى وأخرج البيهقى وصححه الحاكم عن أنس رضى الله
قال كان عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضى الله عنهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة
فتحدثا عنده حتى ذهب من الليل ساعة فى ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما
عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا فى ضوئها اكراما لهما ببركة نبيهما صلى الله عليه وسلم
حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى
بلغ مقصده رواه البخارى وغيره وأخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وأبو نعيم عن حمزة بن
عمرو الاسلمى رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء
فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم أى ركابهم وما سقط من متاعهم وان أصابعى لتنير
أى تضىء ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام أيضا انفلاق البحر فأعطى نبينا صلى الله
عليه وسلم انشقاق القمر فهو نظير انفلاق البحر بل أعظم فموسى تصرف فى عالم الارض بضربه
البحر بعصاه فانفلق وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف فى عالم السماء لما سأل الله انشقاق
القمر حين طلبوه منه والفرق بينهما واضح فاذا عرضت الآيتين على العقول حق العرض
سمت آية السماء على آية الارض وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى
المكفوف تكون بحار الارض بالنسبة اليه كالقطرة فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى
الله عليه وسلم ليلة الاسراء حتى جاوزه وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام لان بحار
الارض قد يقع فيها زوال الماء فى مواضع منها بحيث يمكن المشى فى الارض التى بها والبحر الذى
بين السماء والارض لا مقر له من الارض حتى يسلك فيه بل هو على صفة الله أعلم بها ومما أعطيه
موسى عليه الصلاة والسلام اجابة دعائه فى قوله رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل
عقدة من لسانى يفقهوا قولى الآية قال تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى وقال ربنا اطمس على

أموالهم واشدد على قلوبهم قال الله تعالى قد أجيبت دعوتكما وأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك أعني اجابة الدعاء مالا يحصر كما تقدم كثير من ذلك ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام تفجير الماء له من الحجارة كما قال تعالى وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الماء تفجر من بين أصابعه وهذا أبلغ في المعجزة لان الحجر من جنس الارض التي ينبع الماء منها بل قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم بل لم يقع لغير المصطفى صلى الله عليه وسلم ويرحم الله القائل

وكل معجزة للرسل قد سلفت * وافى بأعجب منها عند اظهار
فما العصا حية تسعى بأعجب من * شكوى البعير ولا من مشي أشجار
ولا انفجار معين الماء من حجر * أشد من سلسل من كفه جار

ومما أعطيه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام الكلام فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والتدلي والقرب المعنوي مع الرؤية التي منعها موسى عليه السلام وأما ما أعطيه هارون عليه الصلاة والسلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل وتقدم تفصيل ذلك وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام من شطر الحسن فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله ومن تأمل ما تقدم في نعوته وشمائله صلى الله عليه وسلم تبين له التفضيل لنبينا صلى الله عليه وسلم على كل مشهور بالحسن في كل جيل وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام أيضا من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك نزر يسير بالنسبة لما أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك لانه أعطى من ذلك ما لا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الآثار وجد من ذلك العجب العجاب وأما ما أعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد فكان في يده كالعجين والشمع يفرقه كيف شاء من غير احماء ولا طرق بآلة ولا قوة فأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر في يده وأورق ومسح صلى الله عليه وسلم شاة أم معبد الجرباء الهزيلة فدرت وقد تقدمت قصتها وأما ما أعطيه سليمان عليه الصلاة والسلام من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزيادة أما كلام الطير والوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى حتى سمعه الحاضرون وتكليم الجماد أغرب من تكليم الحيوان وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم تفصيل ذلك وذلك أقوى في الاعجاز وأبلغ من احياء الانسان لانه جزء حيوان دون بقيته فهو معجزة لو كان متصلا بالبدن فكيف وقد أحياه الله وحده منفصلا عن بقيته مع موت البقية فصار الجزء حيا قادرا على النطق ولم يكن حيوانية تكلم فهو أبلغ من احياء الموتى لعيسى عليه السلام واحياء الطيور لابراهيم عليه السلام وكذلك كلمه الظبي والضب وشكا

إليه البعير وتقدم كل ذلك. فصلا وروى ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه صلى الله
عليه وسلم ويكلمه فقال أيكم فجع هذا بولده فقال رجل أنا فقال اردده رواه أبو داود
والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه وقصة كلام الذئب مشهورة وقد تقدمت وأما الريح
التي سخرها الله لسليمان عليه السلام فكان غدوها شهرا ورواحها شهرا وكانت تحمله أينما
أراد من أقطار الارض فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذي هو أسرع من
الريح بل أسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في ساعة زمانية وأقل مسافة
ذلك سبعة آلاف سنة وتلك مسافة السموات وأما الى المستوى والرفرف فذلك مالا يعلمه الا الله
وهذا كله بناء على ان العروج الى السموات كان على البراق والذي اختاره السيوطي ان
العروج كان على المعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم والاسراء على البراق انما كان لبيت
المقدس وأيضا فالريح سخرت لسليمان عليه السلام لتحمله لنواحي الارض ونبينا صلى الله عليه
وسلم زويت له الارض حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى
إليه الارض وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين فقد روى ان أبا الشياطين ابليس اعترض
سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فأمكنه الله منه وربطه بسارية من سواري
المسجد وهذا أمكن ومما زاده صلى الله عليه وسلم على سليمان ايمان الجن به صلى الله عليه
وسلم فسليمان عليه السلام استخدمهم ولم يؤمنوا به والنبي صلى الله عليه وسلم استسلمهم ولا شئ
أعلى من الاسلام وأما عد الجن والطير من جنود سليمان عليه السلام في قوله تعالى وحشر
لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فنظيره عد الملائكة جبريل ومن معه في جملة اجناده
باعتبار الجهاد في بدر العظمى وباعتبار تكثير السواد في غيرها لارهاب العدو على طريقة
الاجناد وتعشيش حمامة الغار وتوكيرها في الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه اذ الغرض
من استكثار الجند انما هو الحماية من الاعداء وقد حصلت حمايته صلى الله عليه وسلم منهم
بذلك التعشيش وأما ما أعطيه سليمان عليه السلام من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير
بلا طلب بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيا عبدا ولله
در القائل * ياخير عبد على كل الملوك ولى * أي جعلت له الولاية عليهم وكفى بذلك شرفا
وأما ما أعطيه عيسى عليه الصلاة والسلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله فقد
أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه رد العين لقتادة رضي الله عنه الى مكانها بعد ما سقطت
فعادت أحسن ما كانت وروى ان امرأة معاذ بن عفراء رضي الله عنه كانت برصاء فشكت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصا فأذهب الله عنها البرص ولم يعاوده
[illegible] أجنبية وتقدم تسبيح الحصى في كفه وتسليم الحجر عليه وحنين الجذع لفراقه وذلك أبلغ
من تكليم الموتى لان هذا من جنس مالا يتكلم فحلول الحياة والادراك والعقل في الحجر الذي
يخاطبه صلى الله عليه وسلم أبلغ من حياة الحيوان لانه كان محلا للحياة في وقت بخلاف

الحجر لا حياة فيه قبل ذلك بالكلية قال أبو نعيم ونظير خلق الطين طيرا جعل العسيب سيفا
كما تقدم وفي دلائل النبوة للبيهقي في قصة الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا أومن الا
حتى تحيي لي ابنتي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أرني قبرها فأراه اياه فأتاه فقال يا فلانة
فقالت لبيك وسعديك وتقدمت القصة بتمامها والحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم شارك
عيسى في ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وزاد بتكليم الجماد له واحياء الجزء من الميت
بعد انفصاله كما في كلام ذراع الشاة المسمومة ولم يعهد مثله لغيره صلى الله عليه وسلم وأما نزول
المائدة فكانت محنة لبني اسرائيل لا نعمة ولذلك لعنوا بسببها لما كفروا بها وعلى تقدير
الكرامة فهي اجابة دعوة لعيسى عليه السلام فنظير ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم اجابته حين
خفت أزواد القوم فجمعها فكانت كربضة العنز ولا خفاء انه طعام أقل من العشرة فدعا
بالبركة فملأ الناس أوعيتهم والطعام بحاله وهم زهاء ألف ونيف فهذه مائدة نزلت من السماء
وطعاما مباركا قال الله له كن فكان بدون تهديد ولا وعيد ولا تشديد ولا محنة ولا فتنة ولا سد
باب التوبة بتقدير كفران النعمة بل كانت نعمة محضة وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة فخرج الى البرية يلتمس شيأ فقالت امرأته
اللهم ارزقنا ما نعجن ونخبز فاذا الجفنة ملأى خبزا والرحى تطحن والتنور مملوء شواء فجاء زوجها
وسمع الرحى فقامت اليه لتفتح له الباب فقال ماذا كنت تطحنين فأخبرته وان رحاهما لتدور
وتصب دقيقا فلم يبق في البيت وعاء الا ملئ فرفع الرحى وكنس ما حولها فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما فعلت بالرحى قال رفعتها ونفضتها فقال صلى الله عليه وسلم لو تركتموها
ما زالت كما هي لكم حياتكم وفي رواية لو تركتموها لدارت الى يوم القيامة وأما ما أعطي
عيسى عليه السلام من انه كان يعرف ما تخفيه الناس في بيوتهم كما قال تعالى وأنبئكم بما
تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أي بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها فكان يخبر
الشخص بما أكل وبما بقي كل بعد فقد أعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى وتقدم
جملة من اخباره بالمغيبات وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من رفعه الى السماء وهو حي فقد
أعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجاة
وزيادة المحبة ورفعة المنزلة في الحضرة المقدسة بالمشاهدات فهذا تفصيل بعض ما أوتيه في نظير
ما أوتيه الانبياء وبالجملة فقد خص الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من خصائص التكريم
بما لم يعطه أحدا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتفصيل ذلك متعسر أو متعذر وروى الامام
أحمد والبخاري وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود
وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي
أدركته الصلاة فليصل حيث كان زاد في رواية وكان من قبلي انما يصلون في كنائسهم

وفي رواية ولم يكن من الانبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه ونصرت بالرعب مسيرة شهر زاد في رواية يقذف في قلوب أعدائي الرعب من مسيرة شهر وهذه الخصوصية حاصلة له مطلقا حتى لو كان وحده بلا عسكر وأعطيت الشفاعة أي العظمى في اراحة الناس من هول الموقف وفي رواية وأعطيت الشفاعة فاخترتها لامتي فهي لمن لا يشرك بالله شيأ وفي رواية فهي لكم ولمن يشهد أن لا اله الا الله فعلى هذا المراد بالشفاعة الشفاعة الخاصة وليس المراد حصر خصائصه في هذه الخمس المذكورة لان العدد لا مفهوم له فلا ينافي ما ورد من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل جاء في بعض روايات الحديث المتقدم زيادة على الخمس فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وفي رواية وأعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وفي رواية وأعطيت مفاتيح الارض وجعلت أمتي خير الامم وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأعطيت الكوثر في رواية وان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه والحاصل ان خصائصه صلى الله عليه وسلم كثيرة فكان كلما أعلمه الله بشئ منها أعلم أمته به وقد أفردت خصائصه صلى الله عليه وسلم بالتآليف وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ باب في وجوب طاعته ومحبته واتباع طريقته وسنته ﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا يعني من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق أحكام الله فهو في الحقيقة ما أطاع الا الله وذلك في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق فان أحدا لا يقدر على ارشاده وهذه الآية من أقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله تعالى لانه لو أخطأ في شئ منها لم تكن طاعته طاعة الله تعالى وقال تعالى ومن يطع الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الآية وهذا عام في المطيعين لله من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم وعام في المعية في هذه الدار وان فات فيها معية الابدان وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير اني اذا لم أرك اشتقت واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لاني ان دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين فلا أراك فنزلت هذه الآية وروى أيضا عن عكرمة مرسلا قال أتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك فانك في الجنة في الدرجات العلى

فأنزل الله هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت معي في الجنة والعبرة في الآية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ففي الآية الحث على الطاعة والترغيب فيها وهي عامة لجميع المكلفين وهو ان كل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عنده تعالى وليس المراد الطاعة في شيء واحد أو شيئين والا لدخل الفساق والكفار بل المراد الطاعة بفعل المأمورات وترك المنهيات حسب الاستطاعة وليس المراد ان الكل في درجة واحدة لانه لا يجوز أن يسوى بين المفضول والفاضل بل المراد كونهم في الجنة مع التمكن من الرؤية والمشاهدة وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب والمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه وسلم ومن أقرب الناس اليه وهو بين النصارى بارض الحبشة وعبد الله بن أبي من أبعد الخلق عنه وهو معه في المدينة وذلك ان العبد اذا أراد بقلبه أمرا من طاعة أو معصية أو شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه فالارواح تكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فأنزل الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل سبحانه وتعالى اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء محبة الله لهم السكائن بترك المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكفي في العبودية وجود أصل المحبة حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومتى كان عنده شيء أحب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله ومرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه أو معاملة أحد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان قال بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون فجعل رجاء الاهتداء أثرا لامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة وكل ما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام يجب علينا اتباعه فيه الا ما خصه الدليل ثم ان محبته صلى الله عليه وسلم هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون

والهما يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهى قوت القلوب وغذاء الارواح وقرة العيون وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذى من فقده فى بحار الظلمات والشفاء الذى من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التى من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهى روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التى متى خلت منها فهى كالجسد الذى لا روح فيه تحمل أثقال السائرين الى بلاد لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها وتبوئهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا الا هى داخليها وهى مطايا القوم سراهم فى ظهورها دائما الى الحبيب وطريقهم الأقوم الذى يبلغهم الى منازلهم الاولى من قريب تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من أحب فيا لها من نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم للسعادة وهم على الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم فى سيرهم واقفون

من لى بمثل سيرك المذلل * تمشى رويدا وتجى فى الاول

أجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حى على الفلاح وبذلوا انفسهم فى طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضى والسماح وواصلوا اليه السير بالادلاج والغدو والرواح ولقد حمدوا عند الوصول سراهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح وقد وضعوا للمحبة رسوما باعتبار أسبابها وعلاماتها وثمراتها فقال بعضهم المحبة موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب وقال آخر هى محو المحب لصفاته واثبات المحب لذاته وقال آخر هى استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال آخر هى استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وقال آخر هى معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال آخر أن تهب كلك لمن أحببت فلا تبقى لك منك شيئا وقال آخر أن تمحو من القلب ماسوى المحبوب وقال آخر غض طرف المحب عما سوى المحبوب وقال آخر هى ميلك الى الشئ بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه وقال آخر هى سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه وقال آخر هى الميل لحب الصور الجميلة أو لوجود احسان أو انعام وهذا تعريف ببيان أسباب المحبة فقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فاذا كان الانسان يحب من منحه من دنياه مرة أو مرتين معروفا فانيا منقطعا أو استنقذه من هلكة أو مضرة لا تدوم فما بالك من منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم مالا يفنى ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره لما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبى الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم ولقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به من نار الجهل الى جنات

المعارف والايقان فهو السبب فى وصولنا للبقاء الابدى فى النعيم السرمدى فأى احسان أجل قدرا وأعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة لاحد بعد الله كماله علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا فكيف ننهض ببعض شكره أو نقوم من واجب حقه بمعشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة واسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وازكى من محبتنا لانفسنا وأولادنا وأهلنا وأموالنا والناس أجمعين بل لو كان فى كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده وفى رواية عن أنس رضى الله عنه والناس أجمعين وفى رواية أخرى لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه قال القرطبى كل من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو حاله من وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويبذل نفسه فى الامور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ورؤية موضع آثاره على جميع ماذكر لما وقر فى قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالى الغفلات وتفاوت المحبين فى محبته صلى الله عليه وسلم بسبب استحضار ما وصل اليهم من جهته من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة رضى الله عنهم فى هذا المعنى أتم لان هذا ثمرة المعرفة وهى فيهم أتم روى ابن اسحاق ان امرأة من الانصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد فأخبروها بذلك فقالت مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظره فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعنى صغيرة ورواه البيهقى فى الدلائل وفى بعض روايات هذا الحديث لما كثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امرأة من الانصار فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى لا تدرى بأيهم استقبلت وكل مامرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا أخوك وأبوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبى صلى الله عليه وسلم فيقولون أمامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بأبى أنت وأمى يارسول الله لا أبالى اذا سلمت من عطب وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه ما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يازيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك فى أهلك فقال زيد والله ما أحب ان محمدا فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة وانى

المجالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا وفي المواهب ان عبد الله بن زيد الانصاري رضي الله عنه كان يعمل في جنة له فأتاه ابنه فأخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد أحدا فكف بصره وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فعلق ذوق الايمان بالرضى بالله ربا الخ وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه هو ورسوله أحب الاشياء الى العبد ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين ويؤثر ذلك على اغراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وفي قوله عليه الصلاة والسلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن في الايمان بشئ حلو واثبت له لازم ذلك وقال العارف بالله ابن أبي جمرة اختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة أو معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوه وهم الصوفية ويشهد الى ما ذهبوا اليه أحوال الصحابة والسلف الصالح وأهل المعاملات مع الله فانه حكي عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال رضي الله عنه حين صنع به ما صنع في الرمضاء اكراها على الكفر وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك أيضا عند موته أهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الاحبه محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهي حلاوة الايمان ومنه حديث الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه ألذ من ذلك وما ذاك الا الحلاوة الايمان التي وجدها محسوسة في وقته ذلك وأمثال ذلك كثير قال العارف بالله تعالى تاج الدين بن عطاء الله ان القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه وألقى قياده اليه فتوجد لذة العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضى من الله وأوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من الله به عليه وليعرف احسان الله عليه ولما سبقت لهذا العبد العناية عوفي قلبه من المرض فأدرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا معناه ان من رضي بما رضي به المولى فقد رضي بالاسلام دينا ولازم من رضي بمحمد نبيا أن يكون له وليا وان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا عنها وصفحا عمن جنى عليه وعفوا عمن أساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له

ومن رضى بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال أن يرضى
بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا أو يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين
لاخفاء به ومحبة الله على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التى تبعث على امتثال الاوامر
والانتهاء عن المعاصى على حسب الاستطاعة فمن وقع فى معصية من فعل محرم أو ترك واجب
فلتقصيره فى محبة الله تعالى حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال فى المباحات
والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع فى الرجاء فيقدم على المعصية والندب أن
يواظب على النوافل ويجتنب الشبهات والمتصف بذلك فى عموم الاوقات والاحوال نادر وفى
البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه
تعالى أنه قال ما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه وفى رواية بشئ أحب الى من
أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت
سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش
وبى يمشى ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت فى شئ أنا فاعله ترددى عن
قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ففى الحديث دلالة على أن العبد اذا
أدى الفرائض ودام على اتيان النوافل من صلاة وصوم وغيرهما أفضى به ذلك الى محبة الله
تعالى وقد استشكل قوله كنت سمعه الخ بأنه كيف يكون البارى جل وعلا سمع العبد وبصره
الخ وأجيب بأجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره فى اشارة
أمرى فهو يحب خدمتى ويؤثر طاعتى كما يحب هذه الجوارح ومنها أن المعنى ان كليته
مشغولة بى فلا يصغى بسمعه الا الى ما يرضينى ولا يرى ببصره الا ما أمرته به ومنها ان المعنى كنت له
فى النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله فى المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف
أى كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك
ومنها ان المعنى كنت مسموعه كقولهم فلان أملى بمعنى مأمولى والمعنى انه لا يسمع الا ذكرى
ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابى ولا يأنس الا بمناجاتى ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى ولا يمد يده
الا فيما فيه رضاى ولا يمشى برجله الا لما فيه رحمتى وبالجملة فالكلام كناية عن نصرة العبد
وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه تنزل منه منزلة الآلات التى يستعين بها ويدخل فى ذلك سرعة
اجابته فى الدعاء ونجحه فى الطلب قال أبو عثمان الحيرى معناه أسرع الى قضاء حوائجه من
سمعه فى الاستماع وعينه فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى والمراد بالحديث حصر أسباب
محبته فى أمرين أداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى
يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى فوق المحبة الاولى فتغلب
هذه المحبة قلبه فلا يفكر ولا يهتم بغير محبوبه وتملك عليه روحه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه
البتة فصار ذكر محبوبه مالكا زمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه

الصادق في محبته الذي قد اجتمعت قوى قلبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه
وان أبصر أبصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه فالباء
في قوله فبي يسمع الخ للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها
فالمسئلة حالية لا علمية محضة ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب
لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه أي كما وافقني
في مرادي بامتثال أمري والتقرب الى محابي فأنا أوافقه في رغبته وقوى أمر هذه الموافقة
حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتته لانه يكره الموت والرب يكره ما يكره عبده ويكره مساءته
فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما أماته الا ليحييه وما أمرضه الا
ليصحه ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه الا ليعيده اليها على أحسن أحواله فهذا هو الحبيب
في الحقيقة لا سواه والقصد به وله وما ترددت الخ بيان عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته
عليه وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عيش الا عيش
المحبين الذين قرت أعينهم بحبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمأنت به قلوبهم واستأنسوا بقربه
وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها
هموم وغموم وآلام وحسرات ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى
يعرف الله ويهتدي اليه بطريق توصله اليه ويخرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم
بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فيقبل عليها بكليته ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات
الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطوة يكرهها الله ولا بخطرة فيصفو
ذلك قلبه بذكر الله ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة
بربه وذكره فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا
صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
امامه وأستاذه ومعلمه وشيخه كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع مبادي أموره وكيفية نزول
الوحي اليه ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه ومعاشرته لاهله وأصحابه الى غير ذلك مما منحه الله
حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه فاذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من
ربه بحيث اذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت عليه وماذا أريد بها أو حظه المختص به منها من
الصفات والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من
الامراض ﴿ ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات ﴾ أعظمها الاقتداء به واستعمال
سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف على ما حد لنا من شريعته قال الله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول الله صلى الله
عليه وسلم آية محبة العبد لربه عز وجل وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول صلى الله
عليه وسلم محبة الله تعالى اياه قال الشاعر

تعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه بنعمه الظاهرة والباطنة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم منة الله على عبده منته عليه بتأهيله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم وأصل هذا نور يقذفه الله في قلب العبد فاذا دام ذلك النور أشرقت له ذاته فرأى ما أهلت له نفسه من الكمالات والمحاسن فتعلو همته وتقوى عزيمته وتنقشع عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان الا ويطرح أحدهما الآخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبداً لأول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجد المحبة والمحبوبية معاً ولا يتم الامر الا بهما فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن أن يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه ظاهراً وباطناً وصدقته خبراً وأطعته أمراً وأجبته دعوة وآثرته طوعاً وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق بمحبته ومن طاعة غيره بطاعته قال المحاسبي علامة المحبة لله اتباع مرضاة الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه وأسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان في القلب كما يدخل حب الماء الشديد البرد في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد العطش فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعة غذاء لقلبه وسروراً له وقرة عين في حقه ونعيماً لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في الاوراد والاذكار وبقية الاعمال كلفة روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة قال ابن عطاء من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه وقال أبو اسحاق الرقي وكان من أقران الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لا يظهر على أحد شيء من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام فان ادعى علماً لدنياً أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنياً رحمانياً بموافقته لما جاء الرسول به من ربه تعالى والا فهو من الشيطان والنفس فاتباع هذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم هو حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته أن يرضى مدعيها بما شرعه الله حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى قال

تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا مما قضاه ولم يسلم له قال العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله الشاذلي رضي الله عنه وأذاقنا حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن في كليهما فأحكام التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العبد وأحكام التعريف هو ما أورده عليك من فهم المراد فتبين لك من هذا انه لا تحصل لك حقيقة الايمان الا بأمرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب انما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في المقسم به علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة والنصرة سواء كان الحق عليها أولها وفي ذلك اظهار لعنايته برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان حتى يذعنوا لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر بل اشترط ان لا يوجد الحرج في نفوسهم من أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم موافقا لما في أهوائهم أو مخالفا لها وانما ضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار ففيه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة له في نقضه وابرامه وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في سائر الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه قال العارف بالله أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن أحببت ولا تبقى لك منك شيئا فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خبايا حقائق أسرار أنسه ﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾ نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وآثر ذلك على اعراض الدنيا ﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾ التسلي عن المصائب ولا يجد من مسها ما يجده غيره حتى كأنه اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فكرب

المحبة ممزوجة بالحلاوة فاذا افتقد تلك الحلاوة اشتاق الى تلك الكرب كما قيل

تشكى المحبون الصبابة ليتني * تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها * فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾ كثرة ذكره وكثرة الصلاة عليه فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره قال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس وقال آخر للمحب ثلاث علامات أن يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله طاعته له وقال المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد أجمع الحكماء على ان من أحب شيئاً أكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشيء ألذ من ذكر المحبوب فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات وانقطعت أوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ورقت الى معادن الذخائر و بغية الطلبات وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين وباح الانين وتحركت المواجيد وتغير اللون وفتر البدن واقشعر الجلود فربما صاح و ربما بكى وربما شهق وربما وله وربما سقط وربما زاد الوجد على المحب فقتله ﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾ تعظيمه عند ذكره واظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل من أحب شيئاً خضع له كما كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا أو تهيبا وتوقيرا قال بعض السلف واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع و يخشع و يتوقر و يسكن من حركته و يأخذ من هيبته واجلاله بما كان يأخذ به لو كان بين يديه و يتأدب بما أدبنا الله به وكان أيوب السختياني رحمه الله اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه كثير المزح والدعابة فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وكان عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى لونه كأنه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع وكان الزهري اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم يتغير و كأنك ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان بن حكيم من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه ﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾ كثرة الشوق الى لقائه اذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه قال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخي رضي الله عنه المحبة الشوق لمشاهدة الصفات أو مشاهدة أسرار الصفات فيرى بلوغ النوال ولو بمشاهدة الرسول ولهذا كانت الصحابة اذا اشتد بهم

الشوق وأزعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفعوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم وعن عبيدة بن خالد بن معدان ما كان خالد يأوى الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم أصلى وفصلى واليهم يحن قلبى طال شوقى اليهم فعجل رب قبضى اليك فالقلب اذا ذاق طعم المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب فيه يعد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل

الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن أسلم قال خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا فى بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار يا ليت شعرى والمنايا اطوار هل تجمعنى وحبيبى الدار تعنى النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكى ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات وقال لها أعيدى على قولك فأعادته بصوت حزين فبكى وقال وعمر لا تنسيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار ويحكى انه رؤيت امرأة بعد موتها وقد كانت مسرفة على نفسها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لى قيل بماذا قالت بحبى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشوقى النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحيى أن نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه ﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾ حب القرآن الذى أتى به وتخلق به واذا أردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم فانظر محبة القرآن من قلبك فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه أحب شئ اليه وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله تعالى وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه اقرأ على قال اقرأ عليك وعليك أنزل قال فانى أحب أن أسمعه من غيرى فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع رأسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكاء رواه البخارى وهذا يجده من استنارة قلبه ورق عند سماع الكتاب العزيز قال تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال صاحب عوارف المعارف أذاقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذى لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين بكى وأدمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدمتا عند المام السماع بالقلب ظهر أثر ذلك فى الجسد واقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم

وتارة يعظم وقعه و يرتفع أثره نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يصل أثره الى الروح
فتموج منه الروح موجات تكاد تضيق منه فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها أحوال
يجدها أربابها من أصحاب الاحوال وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربما مر بآية من
ورده فتخنقه العبرة و يسقط و يلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد و يحسب انه مريض وكان
الصحابة رضي الله عنهم اذا اجتمعوا يقولون لابي موسى رضي الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ وهم
يسمعون فكانوا يجدون في سماع القرآن من الوجد واللذة والحلاوة والسرور أضعاف
ما يجد أهل السماع الشيطاني فاذا رأيت الرجل ذوقه وطربه ونشأته في سماع الابيات دون
سماع الآيات وفي سماع الالحان دون سماع القرآن فتقرأ عليه الختمة وهو جامد كالحجر واذا
أنشد بين يديه شيء من الشعر يميل كالنشوان فاعلم أن هذا من أقوى الادلة على فراغ قلبه من
محبة الله ورسوله أدام الله لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا غير سبيل سنته ورحمته * (ومن علامات
محبته صلى الله عليه وسلم) * محبة سنته وقراءة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا
سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى منها روحه وقلبه
ونفسه وتعمه تلك الكلمة حتى تصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة بصرا فيسمع الكل بالكل
ويبصر الكل بالكل ويقول

لي حبيب خياله نصب عيني * وسره في ضمائري مدفون
ان تذكرته فكلي قلوب * أو تأملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه و يطهر سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين و يرتوي بري
عطف محبوبه الذي لا شيء أروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء أشد للهيبه وحرقته من اعراضه
عنه ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عنهم أشد عليهم من العذاب الجسماني كما أن
نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله أعظم من النعيم الجسماني
لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب * (ومن علامات محبته) * صلى الله عليه وسلم أن يلتذ محبه
بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه
وروحه وسمعه وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه
الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة
لقوة هذين الامرين فتصور في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا أشد العشق ظفر بكنز عظيم
فاستولى عليه آمنا مطمئنا كيف يكون سكره من الفرح أو من غاب عنه غلامه بمال عظيم منذ
سنين حتى أضر به العدم فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب أضعافه ومما يقوي
هذه اللذة سماع الاصوات الحسنة المطربة بالانشادات بالصفات النبوية اذا صادفت محلا
قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع وسبب ذلك اجتماع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح
سكرا عجيبا ألذ وأطيب من سكر الشراب وفي الحديث أن داود عليه السلام يقوم يوم القيامة

عند ساق العرش و يمجد الله فاذا سمع أهل الجنة صوته انغمرت لذة نعيمهم فى لذة السماع وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم التى تغنيهم عن الجنة ونعيمها فأمرهم حينئذ لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة وهذه منة لا تلج كل اذن وصيب لا تحيي به كل أرض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها الطفيلي والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن علامات محبته)* صلى الله عليه وسلم محبة أصحابه وأهل بيته وذريته وقرابته وذلك أن الله تعالى لما اصطفى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما فضله به وحباه أعلى ببركته من انتمى اليه نسبا أو نسبة ورفع قدر من أطاعه وكان معه نصرة وصحبة وألزم الله مودة قرباه كافة بريته وفرض المحبة لاهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الآية نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم بحسب سياق الآيات التى قبلها والتى بعدها ولكنها دلت على ذلك فمن ذلك انه صلى الله عليه وسلم جاء ومعه على وفاطمة وحسن وحسين آخذ كل منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساء ثم تلا هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وأهل بيتى أحق رواه الامام أحمد عن واثلة بن الاسقع زاد فى رواية قال واثلة وأنا يارسول الله من أهلك قال وأنت من أهلى قال واثلة وانها من أرجى ما أرتجى وروى الامام أحمد أيضا عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بيتها اذ جاءت فاطمة رضى الله عنها ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعى زوجك وابنيك قالت فجاء على وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وتحته كساء قالت وأنا فى الحجرة أصلى فأنزل الله عز وجل هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى أى خاصتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة رضى الله عنها فأدخلت رأسى من البيت فقلت وأنا معكم يارسول الله قال انك الى خير انك الى خير وروى مسلم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتينى رسول ربى عز وجل فأجيبه وانى تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به وحث عليه ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله عز وجل فى أهل بيتى ثلاث مرات فقيل لزيد من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته قال بلى ان نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قيل ومن هم قال هم آل على وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قيل كل هؤلاء تحرم

عليهم الصدقة قال نعم والثقلان تثنية ثقل بالتحريك كما فى القاموس وهو كل شئ نفيس مصون ومراد زيد بن أرقم أن لا يقتصر على الازواج فقط بل هن مع آله ولا يشك من تدبر القرآن ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات فى الآية الكريمة أعنى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت لان سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة وروى الامام أحمد أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انى أوشك أن أدعى فأجيب وانى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى أهل بيتي وان اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفونى فيهما وعترة الرجل أهله ورهطه أى أقاربه وروى البخارى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال أيها الناس ارقبوا محمدا فى أهل بيته أى احفظوهم فلا تؤذوهم وروى البخارى أيضا عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى أن أصل من قرابتى وروى الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي وقال صلى الله عليه وسلم من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم وروى الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم من أبغض أهل البيت فهو منافق وروى ابن سعد عنه صلى الله عليه وسلم من صنع الى أحد من أهل بيتي معروفا فعجز عن مكافأته فى الدنيا فأنا المكافئ له يوم القيامة ولله در القائل

يا آل بيت رسول الله حبكمو * فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكمو * من لم يصل عليكم لا صلاة له

ولقد أحسن القائل

رأيت ولائى آل طه فريضة * على رغم أهل البعد يورثنى القربى
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى * بتبليغه الا المودة فى القربى

وروى الترمذى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال فى حسن وحسين اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وروى الترمذى من أحبنى وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة وروى الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم من آذى عليا فقد آذانى وأخرج الذهبى عنه صلى الله عليه وسلم من أحب عليا فقد أحبنى وقال صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب منى وأنا منه لا تؤذوا العباس فتؤذونى من سب العباس فقد سبنى وروى الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله وأخرج البغوى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن أبى طالب انى أحبك حبين حبا لقرابتك منى وحبا لما كنت أعلم به من حب عمى لك وروى الدارقطنى انه صلى الله عليه وسلم قال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب

خير أهلى أو من خير أهلى وأخرج الحاكم وصححه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا أهل البيت أحد الا أدخله الله النار وأما أصحابه
رضوان الله عليهم فحبهم من محبته صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم من توقيره وبرهم من بره
فالمؤمن الكامل هو الذى يحبهم ويوقرهم ويقتدى بأقوالهم وأفعالهم ويحسن الثناء عليهم
ويمسك عما حصل من الاختلاف بينهم ويعادى من يعاديهم ولا يلتفت الى أخبار المؤرخين
وجهلة الرواة ولا الى ما يحكيه الرافضة والمبتدعة مما يقدح فى أحد منهم بل ينبغى له أن
يلتمس لما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويحمله على أصوب المخارج لانهم أهل
لذلك ولا يذكر أحدا منهم بسوء لان الله قد أثنى عليهم فى كثير من الآيات قال الله تعالى محمد
رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الخ السورة وعن الامام مالك قال بلغنى
أن النصارى كانوا اذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين
واستنبط الامام مالك من قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار تكفير الروافض الذين يبغضون
الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ووافقه على ذلك جماعة من السلف
وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله
عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وقال
تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون
من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ويكفى ثناء الله عليهم ورضاه عنهم وقد
وعدهم الله مغفرة وأجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته وهو
السميع العليم وقال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وروى
عبد بن حميد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أصحابى كالنجوم
بأيهم اقتديتم اهتديتم وروى الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن حذيفة بن اليمان
رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر ورواه
الحاكم أيضا عن ابن مسعود رضى الله عنه وروى البزار وأبو يعلى عن أنس رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابى كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا به
وقال صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم
ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله
يوشك أن يأخذه وروى مسلم وغيره لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا
ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وروى أبو نعيم عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه اذا ذكر أصحابي فامسكوا وروى الديلمي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير وروى الطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني قال الامام مالك رضي الله عنه وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال أيوب السختياني رحمه الله من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن أبغض أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وروى الطبراني عن سهل بن يوسف بن سهل بن أخي كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس اني راض عن عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس ان الله غفر لأهل بدر والحديبية احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيامة غدا وقوله أصهاري هم آباء زوجاته كأبي بكر وعمر وأبي سفيان رضي الله عنهم وقوله وأختاني هم ازواج بناته كعثمان وعلي وأبي العاص ابن الربيع رضي الله عنه وروى أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم احفظوني في أصحابي وأصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه وروى سعيد بن منصور عن النبي صلى الله عليه وسلم من حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيامة وروى الطبراني من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعد وروى عن كعب الاحبار ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه فنسأل الله دوام محبتهم والتوفيق لطريقتهم والفوز بشفاعتهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ باب في ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم ﴾

وهذا الباب مضمونه يسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجائع لاثارة الاحزان ويلهب نيران الوجد على أكباد ذوي الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة

والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الانبياء حتى يخير وقد عرف الله النبي صلى الله عليه وسلم
اقتراب أجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد
اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذى دعوتهم اليه أفواجا فقد اقترب
أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة
والتبليغ وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا وروى الطبرانى عن جابر رضى الله
عنه قال لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت الى نفسى فقال له جبريل
وللآخرة خير لك من الاولى وروى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين
ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال
فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله
بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان
رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس على
فى صحبته وماله أبو بكر رضى الله عنه فلو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر
ولكن اخوة الاسلام لا يبقى فى المسجد خوخة الاسدت الا خوخة أبى بكر رضى الله عنه ومازال
صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله فى آخر عمره حتى مرض وكان مرضه فى أواخر شهر صفر
وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما وكان ابتداء مرضه يوم السبت وقيل الاثنين وقيل الاربعاء
فى بيت ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها وقيل فى بيت زينب بنت جحش رضى الله عنها وكان ينتقل
فى بيوت زوجاته رضى الله عنهن على حسب ما كان فى صحته ثم لما اشتد وجعه استأذن أزواجه
أن يمرض فى بيت عائشة رضى الله عنها فأذن له فخرج يهادى بين العباس بن عبد المطلب وعلى
ابن أبى طالب رضى الله عنهما حتى دخل بيت عائشة رضى الله عنها وفى البخارى عن عائشة
رضى الله عنها قالت لما دخل بيتى واشتد وجعه قال أهريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن
لعلى أعهد الى الناس فأجلسناه فى مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا
نصب عليه الماء من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن الحديث وفيه انه قال
ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر وهذا أوان انقطاع أبهرى من ذلك السم وأصابته
صلى الله عليه وسلم حمى شديدة روى ابن ماجه والحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم كانت عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها
فقيل له فى ذلك فقال انا معاشر الانبياء كذلك يشدد علينا البلاء وتضاعف لنا الاجور وعن
عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك أى يحم
وعكا شديدا فقلت يا رسول الله انك لتوعك وعكا شديدا قال أجل انى أوعك كما يوعك رجلان
منكم قلت ذلك ان لك لاجرين قال أجل ذلك كذلك وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها

قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها في شكواه الذي قبض فيه فسارّها بشيء
فبكت ثم دعاها فسارّها بشيء فضحكت فسألناها بعد ذلك عن ذلك فقالت سارّني النبي صلى الله
عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارّني فأخبرني اني أول أهل بيته يتبعه
فضحكت ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم مرضه وتعذر عليه الخروج للصلاة قال مروا أبا بكر
فليصل بالناس فقالت له عائشة رضي الله عنها يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق اذا قام مقامك
لا يسمع الناس من البكاء قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها فقال انكن
صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس وفي بعض روايات الحديث ان عائشة رضي الله
عنها قالت لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده
رجلا قام مقامه أبدا وجملة الصلوات التي صلى فيها الصديق بالناس سبع عشرة صلاة فكان
في تقديم الصديق رضي الله عنه للصلاة اشارة الى أنه الخليفة بعده صلى الله عليه وسلم فقالوا
ان النبي صلى الله عليه وسلم رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ولما رأت الانصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله
عليه وسلم فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي
رضي الله عنه فأعلمه بمثل ذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل رضي الله
عنهما وتقدم العباس أمامهم والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى
جلس في أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس بلغني أنكم
تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث اليه فأخلد فيكم ألا اني لاحق بربي وانكم
لاحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى
يقول والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا
بالصبر وان الامور تجري باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل
لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا
في الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوّؤا الدار والايمان من
قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم في الثمار ألم يوسعوا لكم في الديار ألم يؤثروكم على
أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم
ألا ولا تستأثروا عليهم ألا واني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا فان موعدكم الحوض ألا فمن
أحب أن يرده علي غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي وفي رواية للبخاري عن أنس رضي
الله عنه في ذكر هذه القصة قال مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس الانصار وهم
يبكون فقالا ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا فدخل أحدهما
على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب رأسه
بحاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار

انهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشي وعيبتي أراد انهم بطانته وموضع سره وأمانته وانهم الذين يعتمد عليهم في اموره وقيل أراد بالكرش الجماعة أي جماعتي وصحابتي وفي المواهب عن الواحدي بسند وصله الى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة رضي الله عنها فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله أوصيكم بتقوى الله وأستخلفه عليكم وأحذركم الله اني لكم نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فانه قال لي ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال أليس في جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة المأوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال من أهل بيتي الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله فيم نكفنك قال في ثيابي هذه وان شئتم في ثياب مصر أو حلة يمنية قلنا يا رسول الله من يصلي عليك قال اذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان أول من يصلي على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا على أفواجا أفواجا فصلوا على وسلموا تسليما وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم واقرؤا السلام على من غاب من أصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا الى يوم القيامة قلنا يا رسول الله من يدخلك قبرك قال أهل بيتي مع ملائكة ربي وكذا رواه الطبراني وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ثم يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت انه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح وفي رواية انها أصغت اليه قبل أن يموت وهو مستند الى ظهره وهو يقول اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الاعلى وروى عبد الرزاق عن طاوس رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال خيرت بين ان أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل وروى ابن حبان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أسأل الله الرفيق الأعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل وظاهره ان الرفيق الاعلى المكان الذي تحصل فيه المرافقة مع المذكورين وقال ابن الاثير أراد جماعة الانبياء الذين يسكنون أعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرحمة والرأفة وقيل المراد به حضرة القدس قال في المواهب لما تجلى له الحق ضعفت العلاقة بينه وبين المحسوسات والحظوظ الضرورية فكانت أحواله صلى الله عليه وسلم في زيادة الترقي ولذلك روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل يوم لا أزداد فيه قربا من الله فلا بورك لي في طلوع شمسه وكلما فارق مقاما واتصل بما هو أعلى منه لمح الاول بعين النقص وسار

على ظهر المحبة ونعمت المطية لقطع هذه المراحل والمقامات والاحوال والسفر الى حضرة ذى الجلال الذى كل شئ هالك الا وجهه قال السهيلى الحكمة فى اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منه الرخصة لغيره انه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان لان بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر قال الحافظ ابن رجب وقد يروى ما يدل على انه قبض ثم رأى مقعده فى الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففى المسند عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبى الا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير فكنت قد حفظت ذلك فانى لمسندته الى صدرى فنظرت اليه حين ارتفع ونظر فقلت اذا والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى فى الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وفى صحيح ابن حبان عن عائشة رضى الله عنها قالت أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه فى حجرى فجعلت أمسه وأدعو له بالشفاء فلما أفاق قال أسأل الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل اسرافيل ولما احتضر صلى الله عليه وسلم واشتد به الامر قالت عائشة رضى الله عنها ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت وفى رواية وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات قال العلماء وكانت تلك السكرات من شدة الوجع لرفعة منزلته ولتقتدى به أمته فى الصبر وروى الحافظ ابن رجب أنه عليه الصلاة والسلام قال اللهم انك تأخذ الروح من بين القصب والعصب والانامل فأعنى عليه وهونه على والقصب عظام اليدين والرجلين ونحوهما قالت عائشة رضى الله عنها ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضى الله عنها واكرب أبتاه فقال لها لا كرب على أبيك بعد اليوم والمراد بالكرب ما كان يجده من شدة الموت وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه ان المسلمين بينما هم فى صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلى لهم لم يفجأهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف حجرة عائشة رضى الله عنها فنظر اليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر رضى الله عنه على عقبه ليصل الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج الى الصلاة قال أنس وهم المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار اليهم بيده صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر زاد فى رواية فتوفى من يومه وفى رواية لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا قط كان أعجب الينا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا فأومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر أن يتقدم وأرخى الحجاب وروى مسلم ان أبا بكر رضى الله عنه كان يصلى لهم فى وجع النبى صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه حتى كان

لاثنين وهم فى صفوف الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا
وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا أى فرحا باجتماعهم على
الصلاة واتفاق كلمتهم واقامة شريعته وروى البيهقى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال لما بقى
من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله قد أرسلنى
اليك اكراما لك وتفضيلا لك وخاصة يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك قال أجدنى
يا جبريل مغموما وأجدنى يا جبريل مكروبا ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال له مثل ذلك ثم أتاه
فى اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل يا أحمد هذا ملك الموت
يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمى قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك قال ائذن له فدخل ملك
الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله ان الله عز وجل أرسلنى اليك وأمرنى ان أطيعك فى
كل ما تأمرنى به ان أمرتنى ان أقبض روحك قبضتها وان أمرتنى ان أتركها تركتها فقال
جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك قال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت الى ما أمرت
به فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موطئى من الارض انما كنت حاجتى من الدنيا فقبض
روحه فلما توفى صلى الله عليه وسلم سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم أهل البيت
ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ان فى الله عزاء
من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما المصاب
من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال على رضى الله عنه أتدرون من هذا
هو الخضر عليه السلام ورواه أيضا غير البيهقى كالحاكم فى المستدرك وابن أبى الدنيا
بلفظه عن أنس رضى الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله
يبكون فدخل عليهم رجل طويل كثير شعر المنكبين فى ازار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتى باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل
على أصحابه فقال ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت الحديث وفيه ثم ذهب الرجل
فقال أبو بكر على بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر رضى الله عنه لعل
هذا الخضر جاء يعزينا قالت عائشة رضى الله عنها توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى
وفى يومى وبين سحرى ونحرى والسحر موضع القلادة من الصدر والمراد انه صلى الله عليه وسلم
توفى ورأسه بين حنكها وصدرها قال السهيلى ان أول كلمة تكلم بها النبى صلى الله عليه وسلم
وهو مسترضع عند حليمة الله أكبر وآخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى وفى رواية جلال
ربى الرفيع ويمكن انه تكلم بهما ولما توفى صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر رضى الله عنه غائبا
بالسنح يعنى العالية وهى منازل بنى الحارث بن الخزرج عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد
الخزرجى رضى الله عنهما وكان عليه الصلاة والسلام قد أذن له فى الذهاب اليها فسل عمر بن
الخطاب رضى الله عنه سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما أرسل

اليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله انى لأرجو أن يقطع أيدى رجال
وأرجلهم فأقبل أبو بكر رضى الله عنه من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة رضى الله عنها
فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكى ويقول توفى والذى نفسى
بيده صلوات الله عليك يارسول الله ما أطيبك حيا وميتا بأبى أنت وأمى لا يجمع الله عليك
موتتين وأشار بذلك الى الرد على من يزعم أنه سيحيى فيقطع أيدى رجال لانه لو صح ذلك لزم ان
يموت موتة أخرى فأخبر بأنه أكرم على الله أن يجمع عليه موتتين وقيل انه أراد لا يجمع الله
عليك موت نفسك وموت شرعك وعن عائشة رضى الله عنها ان عمر رضى الله عنه قام يقول
والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو بكر رضى الله عنه فكشف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا والذى نفسى بيده لا يذيقنك الله
موتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر رضى الله عنه جلس عمر
فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال ألا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد
الله فان الله حى لا يموت وقال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل الآية فنشج الناس يبكون رواه البخارى يقال نشج الباكى اذا غص بالبكاء فى حلقه
من غير انتحاب وعن سالم بن عبيد الاشجعى رضى الله عنه قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخذ بقائم سيفه وقال لا أسمع أحدا يقول
مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفى هذا قال فقال الناس ياسالم اطلب
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا بأبى بكر رضى الله عنه
فلما رأيته أجهشت بالبكاء فقال ياسالم أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن
الخطاب رضى الله عنه يقول لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته
بسيفى هذا فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مسجى
فوضع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشى الريح ثم سجاه والتفت الينا وقال وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين وقال انك ميت وانهم ميتون يا أيها الناس من كان يعبد
محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت قال عمر فوالله لكأنى لم أتل هذه
الآية قط وروى الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت سجيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر
عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يموت حتى يفنى الله المنافقين ثم جاء أبو بكر رضى الله عنه فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله
وانا اليه راجعون مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية للبخارى عن ابن عباس رضى
الله عنهما ان أبا بكر رضى الله عنه خرج وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يكلم الناس فقال اجلس

يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال أبو بكر رضى الله عنه أما بعد
من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت قال الله عز وجل وما
محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل الآية
حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس كلهم فما سمع بشر من الناس الا يتلوها وروى ابن أبى شيبة
عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان أبا بكر مر بعمر رضى الله عنهما وهو يقول ما مات رسول
الله ولن يموت حتى يقتل الله المنافقين قال وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال أيها
الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون
وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم أتى المنبر الحديث وروى الطبرانى ان العباس رضى الله
عنه لما سمع عمر رضى الله عنه يقول من قال ان محمدا قد مات ضربته بسيفى قال له هل عندكم عهد
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك قال لا قال فانه قد مات ولم يمت حتى حارب وسالم ونكح
وطلق وترككم على محجة بيضاء وهذا من موافقة العباس للصديق رضى الله عنهما
وفى المواهب لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من أقعد
فلم يطق القيام ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ومنهم من أضنى وكان عمر رضى الله عنه ممن
خبل وكان عثمان رضى الله عنه ممن أخرس فكان لا يستطيع أن يتكلم وكان على رضى الله عنه
ممن أقعد فلم يستطع أن يتحرك وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدا وكان أثبتهم أبو بكر
الصديق رضى الله عنه جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل
على النبى صلى الله عليه وسلم فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا
وانقطع لموتك ما لم ينقطع للأنبياء قبلك فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو ان
موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن على بالك
وفى رواية قبل جبهته وقال واصفياه واخليلاه وفى رواية فجعل يقبله ويبكى ويقول
بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا ثم خرج الى الناس الحديث قال القرطبى وهذا أدل دليل
على كمال شجاعة الصديق رضى الله عنه لان الشجاعة هى ثبوت القلب عند حلول المصائب
ولا مصيبة أعظم من موت النبى صلى الله عليه وسلم فظهرت عنده شجاعة الصديق وعلمه
رضى الله عنه وذكر الوائلى أبو عبد الله فى كتاب الابانة عن أنس رضى الله عنه انه سمع عمر بن
الخطاب رضى الله عنه حين بويع أبو بكر رضى الله عنه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستوى على منبره عليه الصلاة والسلام تشهد ثم قال أما بعد فانى قلت لكم أمس مقالة وانها لم
تكن كما قلت وانى والله ما وجدت المقالة التى قلت لكم فى كتاب الله ولا فى عهد عهده الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
يدبرنا ويكون آخرنا موتا فاختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الذى عنده على الذى عندكم
وهذا الكتاب الذى هدى الله رسوله به فخذوا به تهتدوا والمقالة التى قالها ثم رجع عنها هى ان

النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى يقطع أيدي وأرجل أناس من المنافقين وكان ذلك لعظيم ماورد عليه واسكونه خشي الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كأنها لم تنزل قط الا ذلك اليوم رجع عن مقالته المذكورة وروى البخاري ان فاطمة رضي الله عنها لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ياأبتاه أجاب ربا دعاه ياأبتاه من جنة الفردوس مأواه ياأبتاه من الى جبريل ننعاه زاد في رواية رواها الطبري ياأبتاه من ربه ما أدناه وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك وأخرج أبو نعيم عن علي رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا الى السماء والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السماء ينادي وامحمداه وهذه مصيبة أصيبها المسلمون لم يصابوا بمثلها كل مصيبة تهون عندها روى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه أيها الناس ان أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عند المصيبة التي تصيبه بغيري فان أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي قال ابن الجوزي كان الرجل من أهل المدينة اذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه وقال له ياعبد الله اتق الله فان في رسول الله أسوة حسنة ورحم الله القائل

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها * نوب تنوب اليوم تكشف في غد
واذا أتتك مصيبة تشجى بها * فاذكر مصابك بالنبي محمد

وقال آخر

تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا * فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقته صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح وكان الحسن البصري اذا حدث بهذا الحديث يبكي و يقول هذه خشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أحق ان تشتاقوا اليه وروى ان بلالا رضي الله عنه كان يؤذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فاذا قال أشهد أن محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن صلى الله عليه وسلم ترك بلال الاذان ما أمر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب

لو ذاق طعم الفراق رضوى * لكان من وجده يميد
قد حملوني عذاب شوق * يعجز عن حمله الحديد

وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس في الوقت الذي دخل فيه المدينة حين هجرته صلى الله عليه وسلم وكانت يوم الاثنين بلا خلاف وكان دفنه يوم الثلاثاء وقيل ليلة

الاربعاء وقيل يوم الاربعاء ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراثي كثيرة منها قولها

الا يارسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده * ولكنني أخشى من الهجر آتيا
كان على قلبي لذكر محمد * على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي * وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته * يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال

أرقت فبت ليلى لايزول * وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ماسالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه ومايقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق رضي الله عنه بقوله

ودعنا الوحي اذ وليت عنا * فودعنا من الله الكلام
سوى ماقد تركت لنا رهينا * تضمنه القراطيس الكرام

ورثاه الصديق رضي الله عنه أيضا بقوله

لما رأيت نبينا متجدلا * ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه * والعظم مني ماحييت كسير
أعتيق ويحك ان حبك قد ثوى * فالصبر عنك لما بقيت يسير
ياليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في جدث على صخور
فلتحدثن بدائع من بعده * يعيي بهن جوانح وصدور

ورثاه حسان رضي الله عنه بمراثي كثيرة منها قوله

كنت السواد لناظري * فعمي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ورجع الى قومه قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عندربك أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي انت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك مالم يتبع نوحا في كثرة سنيه وطول عمره فقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل وأخرج ابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي رضي الله عنه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان قرب السحر غت فهتف بي هاتف يقول

خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومقعد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا * تذري الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الاسعد الذابح فعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قبض أو هو ميت أي قريب الموت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق انهم حين أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى مامنهم رجل الا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لايدرون من هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا أي انتبهوا من النوم فغسلوه وعليه قميصه يضعون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلائل النبوة بسند جيد وغسله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان العباس وابنه الفضل رضي الله عنهما يعينانه في تقليب جسمه الشريف وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبون الماء وأعينهم كلهم معصوبة حتى لاينظروا جسده الشريف وهو يغسل خيفة أن يبدو مالم يؤذن في النظر اليه وقوله وأعينهم كلهم معصوبة أي الا عليا رضي الله عنه فكان يقول وهو يغسله بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وروي أن عليا رضي الله عنه نودي وهو يغسله أن ارفع طرفك نحو السماء خوفا أن يديم النظر اليه وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه

قال

سلته صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت أى من الفضلات الخارجة
شيأ كان طيبا حيا وميتا وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط وعن جعفر الصادق
الله عنه قال كان الماء يستنقع أى يجتمع فى جفون النبى صلى الله عليه وسلم فكان
رضى الله عنه يحسوه أى يشربه وكفنوه صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض ليس فيها
ص ولا عمامة واختلف فى معنى هذا الحديث فقال الجمهور ليس فى الكفن قميص ولا
مامة أصلا وقال آخرون منهم الامام أبو حنيفة رضى الله عنه معناه كفن فى ثلاثة أثواب
ير القميص والعمامة ثم لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم وضع على سريره فى بيته
م دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم أرسالا أى جماعات متتابعين يصلون عليه ولم يؤم
لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد وفى رواية ان أول من صلى عليه الملائكة أفواجا ثم
هل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم النساء واختلفوا فى موضع دفنه فقال أناس عند المنبر وقال
ناس بالبقيع فقال أبو بكر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما مات نبى
ط الا يدفن حيث تقبض روحه فقال على وأنا أيضا سمعته رواه الترمذى وابن ماجه وفى
واية الموطأ ما دفن نبى قط الا فى مكانه الذى توفى فيه فحفر له صلى الله عليه وسلم فى المكان الذى
فى فيه وكان المباشر للحفر أبو طلحة زيد بن سهل الانصارى رضى الله عنه حفر لحدا فى موضع
راشه حيث قبض صلى الله عليه وسلم واختلف الناس فيمن أدخله قبره وأصح ما روى انه نزل
قبره عمه العباس وعلى والفضل وقثم بن عباس رضى الله عنهم ويقال دخل معهم أوس بن
ولى رضى الله عنه وكان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس رضى
الله عنهما لانه تأخر فى القبر حتى خرجوا قبله وروى انه بنى فى قبره تسع لبنات وفرش تحته
طيفة نجرانية كان يتغطى بها صلى الله عليه وسلم فرشها شقران رضى الله عنه وقال والله
لا يلبسها أحد بعدك وهذا الفرش خصوصية له أما غيره فالجمهور على كراهية الفرش فى
القبر ولما دفن صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة رضى الله عنها أطابت نفوسكم أن تحثوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينها
وانشأت تقول

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها * صبت على الايام عدن لياليا

وقالت رضى الله عنها ترثيه

اغبر آفاق السماء وكورت * شمس النهار وأظلم العصران
والارض من بعد النبى كئيبة * أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها * وليبكه مضر وكل يمان

ورش قبره صلى الله عليه وسلم بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة
حمرا وبيضا ورفع قبره عن الارض قدر شبر ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان
ليوم قدوم روحه المقدسة وأظلمت الدنيا قال أنس رضى الله عنه ما رأيت يوما كان أحسن

ولا أضوأ من يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أظلم من يوم مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفى رواية فلما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
أضاء منها كل شئ فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شئ وما نفضنا أيدينا من التراب
وانا فى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا يريد انهم وجدوها تغيرت عما عهدوه فى حياته من الالفة
والصفاء والرقة لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأييد (ومن آياته) صلى الله علي
وسلم بعد موته ما ذكر من حزن حماره يعفور عليه حتى تردى أى ألقى نفسه فى بئر وكذا ناقته فا
لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت (ومن ذلك) ظهور ما أخبر انه كائن بعد موته مما لا نهاية له و
عد يحصيه وقد تقدم فى المعجزات كثير من ذلك روى مسلم عن أبى موسى رضى الله عنه ا
صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا أراد بأمة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يدي
واذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حى فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبو
وعصوا أمره أى كما وقع لأمة نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وانما كان قبض النبى
قبل أمته خيرا لانهم اذا قبض واقبله انقطعت أعمالهم واذا أراد الله بهم خيرا جعل خيرهم
مستمرا ببقائهم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات نسلا بعد نسل
وعقبا بعد عقب * هذا ما يسره الله من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ونسأل الله أن يجعلنا
من التابعين له المتمسكين بشريعته المقتفين لآثاره المقتدين به وان يحشرنا فى زمرته وزمرة
أصحابه وأهل بيته وان يمنحنا من المدد المحمدى ما منحه عباده الصالحين وان يمتعنا بلذة النظر
الى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بحمد الله تم طبع السيرة النبويه التى أبانت عن الشمائل المصطفوية كما قال

كتاب عليه بهجة وجلالة * وفيه على التحقيق حسن ورونق

فى كل سطر منه عقد منظم * ومن كل حرف نفحة المسك تعبق

وكيف لا وهى تصنيف أوحد الورى وأجل من تفنن ممن تبوأ أم القرى الفهامة الالمعى
والدراكة اللوذعى التقى الصالح الاستاذ السيد أحمد دحلان أحسن الله اليه بجميل
الاحسان ولما كانت جزيلة الوضع جميلة الصنع حرية بأن تتلقى بالقبول والاقبال جديرة
بأن تشد لتحصيلها الرحال طبعت مرة ثانية بالمطبعة الوهبيه احدى المطابع المصريه
وذلك فى العشر الثانى من شهر ربيع الاول أحد شهور عام ١٢٩٣ ثلاث وتسعين ومائتين

بعد الالف من هجرة من خلق على اكمل وصف

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه

وشرف وكرم آمين

